بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في التفسير لسورتي الفاتحة والبقرة جمعًا ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعـــداد الطـــالـــب:

عبدالحق علي علي أحمد يعقوب

إشراف الدكتور:

علي الأمين عوض الله

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ مِنۡهُ ءَايَـٰتٌ مُّحۡكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]

إهداء

- ❖ إلى الذين رعوني طفلاً بأعينهم الساهرة وقلوبهم المشفقة مَن أدين لهما بالوفاء، أمي الحنونة، وأبي العزيز، أسأل الله أن يوفقني لطاعتهما والإحسان إليهما، وأسأله أن يكتب لهم الشِّفاء والعافية والصِّحة والسَّلامة.
- ❖ وإلى من أحبها أكثر من حياتي، نور عيني، ورفيقة دربي، التي كمَّلت نصف إيماني، فلقد شاطرتني عناء السفر ومشقته، وتربية الأولاد، وبُعْدَ الأهل، وهيأت لي كافة مستلزمات الراحة.
- ❖ وإلى أولادي، فلذات كبدي (البراء و عبدالرحمن و أحمد).
- ❖ إلى إخواني الأشقاء الذين لم يبخلوا عليَّ بالغالي والنفيس.
- ❖ وإلى كل من اتخذ القرآن منهجاً ودستوراً للحياة.
- ❖ وإلى الدعاة العاملين في كل أرض لإعلاء كلمة الله.
- ❖ وإلى كل مشائخي وأساتذتي الذين علموني حرفاً ودرسوني يوماً.
- ❖ وإلى كافة أقربائي وأصدقائي وإخواني.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا الجهد البسيط

شكر وتقدير

أحمدك يا رب قبل كل شيء، كما أحمدك على إتمام هذا العمل، فلك الحمد في البدء والختام على فضلك، وعظيم كرمك بما فتح عليَّ ويسر وأنعم وأكرم من إعداد هذه الرسالة، وأسأله سبحانه وتعالى أن يُلْبِسها ثوبَ القبول وتاجَ الوُصول.

ولا يسعني في هذا المقام بعد أن مَنَّ الله عليَّ بإنجاز هذه الرسالة، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾(٢)، ولقول الرسول – ﷺ-: ((لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ))(٣)، وإن أجل وأسمى من يستحق الثناء والمجد، الله جل وعلا، فاللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله.

ثم أزجي الشكر لجمهورية السودان الحبيبة، ولشعبها الأكرم، ثم جامعة أم درمان الإسلامية العريقة، وكلية أصول الدين، على ما تبذله من نفع عظيم، وعطاء متجدد، كما أخص منها قسم التفسير وعلوم القرآن، وكلية الدراسات العليا، فالله أسأل أن يجزي القائمين عليهما خير الجزاء.

وأوجه خالص الشكر والتقدير لفضيلة الدكتور/ علي الأمين عوض الله، رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن سابقاً، ونائب عميد كلية أصول الدين، الذي تكرم بقبول الإشراف على رسالتي، والذي فتح لي قلبه قبل داره، وحباني بذخائر مما لديه، وبذل معي جهداً كبيراً، ووقتاً ثميناً، حيث أمدني بنصحه، فأغنى الرسالة بتوجيهاته السديدة، وملاحظاته الرصينة، وظفرت بآرائه الصائبة، ولم يدخر وسعاً في تذليل الصعاب، فكان نِعم المعلم الفاضل، والوالد الكريم، فالله أسأل أن يبارك في علمه ووقته وعمره.

وهو شرف عظيم لي أن يناقشه ويقومه أستاذان جليلان، وعالمان فاضلان، وعَلَمان بارزان من أعلام التفسير وعلوم القرآن.

فضيلة الدكتور/ عثمان محمد الحسن، خادم ومعلم القرآن الكريم، ورئيس قسم القرآن الكريم السابق، وأستاذ القرآن والتفسير بجامعة أم درمان الإسلامية، مناقشاً داخلياً.

وإني لأتقدم لفضيلته أيضاً بعظيم الشكر والامتنان على قبوله مناقشةَ وتقويمَ هذا البحث، رغم كثرة

---

(١) إبراهيم:٧

(٢) لقمان:١٢

(٣) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ): (٤٠٣/٤)، كتاب الأدب، باب: في شكر المعروف، رقم الحديث (٤٨١٣)، الناشر: دار الكتاب العربي ـــ بيروت. وسنن الترمذي: (٣٣٩/٤)، كتاب أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث (١٩٥٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

انشغالاته، واهتماماته الدعوية والعلمية والعملية، فالله أسأل أن يبارك في وقته، وأن يجزيه عني وعن طلاب العلم خير الجزاء.

وفضيلة الدكتور/ قاسم بشرى حميدان، عميد كلية القرآن الكريم بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية سابقاً، وأستاذ التفسير بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، مناقشاً خارجياً، وإني لأتقدم لفضيلته بالشكر الجزيل والتقدير العظيم على قبوله مناقشةَ وتقويمَ هذا البحث رغم ضيق وقته، وكثرة مشاغله، فالله أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يجزيه عني وعن طلاب العلم خير الجزاء.

لقبولهما مناقشة رسالتي، وما بذلاه من وقت وجهد لقراءة الرسالة بغية غنائها بملاحظاتهما القيمة، وتوجيهاتهما السديدة.

كما أخص بالشكر على من أمرني ربي - ﷻ- بشكرهما في كتابه الكريم: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1]، والديَّ الكريمين، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وبارك الله في عمرهما، وشفاهما الله وعافاهما، ورزقني برهما.

ولا أنسى أن أوجه الشكر والاحترام إلى زوجتي الوفيَّة، والتي كانت سنداً لي لإكمال هذه الرسالة، وإخواني وأقربائي وأصدقائي، ولمن ساندني لإكمال هذه الرسالة، كما أشكر بلدي الحبيب اليمن، وجامعتي الحبيبة جامعة حجة، التي ابتعثتني لنيل درجة الماجستير.

كما أرى من الواجب عليَّ أن أشكر أساتذتي الذين تشرفت بالتلمذة على أيديهم في جميع مراحل حياتي الدراسية، نظراً لما قدموه من الإرشادات الأخلاقية والعلمية، حيث ساهمت في تكوين قدراتنا الأخلاقية والعلمية.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لعمي الدكتور/ أحمد علي أحمد يعقوب، الذي شجعني وساعدني في مراجعة هذه الرسالة، كما هو كذلك موصول للأستاذ/ أمين الظبي.

كما أقدم عظيم شكري إلى عائلتي جميها، وأخص منهم بالذكر إلى أخويَّ إبراهيم وصالح حيث ساعداني مادياً ومعنوياً.

كما لا يفوتني أن أوجه امتناني وشكري وتقديري إلى كل الإخوة الذين مدُّوا لي يد العون والمساعدة، وإلى كل من صنع لي معروفاً، وكل من ساهم ولو بكلمة طيبة ودعاء أثناء كتابة هذا البحث.

فجزى الله الجميع خير الجزاء.

---

(١) لقمان: ١٤

مستخلص البحث

تقدم الباحث بهذه الرسالة التي تحمل عنوان (ترجيحات الإمام النَّسَفِي لسورتي الفاتحة والبقرة جمعاً ودراسة) حيث والبحث يشمل حياة عَلَم مِن أعلام بلاد ما وراء النَّهر، المتبحر في التفسير وعلوم القرآن والفقه، أبو البركات عبدالله بن أحمد النَّسَفِي، ويشمل آراءه وترجيحاته التفسيرية جمعاً ودراسة وموازنة، فقد بدأ الباحث بذكر حياة الإمام النَّسَفِي من عصره وولادته ونشأته ووفاته، وحياته العلمية، وذكر أبرز شيوخه وتلاميذه، ثم آثاره وثناء العلماء عليه.

ثم تحدث الباحث عن تفسيره (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ومنهجه فيه، وخلص بأنَّه يصنَّف ضمن كتب التفسير بالرأي، ويهتم باللغة، وبمعاني الكلمات، وبالإعراب، والبلاغة، و لم يغفل جانب التفسير بالمأثور، فيُفسر القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين، وبالقراءات القرآنية، وأسباب النزول.

وتبين للباحث أنَّ تفسيره مختصر من تفسير الكشاف للزمخشري، ومن أنوار التنزيل للبيضاوي، إلا أنَّه مجرد عن الاعتزال الذي في الكشاف.

والإمام النَّسَفِي سُنَّي الاعتقاد، حنفيّ المذهب والفقه، ولذلك نجده يرد على من خالفه.

وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي والوصفي لمسائل ترجيحات الإمام النَّسَفِي في سورتي الفاتحة والبقرة، وتحدث الباحث عن منهجه في الترجيح، وذَكَر معنى الترجيح والاختيار والفرق بينهما، وصيغ الترجيح ووجوهه عند الإمام النَّسَفِي.

ثم استنبط الباحث وجمع جُمْلَةً من الترجيحات للإمام النَّسَفِي من سورتي الفاتحة والبقرة، التي تشمل على ترجيحاته في علوم القرآن واللغة، والعقيدة والعبادات، وأحكام الأسرة والمعاملات، والحدود والعقوبات، وغيرها، ثم بدأ بدراسة هذه الترجيحات، وذلك بسرد وذكر أقوال العلماء والمفسرين، ومقارنتها بقول الإمام النَّسَفِي، وأخيراً اختيار الصحيح والراجح منها بأدلة الترجيح والاختيار.

وقد تبين للباحث من خلال الدراسة أنَّ ترجيح الإمام النَّسَفِي في كثير من الآيات قد وافق أقوال جمهور العلماء وأئمة التفسير، إلا أنَّه أحياناً يخالفهم، مما يدل على قيمة تفسيره العلمية، وتبحره في العِلم.

Abstract

Provide the researcher with this letter, titled (Imam Nasafi's considering of the Fatiha and Bagarah sura, collecting and study), where the research involves the life of scientific who is live in country beyond the river, this scientific specialized in the interpretation and Science of the Quran and Hadith, Abu Barakaat Abdullah bin Ahmad Nasafi, including his birth, growth, life, science life, death, and the most his teachers, students, then finally his impacts with his teachers praise.

Then the researcher talked about Nasafi's book (the perceptions of the download and the realities of interpretation) and his approach in it, which concluded that it is classified within the written explanation opinion, and cares about language, and the meanings of words, and grammar cases, and rhetoric, which not overlooked by the interpretation by aphorism, which he explain Holy Qur'an by Qur'an, and the Sunnah and statements companions and followers, and readings of Quranic , and the reasons come down

The researcher found that the interpretation of a brief explanation of Alkashaf by Al- Zmkhcri, and from the download lights of Al-Baidhawi, but it is just about to the dissociation which in Al-kashaf.

The researcher followed the inductive and deductive, analytical and descriptive issues considering of Imam Nasafi in Alfatih and Bagarah Suras and the researcher talked about his approach in the considering, said the meaning of the considerning and selection, and the difference between them, and the considering formulas.

Then a researcher elicits the collecting considering for the imam Nasafi of Alfatehah and Bagarah Suras, which include the considering in Quranic sciences and language, belief and adoration, and the family adjudicating and handings, punishment, and others and began to study these considering with comparing by Imam Nasafi opinions, then finally choose the correct and correct them with the considering evidences.

The researcher found through the study that the considering of Imam Nasafi in many verses of the Qur'an has approved the sayings of scholars and imams of interpretation Scientifics, but he sometimes disagreed, that suggesting the value of the scientific interpreted, his science strength.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، معجزة قائمة ما تعاقب الليل والنَّهار، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تقرّ لكتابه صدق الخبر، وتستلهم من آياته العظة والعبر، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأُصلِّي وأُسلِّم عليه صلاةَ مَنْ يُقِرّ أنَّه خير من أبان معاني القرآن بتفسير وبيان، فلاح منهما جلالُه وجمالُه.

والرِّضى على الصَّحْبِ الكرام، الّذين حفظوا القرآن في الصّدور، ودوّنوه في السّطور، وبلَّغوه إلى من بعدهم غضاً طرياً كما أُنزل دون زيادة ولا زُور.

أما بعد:

فإنَّه لا يخفى على أصحاب العقول السليمة أنَّ القرآن كلام الله، وأنَّه الهدى والنور الذي جاء من عند الله قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[2] فهو الرحمة والموعظة والبيان والحجة والبرهان.

فمن كانت هذه أوصافه فكيف لا يُهتم به، وكيف لا تفنى الأعمار من أجله، أضف إلى ذلك معرفة حقائقه وأسراره، وهو القائد إلى رضوانه وجناته.

ومن الأمور المسلَّمة شرعاً أنَّ علم التفسير من أشرف العلوم وأعلاها وأسماها، ولا يزال الناس بحاجة في كل عصر وفي كل مكان إلى من يُفسر لهم القرآن - الكريم- مِمَّن آتاه فهماً دقيقاً، وحِسّاً مرهفاً، ينظر إلى مجتمعه بعين فيشخِّصُ أمراضه، ويتوجس علله، وينظر بالعين الأخرى إلى القرآن – الكريم- مُلْتمساً العلاج الشافي والدواء الكافي.

---

(١) الإسراء:٩

(٢) المائدة:١٥ - ١٦

ومن الاهتمام بكتاب الله - تعالى- أن تعرف ماذا قال العلماء في معانيه وألفاظه، لا سيما وقد كثرت الأقوال في نعته، حتى أزالوا شبه المبطلين والغالين الحاقدين.

ولقد قيّض الله له علماء جهابذة حفظ بهم دينه وشريعته، أفنوا أعمارهم في خدمة كتابه تعلماً وتعليماً وتصنيفاً في تحليل وتفسير آياته وكان ذلك من حفظ الله لكتابه كما وعد فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحِجر:٩].

فكان من هؤلاء العلماء الإمام المُفَسِّر العلامة (عبدالله بن أحمد بن محمود النَّسَفِي أبو البركات) الإمام العَلَم، الذي اشتهر عِلْمُه، وعَلَت مكانته، وكان له في كل علم نصيب، فله مؤلفات كثيرة، وكان من ضمن مؤلفاته تفسيره الكبير (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) الذي استفاد منه الخاصة والعامة، واقتناه العالِم والمتعلم.

ولقد وفقني الله بعد التطواف على كثير من العناوين، ولا أنسى فضل من أشار عليّ به، لأقف على ترجيحاته من خلال سورتي الفاتحة والبقرة جمعاً ودراسة، والذي أتقدم به إلى جامعة أم درمان الإسلامية كلية أصول الدين، وهذا من فضله وكرمه أن وفقني للالتحاق بهذه الجامعة الموقرة، وبقسم التفسير المبارك، لأنهل من معينها الصافي، ويكون لي شرف التتلمذ على أساتذتها الأجلاء لنيل درجة الماجستير.

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث كل مسلم، وأن يكتب لي أجره وثوابه، كما أسأله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأسأله التوفيق والسداد في القول والعمل.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تظهر أهمية هذا البحث وأسباب اختياره من عدّة وجوه، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١-أن هذا الموضوع يخدم كتاب الله تعالى، وهذه أسمى غاية ينبغي أن يسعى إليها كل مسلم.

٢- أن تفسير (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام النسفي ــــ رحمه الله ــــ من أجلّ التفاسير وأعظمها شأناً، وقد استفاد منه طلابُ العلم والعلماءُ على اختلاف تخصصاتهم ومشاربهم، فهو يعرض الأقوال المتعلقة بعلم التفسير وترجيحِه لما يراه الأقربَ للصواب بطرقٍ ترجيحيةٍ معيّنة.

٣- أن علم التفسير علمٌ كثرت فيه الأقوال وتعددت فيه الآراء، فهو بحاجةٍ إلى التحقيق والترجيح، إذ أنَّ هذا العمل سبيل ووسيلة إلى الوصول إلى المقصود الأعظم من التفسير.

٤- أنَّ هذا الموضوع يمثل لوناً من ألوان التفسير، وهو المسمى (بالتفسير المقارن) الذي يعرض النصوص والآراء، ويوازن بينها، ويبين الراجح من المرجوح.

٥- جِدّةُ هذا الموضوع، فلم أجد ـــ حسب علمي ـــ من تعرّض له بالبحث التّفْصِيلِيِّ المبني على العرض والدراسة.

٦- الرغبة المُلِحَّة لَدَيَّ في دراسةِ تفسير هذا الإمام (النَّسفي)، لتناوله جوانب عديدة كاللغة والنحو والقراءات وغيرها، وهذا لا يتوفر في كثير من كتب التفسير.

٧- تعلّقُ هذا الموضوعِ بدراستي في قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم تعلّقاً مباشراً.

٨- جمع المتفرق من كلام أهل العلم، وجزئيات الموضوع المتناثرة في مكان واحد، ليكتمل العمل، وتحصل الفائدة.

٩- محاولة اكتساب ملكة المقارنة والموازنة بين أدلة أهل العلم.

منهج البحث:

إن المنهج الذي رأيته معيناً ومحققاً في الوصول إلى الثمرة المرجوة لبحثي هو:

- المنهج التاريخي الذي يقوم بدراسة حياة المُفسر على حدة، وبيان منهجه، ثم المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي والوصفي، حيث استخرجت صيغ الترجيح من خلال تفسيره كاملاً، والترجيحات ضمن القدر المحدد لي.

- وقد كانت دراستي للترجيحات على النحو التالي:

١- قسمت الترجيحات إلى مواضيع.

٢- جعلت كل مسألة تحت عنوان يناسبها، ثم قمت بعرض كل ما ورد فيها من أقوال أهل العلم.

٣- أوردت كلام الإمام النَّسَفِي في المسألة نصاً، وجعلته بين أقواس صغيرة مزدوجة، هكذا: « » ، ووجدته يذكر القول ويصرح بترجيحه.

٤- ذكرت أقوال أهل العلم في كل مسألة، وذكرت في الغالب كل ما يمكن أن يستدل به لأقوالهم من الكتاب والسنة والآثار، وناقشت كل دليل إن كانت هناك مناقشة، وأرد على

الاعتراضات إن وجدت.

٥- رجَّحت ما رأيته راجحاً حسب قواعد الجمع والترجيح عند المفسرين، بدون تعصب لقول أو لرأي شخص، أو اتباع لهوى، وحسب ما يظهر لي بمقتضى الدليل، أو التعليل الذي لا يتعارض مع النقل الصحيح الصريح.

- عزوت الآيات الواردة في البحث إلى سورها وجعلتها في الهامش، ووضعتها بين علامتي التنصيص الأقواس المزهرة- هكذا: ()، والتزمت الرسم العثماني في جميع الآيات الواردة في ثنايا البحث.

- وضع الأحاديث والآثار بين قوسين مزدوجين، هكذا: (( ))، ثم تخريجه في الهامش، ووضع أقوال العلماء بين قوسين، هكذا: ( )، وعزوها إلى كتبهم في الهامش.

- الترجمة للأعلام الواردة في البحث، وتكون في الهامش، وكذا شرح الكلمات والمصطلحات.

- توثيق البحث توثيقاً علمياً من المصادر الأصلية لكل فن، بذكر عنوان الكتاب واسم مؤلفه، والنشر ومكانها، والطبعة وتاريخها، والجزء والصفحة، وذكره كاملاً عند وروده لأول مرة، ومقصوراً على عنوان الكتاب ومؤلفه، والجزء والصفحة فقط بعد ذلك، ويكون ذلك في هوامش البحث.

- ذيلت البحث بالفهارس اللازمة التي تعين القارئ على الاستفادة من هذا البحث، وهي كما يلي:

١- فهرس الآيات القرآنية مرتبة على ترتيب السور والآيات.

٢- فهرس الأحاديث النبوية والآثار مرتبة على الحروف الهجائية.

٣- فهرس الأعلام مرتبة على الحروف الهجائية.

٤- فهرس الأبيات الشعرية مرتبة حسب القافية.

٥- فهرس الأماكن والبلدان.

٦- فهرس المصادر والمراجع مرتبة على الحروف الهجائية على حسب المجموعة.

٧- فهرس الموضوعات.

الدراسات السابقة:

للمكانة العلمية التي وصل إليها الإمام النَّسَفِي، ولما اشتمل عليه كتابه من كنوز العلم والمعرفة، فقد تسابق الباحثون للغوص في أعماق هذا الكتاب لاستخراج الكنوز والدرر، ومن خلال بحثي في الدراسات السابقة لهذا الكتاب لم أجد أحداً من الباحثين– حسب ما وقفت عليه واطلعت عليه – تطرق إلى ترجيحات الإمام النَّسَفِي في التفسير دراسة مستقلة, وجملةُ ما بحث في تفسير هذا الإمام منصبٌ على الدراسات اللغوية والنحوية، أو الاحتجاجِ للقراءات، وتحقيق الكتاب، أو ذكرِ منهجه في التفسير، أما في هذا الموضوع أعني – ترجيحات الإمام النَّسَفِي في التفسير فلم يدرس، ومن أبرز تلك الدراسات ما يلي:

- منهج الإمام النَّسَفِي في القراءات وأثرها في تفسيره، رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة: سحر محمد فهمي كردية، إشراف الدكتور: عبد الرحمن يوسف الجمل، قدمت هذه الرسالة إكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة العام الجامعي١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م.
- منهج الإمام النَّسَفِي في تفسير القرآن الكريم ومقارنته بمنهج الزمخشرى والبيضاوى وأبى السعود، الباحث أ. محمود لطفى محمد جاد، جنسية الباحث: مصر، الجامعة: جامعة الأزهر، الكلية: أصول الدين، القسم: التفسير، التخصص: التفسير وعلوم القرآن، الدرجة العلمية: دكتوراه، تاريخ المناقشة ٢٥-٠٧-١٩٩٢م، المشرف أ.د. سمير عبد العزيز شليوة.
- (الخلاف النحوي في تفسير الإمام النَّسَفِي) تمت مناقشة اطروحة طالب الدكتوراه في اللغة العربية، حمدان ابراهيم حمدان الزوبعي، اشراف الدكتور: محمد خليل ابراهيم، بتاريخ: ٢٠١٢/٣/٢٠م، جامعة أم درمان الإسلامية.

حدود البحث

من خلال العنوان يتضح أن البحث حدد بأربعة حدود، وهي:

الحد الأول: ترجيحات، فلا يدخل في هذا البحث إلا ما صرح النَّسَفِي بترجيحه، إما بلفظ صريح وصحيح، أو بإشارة يفهم منها الترجيح، حسب صيغ الترجيح لديه.

الحد الثاني: الإمام النَّسَفِي فلا يدخل في البحث ترجيحات غيره، ما لم يكن له ترجيح واختيار.

الحد الثالث: في التفسير، فلا يدخل في صلب الموضوع ما اختلف فيه أهل العلم مما ليس له أثر في معنى الآية، وإن رجح فيه، كالخلاف في القراءات التي لا تؤثر في المعنى، والخلاف في اللغة والإعراب مما لا تأثير له في المعنى .. ونحو ذلك.

الحد الرابع: من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة، فلا يدخل فيه غيره من سور.

خطة البحث

قسمت مادة البحث إلى مقدمة وقسمين رئيسين وخاتمة وفهارس، وهي على النحو الآتي:

أولاً: المقدمة، وقد بينت فيها:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، وحدود البحث، ومنهجيتي فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

ثانياً: القسم الأول: وفيه ترجمة موجزة للإمام النَّسَفِي ومنهجيته في التفسير، وفيها ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عصر المؤلف، وحياته، وهو مشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عصر الإمام النَّسَفِي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحياة السياسية.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحياة الثقافية والحركة العلمية.

المبحث الثاني: ترجمة الإمام النَّسَفِي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته.

المطلب الثاني: مولده، ونشأته.

المطلب الثلث: وفاته.

المبحث الثالث: حياة الإمام النَّسَفِي، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المطلب الثاني: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الثالث: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المطلب الرابع: نتاجه، وآثاره العلمية، ومؤلفاته.

الفصل الثاني: منهجُ الإمامِ النَّسَفِي في تفسيره، وفيه ثلاثةُ مباحثَ:

المبحث الأول: تفسيره القرآن بالمأثور، وفيه ستةُ مطالبَ:

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.

المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.

المطلب الخامس: عنايته بأسباب الترول.

المطلب السادس: عنايته بالقراءات.

المبحث الثاني: تفسيره القرآن باللغة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات.

المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات.

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب.

المطلب الرابع: عنايته بالبلاغة.

المبحث الثالث: تفسيرُه القرآن بالرأي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عنايته بالمناسبات.

المطلب الثاني: عنايته بأسرار التعبير.

الفصل الثالث: منهجُ الامام النَّسَفِي في الترجيح في التفسير، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاختيار والترجيح، والفرق بينهما، ووقت الترجيح، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاختيار والترجيح.

المطلب الثاني: الفرق بين الاختيار والترجيح.

المطلب الثالث: وقت الترجيح.

المبحث الثاني: صيغُ الترجيح وأساليبُه عند الإمام النَّسَفِي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التنصيصُ على القول الراجح.

المطلب الثاني: التفسيرُ بقولٍ مع النص على ضعف غيره.

المطلب الثالث: التفسيرُ بالقولِ الراجح بصيغة الجزم، والأخرى بصيغة التمريض.

المبحث الثالث: وُجوهُ الترجيح عند الإمام النَّسَفِي، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الترجيحُ بالنظائرِ القرآنية.

المطلب الثاني: الترجيحُ بظاهر القرآن.

المطلب الثالث: الترجيحُ بالسياق.

المطلب الرابع: الترجيحُ بالقراءات القرآنية.

المطلب الخامس: الترجيحُ بالحديث النبوي.

المطلب السادس: الترجيحُ بأسباب النزول.

المطلب السابع: الترجيحُ بأقوال السلف.

المطلب الثامن: الترجيح بالعموم.

المطلب التاسع: الترجيحُ باللغة والشعر

ثالثاً: القسم الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في تفسيره لسورتي الفاتحة والبقرة، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في علوم القرآن واللغة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في علوم القرآن، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نزول سورة الفاتحة.

المطلب الثاني: البسملة في الفاتحة.

المطلب الثالث: أداء لفظ الجلالة (الله)

المطلب الرابع: الوقف والابتداء

المطلب الخامس: الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في اللغة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : ترجيحات الإمام النَّسَفِي في الإعراب

المطلب الثاني :ترجيحات الإمام النَّسَفِي في البلاغة

الفصل الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقيدة والعبادات، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقيدة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجيحاته في آيات الصفات

المطلب الثاني: ترجيحاته في آيات أخبار الغيوب

المبحث الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العبادات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجيحه في الصلاة.

المطلب الثاني: ترجيحه في الحج وأحكام القتال في المسجد الحرام.

الفصل الثالث: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في أحكام الأسرة والمعاملات، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في أحكام الأسرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجيحاته في أحكام النكاح

المطلب الثاني: ترجيحاته في أحكام الطلاق والرجعة

المبحث الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في المعاملات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيع المعاطاة

المطلب الثاني: شهادة غير المسلم

الفصل الرابع: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقوبات ومسائل أخرى متفرقة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقوبات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : ترجيحاته في القصاص

المطلب الثاني: ترجيحات في العفو من القصاص

المبحث الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في مسائل متفرقة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: في الرِّدة لا تحبط العمل

المطلب الثاني: في المراد بـــ (غير باغ ولا عاد)

المطلب الثالث: في قوله تعالى: في تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ

المطلب الرابع: من المراد بقوله:﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

المطلب الخامس: في معنى الفتنة

رابعاً: الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

خامساً: الفهارس:

وتتضمن الفهارس الآتية:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية، والأثار.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس الأبيات الشعرية.

٥- فهرس الأماكن والبلدان.

٦- فهرس المصادر والمراجع.

٧- فهرس الموضوعات.

القسم الأول

ترجمة الإمام النَّسَفِي ومنهجه في التفسير

الفصل الأول: عَصْر الإمام النَّسَفِي وحياته.

الفصل الثاني: منهج الإمام النَّسَفِي في تفسيره.

الفصل الثالث: منهج الإمام النَّسَفِي في الترجيح.

الفصل الأول

عَصْر الإمام النَّسَفِي وحَيَاتُه

المبحث الأول: عَصْرُ الإمام النَّسَفِي.

المبحث الثاني: تَرْجَمة الإمام النَّسَفِي.

المبحث الثالث: حَيَاةُ الإمام النَّسَفِي العِلْمِية.

المبحث الأول

عَصْرُ الإمام النَّسَفِي

المطلب الأول: الحَياةُ السِّيَاسِيَّة.

المطلب الثاني: الحَياةُ الاجْتِمَاعِيَّة.

المطلب الثالث: الحَياةُ الثَّقَافِيَّة والحَرَكَة العِلْمِيَّة.

الفصل الأول: عَصْرُ الإمام النَّسَفِي وحَيَاته

المبحث الأول: عَصْرُ الإمام النَّسَفِي

المطلب الأول: الحَياةُ السِّياسِيَّة

عاشَ الإمامُ النَّسَفِيُّ –رحمه الله– في بداية القرن السابع الهجري في عصر دولة المماليك التي قامت على أنقاض دولة الأيوبيين، وذلك حيث تنازلت شجرة الدُّر(١)* عن السُّلطة لأحد كِبار أمراء البحرية وهو عز الدين أيْبِك(٢) بَعْد مشورة الأمراء، فكان أوَّلَ ملوك البحرية، وذلك في ربيع الآخر عام ٦٤٨هـ، وكانت قد حملت دولةُ المماليك صفة مَرْكز الخلافة(٣)، وقد قامت الدولة في محاربة أعداء مِصْر الطَّامعين في البلاد، أبرزهم التَّتار(٤)، والفرنجة الصَّلِيبيون(٥)، وبعضُ أمراء التُّرْكُمَان، ثُمَّ العثمانيون الذين أخذوا يُهَدِّدون الدولة المصرية(٦).

---

(١) شجرة الدُّر الصَّالحية أم خليل الملقبة بعاصمة الدِّين ملكة مصر، أصلها من جواري المَلِك الصَّالح نجم الدين أيوب، اشتراها في أيام أبيه، وحظيت عنده، وولدت له ابنه خليلا، فأعتقها وتزوجها، وكانت ذات عَقْلٍ وحَزْم، وكاتبة قارئة، ولها معرفة تامَّة بأحوال المَمْلَكة، وقد نالت من العِزِّ والرِّفعة ما لم تَنَلْه امرأة قبلها، ولا بعدها، ماتت سنة٦٥٥هـ. انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي: (١٥٨/٣)، طبعة دار العلم للملايين – بيروت– لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠هـ.

* والدُّر: من الدُّرَّةُ، اللُّؤْلُؤَةُ العَظِيمةُ. انظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى، (٣٤٠/١). والمحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية– بيروت– ٢٠٠٠م، (٢٦٥/٩). ولسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت– الطبعة الأولى، (٢٧٩/٤). ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، (٢١٨).

(٢) عِزُّ الدِّين أيبك التُّرْكُمَانِي الصَّالحي، النَّجمي التُّركي، المَلِك المُعز، أوَّل ملوك الأتراك بالديار المصرية، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب في حياة أبيه الملك الكامل محمد، واستمرّ في خدمة أستاذه إلى أنْ توفي، ولِّي السَّلْطَنة في يوم السبت آخر ربيع الأول سنة ٦٤٨هـ، وقُتِل في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٦٥٥هـ. انظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تَغْرِي بُرْدِي الأتابكي: (١/١)، تحقيق: محمد محمد أمين، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م. وسمط النَّجوم العَوالي في أنباء الأوائل والتَّوالي، عبدالملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي: (٢٩٠/٢)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م. وعصر المماليك في مصر والشام، لسعيد عبدالفتاح عاشور: (ص١٥١)، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية.

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تَغْرِي بُرْدِي: (٣/٧)، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٣٩م.

(٤) وهم نوع من الترك مساكنهم جبال ضمعاج من نحو الصين يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئا ولا يحصون كثرة. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي: (٦٤/٥)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير – دمشق– ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى.

(٥) وهم شعبٌ جرمانيٌّ آخر مدينة بون في بلاد الغال (فرنسا الآن) وهي أرضٌ واسعةٌ كبيرة، وبها نحو مائة وخمسين مدينة، قاعدتها باريس، وأهلها الإفرنج وهم نصارى، أهل حرب في البر والبحر، ولهم صبر وشدة في حروبهم. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني: (٢٣٧)، دار صادر – بيروت. وأخبار الزمان، لأبي الحسن على عبد الحسين بن على المسعودي: (ص٩٦)، أشرف على الطبع والتصحيح لجنة من الأساتذة مكتبة النجف الأشرف، دار الاندلس للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة الثانية. وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: (ج٣٤/ص٧)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي– بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. ونظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدراية، للشيخ عبد الحي الكتاني: (١٦٣/١)، دار الكتاب العربي– بيروت.

(٦) عصر سلاطين المماليك ونتاجهم الأدبي، لمحمود رزق سليم: (١٧٨/٧)، مكتبة الآداب، الطبعة الثانية – ١٩٦٢م.

كما صارت دولة المماليك في نظر المسلمين ذات عظمة وهيبة، وكان لها دورٌ بارزٌ، وَأَثَرٌ واضِحٌ في الغزو والجهاد، بعد انتصارها على المَغُول[1] الذين اقتحموا أجزاءَ واسعة من الدِّيار، فانبرى لهم المماليك، وانتصروا وردُّوهم على أعقابهم، وأخرجوهم من بلاد الشَّام.

وفي سنة ٦٥٦هـ سقطت بغداد في يد التَّتار على يد هولاكو[2]، وقَتَلَ المَغُول أهلها، وهدَّموا مساجدها، ليحصلوا على ذَهَبِ قِبَابِها وجرَّدوا القُصُور مِمَّا بِهَا مِنَ التُحف النادرة، وأتلفوا عدداً كثيراً من الكتب القيمة في مكتباتها، وقتلوا كثيراً من رجال العِلْم فيها، وضاعت الثروة الأدبية والفنية التي عُنِيَ الخلفاء العباسيون بجمعها منذ أن بَنَى أبو جعفر المنصور[3] بغداد، واتخذها حاضرة الدولة.

وانتهت هذه الحوادث بقتل الخليفة المُسْتَعْصِم[4]، وزوال الدولة العباسية التي عاش العالم الإسلامي في ظِلِّها زُهَاء خمسة قرون[5].

---

(١) هم من أصول تركية على الأرجح، مجموعات عرقية تنتشر في منغوليا والصين وروسيا، نشأوا في أواسط آسيا في المنطقة المعروفة بمنغوليا، وكانوا عبارة عن قبائل صغيرة متناثرة حول نهر أونون ما بين روسيا ومنغوليا حالياً. انظر: مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (٨٤٩)، مصدر المجلة: موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، http://www.alifta.com. والموسوعة العربية الميسرة: (٣١٨٣/٧)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت- ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

(٢) هولاكو بن تولي قان بن جنكيز خان، ولد سنة ٦٠٤هـ وكان قائد التتار ومَلِكهم، وكان ذا هيبة وخبْرة بالحروب، واستولى على المَمَالك في أيسر مدة، وتوفي سنة ٦٦٤هـ، وله ستون سنةً وذلك بعلَّة الصَّرع. انظر: فوات الوفيات، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الكُتْبي الدمشقي: (٢٤٠/٤)، تحقيق: إحسان عباس، وتلميْذته وداد القاضي، دار صادر- بيروت- طبعة سنة ١٩٧٣م.

(٣) هو: عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس، ولد في الحميمة من أرض الشراة (قرب معان) سنة ٩٥هـ، وهو باني مدينة بغداد، ووَلِّي الخلافة وهو بمكة في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وتوفي ببئر ميمون في أرض مكة مُحْرِماً بالحج، ودفن في الحجون بمكة سنة ١٥٨هـ، ومدة خلافته ٢٢عاماً. انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، للعصامي: (١٧٧/٢). ومورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي: (١٢٢/١)، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية- القاهرة- ١٩٩٧م. ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: (١٥٣/٣)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت- الطبعة الأولى، ١٩٠٠م. والثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: (٣٢٤/٢)، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م. والأعلام، للزركلي: (١١٧/٤).

(٤) هو: عبدالله بن منصور من سلالة هارون الرشيد ولد ببغداد ووُلِّي الخلافة سنة ٦٤٠هـ، وتوفي سنة ٦٥٦هـ. انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، للعصامي: (٥١٦/٣). والأعلام، للزركلي: (١٤٠/٤).

(٥) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن: (١٥٢/٤- ١٥٣، ٣٠٨)، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.

وفي سنة ٦٥٨هـ دخل التَّتار دمشق[1] ثمَّ وصلوا إلى غَزَّة[2]، وعزموا على المسير إلى مِصْر، وفي ذلك الوقت كانت الحروب قائمة بين أبناء البيت الأيوبي في مِصْر والشَّام[3]، فاستعان الأيوبيون بالمماليك المَجْلُوبة- القادمة- من البلاد المجاورة، مما أدَّى إلى زيادة نفوذ أولئك المماليك، وأصبحوا أصحاب السُّلطة والنُّفوذ والحُكْم[4].

ونخلص مما سبق: بأنَّ المماليك في بلاد الشَّام هم أصحاب السِّيادة والرِّيادة والنُّفوذ والسَّيطرة على الرُّغْم مِنْ أنَّ مِنْهُم مَنْ تَقَلَّد الحُكم وهو غير أهْلٍ لذلك.

ولذا فقد خضع أصحاب البلاد الأصليون من أهل الشَّام للأمر الواقع، ورضوا بما يفعله المماليك بهم، ولهذا فقد شَهِدَت فترة عصر المماليك ثوراتٍ وفِتَناً سياسية، لعدم وجود نظام أو قاعدة معنية ثابتة، لاختيار السَّلاطين، مع تَطَلُّعِ وطَمَع كبار الأمراء في الوصول إلى السَّلطة.

ولما توفى السُّلطان الصَّالح أيوب[5]، ولي شؤون الحكم بعده زوجته شجرة الدُّر، وأصلها مملوكة لهذا السُّلطان، وأصبحت سلطانة البلاد، ولكنها خلعت نفسها بسبب رفض الخليفة العباسي ذلك، وتزوجت من أيبك أحد المماليك، وأصبح أول سلطان للمماليك.

---

(١) مدينة قديمة ذات مجد عريق وتاريخ حافل فتحها المسلمون سنة ١٤ هـ، وكانت إحدى مراكز الأجناد في بلاد الشام، ودار ملك بني أمية، وتشتهر بجامعها الكبير الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك، وهي اليوم عاصمة الجمهورية العربية السورية. انظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت- (٢/٤٦٣)، ونزهة المشتاق في اختراق الأفاق، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أدريس الحمودي الحسني، عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، (١١٧-١١٨)، والروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت- طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، (٢٣٧-٢٣٨)، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق- ١٩٨٠م، (١٤٤).

(٢) مدينة طيبة بين الشام ومصر على طرف رمال مصر، فتحها معاوية بن أبي سفيان في أيام عمر بن الخطاب، وهي مدينة ساحلية فلسطينية، تقع على الساحل الجنوبي الشرقي من البحر المتوسط، وتُعرف بغزة هاشم، وهو هاشم بن عبد مناف، أبو عبد المطلب، لأنه كان كثير التردد إليها، وبها قبره، أسسها الكنعانيون في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، (٩٠). والروض المعطار في خبر الأقطار، للحِميري، (٤٢٨). ومعجم البلدان، لياقوت الحموي، (٤/٢٠٢). والأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، لابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، تحقيق: يحيى زكريا عَبَّارة، من منشورات وزارة الثقافة بسوريا، ١٩٩١م، (١٠٨).

(٣) بلاد الشام هي المنطقة الممتدة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط وتمتد شرقا إلى منطقة الجزيرة السورية شرق نهر الفرات وتمتد شمالا إلى تركيا حالياً، وإلى حدود مصر وجزيرة العرب جنوباً، وتشتمل في الوقت الحاضر على سورية و فلسطين ولبنان والأردن. انظر: معجم البلدان، لياقوت للحموي، (٣/٣١١-٣١٥)، وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، (٨١)، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي، (١٤٠).

(٤) انظر: البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة محققة الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (١٣/٢١٩-٢٢٢).

(٥) هو: أيوب بن محمد، ولد سنة ٦٠٣هـ، ونشأ بالقاهرة، ووَلِّي الخلافة سنة ٦٣٧هـ، من آثاره: قلعة الروضة بالقاهرة، توفي ٦٤٧هـ. انظر: الأعلام، للزركلي، (٢/٣٨).

ولما بلغ السُّلطان قُطُز(١) – ثالث سلاطين المماليك- أَخْذ التَّتار لدمشق، ووصولهم إلى غَزَّة، بادرهم قبل أنْ يُبَادِروه، واجتمع معهم في عَيْن جَالوت(٢) في نفس السَّنة، وهزمهم شَرَّ هزيمة، وهكذا أوقف زحف التَّتار في بلاد المسلمين.

وحاول السلطان قُطُز إعادة الخلافة إلى بغداد ولكنه قُتِلْ، وتولى السلطة بالقاهرة الظاهر بيبرس(٣)، واستدعى إلى القاهرة أبا القاسم(٤)، وهو أحد أبناء البيت العباسي، وتمت له البيعة بالخلافة بعد المستعصم ولقب بالمستنصر.

ولَمَّا توجَّه هذا الخليفة الجديد إلى التَّتار لاسترجاع بغداد، قَتَله التَّتار قَبْلَ أنْ يَصِلَ إليها سنة ٦٦٠هـ، وتمت البيعة بعده بالخلافة للحاكم بأمر الله(٥)، واستمرت خلافته من ٦٦٠-٧٠١هـ(٦).

---

(١) هو: سيف الدين بن عبدالله، من ملوك الترك بالديار المصرية، كان مملوكاً للمعز أيبك التركماني، له اليد البيضاء مع التتار. فوات الوفيات، لصلاح الدين محمد بن شاكر الكُتُبي، (٢/٢٧٢)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تَغْري بُرْدِي (٧/٧٢).

(٢) عين جالوت: تقع بين بيسان ونابلس، شهدت معركة من أخطر معارك التاريخ بين المغول والمسلمين في يوم ١٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ. انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، للدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م، (٥/٢١٩).

(٣) هو: الأمير بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، ولد سنة ٦٢٥هـ، صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ، لقب بالملك الظاهر، كان شجاعاً، له وقائع مع التتار، توفي بدمشق سنة ٦٧٦ هـ. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تَغْري بُرْدِي، (٧/٩٤)، والأعلام، للزركلي، (٢/٢٧٩).

(٤) أحمد (المستنصر) بن محمد الظاهر ابن الناصر المستضئ، أبو القاسم العباسي، أول الخلفاء العباسيين بمصر، دخلها بعد أن قُتل المستعصم بالله ببغداد بثلاث سنين ونصف، بويع بالخلافة في رجب سنة ٦٥٩هـ، ولم تطل مدته، وهو الخليفة الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس، توفي سنة ٦٦٠هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، المتوفى سنة ٨٠٥ هـ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر أباد- الهند- ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، (١/١٣٧)، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تَغْري بُرْدي، (١/٩٥-٩٦)، وسير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨ هـ، ١٣٧٤م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م، (٢٣/١٦٨-١٦٩)، ومورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، لابن تَغْري بُرْدي، (١/٢٣٦-٢٣٩)، والأعلام، للزركلي، (١/٢١٩-٢٢٠).

(٥) الحاكم الأول أحمد بن علي بن أحمد ابن المسترشد ابن المستظهر، أبو العباس، الحاكم بأمر الله: ثاني خلفاء الدولة العباسية في الديار المصرية، نشأ ببغداد، واختفى في واقعتها، وقاتل التَّتار، ونجا فسار إلى القاهرة ، وبويع فيها بالخلافة سنة ٦٦١هـ، ولد سنة٦٢٥هـ، وتوفي بالقاهرة سنة٧٠١ هـ، وهو أول خليفة دفن بالقاهرة من العباسيين، وكانت خلافته أربعين سنة. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، (٦/١_٢). والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تَغْري بُرْدي، (١/٩٦-٩٧). والأعلام، للزركلي، (١/١٧٥).

(٦) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١٣/٢١٩-٢٢٢). وتاريخ العالم الإسلامي، د. إبراهيم أحمد العدوي، معهد الدراسات الإسلامية، (١/٢٥٧-٢٧٦)، وموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د. أحمد شلبي، (٥/٢٠٤-٢٠٥).

ومن خلال ما سبق يتبيَّنُ لنا: أنَّ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله – قد عاصر هذه الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى، وظهر وسط هذه العواصف والاضطرابات السياسية التي حَلَّت بالمسلمين.

وقد وصفها ابن الأثير(١) فقال: "هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عَقِمَت الأيام والليالي عن مِثْلِها، عَمَّت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إنَّ العالم منذ خلق الله –سبحانه وتعالى– آدم وإلى الآن، لم يُبتل بمثلها، لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها"(٢).

وقد وصف المستشرق الإنجليزي سير توماس أرنولد(٣) ما قام به المَغُول من ضُروب الوحشية في غزواتهم فقال: "لا يَعْرِف الإسلام من بين ما نزل به من الخُطُوب والويلات خَطْباً أشد هَوْلاً مِنْ غزوات المَغُول، فلقد انسابت جيوش جنكيز خان(٤) انسياب الثلوج من قِمَم الجبال، واكتسحت في طريقها الحواضر الإسلامية، وأتت على ما كان لها مِنْ مَدَنية وثقافة، ولم يتركوا من تلك البلاد سِوى خرائِب، وأطلال بالية، وكانت تقوم فيها قبل ذلك القُصور الفخمة المحاطة بالحدائق الغَنَّاء والمُرُوج الخَضْراء"(٥).

---

(١) هو: العلامة أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني، مجد الدين، المشهور بابن الأثير الجزري، ثم الموصلي، الفقيه المحدث، واللغوي البارع، من مؤلفاته: الكامل في التاريخ، والجامع في الأصول، والنهاية في غريب الحديث والأثر، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي في آخر يوم من سنة ٦٠٦هـ. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٧ هـ، الطبعة الأولى، (٦٠/٢-٦١). وشذرات الذهب، لابن العماد، (١٣٧/٣). والأعلام، للزركلي، (٣٣١/٤).

(٢) الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ، الطبعة الثانية، (٣٥٨/١٢). وتاريخ الإسلام، للذهبي، (٣٨/٤٤).

(٣) سير توماس أرنولد **Sir Thomas Arnold**: من كبار المستشرقين البريطانيين، ولد سنة ١٨٦٤م، صاحب فكرة كتاب (تراث الإسلام) الذي أسهم فيه عدد من مشاهير البحث والاستشراق الغربي، وقد أشرف آرنولد على تنسيقه وإخراجه، تعلم في كمبردج، وقضى عدة سنوات في الهند أستاذًا للفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية، وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن، ذاع صيته بكتابيه: الدعوة إلى الإسلام، الذي تُرجم إلى أكثر من لغة، والخلافة، توفي سنة١٩٣٠م. انظر: قالوا عن الإسلام، إعداد الدكتور: عماد الدين خليل، صيد الفوائد، **http://www.saaid.net**، (٤٩).

(٤) جنكيز خان بن يسوغى، وامه أولين، واسمه الأصلي تيموجين، ولد سنة ١١٦٢م، كان ملك منغوليا وقائد عسكريا، استطاع أن يوحد القبائل المنغولية، وأنشأ الإمبراطورية المغولية، وذلك بغزوه معظم آسيا، بما في ذلك الصين وروسيا وفارس والشرق الأوسط وشرق أوروبا، وكون أكبر إمبراطورية في التاريخ، وحكم مساحة تمتد عبر أواسط آسيا من بحر قزوين إلى بحر اليابان، توفي سنة ١٢٢٧م. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٢٤٣/٢٢)، ومجلة الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، العدد (١٢٦٥٧)، الأربعاء ١٦رمضان١٤٣٤هـ–٢٤يوليو٢٠١٣م.

(٥) تاريخ الإسلام، للذهبي، (١٣٤/٤).

المطلب الثاني

الحياة الاجتماعية

عاش الإمام النَّسَفِي- رحمه الله- فترة زوال الخلافة العباسية، وغارات المغول على العالم الإسلامي، والمجتمع في العصر العباسي كان يتألف من عدة طبقات تتمثل في:

الخَاصَّة: وهم أقرباء الخليفة ورجال الدولة البارزون: كالأشراف والوزراء والقادة والكُتاب والقضاة والعلماء والأدباء، وهؤلاء لهم مرافق خاصة بهم، كما كان لهم باب خاص يدخلون على المَلِك منه.

العَامَّة: وهم أهل الحِرف والصَّنائع والتُجار والفلاحون والجُند، وهؤلاء لهم مرافق خاصة بهم، ويدخلون على الخليفة من باب العامة.

الخَدَم: ومنهم الأحرار، وأغلبهم العبيد الذين أُخذوا كأسرى حَرْب، ولهم ببغداد شارع خاص بهم، يُسمى دار الرقيق، وموضع آخر يُسمى باب النَّخاسين، يقومون بخدمة الخليفة، وحاشيته وخدمة الناس، وأغلب الرقيق كانوا من بلاد ما وراء النَّهر، وأمَّا أسواق الرقيق فكانت تتركز في مِصْر وشمال أفريقيا، ويلاحظ: أن بعض الخلفاء العباسيين كانت أمهاتهم من تلك الجواري التي كان يشتريها الخليفة لجمال منظرها، أو لعذوبة صوتها، أو لذكائها، وجودة شعرها.

ومن طبقات المجتمع: أهلُ الذِّمَّة وهم اليهود والنصارى الذين كانوا يتمتعون بالأمن والطمأنينة تحت ظلِّ سماحة الإسلام، فكانوا يقيمون شعائرهم، ويشاركهم الخلفاء في مناسباتهم وأعيادهم، ويكرمونهم بالعطايا والهبات[(١)].

قال ابن كثير[(٢)]: أما أهلُ الذِّمَّة فقد ميزهم المتوكل في لباسهم وعمامتهم وثيابهم ... وأمر بتخريب كنائسهم، وبتضييق منازلهم المُتَّسِعة.."[(٣)].

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، (٤/٦٢٥-٦٢٧).

(٢) الإمام العلامة عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير، القرشي البصروي الدمشقي الشافعي، الحافظ المفسر المؤرخ المعروف بابن كثير، مولده بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق في سنة ٧٠١هـ، له مؤلفات كثيرة، منها: تفسير القرآن العظيم، وطبقات الفقهاء، والتاريخ المسمى بالبداية والنهاية، وتوفي يوم الخميس سادس عشرين شعبان سنة ٧٧٤ هـ بدمشق. انظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي: (ص١١٢)، ومعجم المحدثين، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (٧٤-٧٥)، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق- الطائف- الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ. والمنهل الصافي، لابن تَغْري بُرْدي، (١/١٧٧)، والأعلام، للزركلي: (١/٣٢٠).

(٣) انظر البداية والنهاية، لابن كثير: (١٠/٤٠٣).

والذي نلحظه هنا: أن فئات المجتمع كان من العرب والموالي، والأتراك وغيرهم الذين تولوا مناصب عالية في الدولة، ممَّا أدَّى إلى استبعاد العَرب، فظهر الظُلْم والفساد والاستبداد من هؤلاء، ووصل الأمر في النهاية إلى قتل الخليفة أو عزله.

وأما طبيعة الحياة فكان الترف موجودا عند بعض الخلفاء والأمراء وأعوانهم، فكان المال والحلي واللؤلؤ والقصور والجواري والبذخ وشرب النَبِيْذ.

ولكن بالمقابل كان هناك خلفاء مثل المهتدي بالله[(١)] متقشفين في الحياة فلم يميلوا إلى الترف، أو شرب النَبِيْذ وما إلى ذلك[(٢)].

أما الاحتفالات الدينية فكان من مظاهرها خروج الخليفة مرتديا أفخر الثياب، وبصحبة كبار رجال الدولة، ويقف العامَّة على جانبي الطريق لتحية الخليفة وهو في طريقه للمسجد.

وأما حفلات الزواج فقد اتسمت بالبَذَخ والإسراف، وقد ورد أنَّه ليلة زفاف مجاهد الدين أيبك الدويدار المستنصري[(٣)] أُرْسِل إلى داره كثيرٌ من أواني الذهب والفضة والجواهر يزيد ثمنها على ثلاثمائة ألف دينار، وقد عُرِضت عليه الهدايا والتحف ممَّا قدمه الزعماء وكبار رجال الدولة[(٤)].

والمرأة كانت لا تختلط بالرجال الغُرباء، وكان المحتسب[(٥)] لا يسمح باختلاط الرجل بالمرأة في الطرقات العامَّة، ولو كانا زوجين، ولكنها كانت تحضر مجالس الوعظ في المساجد، مِمَّا يدلُّ على مشاركتها للرجل في الشَّعائر الدينية، وميدان العِلْم والثقافة[(٦)].

---

(١) المهتدي بالله الخليفة الصالح: أبو إسحاق وقيل أبو عبدالله محمد بن هارون بن الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أُمه أُم ولد تُسمى وردة، وُلِد في القاطول سنة ٢٢٢هـ، وبويع له بالخلافة بعد خلع المعتز عام ٢٥٥هـ، ولم يلبث أن انتفض عليه الترك ببغداد، فخرج لقتالهم وشبت الحرب فتفرق عنه من كان معه وانضموا إلى أعدائه، فبقي في جماعة يسيرة، وأُصيب بطعنة مات على أثرها وذلك سنة ٢٥٦هـ، وكانت مدة خلافته أحد عشر شهراً وأيام. انظر: تاريخ الخلفاء، للإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الخُضَيري السُيُوطي: (ص٣٨٤)، تحقيق: د. رحاب خضر عكاوي، تقديم: د. أحمد محمد فارس، مؤسسة عزالدين، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. والكامل في التاريخ، لابن الأثير، (٦٤/٧)، وفوات الوفيات، لصلاح الدين محمد بن شاكر الكُتْبي، (٢٧٠/٢)، وتاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي: (٣٤٧/٣)، دار الكتب العلمية – بيروت. ومروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن على بن الحسين بن على المسعودي، المتوفى سنة (٣٤٦هـ)، (٣٣٨/٢)، تحقيق: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) تاريخ الخلفاء، للسيوطي: (٣٨٦).

(٣) مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير، أحد الابطال المذكورين والشجعان الموصوفين الذي كان يقول: لو مكنني أمير المؤمنين المستعصم لقهرت التتار ولشغلت هولاكو بنفسه، وكان مُغْرى بالكيمياء، له بيت كبير في داره فيها عدة من الصناع والفضلاء لعمل الكيمياء، توفي في رابع ذي القعدة سنة ست وخمسين وست مئة٦٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٣٧١/٢٣).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن: (٦٥١/٤-٦٥٣).

(٥) مأمور من الحاكم لضبط الموازين ونحو ذلك.

(٦) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، (١٨/٤٦)، وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، (٦٤١/٤)، وتاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف- مصر- (٥٣/٤-٦٦).

ومن مظاهر اللَّهْو في العَصْر المملوكي: لعب الكرة بالصولجان – البولو- وسباق الخيل، ومواكب النصر، وحفلات الأعياد الإسلامية والمسيحية[(١)].

ونخلص مما سبق: إلى أنَّ المجتمع في عصر المماليك كان مجتمعا طبقياً يتألف من عدة طبقات يتميز بعضها عن بعض في خصائصها وصفاتها ومظاهرها، وفي مثل هذا النظام الطبقي يظهر الفارق كبيراً بين الحكام والمحكومين، خاصةً إذا كان الحُكَام من غير البلاد وأهلها، لم تربطهم بأهل البلاد رابطة الدم، أو الأصل أو الجنس، ممَّا جعل المماليك لا يشعرون في كثير من الأحيان بروح التجاوب مع الأهالي، والعطف على مصالحهم، والعمل من أجلهم.

وعلى الرغم من هذا الحكم الذي يظهر فيه العَنَت والشِّدة في الحكم، والقَسْوة في تنفيذ الأحكام، فقد ظهر من المماليك برٌّ وإحسان، فقد اهتموا بإنشاء كثير من المنشئات الاجتماعية مثل: الأربطة أو الوقف في سبيل الله لطلاب العِلْم والمسافرين.

---

(١) انظر: تاريخ العالم الإسلامي، للدكتور إبراهيم أحمد العدوي، (٢٧٦/١).

المطلب الثالث

الحَيَاة الثَّقَافِيَّة والحَرَكة العِلْمِيَّة

على الرغم مما انتاب العالم الإسلامي في نهاية العصر العباسي من ضعف وتفكك وانحلال، إلا أننا نجد أن هذه الفترة تتميز بنهضة علمية، وحركة فكرية نشطت في بغداد، وفي تلك الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية، كالغزنونيين والفاطميين والأيوبيين في مصر والأمويين في الأندلس، والمرابطين والموحدين في المغرب.

فمن المراكز الثقافية الإسلامية التي جذبت إليها العلماء أصبهان(١) والري(٢) وكانت بلاد بني بويه هناك كعبة يؤمها العلماء ورجال الأدب، والبلاط الساماني في بخارى(٣)، وبلاط السلاجقة في مرو(٤) حاضرة خراسان(٥)، وقد ذكر ياقوت الحموي(٦)، أن مرو أخرجت من الأعيان وعلماء الدين والأركان ما لم تخرج مدينة مثلها، وبين أنه حين فارقها أمام غارات التتار سنة ٦١٦هـ كان فيها عشر خزائن للوقف، لم يُرَ في الدنيا مثلها كثرة وجودة(٧).

---

(١) وتدعى أيضا أصفهان، مدينة من أهم مدن إيران، تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إقليم الجبال وهي أهم مدن الإقليم، ينسب إليها عدد كبير من العلماء منهم أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني، وأبو القاسم الحسن المشهور بالراغب الأصفهاني. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٢٠٦/١). والروض المعطار في خبر الأقطار، للحِميري، (٤٣).

(٢) مدينة تقع في الطرف الشمالي الشرقي من إقليم الجبال قريبة من خراسان، واسمها عند اليونان راكس، وفي المئة الرابعة للهجرة خرب أكثرها وتحول أهلها إلى طهران القريبة منها ينسب إليها كثير من العلماء منهم الفخر الرازي وسليمان بن مهران الملقب بالأعمش من كبار التابعين وغيرهم. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، للحِميري، (٢٧٨). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، (١٥٢). وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي، (٢٦١-٢٦٢).

(٣) مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر قديمة طيبة، تقع في إقليم الصغد غربي سمرقند، كانت قاعدة المملكة السامانية كما كانت إحدى مراكز الفكر الإسلامي، وتقع اليوم في جنوب غرب الاتحاد السوفياتي (أوزباكستان)بروسيا الأسيوية. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٣٥٣/١). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، (٢٠٩).

(٤) من أشهر مدن خراسان التي أضحت في وقت ما عاصمة خراسان، وتدعى (مرو الكبرى) أو (مرو الشاهجان). بناها ذو القرنين، يقال أن مؤسسها هو الملك السلوقي (أنطوخيوس الأول)، وقد جعلها مستعمرة يونانية، ثم استولى عليها الفرس. انظر: معجم البلدان، المؤلف : لياقوت الحموي، (١١٢/٥-١١٣). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، (١٨٧). وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي، (٢٣١).

(٥) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور: حسن إبراهيم حسن، (٤٢٠/٤-٤٢١).

(٦) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، ولد سنة ٥٧٤هـ، مؤرخ ثقة جغرافي رومي الأصل، اشتراه تاجر من حماة، له مؤلفات منها: معجم البلدان، معجم الأدباء توفي سنة ٦٢٦هـ. انظر: الأعلام، للزركلي، (١٣١/٨).

(٧) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور: حسن إبراهيم حسن، (٤٢١/٤)، ومعجم البلدان، لياقوت الحموي، (١٣٢/٥).

وفي مِصْر كان الأزهر مَرْكزاً هاماً للثقافة والعِلْم، حيث اهتم فيها الأيوبيون ببناء المدارس كالنَّاصرية والقَمْحية والسَّيْفِية والفَاضِلِية التي أُسِّسَت سنة ٥٨٠هـ، وكانت مكتبتها تشتمل على مائة ألف مجلد، ومن المدارس التي أنشئت في عهد الأيوبيين دار الحديث التي بناها المَلِك الكَامِل[(١)]،[(٢)].

ومما نلحظه نتيجةً لهذا الاعتناء فقد وجدت في نهاية النصف الأول من القرن السابع الهجري تُراثاً فكرياً لا تكاد حضارة من الحضارات أنْ تضاهيه، غير أنَّ هذا التُّراث الفكري قد تعرض إلى هَجْمة بَرْبَرِيَّة كادت أن تقضي عليه لولا وجود العلماء الذين اعتنوا به في الأمصار الأخرى، مثل: مِصْر وبلاد الشَّام والحِجَاز، وإلى هذه الأمصار – البلدان- يعود الفَضْل ليس إلى إحياء هذا التُّراث فحسب بل إلى الإبداع فيه أيضاً.

كما أن العباسيين قد اهتموا بنشر العلوم الطبية، فأسسوا المدارس الطبية، والمستشفيات، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية، التي يجتمع فيها الأطباء من كافة البلاد في موسم الحج، وكانت بغداد في الشرق، وقرطبة[(٣)] في الغرب، من أهم مراكز الثقافة الطبية الإسلامية[(٤)].

هذا بالإضافة إلى المكتبات التي كانت تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها، والتي كانت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، كمكتبة (دار الحكمة) التي أَمَدَّهَا العباسيون بمختلف الكتب والتي ظلت قائمة حتى استولى التتار على بغداد سنة ٦٥٦هـ، ومكتبة (دار العلم) التي كانت تحتوي على مئات الألوف من المصنفات، وقد انتفع الناس بما فيها من أوراق وأقلام للنسخ والبحث والدراسة دون مقابل[(٥)].

---

(١) محمد (الملك الكامل) ابن محمد (العادل) ابن أيوب، أبو المعالي، ناصر الدين، من سلاطين الدولة الأيوبية، ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ، وأعطاه أبوه الديار المصرية، فتولاها بعد وفاته سنة ٦١٥هـ، وتوفي بدمشق، ودفن بقلعتها سنة٦٣٥ هـ. انظر: ووفيات الأعيان، لابن خلكان، (٨٩/٥). والأعلام، للزركلي، (٢٨/٧).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور: حسن إبراهيم حسن، (٤٢٦/٤).

(٣) عاصمة الأندلس الكبرى، تقع في وسط الأندلس على نهر الوادي الكبير، وكانت عاصمة بني أمية هناك، وفيها الجامع المشهور الذي ما يزال قائماً كأبهى الآثار العمرانية، كانت مركز الثقافة والتجارة والسياسة في التاريخ الأندلسي. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٣٢٤/٤). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، (٢٢٦).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور: حسن إبراهيم حسن، (٤٢٦/٤).

(٥) انظر: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، طبعة دار العلم للملايين – بيروت- الطبعة التاسعة، ١٩٧١م (٥٨). وانظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور: حسن إبراهيم حسن، (٤٢٧/٤).

ولما كان الغزو التَّتَري انتقلت مراكز العِلْم والأدب من بغداد وبُخَارى ونَيْسَابُور[1] والرَّي وقُرْطبة وأَشْبيلية[2] وغيرها من مراكز العلم في العصر العباسي إلى القَاهِرَة[3] والإِسْكَنْدَرِيَّة[4] وأَسْيُوط[5] والفَيُّوْم[6] ودِمَشق وحِمْص[7] وحَلَب[8] وحَمَاة[9] وغيرها مِنْ مدائن مِصْر والشَّام، وهما في حوزة سلاطين المماليك ومن بقي من ملوك الأيوبيين، وقد كانت الملجأ الوحيد لأبناء اللسان العربي في فرارهم من وجه المغول بعد أخذهم لخراسان وفارس والعراق، فنبغ فيهما معظم شعراء ذلك العصر وأدبائه وأطبائه وسائر رجال العلم[10].

فيظهر لنا مما سبق: أن الناحية الثقافية والعلمية ازدهرت في مصر ازدهاراً كبيراً، فصارت البلاد محوراً ومركزاً لنشاط علمي متعدد الأطراف، في حين تضاءلت أهمية المراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي، والسبب في ذلك يرجع إلى ما أصاب أنحاء العالم الإسلامي في العراق على أيدي المغول، وفي الأندلس على أيدي الصليبيين، وما أصاب بلاد الشام من الصليبيين والمغول جميعاً، فظهرت في القاهرة مراكز العلم، ودور المعرفة، وانتشرت فيها المكتبات، وازدهرت حركة العلم، وأصبحت مصر ملاذ العلماء، ومأوى طلبة العلم، يتوافدون إليها من أطراف البلاد الإسلامية، وانتقل عدد من العلماء إليها.

---

(١) نيسابور بفتح أوله والعامة يسمونه نشاوور، وتسمى (أبرشهر) ويقول بعضهم (إيران شهر)، من مدن خراسان، وإحدى عواصمها، كانت في العصر العباسي من أشهر مراكز الثقافة والتجارة والعمران، وهي مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٥/٣٣١). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: (ص١٩٣).

(٢) إشبيلية بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها تسمى حمص أيضا وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (١/١٩٥).

(٣) كبرى مدن مصر وإفريقية اليوم. بناها القائد الفاطمي جوهر الصقلي عند فتحه مصر سنة ٣٥٨ هـ لسيده المعز لدين الله الفاطمي، وسماها بالقاهرة المعزية، وكانت الفسطاط تقوم إلى جنوبها، ولكنها أضحت منذ ذلك الوقت عاصمة مصر، وازدهرت الإزدهار الكبير في العهد الفاطمي وفي العهود التالية، وكانت من أكبر مراكز الإسلام ثقافة وحضارة وتجارة ونضالاً، وبها الجامع الأزهر، والجامعات العلمية الأخرى. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٤/٣٠١). آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: (ص٩٥).

(٤) مدينة كبرى من مدن مصر، تقع على البحر المتوسط بناها الإسكندر المكدوني عام ٣٢٣ ق.م، ونسبت إليه وكانت عاصمة ملوك البطالمة حتى الفتح الروماني، وهناك مدن أخرى تدعى (اسكندرية، واسكندرونة). انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (١/ ١٨٣). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: (ص٥٦).

(٥) مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر، وهي مدينة جليلة كبيرة، فيها خمس وسبعون كنيسة للنصارى. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (١/١٩٣). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: (ص٥٨).

(٦) بالفتح وتشديد ثانيه ثم واو ساكنة وميم ناحية بمصر يقع غربي وادي النيل ويشتهر ببحيرته. معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٤/٢٨٦). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: (ص٩٤). ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للإدريسي: (ص١٠٤).

(٧) مدينة قديمة مشهورة بين دمشق وحلب، كانت من أجناد الشام الخمسة أيام الفتح الإسلامي يمر من جانبها نهر العاصي. وفيها قبر بطل الإسلام خالد بن الوليد وقبر ابنه عبدالرحمن وهما من المشاهد التي تزار . انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٢/٣٠٢). والروض المعطار في خبر الأقطار، للحِميري: (ص١٩٨).

(٨) مدينة عظيمة تقع في شمال بلاد الشام (سورية) كانت قاعدة لجند قنسرين، ومن ألقابها الشهباء. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٢/٢٨٢). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: (ص٧٢).

(٩) من كور حمص بالشام، وهي مدينة طيبة في وسطها نهر يسمى العاصي. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٢/٣٠٠). الروض المعطار في خبر الأقطار، للحِميري: (ص١٩٩).

(١٠) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي: (٤/٣٩٧).

قال السيوطي[(١)]: (وفي وسط تلك الغمة التي ألمت بالوطن العربي منذ القرن السابع الهجري لم يجد علماء المشرق والمغرب بلداً عربياً آمناً تطيب لهم فيه الحياة سوى مصر التي غدت مركزاً للخلافة العباسية، وصارت محل سكن العلماء ومحط الرجال الفضلاء)[(٢)].

وقد قَلَّت المكتبات الكبرى بسبب حرقها وإغراقها على أيدي التَّتار، فقد أحرق جنكيز خان من المكتبات في بُخَارى ونَيْسَابُور وغيرهما من مراكز العلم في فارس ما لا يحصى، وأتلف هولاكو كتب العلم في بغداد، أما المدارس فقد كثرت في مِصْر والشَّام وأهمها في القاهرة ودِمَشْق، ومن أشهر المدارس الإسلامية بالقاهرة، الأزهر الشريف الذي أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العِلْم مختلف العلوم والفنون كالتوحيد والفقه واللغة والنحو والبيان والطب، وغير ذلك من العلوم[(٣)].

ومن مدارس بلاد ما وراء النَّهر – موطن النَّسَفِي – المدرسة الأتابيكية في بلدة إيذَج[(٤)]، والمدرسة المقتدائية بكلاباذ[(٥)]، والتي تم بنائها سنة ٦٧٠هـ، والمدرسة القطبية السلطانية في مدينة بردوشهر – كرمان- [(٦)]، وفي هاتين الأخيرتين درس مفسرنا الإمام النَّسَفِي – رحمه الله-[(٧)].

---

(١) هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ همام الدين الخضيري السيوطي، الشافعي، المسند المحقق المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، ولد بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ، ومؤلفاته تزيد على خمسمائة مؤلف منها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والإتقان في علوم القرآن، وتاريخ الخلفاء، والجامع الصغير في الحديث، وتوفي في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ، لأبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي: (٢٢٣-٢٢٦)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: (٥١/٤-٥٣)، والأعلام، للزركلي: (٣٠١/٣-٣٠٢).

(٢) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي: (٩٤/١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

(٣) انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان: (١١٦/٢-١٢١)، طبعة دار مكتبة الحياة – بيروت. وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور: حسن إبراهيم حسن: (٤٢٢/٤). والنَّسَفِي وآراؤه العقدية، مائلة المشهراوي: (ص٤-٨) رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدعوة وأصول الدين، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطنية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٤) إيذَج، بكسر الهمزة وفتح الذال بلد بين خوزستان وأصبهان من قرى سمرقند، يقع بها ثلج كثير يحمل إلى الأهواز والنواحي، وقنطرة إيذَج من عجائب الدنيا المذكورة لأنها مبنية بالصخر على واد يابس بعيد القعر، وإيذَج كثيرة الزلازل وبها معادن كثيرة، وبها بيت نار قديم كان يوقد إلى أيام الرشيد، وإيذَج ذكرت هكذا في معجم البلدان في موضعين: أحدهما: بلدة في كورة الأهواز وبلاد الخوز، ينسب إليها جماعة من ولد المهدي بن منصور، منهم أبو محمد يحيى بن أحمد الحسن بن فورك الإيذجي، وثانيهما: إيذَج من قرى سمرقند منها أبو الحسين محمد بن الحسين الإيذجي المتوفي سنة ٧٨٣هـ، وقيل: إيذج من بلاد خوزستان ينسب إليها أبو القاسم الحسين بن أحمد بن الحسن الإيذجي. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٢٢٩/١ – ٢٣٠)، والأنساب، للسمعاني: (٢٣٦/١- ٢٣٧)، واللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري: (٩٧/١).

(٥) كلاباذ: محلة ببخارى. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٥٣٦/٤).

(٦) كرمان: مدينة في إيران مركز تجاري هام، اشتهر بصناعة الأنسجة القطنية والصوفية والسجاد. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي: (٥١٥/٤)، وأطلس التاريخ العربي الإسلامي، شوقي أبو خليل: (١٩).

(٧) انظر: النَّسَفِي وآراؤه العقدية، مائلة المشهراوي: (ص٧-٨).

ومع هذه النهضة العلمية، إلا أننا نجد أنَّه قد غلبت عليها سِمَة الجمع والشَّرح لا الابتكار، فقد كثرت فيه الموسوعات والمجموعات[(١)]، والمعاجم والتراجم[(٢)].

أما عِلْم التَفْسِير: فقد ازدهر في هذا العصر، إلا أننا نجد أن العلماء لم يذكروا عنه شيئاً في بلاد ما وراء النَّهر، واقتصروا على ذكر علماء العِراق والشَّام ومِصْر وغرناطة[(٣)]، وغيرها.

ومن المُفَسِّرين الذين برزوا في هذا العصر:

البلخي، ابن النقيب (٦١١- ٦٩٨هـ) [(٤)]، وأبو إسحاق الرقي (٦٤٠- ٧٠٣هـ)[(٥)]، وابن تيمية[(٦)]، وأبو حيان الأندلسي[(٧)].

---

(١) الموسوعات والمجموعات: موسعة نهاية الأرب لشهاب الدين أحمد النوري، ت ٧٣٢هـ، وموسوعة لسان العرب، لابن منظور، ت ٧١١هـ.

(٢) المعاجم والتراجم: وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، وطبقات الحفاظ للذهبي، وطبقات الشافعية للتاج السبكي، وعيون الأثر لابن سيد الناس.

(٣) غرناطة: غرناطة بفتح أوله وسكون ثانيه، مدينة بالأندلس قديمة بقرب البيرة، من أحسن مدن بلاد الأندلس وأحصنها، ومعناها الرمانة بلغة الأندلسيين، يشقها نهر يعرف بنهر قلوم، وهو النهر المشهور الذي يلفظ من مجراه برادة الذهب الخالص. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (١٩٥/٤). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: (ص٢٢٤).

(٤) البلخي ابن النقيب، جمال الدين عبدالله بن محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين المقدسي الحنفي، ولد في النصف من شعبان سنة ٦١١هـ، وأقام مدة في الأزهر، ثم انتقل إلى القدس واستوطنها إلى أن مات فيها سنة ٦٩٨هـ، من آثاره: كتاب في التفسير جمعه في خمسين تفسيراً. انظر: البدية والنهاية، لابن كثير، (١٤/٤-٥) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، (١٨٠/٦).

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن معالي الرقي الحنبلي، ولد بالرقة في محرم سنة ٦٤٠هـ، وتوفي بدمشق سنة ٧٠٣هـ، عُني يتفسير القرآن والفقه، وتقدم في علم الطب، وشارك في علوم الإسلام، وبرع في التذكير والمواعظ، وله شعر ونظم، من آثاره: تفسير القرآن، اختصره من صفوة الصفوة. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير: (٢٩/١٤-٣٠). والدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني: (١٥/١٤). وشذرات الذهب، لابن العماد: (٧/٦).

(٦) هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر الحنبلي الدمشقي، أبو العباس تقي الدين، ولد بحران سنة ٦٦١هـ، وتحول إلى دمشق، فَدَرَسَ ودَرَّس، برع في العلوم ومنها التفسير، خلَّف لنا مؤلفات عدَّة تقدَّر بالمئات جمعها وأحصاها تلميذه ابن القيم، من آثاره: تفسير سورة الإخلاص، وتفسير سورة الكوثر، وتفسير سورة النور، وتفسير القرآن(مجموع تفسير ابن تيمية) أو التفسير الكبير، وتفسير المعوذتين، ومقدمة في أصول التفسير، وغيرها. انظر: الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني: (١٦٨/١). وشذرات الذهب، لابن العماد: (٨٠/٦).

(٧) هو: محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الغرناطي الأندلسي، ولد سنة ٦٥٤هـ، سمع من عدد كبير من الشيوخ يصل عددهم إلى أربعمائة وخمسين شخصاً من شتى الدول الإسلامية، غرناطة ومالقة وسبتة وديار أفريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام، تتلمذ على يديه عدد كبير من العلماء في شتى العلوم: القراءات، والتفسير، والحديث والفقه، وعلوم اللغة، وقد ذكر د. محمد سالم محيسن إحدى وعشرون تلميذاً أخذوا عنه القراءات والتفسير، توفي سنة ٧٥٤هـ،من آثاره البحر المحيط في التفسير. انظر: الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني: (١٢١/٢). ومعجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، د/ محمد سالم محيسن: (١٣٧/١)، طبعة دار الجيل – بيروت.

وهكذا يتضح لنا مما تقدم: أن الدارس لهذا العصر يقف أمام كمٍّ هائل من النتاج الفكري في شتى علوم المعرفة، وهذا يدلنا وبشكل واضح أن تلك الحقبة شهدت ازدهاراً علمياً واضحاً من خلال تشجيع السلاطين للعلماء من ناحية، وإيجاد مؤسسات علمية على اختلاف تسميتها من ناحية أخرى، وتعد العامل الرئيس في تقدم فكرنا الحضاري والتراثي، وعلى الرغم مما أصاب الحضارة الإسلامية من كوارث عسكرية، فإن اللغة بقيت العامل الأساسي مع الدين اللذان بقيا يجمعان المسلمين في آلامهم وآمالهم، فاللغة هي روح الأمة وحياتها، وهي الثقافة والحضارة والأفكار.

وقد حظيت اللغة العربية وآدابها بمنزلة خاصة في العصر العباسي، فحافظوا عليها وجعلوها اللغة الرسمية، وهذا لكونها لغة القرآن وعمادها وحاميها من الضياع، والرابط الأساسي بين أفراد المجتمع الإسلامي، وثقافته وحضارته.

ونجد أن الإمام النَّسَفِيُّ – رحمه الله – ظهر في عصر النهضة العلمية، والعصر الذي يعيش فيه الإنسان له بالغ الأثر في تكوين شخصيته، فهذا العصر أثر في شخصية هذا الإمام حيث واكب مجموعة من العلماء، ونحا نحوهم في تحصيل العلم، فكان هذا العصر له التأثير الإيجابي في شخصيته حيث برع في علم التفسير، وعلوم الحديث، والفقه وأصوله، واللغة، فشهد له العلماء في هذا المجال.

فكانت الحياة العلمية في العصر العباسي الثاني هي الجانب المضيء، فلقد تمتع الفكر والتأليف العلمي والأدبي بأفضل ما يتمتع به العلماء، حيث أنتج لنا الموسوعات التي لم يؤلف مثلها قبل العصر العباسي الثاني ولا بعده إلى يومنا هذا.

المبحث الثاني

تَرْجَمةُ الإِمَام النَّسَفِي

المطلب الأول: النَّسَفِي: اسمه ونسبه وكنيته.

المطلب الثاني: مولد الإمام النَّسَفِي ونشأته.

المطلب الثالث: وفاة الإمام النَّسَفِي.

المبحث الثاني: تَرْجَمةُ الإِمَام النَّسَفِي

المطلب الأول: الإمام النَّسَفِي: اسمه ونسبه وكنيته

هو الإمام الفقيه الأصولي المُفَسِّر حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسَفِي الحنفي، أبو البركات، أحد الزُّهاد المتأخرين والعلماء العاملين، والأئمة المفسرين المعتبرين، كان إماماً عديم النَّظير في زمانه، رأساً في الفقه والأصول، بارعاً في الحديث ومعانيه، صاحب علم البيان والمعاني، جامعاً بين الأصول والفروع، بصيراً بكتاب الله تعالى، وهو صاحب التصانيف المفيدة المعتبرة في الفقه والأصول وغيرها(١)، له التفسير المُسَمَّى (مَدَارك التَنْزيل وَحَقَائِق التَأْوِيل)، وهو من أئمة أهل السنة المدافعين عنها.

والنَّسَفِيُّ: نسبة إلى نَسَف – بفتح النون والسين – ببلاد السِّنْد وهي ما وراء النَّهر بين جَيْحُون(٢) وَسَمَرْقَنْد، على عشرين فَرْسَخاً من بُخَارى، وتعرف اليوم باسم (قرش) أي القصر، سَمَّاها العرب في القرون الوسطى (نَسَف) والفرس (نَخْشَب)، لها قرى كثيرة والغالب على أرضها الخصب، وهي مدينة لها أربعة أبواب، تقع على مدرج بُخَارى وبَلْخ(٣)، آسيا الوسطى وهي دولة أوزباكستان حالياً(٤).

---

(١) انظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدندوي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة، الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م،(٢٦٣). والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، (٣٢/٦)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبدالقادر بن محمد القرشي، تحقيق: د/ عبدالفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (٢٩٤/٢- ٢٩٥). والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، لابن تَغْري بُرْدي، (٧١/٧). والفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان (١٠١). ومعجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٣٢/٦). والأعلام، للزِّرِكْلي، (٦٧/٤).

(٢) جَيْحُون: نهر طوله ٢.٥٤٠ كم ينبع من جال يامير (الهند) ويصب في بحر آرال. انظر: معجم البلدان، للشيخ شهاب الدين ياقوت الحموي، دار صادر- بيروت- لبنان، (٢٨٨/٢)، وانظر: أطلس التاريخ العربي والإسلامي، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق – سورية- الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، (١٩).

(٣) مدينة مشهورة عظيمة من أمهات بلاد بخراسان ومن أجل مدنها خضعت بعد موت الأسكندر الكبير للحكم السلوقي زمنا ثم خرجت عليه وانضمت إلى فارس وكانت مركزا للثقافة اليونانية وسوقا نشطا للتجارة . تقع على الشاطئ الجنوبي لنهر جيحون وهي اليوم من بلاد الأفغان. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٤٧٩/١). وآثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، (١٣٣- ١٣٤). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي، (٢٣٠-٢٣١).

(٤) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٢٩/٥). واللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار صادر – بيروت – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، (٣٠٨/٣). وتاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محمد بن محمد الشهير بالسيد مرتضى الزبيدي، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف – الكويت- (٤٠٣/٢٤).

ذكرها أبو تَمَّام[١] في قصيدة له مخاطباً فيها المعتصم[٢]،[٣]:

تَهابُ الرُّومُ في مَعاقِلِها   والتُّركُ تَخْشَاك مِنْ وَرَاء نَسَف[٤]

تخرج منها الكثير من العلماء[٥]، ويُكَنَّى النَّسَفِي (أبو البركات) ويلقب بـــ (حافظ الدين) واللقب الشائع عليه هو: النَّسَفِي، وعلى هذا فهو:

أبو البركات حافظ الدين عبدالله بن أحمد بن محمود النَّسَفِي.

---

(١) أبوتمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية) سنة ١٨٨هـــ، ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته، فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها، كان أسمر، طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع، في شعره قوة وجزالة، له مؤلفات منها: فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل، مات بالموصل في جمادى الأولى سنة ٢٣١هـــ، انظر: البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت — الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـــ، (١٣). وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (٦٣/١١-٦٧). وتاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية — بيروت- (٢٥٢/٨).

(٢) المعتصم: أمير المؤمنين، أبو إسحاق، محمد بن هارون الرشيد، بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، ولد سنة ١٨٠ه، وأمه أم ولد اسمها ماردة، بويع بعد المأمون بعهد منه إليه في رابع عشر رجب سنة ٢١٨ه، وكان أبيض، أصهب اللحية طويلها، ربع القامة، مشرب اللون، ذا شجاعة وهمة عالية، وقوة مفرطة، توفي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول، سنة ٢٢٨ه، وعمره ثمان وأربعون سنة وثمانية أيام، وقيل توفي سنة ٢٢٧ه وعمره سبع وأربعون سنة وسبعة أشهر، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام. انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، للعصامي، (٢١٧/٢-٢٢٢). ومورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية- القاهرة – ١٩٩٧م، (١٤٧/١ – ١٥٠). وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (٢٩٠/١٠ – ٣٠٦).

(٣) الأنساب، للإمام أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر – بيروت – ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، (٤٨٦/٥).

(٤) هكذا ذكره السمعاني في الأنساب و لم أعثر عليه في ديوان أبي تمام.

(٥) هناك كثير من العلماء الذين ينسبون إلى نسف، منهم: الإمام الفقيه الحنفي نجم الدين أبو حفص النَّسَفِي عمر بن محمد، الفقيه الأصولي المحدث والمفسر، مفتي الثقلين، صاحب المنظومة النسفية، والعقائد النسفية، وطلبه الطلبة، والقند في علماء سمرقند، والتيسير في التفسير، المتوفى ٥٣٧هـــ، ومنهم ـــ أبو اسحاق إبراهيم بن معقل بن الحجاج النَّسَفِي الذي جمع السنة والتفسير وكان على نسف مدة ورحل إلى بلاد خراسان والعراق والشام وديار مصر، المتوفي سنة ٢٩٤هـــ، وابنه أبو تمام سعيد بن إبراهيم بن معقل بن الحجاج النَّسَفِي يروي عن أبيه وعن غيره من أهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان وما وراء النهر، جماعة يكثر عددهم، وكان فاضلاً ثقة، صاحب أدب وشعر والمتوفي سنة ٣٤١هـــ، وغيرهم من الأئمة النَّسَفِيين. انظر: الأنساب، للسمعاني، (٤٨٦/٥-٤٨٧).

المطلب الثاني
مَوْلِد الإمام النَّسَفِي ونشأته

لم أقف على نصٍ صريحٍ عن مكانِ ولادته بالتحديد، إنما ذكر بعضهم[1] أنه من أهل إيذَج، وهي بلدة بين خوزستان وأصبهان وسط الجبال.

وأما عن سنة ولادته، فاكتفت كتب التراجم بذكر اسمه وكنيته ولقبه ومؤلفاته ولم يذكر لنا ولادته والمصدر الوحيد الذي ذكر لنا تاريخ ولادته هو (الموسوعة العربية الميسرة)[3] بإشراف محمد شفيق غربال وهو (١٢٣٢- ١٣١٠) بالتقويم الميلادي ويكون بالحساب الهجري (٦٣٠هـ) وذكر المحقق سائد بكداش[4] أنَّه قدَّر سنة ولادته من تاريخ وفاة شيخه شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري[5]، والتي كانت سنة ٦٤٢هـ، وقد قالوا: في ترجمة النَّسَفِي (إنَّه تفقَّه عليه)، فعلى هذا يكون عُمْر التلميذ أبي البركات النَّسَفِي عند وفاة شيخه لا يقل عن عشرين سنة ونَيْفَ تقريباً، وعليه تكون ولادته في حدود سنة ٦٢٠هـ [6].

وقد ظهر الإمام النَّسَفِيُّ — رحمه الله- في آخر القرن السابع وأوَّل القرن الثامن الهجريين، أما نشأته وأسرته فلا يُعْرَف عنها إلا الشيء القليل، وقد جاء في مقدمة أكثر من كتاب من كتبه وصف آبائه الأجلاء بألقاب عالية، تدل على رفيع مقامهم العلمي، وكريم منزلتهم الاجتماعية.

فقد جاء في مقدمة كتابه: المُصَفَّى شرح المنظومة النَّسَفِيَّة: (... قال عبدُ الله بن الصدر السعيد، المغفور له الشهيد، حميد المِلَّة والدين أحمد ابنُ الصدر السعيد حافظ الدين محمود النسفي، لا زالت آثاره في الفضل مشهورة، وحسبان أيديه مَوفورة، وخصَّ الله تعالى أسلافَه الغرَّ الكرامَ بالوصول التام...) [7].

وسُجِّل في مقدمة كتابه: (كشف الأسرار في شرح المنار): (قال مولانا الشيخ الإمام... أبو البركات عبدالله ابنُ الإمام الأجلِّ الكبير السعيد، حميد المِلة والدين أحمد بن محمود النسفي...) [8].

---

(١) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني: (٢٦٨/١). وانظر: الأعلام للزركلي: (٦٧/٤). وانظر: التفسير والمفسرون: للأستاذ محمد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة (٣٥٤/١).

(٣) الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، طبعة دار: إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (١٨٣٣/٢).

(٤) سائد محمد يحيى بكداش، عضو هيئة التدريس في قسم الدراسات الإسلامية، جامعة طيبة، المدينة المنورة. غلاف كنز الدقائق الذي حققه.

(٥) سيأتي ترجمته عند الحديث عن شيوخه.

(٦) كنز الدقائق في الفقة الحنفي: للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: أ.د/ سائد بكداش، دار البشائر الإسلامية- بيروت — لبنان- دار السراج- المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١١، (١٢- ١٣).

(٧) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٨) كنز الدقائق في الفقة الحنفي، للإمام أبي البركات النَّسَفِي، (١٠- ١١) وانظر: منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره، رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة: سمر محد فهمي كردية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، (١٦).

ومن خلال هذا الوَصف تبين لنا أنَّ الإمام النَّسَفِي كان سليلَ بيت العلم والعمل والإمامة، والدين والكرم والسيادة، والفضل والصدارة والرِّيادة.

وعلى هذا فلا يُستبعد مجيء هذا الإمام الجليل من نَسْل هذا البيت العالي الأغرِّ.

ولعلَّ هذه الندرة الشديدة في المراجع التي تتحدث عنه يرجع إلى تسلط المغول، وتوالي الحروب والقلاقل والفتن التي عاشها العالم الإسلامي في ذلك الوقت بسبب غزو التتار الذين أحرقوا الكتب والمكتبات والمساجد ودُوْرِ العِلْم، حتى أصبحت أثراً بعد عين.

المطلب الثالث: وفَـــاةُ الإمام النَّسَفِي

اختلف أصحاب التراجم في تحديد السنة التي توفي فيها الإمام النَّسَفِيُّ إلى ثلاثة أقوال:

١- قيل: إنَّه توفي سنة ٧٠١هـــ [١].

٢- وقيل: إنَّه توفي سنة ٧١٠هـــ [٢].

٣- وقيل: إنَّه توفي سنة ٧١١هـــ [٣].

وهذه الأقوال الآنفة الذكر معتبرة ومشهورة وكلٌ له حُجَّته، إذ أن القول الأول جاء في نسخة من الجواهر المُضيَّة [٤]، وتاج التراجم[٥]، والطبقات السَّنِيَّة[٦]، وغيرها جزمٌ بتاريخ وفاته، وبيان لوقتها بالتفصيل كما يلي:

(توفي الشيخ حافظ الدين النَّسَفِي - رحمه الله - في ليلة الجمعة في شهر ربيع الأول، سنة إحدى وسبعمائة، ودفن في بلدة إيذَج).

أما القول الثاني: فيرجِّحُه ما ذكروه من أنه دخل بغداد سنة ٧١٠هـــ[٧]، وعلى هذا فتكون وفاته ما بين (٧١٠-٧١١هـــ) وكان ذلك ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول في بلدة إيذَج من كور[٨] أصبهان ودفن فيها[٩].

---

(١) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله جلبي المعروف بالحاج خليفة، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٣هـــ – ١٩٩٢م، (٢/١٦٤٠)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، (٢/٢٤٧)، والتفسير والمفسرون، للذهبي، (١/٣١٢).

(٢) انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة، (٢/١٦٤٠). ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، (٦/٣٢). والطبقات السَّنِيَّة في تراجم الحنفية، للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي: (٤/١٥٤)، دار الرفاعي، الرياض، وهجر، امبابة، القاهرة. وانظر: الأعلام، للزركلي: (٤/٦٧).

(٣) انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: (٢/١٦٧٥).

(٤) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي: (٢/ ٢٩٥).

(٥) تاج التراجم في طبقات الحنفية، للشيخ أبي الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني: (١٧٥)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دارالقلم- دمشق – سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٣هـــ – ١٩٩٢م.

(٦) الطبقات السنية، لتقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي: (٤/١٥٤).

(٧) انظر: طبقات المفسرين، للأدنَدوي: (٢٦٣)، وانظر: تاج التراجم في طبقات الحنفية، لابن قطلوبغا: (١٧٥).

(٨) كور: جمع كُوْرَه وهي البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف: (٢٠٧)، المطبعة الكاثوليكية- بيروت- الطبعة التاسعة عشرة.

(٩) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، (٢/٢٤٧)، وانظر: الأعلام، للزركلي، (٤/٦٧).

المبحث الثالث

حَيَاةُ الإمام النَّسَفِي العِلْمِية

المطلب الأول: مكانة الإمام النَّسَفِي العِلْمِيَّة، وَثَنَاء العُلَمَاء عليه.

المطلب الثاني: شيوخ الإمام النَّسَفِي، وتلاميذه.

المطلب الثالث: عقيدةُ الإمام النَّسَفِي، ومذهبه الفقهي.

المطلب الرابع: نِتَاجُ الإمام النَّسَفِي، وآثَارُه العِلْمِيَّة، وَمُؤَلْفَاتُه.

المبحث الثالث: حَيَاةُ الإمام النَّسَفِي العِلْمِية

المطلب الأول: مكانَة الإمام النَّسَفِي العِلْمِيَّة، وثَنَاء العُلَمَاء عليه

كان الإمام النَّسَفِي – رحمه الله – من كبار العلماء المسلمين المشهورين بالزهد والصلاح والتقوى فضلاً عن تفرغه للعلم والدراسة والبحث، وقد اشتهر عِلْمُه وَذَاعَ فَضْلُه في عَصْرِه وبعد عَصْرِه، وبارك الله له في مؤلفاته فأصبحت مرجع الباحثين، ومجال البحث والدراسة بين الدارسين، لِمَا فيها من تدقيق وتحقيق واكتفاء بالإشارة عن التفصيل، وقد نال الإمام النَّسَفِي ثناءات عالية رفيعة من علماء زمانه وعصره، وممن جاء بعدهم، وأجمعوا كُلُّهم على إمامته في العلوم كلها، وكريم محاسنه ومآثره، وعظيم خلقه وفضله ونبله، وجليل قدره، ومكانتهن علماً وعملاً، وقد قدّره العلماء حَقَّ قَدْرِه، فكان مما وصفه به مُتَرْجِموه:

(الإمام العلامة، شيخُ الإسلام، صاحبُ التصانيف الجليلة المشهورة، كان إماماً كاملاً فاضلاً محرِّراً مدقِّقاً، عديم النظير في زمانه، رأساً في الفقه والأصول، بارعاً في الحديث ومَعانيه، صاحب علم البيان والمعاني، جامعاً بين الأصول والفروع، بصيراً بكتاب الله تعالى، إماماً في التفسير وعلومه، وكان أحد الزُّهَّاد المتأخرين)[١].

ووصفه تلميذه الإمام حسام الدين السِّغْناقي (٧١١هـ) بقوله: (الإمام الزاهد، مُدرِكُ اللَّمْحة، مُصيبُ الرَّمزة، رئيس أهل الطريقة، تاج أهل الحقيقة، مصنِّفُ آخر الزمان، نفَّاعُ طلبة العلم الذين هجروا الأوطان، مولانا حافظ الدين النَّسَفِي)[٢].

وقال عنه ابن حجر العسقلاني[٣]- رحمه الله-: (عَلَّامَةُ الدنيا)[٤].

---

(١) الفوائد البهية، للكنوي: (ص١٠١)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: (٣٢/٦).

(٢) انظر: الوافي شرح الحسامي: (١٩٨٠/٥)، وكنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفِي: (ص٢١).

(٣) ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين، ابن حجر العسقلاني، الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر قوم تسكن الجنوب الآخر على بلاد الجريد، من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة، ولد في ثاني عشري من شعبان سنة ٧٧٣هـ، له مؤلفات عديدة منها: الإصابة في تمييز الصحابة، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري، توفي ليلة السبت ثامن عشر ذي الحجة سنه ٨٥٢هـ. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: تأليف المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي: (٣٦/١- ٤٠)، دار: مكتبة الحياة – بيروت – لبنان. وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: (٧/ ٤٠٧)، وانظر: الأعلام، للزركلي: (١/ ١٧٨).

(٤) أنباء القمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني: (٥١٤/٩)، دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٩٧٢م.

وقال عنه ابنُ مَلَك عبد اللطيف بن عبد العزيز[١] في مقدمة شرحه على المنار: (الإمام الخبير، سيد الأحرار، والهُمام النَّحرير، سَنَد الأخيار، بديع الفضل في الأعصار، ما رأت مثلَه الأبصار، مولانا حافظ الدين...)[٢].

ووصفه الإمام ابن الهُمَام[٣] في مقدمة فتح القدير بقوله: (الشيخ الكبير أستاذ العلماء)[٤].

وقال الإمام ابن تَغْري بُرْدي[٥]: (انتهت إليه رئاسة الحنفية عِلْماً وعَمَلاً، وكان أحد العلماء الزهاد، صاحب التصانيف المفيدة، هذا مع الخُلُق الحسن، والتواضع الزائد، وفصاحة اللفظ، وطلاقة اللسان، ومحبته للفقراء والطلبة – طلاب العلم- والإحسان إليهم، وكان إماماً عادلاً، زاهداً خيِّراً ديِّناً، كريماً متواضعاً، مترفِّعاً على الملوك، متواضعاً للفقراء، لا يتردد لأرباب الدولة، ولا يجتمع بهم إلا إذا أتَوا إلى منزله، أثنى على عِلْمه ودِينه غيرُ واحدٍ من العلماء، ولم يزل على ما هو عليه من العلم والعمل حتى أدركه أجلَه)[٦].

وعدّه ابن كمال باشا[٧] من طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين القوي والضعيف، والذين شأنهم أن لا ينقلوا في كتبهم الأقوال المردودة، والروايات الضعيفة، وهي أدنى طبقات المثقفين، وهي أدنى درجة المجتهدين والمخرجين والمرجحين، وعده غيره من المجتهدين في المذهب[٨].

---

(١) ابن مَلَك عبد اللطيف بن عبد العزيز أمين الدين بن فِرِشْتا- هو المَلَك- عُرف ابن مَلَك، وهو من فقهاء الحنفية المُبَرِّزين، له تصانيف منها: شرح المنار في الأصول، وشرح مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار في الحديث، وشرح تحفة الملوك في الفقه، وكانت وفاته على الأرجح سنة ٨٠١هـ، لأنه ظفر بنصٍّ يعول عليه، وأمَّا ابن العماد فقد انفرد في شذرات الذهب فجعله في وفيات سنة ٨٨٥هـ، ولم ترد في التراجم ذكرٌ لسنة وفاته. انظر: هدية العارفين، للبغدادي: (٦١٧/١)، وشذرات الذهب، لابن العماد: (٣٤٣/٧)، والأعلام، للزركلي: (٥٩/٤).

(٢) كنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفي: (ص٢١).

(٣) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي ثم الاسكندري، كمال الدين، المعروف بابن الهمام إمام من علماء الحنفية ولد سنه ٧٩٠هـ، عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه والحساب والموسيقى والنطق أصل من سيواس بتركيا ولد بالإسكندرية، ونبع في القاهرة، وأقام بحلب مدة، من مصنفاته: فتح القدير في شرح الهداية، والتحرير في أصول الفقه، توفي بالقاهرة سنة ٨٦١هـ. انظر: الجواهر المضية، للقرشي: (٢/ ٨٦). والفوائد البهية، للكنوي: (ص١٨٠). والأعلام، للزركلي: (٦/ ٢٥٥).

(٤) كنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفي: (ص٢١). وفتح القدير، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام: (٣/١)، دار الفكر- بيروت – الطبعة الثانية.

(٥) هو أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تَغْري بُرْدي الأتابكي اليشبقاوي الظاهري، ولد بالقاهرة سنة ٨١٣هـ، وتوفي بها سنة ٨٧٤هـ، مؤرخ مصري، له مؤلفات كثيرة، منها: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ومورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة. انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، صفحة الغلاف، لابن تغري بردي. والأعلام، للزركلي: (٢٨٥/٢).

(٦) المنهل الصافي، لابن تَغْري بُرْدي: (٧١/٧).

(٧) هو أحمد بن سليمان الرومي الشهير بابن كمال، أخذ عن الكثير من العلماء وكان معلماً وقاضياً التقى كبار العلماء بالقاهرة وناظروه، كان مفتياً بفلسطين، له مصنفات عديدة توفى سنة ٩٥٠هـ الفوائد البهية، للكنوي: (ص٢١).

(٨) الفوائد البهية، للكنوي: (ص١٠٠).

ووصفه العلامة ابن نجيم[1] – رحمه الله – في مقدمة النهر الفائق بأنه: (أفضل المتأخرين، وأكمل المتبحِّرين، حافظ الملة والدين، وعُمدة المحققين)[2].

ووصفه العلامة ابن عابدين[3] – رحمه الله – بقوله: (الإمام الأوحد، والهُمَام المُفرَد)[4].

وجاء في مقدمة التفسير:

(قال مولانا الإمامُ المُعَظَّم، والحَبْرُ الإمامُ المُقَدَّم، أستاذُ أهل الأرض، محيي السُّنَّة والفرض، كشافُ حقائقِ أسرار التنزيل، مفتاحُ أسرار حقائق التأويل، تَرجُمان كلامِ الرحمان، صاحبُ علم المعاني والبيان، الجامعُ بين الأصول والفروع، المرجوعُ إليه في المنقول والمسموع، حافظ المِلَّة والدين، شيخ الإسلام والمسلمين، وارثُ علوم الأنبياء المرسلين، أكملُ فُحُول المجتهدين، قدوةُ قومِ المحققين، ذو السعادات والكرامات أبو البركات عبدالله بن أحمد النَّسَفِي)[5].

ومن الثناءات المجمع عليها في وصفه، المثبتة في مقدمة كل النسخ الخطية والمطبوعة من كتاب كنز الدقائق: (قال مولانا الحَبْرُ النِّحرير[6]، صاحبُ البيان والبَنَانِ في التقرير والتحرير، كاشفُ المُشْكلات والمُعْضِلات، مبيِّنُ الكنايات والإشارات، مَنْبَعُ العُلا[7]، علم الهُدَى، علامة الوَرَى[8]، مالكُ أزِمَّة الفتيا، مُظهِرُ كلمةِ الله العليا،

---

(١) هو زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم، فقيه حنفي، من أهل مصر، من تصانيفه: البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، وإصابة السائل باختصار أنفع الوسائل، والأشباه والنظائر، توفي سنة ٩٧٠هـ، انظر: الأعلام، للزركلي: (٦٤/٣).

(٢) كنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفي: (ص٢٣).

(٣) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، ولد بدمشق سنة ١١٩٨م فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره، من مصنفاته: رد المختار على الدر المختار، وهو ما يعرف بحاشية ابن عابدين، ورفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار، والعقود الدرية من تنقيح الفتاوى الحامدية، ونسمات الأسحار على شرح المنار في الأصول، وحاشية على المطول في البلاغة، والرحيق المختوم في الفرائض، وحواش على تفسير البيضاوي التزم فيها أن لا يذكر شيئاً ذكره المفسرون، توفي بدمشق سنة ١٢٥٢هـ. انظر: الأعلام، للزركلي: (٤٢/٦).

(٤) مقدمة نسمات الأسحار على شرح المنار، لابن عابدين، محمد أمين عمر، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م. وانظر: كنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفي: (ص٢٣).

(٥) تفسير النَّسَفِي: (١٣/١).

(٦) الحَبْر: بفتح الحاء – وهو الأشهر – وكسرها: هو العالِم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه، وأما النِّحرير فهو: الحاذق الماهر المجرِّب المتقن الفَطِن البصير، الذي له نظرٌ دقيقٌ في تقرير الكلام خاصة. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار إحياء- بيروت- (١٥٧/٤) و (١٩٧/٥).

(٧) العُلا: أي الرفعة والترف. مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي: (١٩٠/١)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥ – ١٩٩٥، طبعة جديدة.

(٨) (أو أفضل الورى) والمراد: أفضل الخلق في زمانه.. رمز الحقائق شرح كنز الدقائق، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني: (٤/١)، مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية.

كَشَّاف الحقائق، مُبَيِّن الدَّقائق، سلطان علماء الشرق والصِّين[1]، حافظ الحق والمِلَّة والدين، شمس الإسلام والمسلمين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسَفِي)[2].

وقال عنه العلامة الكَفَوي محمد بن سليمان (٩٩٠هـ)[3]: (عَلَم الهُدى، وعلامة الوَرَى، مفتي الدَّهر، وقدوة ما وراء النَّهر، محيي السُّنَّة والفَرْض، وأستاذ أهل الأرض، حافظ الملة والدين، ناصر الإسلام والمسلمين، ناصح الملوك والسلاطين، كان إماماً كاملاً، عديم النَّظِير في زمانه، رأساً بعيد المَثيل في الأصول والفروع في أوانه، بارعاً في الحديث ومعانيه، ماهراً في فنون الأدب ومبانيه، وله مَقَاماتٌ سَنِيَّة، في العلوم العقلية، ومقاماتٌ بَهِيَّة في الفنون النقلية، وهو كثير العلم مرتفعُ المكان، فريدٌ ما له في الفضل ثان، له في العلوم آثارٌ ليست لغيره من أهل عصره، أخذ العلوم عن أفواه الرجال حتى صار مَضرِب الأمثال)[4].

رحم الله الإمام النَّسَفِي ورضي عنه وعن جميع علماء المسلمين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا كريم.

---

(١) الصين: بلاد واسعة في المشرق ممتدة من الإقليم الأول إلى الثالث، عرضها أكثر من طولها، قالوا: نحو ثلاثمائة مدينة في مسافة شهرين. وانها كثيرة المياة كثيرة الأشجار كثيرة الخيرات وافرة الثمرات. آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: (ص١٩).

(٢) كنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفي: (١٣٧).

(٣) أبو الفضل محمود بن الحاجي سليمان بن عبد الله الكفوي، من علماء دولة السلطان، أخذ العلم على يد كثير من العلماء، سافر إلى قسطنطينية ودرس فيها، ومن أشهر تصانيفه: كتاب أعلام الأخبار من فقهاء مذهب النعمان المختار، توفي سنة ٩٩٠هـ. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، للكفوي: (ص٣). وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي: (٤١٣/٦)، دار الكتاب العلمية- بيروت - ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م. وانظر: أسماء الكتب، عبد اللطيف بن محمد رياض زاده: (٢٤٢/١)، تحقيق: د/ محمد التونجي، دار الفكر — دمشق- سورية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) كنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفي: (ص٣٢ - ٣٣).

المطلب الثاني

شيوخ الإمام النَّسَفِي وتلاميذه

أجمل المترجمون للنَّسَفِي في بيان شيوخه وتلاميذه، و لم يذكروا إلا ثلاثةً من شيوخه، واثنين من تلاميذه، ولا شك أن هذا العدد قليل جداً إذا ما نظرنا للإمام النَّسَفِيُّ — رحمه الله– وقد عاش ما يزيد عن ثمانين سنة، حيث أمضى عُمْرَه بالعلم والتعليم والتصنيف.

أولاً: شيوخه:

أخذ العلم عن أئمة العلماء في زمانه، وقد قال مترجموه: (تفقَّه بجماعةٍ من أعيان العلماء، حتى برع في الفقه والأصول، والعربية واللغة)[1].

ومن شيوخه الذين تفقَّه عليهم:

١- شمس الأئمة الكردري[2].

٢- حميد الدين الضرير البخاري[3].

٣- بدر الدين خواهر زاده[4].

وقيل إنَّ الإمام النَّسَفِي روى كتاب الزيادات عن أحمد بن محمد العتابي[5] *.

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تَغْري بُرْدي: (٧٣/٧).

(٢) هو أستاذ الأئمة، محمد بن عبد الستار بن محمد العمادي الكردري الحنفي البراتقيني، ولد سنة ٥٥٩هـ، طلب العلم واجتهد، وأخذ العلم على يد كثير من العلماء، برع في العلوم وفاق أقرانه، أحيا علم أصول الفقه بعد اندثاره، كما برع في معرفة المذهب الحنفي، والكردري نسبة إلى جَدِّه المنسوب إلى كَرْدمان ببُخَارى، وتوفي ببُخَارى في يوم الجمعة شهر محرم سنة ٦٤٢هـ، الفوائد البهية، للكنوي: (ص١٧٩).

(٣) هو: علي بن محمد بن علي نجم العلماء، حميد الدين الرامشي الضرير البخاري الحنفي، كان إماماً كبيراً، وفقيهاً أصوليا محدثاً، ومفسراً، وحافظاً متقناً، انتهت إليه رئاسة العلم بما وراء النهر، تفقه على شمس الأئمة الكردري، وتفقه عليه الإمام النسفي له تصانيف كثيرة منها: حاشية الهداية، وشرح المنافع، والمنظومة النسفية، وشرح أصول البزدوي، وشرح الجامع الكبير للشيباني في الفروع، توفي سنة ٦٦٦هـ، وقد صلى عليه تلميذه الإمام النسفي ووضعه في قبره، ويقال: حضر الصلاة عليه قريباً من خمسين ألف نفر. انظر: الفوائد البهية، للكنوي: (ص١٢٥). وتاج التراجم، لابن قطلوبغا: (ص٢١٥)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: (٥٧٠/٥)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: (٤٩١/٢).

(٤) هو: العلامة بدر الدين محمد بن محمود بن عبد الكريم الكردري، المعروف بخواهر زاده، وهو ابن أخت شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري، وقد تربى عند خاله وتفقه عليه، توفي سنة ٦٥١هـ. انظر: الفوائد البهية للكنوي: (ص١٦٤)، والجواهر المضية، للقرشي: (١٨٤/٢).

(٥) هو: أحمد بن محمد بن عمر زاهد الدين الحنفي أبو نصر العتابي نسبة إلى عتابية مكان ببخارى، كان من العلماء الزاهدين المتبحرين في علوم الدين، من تصانيفه: تفسير القرآن، وجوامع الفقه ويعرف بالفتاوى العتابية، وشرح الجامع الكبير، وشرح الزيادات، توفي سنة ٥٨٦هـ. انظر: الفوائد البهية، للكنوي: (ص٣٦)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: (٧٥٠/٥)، وطبقات المفسرين، لجلال الدين السيوطي: (ص٢١)، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت — لبنان.

* تنبيه: (قيل: إنَّ الإمام النَّسَفِيُّ روى كتاب الزيادت للإمام محمد بن الحسن الشيباني عن أحمد بن محمد العتابي، المتوفى سنة ٥٨٦هـ، لكن ردَّ هذا بشدة الإمام اللكنوي نقلاً عن الكفوي قائلاً: وأنى تصح راوية شخص مات سنة ٧١٠هـ عن شخص مات سنة ٥٨٦هـ. انظر: الفوائد البهية، للكنوي: (ص١٠٢).

ثانياً: تلاميذه:

تتلمذ علي يدي الإمام النَّسَفِيُّ خيارُ العلماء، نذكر منهم اثنين، تَيَسَّرَ لنا معرفتهم من خلال كتب التراجم وهما:

١-الإمام السِّغْناقي(١).

٢- ابن الساعاتي(٢).

أسباب قلة تلاميذ الإمام النَّسَفِي:

بعد التتبع والاستقراء والاطلاع المتأني في كتب التراجم ، والتواريخ وغيرها من الكتب، لم أعثر إلا على هؤلاء التلاميذ، على الرغم أن تلاميذه أكثر بكثير مما ذكر، والذي يظهر لي: أن سبب قلة تلاميذهم ــ وهذا السبب أو الأسباب التي سأذكرها بعد أسطر ــ لم أقرأه في كتاب، و لم أسمعه من أحد، وإنما هو استنتاج لاح في خاطري واستقر في ذهني واطمأن إليه قلبي، وذلك من خلال القراءة في التراجم وغيرها، والنظر والتأمل في كتب الإمام النَّسَفِي ــ رحمه الله ــ والتي قد امتدحها العلماء بالتفوق والقبول عند الناس، ويصفونها بغزارة مادتها، وبجمعها وانتشارها.

والحقيقة: أنَّ الإمام النَّسَفِي ــ رحمه الله ــ قد حَرَّر وهَذَّب فكان ناقداً مُحَرِراً للمسائل مُتَعَقِباً لغيره بأسلوب رصين، فأبدى آراءه في المسائل والبحوث، حتى ظهرت شخصيته ناقداً، وليس بجامع فقط، ومن عايش مؤلفاته، وكتبه تأكد من هذا، فانتهى إلى الاستقلال والتحرير، وقد أثنى عليه كل من ترجم له، فهو ثقة في نقله وعلمه، وحاز شهرة في علمه وورعه، وأمانته وقوة العقيدة فهو ثِقَة حُجَّة.

(١) هو: الحسين بن علي حجاج بن علي بن حسام الدين الفقيه الحنفي السِّغْناقي، بكسر السين وسكون الغين المعجمة، نسبة إلى سِغْناق بلدة في تركمانستان، سمع عن أبي الإمام النسفي الفقه وأصوله، وسَمِعَ - أيضاً - عن شمس الأئمة الكردري، كما تفقه على الإمام حافظ الدين محمد بن نصر البخاري، والإمام فخر الدين محمد بن إلياس، له مصنفات منها: الهداية، سمعها من شمس الأئمة الكردري عن المصنف، وشرح الهداية وهو النهاية، والتسديد في شرح التمهيد، والكافي في شرح أصول البزدوي، توفي سنة ٧١١هــ وقد سمع من النسفي وأخذ عنه. انظر: الفوائد البهية، للكنوي، (٦٢). وكشف الظنون، لحاجي خليفة، (٢٥٨/٥). والدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني، (٢٤٧/٢) وكتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة من موضوعات العلوم، تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، تحقيق ومراجعة: كامل بكري، جامعة الأزهر، وعبد الوهاب أبو النور، جامعة القاهرة، دار الكتب الحديثة، (١٨٨/٢).

(٢) هو: أحمد بن علي بن ثعلب بن أبي الضياء البعلبكي، البغدادي الأصل المنشأ من كبار الحنفية يعرف بالساعاتي لكون أبيه عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ولد سند ٦٥١هــ من تصانيفه: بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والأحكام، ومجمع البحرين، والدر المنضود في الرد على ابن كونه فيلسوف اليهود، توفي سنة ٦٩٤هــ. انظر: الفوائد البهية، للكنوي، (٢٦). وتاج التراجم، لابن قطلوبغا، (٩٥). وكشف الظنون، لحاجي خليفة، (٨٥/٥).

ومن هنا فإنَّ القِلَّة في تلاميذه لا تضره شيئاً، ولا تخدش من مكانته، ولا تحط من شأنه وجلالة عِلْمِه وورعه، وما أردتُ بذكر هذه الأسباب – إلا تتميماً للفائدة ونشراً للعلم والمعرفة ـــ :

١- عدم اهتمام تلاميذه بتدوين من تتلمذ على يديه غير عامدين ذلك، مهتمين بما هو أهم من ذلك.

٢- قيام أحد تلامذته تكفلاً والتزاماً منه بتدوين ذلك فوقع في التقصير فلم يُوف بذلك، أو أنه وفَّى بما تكفل به، إلا أنه لم يحفظ حتى ينقل إلينا كاملاً.

٣- كثرة الفتن والحروب المتلاحقة والمعارك الطاحنة، والتي من ورائها أدت إلى إحراق المؤلفات والمخطوطات.

٤- تَعَمُّد الحاقدين عليه، أو على الإسلام والمسلمين، القيام بإخفائها أو إحراقها ظناً منهم أن ينالوا منه شيئاً، أو ليطفؤوا نور الله.

والخلاصة: أنَّ الفائدة المرجوة من سرد وذكر التلاميذ لها مزايا عديدة وعظيمة، والمتمثل منها: القيام بخدمة ونشر تراث الشيخ، وتهذيب وتلخيص علمه، والدفاع عن عقيدته ومذهبه، إلا أنَّ هذه المزايا والخصال نراها – بحمد لله وتوفيقه- قد أكمل الله نقصها، وأجبر وسد خللها، فقد فقد ذاع صيته، وانتشر علمه، وتتلمذ عليه الشرق والغرب من العلماء وطلاب العلم، واستفاد من كتبه حتى الأعداء.

المطلب الثالث

عقيدةُ الإمام النِّسَفِي ومذهبه

أولاً: عقيدته:

إنَّ المتتبع لتفسير الإمام النَّسَفِي –رحمه الله- ومؤلفاته المختلفة يتبين أنَّه كان سُنياً، فقد كان من أهل السنة والجماعة، متبعاً ما صار عليه السلف، ومن المعلوم أن الحق فيما ذهبوا إليه؛ لأنَّ السلف هنا هم الصحابة والتابعون وأئمة الهدى من بعدهم.

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- عندما سُئِل من هم أهل السنة والجماعة؟ فقال: (هم المستمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب)[(١)].

إذاً فالأمة الإسلامية وسطاً بين الأمم – الأمم السابقة- بين الغلو والتقصير، فهم يأخذون بالحق الذي مع الجانبين، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

وبالنظر في تفسيره نجد أنَّه زاخرٌ بالدِّفاع عن عقيدة أهل السُّنة والجماعة، مع الرد على الفرق المخالفة لهم كالمعتزلة[(٢)] والكَرَامية[(٣)] والجَهْمِيَّة[(٤)] والثنوية[(٥)]

---

(١) العقيدة الواسطية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بن مانع: (ص٤٨)، دار النشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء – الرياض – الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

(٢) هي: فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية، لتأثُرها ببعض الفلسفات المستوردة ممَّا أدَّى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وقد أُطلِق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة، والقدرية، والعدلية، وأهل العدل، والتوحيد، والمقتصدة، والوعيدية، والمعتزلة نسبة إلى واصل بن عطاء، بعد أن اعتزلَ حَلَقة الحسن البصري، وشَكَّلَ حَلَقة خاصَّة به، لقوله: بالمنزلة بين المنزلتين، أو لقوله: بوجوب اعتزال مرتكب الكبيرة ومقاطعته، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فَسُمِّي هو وأصحابه معتزلة. انظر: الموسوعة الميسرة، إشراف: د/ مانع بن حماد الجُهَني: (٦٤/١)، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د/ غالب بن علي عواجي: (١٩٩/٢). والموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، إعداد: مكتب التبيان، إشراف: حسن عبدالحفيظ أبو الخي: (٣٢٨/١)، دار ابن الجوزي – القاهرة- الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

(٣) أصحاب أبي عبدالله محمد بن كَرَّام، وهو من الصَّفائية، لأنَّه ممَّن يُثْبِت الصِّفات، إلا أنَّه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه، وهم من طوائف يبلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة. انظر: الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: (١٠٧/١)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت- ١٤٠٤هـ، والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تأليف: عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور: (ص٢٠٢-٢١٣)، دار الأفاق الجديدة- بيروت- الطبعة الثانية، ١٩٧٧م. والموسوعة المفصلة، إشراف: حسن عبدالحفيظ أبو الخير: (٨٤٣/١).

(٤) هم أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ، وافق المعتزلة في نفي بعض الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، وقالوا لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة، بل هو بمنزلة الجمادات، وهو أيضاً موافق للمعتزلة في نفي الرؤية وإثبات خلق الكلام. انظر: الملل والنحل، للشهرستاني: (٨٥/١)، والفرق بين الفرق، لأبي منصور عبدالقاهر البغدادي: (ص١٩٩-٢٠٠). والموسوعة المفصلة، إشراف: حسن عبدالحفيظ أبو الخير: (٦٠٣/١).

(٥) هؤلاء هم أصحاب الإثنين الأزلين، يزعمون أنَّ النور والظُلْمة أزليَّان قديمان، وهؤلاء قالوا: بتساويها في القِدَم واختلافها في الجوهر والطبع والفعل والخير والمكان والأجناس والأبدان والأرواح. الملل والنحل، للشهرستاني: (٢٤٣/١).

والمُرْجِئة[١] والباطنية[٢] والرَّوافض[٣]، وهذه نماذج من تفسيره تؤكد ذلك:

رَدُّ الإمام النَّسَفِي على المعتزلة:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[٤] يقول: "وتَشبُّث المعتزلة بالآية في نفي الشَّفاعة للعصاة مردود، لأنَّ المَنْفي الكفار، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي من كَذَّب بها لم يَنَلْها))[٥]"[٦].

---

(١) الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ الشعراء:٣٦ أي أَمْهِلْه وأَخِّره، والثاني: إعطاء الرَّجاء، أمَّا إطلاق اسم المرجئة بالمعنى الأول: فصحيح لأنَّهم كانوا يُؤخرون العمل عن النية والقصد، وأما بالمعنى الثاني: فإنهم كانوا يقولون: لا تَضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضي عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، وهم أصناف أربعة: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة. الملل والنحل، للشهرستاني: (١٣٨/١)، وانظر: الفرق بين الفرق، لأبي منصور عبدالقاهر البغدادي: (ص١٩٠-١٩٥). والموسوعة المفصلة، إعداد: مكتب التبيان، إشراف: حسن عبدالحفيظ أبو الخير: (٤٧٩/١).

(٢) لقبوا بهذا اللقب: لحكمهم بأنَّ لكل ظاهرٍ باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، والباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنَّفوا كتبهم على ذلك المنهاج، وهي من الفِرق الخارجة عن الإسلام، أسَّسَها: ميمون بن دَيْصَان المعروف بالقدَّاح وهو مجوسي، وهؤلاء المجوس كانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره، خوفاً من سيوف المسلمين، فكانوا يُظْهِرون الإسلام ويُبْطِنون الكفر، فغرض الباطنية هو الدعوة إلى دين المجوس بتأويلات يتأولون عليها القرآن. الملل والنحل، للشهرستاني، (١٩٠/١)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس: (١٢٠/٣٥- ١٤٤)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية. والفرق بين الفرق، لأبي منصور عبدالقاهر البغدادي: (٢٦٥-٢٩٩).

(٣) الروافض: طائفة من الشيعة تعتقد بأحقية أهل البيت في الإمامة على باقي الصحابة بمن فيهم الشيخان – رضي الله عنهما – : وعلى أنَّ الإمامة ركن من أركان الدين، وأن الأنبياء والأئمة معصومون، ويشمل – أيضاً- كل من يقول بالبداء والرجعة والغيبة والتولي والتبري إلا في حالة التُقْية، وسبب تسميتهم بهذا الاسم، لِرفضهم إمامة الشيخين، وأكثر الصحابة، وقد أُطلق عليهم هذا الاسم بعد رفضهم إمامة زيد بن علي – رضي الله عنه- فقال لهم: إذهبوا فأنتم الرافضة، فسمُّوا بهذا الاسم. انظر: الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، إشراف: د/ مانع بن حمَّاد الجُهَني: (١٠٥٩/٣).

(٤) البقرة:٤٨.

(٥) سنن أبي داوود: (٣٧٩/٤)، باب: في الشفاعة، رقم الحديث (٤٧٤١). وسنن الترمذي: (٦٢٥/٤)، باب منه، رقم الحديث (٢٤٣٥)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. ومسند الإمام أحمد، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، المتوفى سنة ٣٥٤هـ، (٢١٣/٣)، رقم الحديث (١٣٢٤٥)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة قرطبة – مصر، من حديث أنس بن مالك. وصححه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، المتوفى سنة ٣٥٤هـ،(٣٨٧/١٤)، باب الحوض والشفاعة، رقم الحديث (٦٤٦٨)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. وصححه الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، (٦٠٣)، رقم الحديث (٦٠٢٧)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٦) تفسير النَّسَفِي: (٨٧/١).

فالمعتزلة والخوارج مذهبهما في فاعل الكبيرة أنَّه مُخلد في نار جهنم، فيرون من زنى كمن أشرك بالله لا تنفعه الشفاعة، ولن يأذن الله لأحد بالشفاعة له، وقولهم مردود بما تواترت به الأحاديث في ذلك، فقد روى أبي سعيد الخدري[1] – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((أن الله تعالى يقول: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط...))[2]، فالله يُخْرِج من عصاة المؤمنين من شاء بغير شفاعة، وهذا من نعمته، فإن رحمته سبقت غضبه، فيشفع الأنبياء والصالحون، والملائكة وغيرهم، حتى لا يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أصحاب النار.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾[3] يقول: "وهذا يبطل قول المعتزلة لأنَّه أخبر أنَّه لو شاء أنْ لا يقتتلوا لم يقتتلوا، وهم يقولون: شاء أنْ لا يقتتلوا فاقتتلوا"[4].

فالآية صريحة في أنَّ أفعال الإنسان بمشيئة الله، بخلاف زعمهم وادعائهم أنَّ فعل العبد ليس بمشيئة الله، وإنما العبد مُستقل بعمله، خالقٌ لِفعْله، وأنَّ الله لم يخلق أفعاله، فالآية ردٌ عليهم.

رَدُّ الإمام النَّسَفِي على الكَرَامِيَّة:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[5] يقول: "والآية: تنفي قول الكَرَامِيَّة: أنَّ الإيمان هو الإقرار باللِّسان لا غير، لأنَّه نَفَى عنهم اسم الإيمان مع وجود الإقرار منهم، وتؤيد قول أهل السُّنة أنَّه إقرار باللِّسان وتصديق بالجَنَان"[6].

ولذا فإنَّ هؤلاء المنافقين قالوا: "آمنا" بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، فصحَّ نفي الإيمان عنهم؛ لأنَّ الإيمان باللِّسان ليس بشيء، فالإيمان لا بد أن يتطابق عليه القلب واللِّسان.

(١) هو: سعد بن مالك بن سنان الخدري الانصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي – صلى الله عليه وسلم – وروى عنه أحاديث كثيرة، غزا اثنتي عشرة غزوة، وله ١١٧٠ حديثاً، ولد سنة ١٠ ق هـ، وتوفي في المدينة سنة ٧٤هـ. انظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر: (٣٤/٢). والأعلام، للزركلي: (٨٧/٣).

(٢) صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري: (٢٧٠٦/٦)، كتاب التوحيد، باب: قول الله – تعالى –: {وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة} (القيامة:٢٢ – ٢٣)، رقم الحديث (٧٠٠١)، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. وصحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: (١١٥/١)، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم الحديث (٤٧٢)، دار الجيل – بيروت– ودار الأفاق الجديدة – بيروت.

(٣) البقرة:٢٥٣

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٢٠٨/١–٢٠٩).

(٥) البقرة:٨

(٦) المصدر السابق: (٣٤/١).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾[1] يقول: «أعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الأصلين عند أهل الحق خلافاً للكرامية»[2].

رَدُّ الإمام النَّسَفِي على الجَهْمِيَّة:

فالجَهْمِيَّة يقولون: بفناء الجنة وأهلها، لذا نجد الإمام النَّسَفِيُّ -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[3]

يقول: "قيل: كفرت الجهمية بأربع آيات: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾، ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾[4]، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾[5]، ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾[6]"[7].

فالله قد أخبرنا بأبديتها، وأبدية حياة أهلها، وعدم انقطاعها عنهم، وعدم خروجهم منها، قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[10]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[11]، وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾[12]، وغيرها من الآيات.

رَدُّ الإمام النَّسَفِي على الثنوية:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[13] يقول: "وفيه رَدُّ قول الثنوية بِقِدَم النُّور والظُّلْمة، وأفرد النُّور لإرادة الجِنْس، ولأنَّ ظُلْمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء، نظيره: ظُلْمة الليل، وظُلْمة

(١) النساء:٥٦
(٢) تفسير النَّسَفِي: (٣٢٠/١).
(٣) هود:١٠٨
(٤) الرعد:٣٥
(٥) النحل:٩٦
(٦) الواقعة:٣٣
(٧) المصدر السابق: (٧٤٦/٢).
(٨) التوبة:١٠٠
(٩) الحِجر:٤٨
(١٠) هود:١٠٨
(١١) ص:٥٤
(١٢) الدخان:٥٦
(١٣) الأنعام:١

البحر، وظُلْمة الموضع المُظْلِم، يُخالف كل واحد منهما صاحبه، والنُّور: ضَرْبٌ واحدٌ، لا يختلف كما تختلف الظُّلُمات، وقدَّم الظُّلُمات، لقوله عليه الصلاة والسلام: ((خَلَقَ الله خَلْقه في ظُلْمة، ثُمَّ رَشَّ عليهم من نُوْره، فمن أصابه ذلك النُّور اهتدى، ومَنْ أخطأه ضَلّ))[١]،[٢].

قال الشوكاني[٣]: والظُّلُمات: تشمل كلَّ ما يطلق عليه اسم الظُّلْمة، والنُّور: يشملُ كلَّ ما يطلق عليه اسم النُّور، فيدخل تحت ذلك ظُلْمة الكفر ونور الإيمان، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾[٤].وأفرد النُّور لأنَّه جِنْسٌ يشمل جميع أنواعه، وجَمَع الظُّلُمات لِكُثْرة أسبابها، وتعدد أنواعها، وقدَّمها على النُّور، لأنها الأصل، ولهذا كان النَّهار مسلوخاً من الليل[٥].

رَدُّ الإمام النَّسَفِي على المُرْجِئَة:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٦] يقول: "فيه رَدٌّ على المُرْجِئة في قولهم: لا يَضُر مع الإيمان ذَنْبٌ ولا يُعَذَّب بالنَّار أصلاً، وعندنا غير الكافرين قد يدخلوها ولكن عاقبة أمره الجنة "[٧].

رَدُّ الإمام النَّسَفِي على الباطنية:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾[٨] يقول: «والآية: حُجَّةٌ على الباطنية فإنَّهم يَدَّعُونَ ذلك العِلْم لإمامهم فإنْ لم يثبتوا النُّبوة له صاروا مخالفين للنَّص حيث

---

(١) سنن الترمذي: (٢٦/٥)، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق الأمة، رقم الحديث (٢٦٤٢) وقال: حديث حسن. وأحمد في مسنده: (١٧٦/٢)، رقم الحديث (٦٦٤٤). صححه الألباني في السلسة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، (٦٣/٣)، رقم الحديث (١٠٧٦)، مكتبة المعارف – الرياض.

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٤٨٩/١).

(٣) هو الإمام العلامة الفقيه محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، ولد بهجرة (شوكان) سنة ١١٧٣هـــ، ونشاء بصنعاء، وتلقى العلم على شيوخها، حتى صار عالمًا كبيرًا يشار إليه بالبنان، توافد عليه الطلاب من كل مكان، اشتغل بالقضاء والإفتاء، وكان داعية إلى الإصلاح والتجديد، ترك التقليد وسلك طريق الاجتهاد، وعُرِف بالجد والمثابرة في تحصيل العلم وتبليغه، ولِّي القضاء سنة ١٢٣٩هـــ، وتوفي سنة ١٢٥٠هـــ، من مؤلفاته: فتح القدير في التفسير، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخيار في الحديث، وإرشاد الفحول في الأصول. انظر: ترجمة المؤلف لنفسه في كتابه، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: (٢١٥/٢)، دار المعرفة – بيروت. والأعلام، للزركلي، (٣٩٨/٦). وأعلام المؤلفين الزيدية، لعبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـــ – ١٩٩٩م، (٧١٥).

(٤) الأنعام:١٢٢

(٥) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار بن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق- بيروت- الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، (١١٣/٣).

(٦) آل عمران:١٣٢

(٧) تفسير النَّسَفِي: (٢٥٢/١).

(٨) آل عمران:١٧٩

أثبتوا عِلْم الغيب لغير الرسول، وإن لم أثبتوا النُّبوة له صاروا مخالفين لنَصٍ آخر، وهو قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]»[2].

فدعواهم عِلْم الغيب دعوى غير مُسَلَّمٌ بها، لأنها مخالفة للنصوص الصحيحة الصريحة، فلا يعلم الغيب إلا الله، فلا يعلمه مَلَكٌ، ولا يعلمه رسول، حتى أن أشرف الرسل الملكي – جبريل- سأل أشرف الرسل البشري ـ ﷺ ـ قال: ((أخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل))[3]، والمعنى: كما أنَّه لا عِلْم لك بها، فلا عِلْم لي بها أيضاً.

فمن ادَّعى عِلْم الساعة، أو ادَّعى علماً مطلقاً فهو كاذب وكافر، ومن صدَّقه فهو أيضاً كافر، لأنَّه مكذبٌ بالقرآن.

رَدُّ الإمام النَّسَفِي على الرَّوَافِض:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[4] يقول: «أفلا يتأملون معانيه ومبانيه، والتَّدَبُّر: التَّأمُل والنَّظر في أدْبَار الأمر، وما يؤول إليه في عاقبته، ثُمَّ استعمل في كل تَأَمُّل، والتفكر: تصرف القلب بالنظر في الدلائل، وهذا يَرُدُّ قول من زَعَم من الرَّوَافِض أنَّ القرآن لا يُفْهَم معناه: إلا بتفسير الرسول ـ ﷺ ـ والإمام المعصوم، ويدلُّ على صحة القياس، وعلى بُطْلان التقليد»[5].

ثانياً: مذهب الإمام النَّسَفِي في الفقه:

إنَّ النَّاظر والمتأمِّل في تفسير الإمام النَّسَفِيُّ – رحمه الله- يجد أنَّه كان متمسكاً بالمذهب الحنفي تبعاً لمشائخه، فأصبح إماماً من أئمة المذهب الحنفي، وفقهياً من فقهائه، وعالماً أصولياً، ألَّفَ في الفقه الحنفي وأصوله كتباً شتى، منها:

١- الوافي في فروع الفقه الحنفي.

٢- الكافي شرح الوافي.

٣- كنز الدقائق اختصر فيه الوافي، والذي جعله خالصاً في الفقه الحنفي، إلى غير ذلك من المؤلفات، كما أنَّ آراءه الفقهية المبثوثة في تفسيره تدلُّ على ذلك.

---

(١) الأحزاب: ٤٠

(٢) المرجع السابق: (١/٢٧٣-٢٧٤).

(٣) صحيح البخاري: (١/٢٧)، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي – ﷺ-، رقم الحديث (٥٠)، عن أبي هريرة، وصحيح مسلم، (١/٢٨)، كتاب الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر، رقم الحديث (١٠٢)، عن ابن عمر.

(٤) النساء: ٨٢

(٥) تفسير النَّسَفِي: (١/٣٣٢).

وهذه نماذج من تفسيره تَدلُّ على أنَّه كان يأخذ بالمذهب الحنفي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[(١)] يقول: "وقيل: الإتمام يكونُ بعد الشُّروع، فهو دليلٌ على أنَّ مَنْ شَرَعَ فيهما لَزِمَه إتمامهما، وَبِه نقول: إنَّ العُمْرة تُلْزَم بالشُّروع، ولا تمسك للشافعي[(٢)]- رحمه الله - بالآية على لزوم العمرة، لأنه أمر بإتمامهما"[(٣)].

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[(٤)] يقول: " فيحتمل أنْ تُصْرف إلى الأصناف كُلِّها وأنْ تُصْرف إلى بعضها كما هو مذهبنا"[(٥)].

ومذهب الحنفية في ذلك جواز صرف الزكاة إلى صنف واحد كما هو مذهب الجمهور، بخلاف الشافعية الذين يقولون: أنه يجب صرف جميع الصدقات الواجبة سواءً الفطرة أو زكاة الأموال إلى ثمانية أصناف[(٦)].

والذي يظهر لنا: بعد النَّظر في أقوال العلماء وأدلتهم: أن النبي - ﷺ- لم يذكر إلا صنفاً واحداً، وهذا يدل على أن الآية يبين الله تعالى فيها جهة الإستحقاق، وليس المراد أنَّه يجب أن تُعَمَّم هذه الأصناف، لقول النبي - ﷺ- لمعاذ بن جبل- رضي الله عنه- حين بعثه إلى اليمن: "أعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم"[(٧)].

لكن إذا قيل: أيُّها أولى أن يُصرف فيه الزكاة؟ قلنا: إنَّ الأولى ما كانت الحاجة إليه أشد، لأن هؤلاء استحقوا بوصف، فمن كان أشد إلحاحاً وحاجة فهو أولى، والغالب أنَّ الأشد هم الفقراء والمساكين، ولهذا بدأ الله بهم فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾.

---

(١) البقرة:١٩٦

(٢) هو: الإمام العَلَم أبو عبدالله محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع بن السائب بن العباس القرشي، علم قريش، قال: إسحاق بن راهويه: قال: لي أحمد بن حنبل بمكة تعال حتى أُريك رجلاً لم تر عيناك مثله، فأقامني على الشافعي، ولد بعسقلان في فلسطين سنة ١٥٠هـ، وكان – مع إمامته في الفقه والحديث- حجة في اللغة والشِّعر، أسَّس مذهباً فقهياً نُسب إليه، وهو أوَّل من ألَّف في علم أصول الفقه على الأرجح، من أهم مؤلفاته: الأم في الفقه والحديث، والرسالة في الأصول، وأحكام القرآن في التفسير، توفي بالقاهرة سنة ٢٠٤هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، (٣٦/١)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٥/١)، وطبقات الحفاظ، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: (١٥٧)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(٣) تفسير النَّسَفي: (١٤٠/١)

(٤) التوبة:٦٠

(٥) المرجع السابق: (٦٣١/١).

(٦) الفقه الإسلامي وأدلته، لوهبة الزُّحيلي: (٢٩٥/٣-٢٩٦)، دار الفكر- دمشق- سوريا- الطبعة الرابعة.

(٧) صحيح البخاري: (٥٠٥/٢)، كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، رقم الحديث (١٣٣١). وصحيح مسلم: (٣٨/١)، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم الحديث (١٣٢).

المطلـــب الرابع
نتاجه وآثاره العِلْمِيَّة ومؤلفاته

للإمام النَّسَفِي – رحمه الله – مؤلفات كثيرة في فنون شتى، حيث (كان بارعاً في الفقه والأصول والتفسير والعربية واللغة وغيرها من العلوم)[1].

وغالب مؤلفاته في علم الفقه وأصوله، منها المتون والمختصرات، ومنها الشروح التي اعتنت فيها بالأدلة والتعليلات والمناقشات، كما كتب في علم التفسير، وفي التوحيد والعقائد، وفي الحديث النبوي، وفي فضائل الأعمال، وفي علوم الآخرة.

وقد بلغت مؤلفاته سبعة عشر كتاباً، ما بين مختصرات ضَمَّت فروعَ علومٍ عديدة، وما بين شروح لكتبٍ أَلَّفَها هو، أو لكتبِ أئمةٍ سبقوه، كلها نافعة جليلة معتبرة مشتهرة، متداولة عند الفقهاء، مطروحة لأنظار العلماء تشهد له بإمامته، وسعة علمه وتقدُّمَه واجتهاده[2].

وأذكر فيما يأتي ما وقفت عليه من ذلك، مقدماً بالذكر منها ما يتعلق بكتاب الله –تعالى– وهو في علم التفسير، ثم ما كتبه في التوحيد والعقائد، ثم ما كتبه في السنة النبوية، ثم ما كتبه في الفقه وأصوله.

أولاً: كتابه في علم التفسير:

وهو كتابه في التفسير الذي نحن بصدد دراسته المسمى (مدارك التتريل وحقائق التأويل) الذي اشتهر باسم (تفسير النَّسَفِي) وهو كتاب وسط في التفسير والتأويلات، جامع لوجوه الإعراب والقراءات، متضمن لدقائق علم البديع والإشارات، وقد جعله مؤلفه حالياً بأقاويل أهل السُّنَّة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البِدع والضلالة، ليس بالطويل المُمِلِّ، ولا بالقصير المُخِلِّ[3].

ولعلَّ القارئ لتفسير الإمام النَّسَفِيُّ –رحمه الله– يكاد يلاحظ أنه مختصرٌ من تفسير الكشاف للزمخشري[4]،

(١) المنهل الصافي، لابن تغري بردي: (٧١/٧).

(٢) الفوائد البهية، للكنوي: (ص١٠٢).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١٣– ١٤)كما جاء في مقدمته.

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النَّحْوي، اللُّغوي المتكلم المعتزلي المُفَسِّر، ويلقب بجار الله، لأنه جاور بمكة زمناً، ولد في رجب سنة ٤٦٧هـــ بـــ (زمخشر) كان ممن برع في الأدب والنحو واللغة، وكان إمام عصره، وكان متظاهراً بالاعتزال داعية إليه، من مؤلفاته: الكشاف في التفسير، و الفائق في غريب الحديث، و أساس البلاغة، و ربيع الأبرار، و المفصل في النحو، وغير ذلك، مات ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـــ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (١٠٤)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـــ. ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، (١٨٦/١٢).

وتفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي[1].

ولأن الإمام النَّسَفِيُّ -رحمه الله- من أهل السُّنَّة والجماعة وهو حنفي المذهب، لذا فقد ترك ما في الكشاف من الإعتزالات، واستخلص منه النكت البلاغية، والمُحَسِّنات البديعية، والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية، فجاء تفسيره هذا وسط بين الطول والقِصَر، والإمام النَّسَفِيُّ -رحمه الله- في تفسيره يسير على طريقة الأسئلة والأجوبة والتي لم يجعلها ظاهرة مثل الزمخشري الذي كان يقول: (فإن قيل.. قلت...) بل جعل ذلك في الغالب كلاماً مدرجاً فيه من ضمن شرحه للآية[2].

ورغم أنه يصنَّف ضمن كتب التفسير بالرأي، إلا أنه لم يغفل جانب التفسير بالمأثور، فكثيراً ما كان صاحبه يفسر القرآن بالقرآن، وبالسُّنَّة المطهرة ولكن عنايته بذلك ليست كثيرة، وبأقوال الصحابة والتابعين، ما يوضح المعاني ويبين الأحكام المتعلقة بالآية، وكان يهتم بذكر أسباب النزول ويورد في ذلك الصحيح والضعيف، واستعرض فيه كثيراً من القراءات القرآنية المتواترة والشاذة مع التوجيه لها والترجيح بينها.

وكذلك يتعرض للكلام في أصول الفقه، فهو يرى أن الإجماع حجة لا يجوز مخالفتها، وأن القياس حجة أيضاً، كما كان يقول بجواز الاجتهاد ويدعو لذلك.

ويمتاز تفسير النَّسَفِي بإقلاله من الإسرائيليات، وابتعاده عنها، إلا أنه لم يسلم من الإسرائيليات رغم احتياطه وتحفظه، فيذكر روايات دون أن يعقب على ذلك، بل دون أن يحترز من ذكر مثل هذه الأقوال التي لا سند لها من الأحاديث الصحيحة.

كما أنه لم يتوسع في الإعراب، ولم يدخل فيه تفصيلات فرعية، تُشَتِت الذِهن، وتَبْتَعِد بالقارئ عن الجو القرآني.

وكما أشرت أن الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- من الحنفية، والمشهور عن الحنفية أنهم أهل الفقه، فقد تعرض للكلام في بعض المسائل الفقهية، ويذكر آراء الفقهاء في المسألة الواحدة، ونجده يرجع أحياناً[3]، ويستعرض الآراء بدون ترجيح أحياناً أخرى[4]، ويدافع عن مذهبه الحنفي وكان ينتصر له في أغلب الأحيان[5].

هذه من الميزات التي امتاز بها الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- وكان جُلَّ هَمِّه مُنْصَبَّاً على الدفاع عن أهل السُّنَّة والجماعة، والرَّد على غيرهم.

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي، الشيرازي الشافعي ناصر الدين أبو سعيد، قاضي القضاة، عالم الفقه والتفسير، من مؤلفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل في تفسير القرآن، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، وتحفة الأبرار في شرح المصابيح، وغيره، كانت وفاته في بلدة تبريز سنة ٦٨٥هـ. انظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي: (ص٢٥٤)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة- الطبعة الأولى، ١٩٩٧م. ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: (٢/٢٦٦)، وهدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي: (٥/٤٦٢- ٤٦٣).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي، (٤/٧٥).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١/١٥٦).

(٤) المصدر نفسه: (١/٣٨٢).

(٥) المصدر نفسه: (١/١٤٠-١٤١).

ثانياً: مصنفاته في علم التوحيد والعقائد:

١- عمدة العقائد:

ويُسَمَّى: العُمْدَة في أصول الدين، كما يُسَمَّى أيضاً عُمْدة عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وهو مختصرٌ يحتوي على أهم قواعد العقائد الإيمانية عند أهل السُّنَّة والجماعة، وللعلماء عناية خاصة به، ولهم عليه شروح عديدة، وقد شرحه المُصَنِّف نفسه وَسَمَّاه (الاعتماد شرح العُمْدة) ويُسَمَّى اختصاراً (اعتماد الاعتقاد)[١].

٢- الاعتماد شرح العُمْدة[٢]:

وهو شرح للكتاب السَّابق الذِّكر الذي أَلَّفه المُصَنِّف نفسُه في العقيدة، وهو مصنَّف يقع في حوالي خمس وعشرين ومائتين صفحةً، انتهى من تأليفه الإمام النَّسَفِي سنة ٦٨٨هـ، كما ذكر ذلك في نهاية المُصَنَف، قَصَد منه الإمام النَّسَفِي شرحه المُعْضِلات والمُشْكِلات التي جاءت في العُمْدة وتبسيطها للقارئ كما جاء في أولها: (لَمَّا رأيت الهمم مايلة إلى العُمْدة التي صنفتها في شأن أهل السُّنَّة والجماعة وهي وإن كانت مشحونة بالروايات غير خالية عن الدراسات فهي مفتقرة إلى شرح موضح للمشكلات مبين للمعضلات، أردت أن أجمع كتاباً فيه شرح مسايلها وبسط دلايلها بتوفيق خالق العباد مسمى بالاعتماد في الاعتقاد، والله كاف من توكل عليه، معين من فوض أموره إليه، وهو حسبي ونعم الوكيل)[٣].

٣- اللآلئ الفاخرة في علوم الآخرة:

ذكره له صاحب هدية العارفين[٤].

ثالثاً: مصنفاته في السنة النبوية:

١- فضائل الأعمال:

ذكره صاحب هدية العارفين[٥]، وأشار إليه صاحب كشف الظنون[٦].

---

(١) كشف الظنون، لحاجي خليفة: (١١٦٨/٢).

(٢) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي: (٤٦٤/٥).

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) كشف الظنون، لحاجي خليفة: (٣٧٩/٥).

رابعاً: مصنفاته في الفقه وأصوله:

١- الوافي: في فروع الفقه الحنفي[(١)]:

وهو كتاب مقبول معتبر نفيس، قال فيه النَّسَفِيُّ: (ما كانَ يخْطُر ببالي إبَّان- وقت- فراغي أن أُؤلِّف كتاباً جامعاً لمسائل الجامعَيْن والزيادات، حاوياً لِمَا في المختصر[(٢)] ونَظْم الخلافيات[(٣)]، مشتملاً على بعض مسائل الفتاوى والواقعات، فألَّفته وأتممته في أسرع وقت وسمَّيته بالوافي في فروع الفقه الحنفي[(٤)].

٢- الكافي في شرح الوافي:

وهو كتاب كبيرٌ شَرَحَ فيه كتابه الوافي السابق الذكر يقول الإمام النَّسَفِيُّ - رحمه الله- في مقدمته: (لَمَّا فَرَغْتُ من المختصر المُسَمَّى بالوافي أردت أن أشرحه شرحاً أوسِمَه بالكافي على وجه يكون مُغْنياً عن المُطَوِّلات، وحاوياً لوجوه الاستدلالات، موضحاً لِمَا أُبهم في الهداية من النُّكات وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) [(٥)].

٣- كتر الدقائق[(٦)]:

وهو مختصر في فروع الفقه الحنفي اختصر فيه الإمام النسفي كتاب الوافي في فروع الفقه الحنفي، وقد شرحه ابن نجيم، في كتابه البحر الرائق شرح كتر الدقائق فقال في مقدمته: (... وإن كتر الدقائق للإمام حافظ الدين النسفي أحسنُ مختصرٍ صُنِّف في فقه الأئمة الحنفية...) [(٧)].

٤- منار الأنوار[(٨)]:

وهو متن في علم أصول الفقه، وهو جامع مختصر نافع، وقد اعتنى العلماء كثيراً بشأنه، ولهم عليه شروح وحواشي كثيرة[(٩)].

---

(١) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي: (٦٦٤/٥)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: (٧٨٩/٢)، وتاج التراجم، لابن قطلوبغا: (١٧٥).

(٢) أي: مختصر القدروي كما جاء في كتر الدقائق، لأبي البركات النَّسَفِي: (ص٣٢).

(٣) أي: منظومة أبي حفص النَّسَفِي كما جاء في كتر الدقائق، لأبي البركات النَّسَفِي: (ص٣٢).

(٤)كشف الظنون، لحاجي خليفة: (٧٨٩/٢).

(٥) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي: (٤٦٤/٥)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: (٣٧٩/٥)، وتاج التراجم، لابن قطلوبغا: (ص١٧٥).

(٦) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي: (٤٦٤/٥)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: (٣٧٩/٥)، وتاج التراجم، لابن قطلوبغا: (ص١٧٥).

(٧) البحر الرائق في شرح كتر الدقائق، للشيخ زين الدين الشهير بابن نجيم الحنفي، (٢/١)، دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثانية.

(٨) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي: (٤٦٤/٥). وتاج التراجم، لابن قطلوبغا: (ص١٧٥).

(٩) كشف الظنون، لحاجي خليفة: (١٨٢٣/٢).

٥- **كشف الأسرار شرح منار الأنوار**[١]:

وهو شرح للمختصر - السابق الذكر - الذي ألّفه في علم أصول الفقه، و لم يكن هذا المصنف مقتصراً على أصول الفقه، بل أورد فيه الإمام النَّسَفِي مسائل متنوعة في العقائد يسميها من بعض الإجابة بالتفرقات[٢].

٦- **المصفى شرح المنظومة النسفية**[٣]:

المنظومة النَّسَفِيَّة التي شرحها أبو البركات النَّسَفِي في هذا الكتاب هي لإمام نَسَفِي آخر متقدم عليه وهو نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد المولود سنة ٤٦١هـ والمتوفى سنة ٥٣٧هـ، وعدد أبيات هذه المنظومة ألفين وستمائة وتسع وستين بيتاً، وقد أتمها سنة ٥٠٤هـ وطبعت حديثاً وأولها:

باسم الإله رب كل عبد   والحمد لله ولي الحمد

وآخرها:

وجملة الأبيات يا صدر الفئة   ألفان والستون والستمائة

وتسعة والله يجزي ناظـمه   جنات عدن وقصور ناعمة

قال الإمام النَّسَفِي -رحمه الله-: «لما فرغتُ من جَمْع شرح النافع وإملائه وهو المستصفى من المستوفى، سألني بعض إخواني أن أجمع للمنظومة شرحاً مشتملاً على الدقائق والحقائق، فشرحتُها وسمَّيتُه: المصفَّى، وقد كان اختتام جمع هذا الكتاب لسبعٍ بقين من صفر سنة سبعين وستمائة، وقد تمَّ الفراغ من إملائه في شعبان سنة سبعين وستمائة»[٤].

٧- **المستصفى شرح الفقه النافع**[٥]:

وهو شرح مختصر من شرحه الآخر المطول لكتاب الفقه النافع، الذي سَمَّاه (المستوفى)، وأنبه هنا إلى أنَّ بعض التراجم[٦] سمَّت هذا الكتاب (المنافع شرح النافع).

٨- **المستوفى في شرح الفقه النافع**[٧]:

وهو شرحٌ مطوَّل لكتاب: (الفقه النافع) الذي اختصره في المستصفى كما تقدم في نفس الصفحة، وأشار إليه الإمام النَّسَفِي في قوله: «لَمَّا فرغتُ من جَمْع شرح النافع وإملائه وهو المستصفى من المستوفى»[١].

---

(١) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي: (٤٦٤/٥). تاج التراجم لابن قطلوبغا: (ص١٧٥)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: (٦٦٢/٢).

(٢) تاج التراجم لابن قطلوبغا: (ص١٧٥)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: (٦٦٢/٢).

(٣) تاج التراجم لابن قطلوبغا: (ص١٧٥)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: (٣٧٩/٥).

(٤) كشف الظنون، لحاجي خليفة: (٣٧٩/٥)، وانظر: كنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفِي: (ص٣٧).

(٥) كنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفِي: (ص٣٧).

(٦) كالجواهر المضية، للقرشي: (٢٩٤/٢)، وتاج التراجم، لابن قطلوبغا: (١٧٤)، والدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني: (٢٤٧/٢).

(٧) كشف الظنون، لحاجي خليفة: (٣٧٩/٥)، وانظر: كنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفِي: (ص٤٠).

(١) كشف الظنون، لحاجي خليفة: (٣٧٩/٥).

٩- **الشافي: في فروع فقه الحنفية:**

ذكره محقق تاج التراجم[١].

٨- العطف من الكشف:

وهو شرح آخر للمنار مختصر ألطف من شرحه كشف الأسرار، وقد سَمَّاه بهذا صاحب الطبقات السَّنِيَّة[٢].

٩- **شرح المنتخَب في أصول الفقه:** وهو شرح مطول.

١٠- شرحٌ آخر مختصر لـــ (المنتخَب في أصول الفقه).

وهو شرحٌ مختصرٌ نافع، وقد ذكر الشرحين المُطَوَّل والمُخْتَصَر صاحب كشف الظنون[٣]، وهدية العارفين[٤].

---

(١) انظر: تاج التراجم، لابن قطلوبغا: (ص١٧٥)، وكنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفِي: (ص٤٠).

(٢) انظر: الطبقات السَّنِيَّة، لتقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (١٥٥/٤)، وكنز الدقائق لأبي البركات النَّسَفِي: (ص٤٢).

(٣) كشف الظنون، لحاجي خليفة: (١٨٤٩/٢).

(٤) هديه العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي: (٤٦٤/١)، وانظر: كنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفِي: (ص٤٢).

الفصل الثاني

منهج الإمام النَّسَفِي في تفسيره

المبحث الأول: تفسير الإمام النَّسَفي للقرآن بالمأثور

المبحث الثاني: تفسير الإمام النَّسَفي للقرآن باللغة

المبحث الثالث: تفسير الإمام النَّسَفي للقرآن بالرأي

المبحث الأول

تفسير الإمام النَّسفي للقرآن بالمأثور

المطلب الأول : تفسير الإمام النَّسَفي للقرآن بالقرآن

المطلب الثاني : تفسير الإمام النَّسَفي للقرآن بالسنة

المطلب الثالث : تفسير الإمام النَّسَفي للقرآن بأقوال الصحابة

المطلب الرابع : تفسير الإمام النَّسَفي للقرآن بأقوال التابعين

المطلب الخامس : عناية الإمام النَّسَفي بأسباب النزول

المطلب السادس : عناية الإمام النَّسَفي بالقراءات

الفصل الثاني: منهج الإمام النَّسَفِي في تفسيره

المبحث الأول: تفسير الإمام النَّسَفي للقرآن بالمأثور

المطلب الأول: تفسير الإمام النَّسَفي القرآن بالقرآن

تفسير القرآن بالقرآن يُعدُّ أقوى أنواع التفسير[١]، قال ابن تيمية – رحمه الله-: "إنَّ أصح الطرق في ذلك أنْ يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكانٍ فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر"[٢].

والإمام النَّسَفِيُّ – رحمه الله- أهم ما يميز تفسيره أنَّه غيرُ طويلٍ مُمِلٍّ ولا قصير مُخِلٍّ، ورغم أنَّه يُصَنَّف ضمن كتب التفسير بالرأي، إلا إنَّه لم يُغْفِل جانب التفسير بالمأثور، فكثيراً ما كان يفسر القرآن بالقرآن، فعند تفسيره للآية القرآنية كثيراً ما يستشهد بأية أو آيات من كتاب الله – عَجَلَّ- على ما ذهب إليه، بياناً لتلك الآية، أو تأكيداً لمعناها، والأمثلة على استشهاده بالقرآن في تفسيره كثيرة ومن ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٣] قال: «وقيل: المغضوب عليهم: هم اليهود؛ لقوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[٤]، والضالون: هم النصارى؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾[٥] »[٦].

ويرى الباحث: أنَّ كل من علم بالحق، و لم يعمل به، فيلحق باليهود، وكذا كل من عمل بغير الحق جاهلاً به فيلحق بالنصارى.

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[٧] قال: «أي: استقبلها بالأخذ والقبول واتصلت به،.... على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به، وهذا قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٨]»[٩].

---

(١) قواعد التفسير جمعاً ودراسة، لخالد بن عثمان السبت: (١٠٩/١)، دار ابن عفَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٢) شرح مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح وتعليق: الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (ص٩١)، دار ابن الجوزي - القاهرة – الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٣) الفاتحة:٧

(٤) المائدة:٦٠

(٥) المائدة:٧٧

(٦) تفسير النَّسَفِي: (٢٢/١).

(٧) البقرة:٣٧

(٨) الأعراف:٢٣

(٩) المصدر السابق: (٦٣/١).

والذي يظهر للباحث: أنَّ في الآيات تظهر منة الله على آدم بقبول التوبة، فيكون في ذلك منَّتان، الأولى: التوفيق للتوبة، حيث تلقى الكلمات من الله، والثانية: قبول التوبة، حيث قال تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[1].

٣- وعند تفسيره لقوله - ﷻ-: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ [2] يبين معنى الإضاءة فيقول: «الإضاءة: فرطُ الإنارة، ومِصْداقه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [3]» [4].

ويتبين لنا مِن الآية أنَّ الإيمان نور له تأثير حتى في قلب المنافق؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ فالإيمان أضاء بعض الشيء في قلوبهم، ولكن لما لم يكن على أسس لم يستمر.

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[5]، فَسَّرَ بناءً: سقفاً، واستدل بآية الأنبياء فقال: «والسماء بناءً: سقفاً، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [6]»[7].

٥- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [8]، يبين معنى تظلمون فيقول: «ولا تنقصون، كقوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [9]، أي: لم تنقص»[10].

---

(١) البقرة:٣٧

(٢) البقرة:١٧

(٣) يونس:٥

(٤) تفسير النَّسَفِي: (١/٤٠).

(٥) البقرة:٢٢

(٦) الأنبياء:٣٢

(٧) المصدر السابق: (١/٤٦).

(٨) البقرة:٢٧٢

(٩) الكهف:٣٣

(١٠) المصدر السابق: (١/١٩٠).

المطلب الثاني

تفسير الإمام النَّسَفي القرآن بالسنة

إنَّ تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة يُعَدُّ أصح طرق التفسير بعد القرآن فهي شارحة ومبيِّنة وموضحة له[1].

وبما أن رسول الله – ﷺ – هو أعلم الناس بمراد كلام الله، فقد بين الله – ﷻ– مهمة الرسول – ﷺ– في بيان القرآن – الكريم–، وإيضاح المراد بآياته للناس فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] وقال – أيضاً– جلَّ ذِكْره: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

والإمام النَّسَفِيُّ – رحمه الله– نهج في تفسيره المأثور عن رسول الله – ﷺ–، غير أن عنايته بذلك ليست كثيرة، فهو لم يهتم بعزو الأحاديث إلى مخرجيها من أصحاب الكتب الستة وغيرهم، في كل أحواله، ولا يتكلم على الحديث من حيث السَّند و المتن، أو الصحة و الضعف، أو القبول و الرد.

ومن الأمثلة على تفسيره القرآن بالسنة:

١– ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[4] حيث قال: «لا ريب: لا شك، وهو مصدر رابني إذا حصل فيك الرِّيبة، وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها، ومنه قوله – عليه السلام–: ((دَعْ ما يَرِيْبُك إلى ما لا يَرِيْبُك))[5]، فإنَّ الشَّكَ ريبة، وإنَّ الصِّدق طُمأنينة»[6].

٢– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[7] يوضح سبب تقديم يوضح سبب تقديم ذوي القربى على غيرهم، وفضل الصدقة عليهم بحديث رسول الله – ﷺ– فيقول: «ذوي القُربى:

---

(١) شرح مقدمة في أصول التفسير، (لابن تيمية)، شرح ابن عثيمين: (ص٩١).

(٢) النحل:٤٤

(٣) النحل:٦٤

(٤) البقرة:٢

(٥) سنن الترمذي، (٤/٦٦٨)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث (٢٥١٨)، وقال: حسن صحيح. وسنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة (٣٠٣هـ): (٣/٢٣٩) باب: الحث على ترك الشبهات، رقم الحديث (٥٢٢٠)، تحقيق: د/عبد الغفار سليمان البنداري – سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م. وأحمد في مسنده، (٣/١٥٣) رقم الحديث (١٢٥٧٢). وكلهم من حديث الحسن بن علي – رضي الله عنهما–، وصححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (ص٥٦٩)، رقم الحديث (٥٦٨٩).

(٦) تفسير النَّسَفِي: (١/٢٥).

(٧) البقرة:١٧٧

أي: القَرابة، وقدَّمهم؛ لأنهم أحقُّ، قال رسول الله - ﷺ-: ((صدقتك على المسكين صدقة، وعلى ذوي رحمك صدقة وصلة))[١]»[٢].

٣- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[٣] يفسر معنى يُرْبِي فيقول: «ويُرْبِي الصدقات: يُنَمِيها، ويزيدها، أي: يزيد المال الذي أُخرجت منه الصدقة، ويبارك فيه، وفي الحديث: ((ما نقصت زكاة مِنْ مالٍ قطّ))[٤]»[٥].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾[٦] يبين معنى قُرُوء فيقول: «ثلاثة قُرُوء: جمع قَرء أو قُرء، وهو الحيض، لقوله ﷺ: ((دعي الصلاةَ أيام أقرائك))[٧]، وقوله: ((طلاق الأمة تطليقتان وعِدَّتُها: حيضتان))[٨] ولم يقل: طُهْران، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ ﴾[٩] فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطْهار»[١٠].

---

(١) مسند الإمام أحمد: (١٧/٤)، رقم الحديث (١٦٢٧٢)، وسنن الترمذي: (٤٦/٣)، كتاب الزكاة، باب: الصدقة على ذوي القرابة، رقم الحديث (٦٥٨). وسنن النسائي: (٤٩/٢)، كتاب الزكاة، باب: الصدقة على الأقارب، رقم الحديث (٢٣٦٣). وسنن ابن ماجه: (٥٩١/١)، كتاب الزكاة، باب: فضل الصدقة، رقم الحديث (١٨٤٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت. من حديث سلمان بن عامر. وصححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني: (ص٧٣١)، رقم الحديث (٧٣٠٥).

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١٥٣/١-١٥٤).

(٣) البقرة:٢٧٦

(٤) صحيح مسلم: (٢١/٨)، كتاب البر والصلة والآدب، باب: اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ، رقم الحديث (٦٧٥٧). من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ، بلفظ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)).

(٥) تفسير النَّسَفِي: (٢٢٥/١).

(٦) البقرة:٢٢٨

(٧) سنن أبي داوود: (١١٣/١)، كتاب الطهارة، باب: فِى الْمَرْأَةِ تُسْتَحَاضُ وَمَنْ قَالَ تَدَعُ الصَّلاَةَ فِى عِدَّةِ الأَيَّامِ الَّتِى كَانَتْ تَحِيضُ، رقم الحديث (٢٨١). وسنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، المتوفى سنة (٣٨٥هـ): (٢١٢/١)، كتاب الحيض، رقم الحديث (ص٣٦)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م. وصححه الألباني في: صحيح أبي داوود، محمد ناصر الدين الألباني، (المتوفى سنة ١٤٢٠هـ): (٩٩/٢)، باب: من قال: تغتسل من طهر إلى طهر، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(٨) سنن أبي داوود: (٢٢٣/٢)، كتاب الطلاق، باب: فِي سُنَّةِ طَلَاقِ الْعَبْدِ، رقم الحديث (٢١٩١). وسنن الترمذي: (٤٨٨/٣)، كتاب الطلاق، باب: ما جاء أن طلاق الأمة تطليقتان، رقم الحديث (١١٨٢). وسنن ابن ماجه: (٦٧٢/١)، كتاب الطلاق، باب: في طلاق الأمة وعدتها، رقم الحديث (٢٠٨٠)، وكلهم من حديث عائشة – رضي الله عنها-. قال الألباني: ضعيف. انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، للألباني: (ص٨٠٩)، رقم الحديث (٨٠٨٩).

(٩) الطلاق:٤

(١٠) تفسير النَّسَفِي: (١٨٩/١).

ويظهر للباحث: أنَّ الآية تدل على أنَّ العدة تعتبر بالحيض لا بالطهر، وهذا من أقوى أدلة الحنفية، ومما أجمع العلماء عليه: أنَّ الاستبراء في شراء الجواري يكون بالحيض، فكذا العدة ينبغي أن تكون بالحيض؛ لأنَّ الغرض واحد وهو براءة الرحم، ومما يدلّ على أن المراد القُرء: الحيض قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [1] وهذا هو الحيض والحمل عند عامة المفسرين.

٥- تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [2] يبين معنى هذه الآية بقول النبي - ﷺ- حيث قال: «تمسكوا بالقرآن لقوله - ﷺ-: ((القرآن حبلُ الله المتين، لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ مِن كَثْرَةِ الرَّد، مَن قال بِه صَدَق، ومن عَمِلَ به رَشد، ومن اعتَصَمَ به هُدِيَ إلى صِراطٍ مُستَقِيم))[3]» [4].

---

(١) البقرة:٢٢٨

(٢) آل عمران:١٠٣

(٣) سنن الترمذي: (١٧٢/٥)، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن، رقم الحديث (٢٩٠٦). وقال: هذا حديث إسناده مجهول وفي الحارث الأعور مقال. وقال الألباني: ضعيف. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، (٤١١/١٣)، رقم الحديث (٦١٨٩) مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٢٤١/١).

المطلب الثالث

تفسير الإمام النَّسَفي للقرآن بأقوال الصحابة

الصحابة – رضي الله عنهم– جميعاً – لهم من المنزلة العظمى، والمكانة الكُبرى ما ليس لغيرهم فقد اختارهم لصحبة نبيه – صلى الله عليه وسلم–، فهم أعلم الناس بَعْدَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بمعنى كلام الله – تعالى–؛ لأنهم عاصروا التتريل؛ ولأنهم أدرى بكتاب الله؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، وطالهم من الفهم التَّام والعلم الصحيح[1].

ولذا فقد اعتنى الإمام النَّسَفِيُّ – رحمه الله– واهتم بذكر أقوال الصحابة في تفسيره، وما ذلك إلا دراية منه بأهمية ذلك، فقد أكثر النقل عن ابن عباس[2] – رضي الله عنهما– وعن غيره.

١ – فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾[3]، قال: «وحُدوه، قال ابن عباس – رضي الله عنهما– كل عبادة في القرآن هي توحيد[4]»[5].

ويرى الباحث: ومما يؤكد قول الإمام: تعميم النداء لجميع الناس، مما يدل على أن العبادة أهم شيء؛ بل إن الناس ما خُلقوا إلا للعبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[6] ووجوب العبادة علينا مما يقتضيه العقل، بالإضافة إلى الشرع؛ لقوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ فإن الرب يستحق أن يُعبد وحده، ولا يعُبد غيره، والإقرار بتوحيد الربوبية مستلزم للإقرار بتوحيد الألوهية؛ لقوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾.

---

(١) شرح مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح ابن عثيمين: (ص٩٣).

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس، ابن عم الرسول – صلى الله عليه وسلم– حَبر الأمة، وتُرجمان القرآن، دعا له النبي– صلى الله عليه وسلم– بقوله: ((اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل))، ولد بمكة سنة (٣ق هــ)، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وتوفي بالطائف سنة ٦٨هــ انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى سنة ٤٣٠هــ): (١٦٩٩/٣)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر – الرياض – الطبعة الأولى، ١٤١٩ هــ – ١٩٩٨م. والإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: (١٤١٤/٤)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هــ – ١٩٩٢م. وأسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري: (٣٠٠/٣)، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية – بيروت. وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: (٣١٤/١)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هــ.

(٣) البقرة:٢١

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري: (٣٦٣/١)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هــ – ٢٠٠٠م.

(٥) تفسير النَّسَفِي: (٦٤/١).

(٦) الذاريات:٥٦

٢- وعند تفسره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾[(١)]، قال: «أي: اخضعوا له، وأقروا بالفضل له، وعن أُبيّ بن كعب[(٢)] وعن ابن عباس – رضي الله عنهما- كان ذلك انحِنَاء، و لم يكن خُروراً على الذّقْن»[(٣)].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[(٤)] قال: «مالاً كثيراً، لما روي عن علي[(٥)] - رضي الله عنه- أن مَوْلًى له أراد أن يوصي، وله سبعمائة، فمنعه وقال: قال الله – تعالى-: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾والخير: هو المال الكثير وليس لك مال[(٦)]»[(٧)].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[(٨)] قال: «الطريق الصَّواب حيث استرجعوا وأذعنوا لأمر الله، قال: عمر [(٩)]– رضي الله عنه- نِعْم العَدْلان ونِعْم الصلاة[(١٠)]، أي: الصلاة والرحمة والاهتداء»[(١١)].

(١) البقرة:٣٤

(٢) هو: أُبيّ بن كعب بن قيس، بن عُبيد، من بني النجار، أبو المنذر، صحابي أنصاري، سَيِّدُ القراء، كان قبل الإسلام حَبراً من أحبار اليهود مطلعاً على الكتب القديمة، ولما أسلم كان من كُتَّاب الوحي، قال فيه النبي – ﷺ-: ((ليهْنك العلم أبا المنذر)) عندما سُئل الصحابة عن أعظم آية في كتاب الله، توفي سنة ٢١هـ انظر: معرفة الصحابة، للأصبهاني: (٢١٤/١). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (٢٧/١). وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٦١/١).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (٤٦/١).

(٤) البقرة:١٨٠

(٥) هو: أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، وتربَّى في حِجْر النبي – ﷺ- و لم يفارقه، وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة تبوك، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، ولَمَّا آخى النبي – ﷺ- بين أصحابه قال له: أنت أخي، وزوَّجه ابنته فاطمة — رضي الله عنها- ومناقبه كثيرة، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نُقِل لعلي – رضي الله عنه-، قال ابن عمر – رضي الله عنهما-: أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكان قَتْلُ علي في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، المتوفى سنة (٤٦٣هـ)، (١٠٨٩/٣)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت — الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ. والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (٥٦٤/٤). وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٨٧/٤).

(٦)انظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي: (٤٢٢/٤)، دار الفكر – بيروت، ١٩٩٣م.

(٧) تفسير النَّسَفِي: (١٣١/١).

(٨)البقرة:١٥٧

(٩) هو: أبو حفص أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب بن نُفَيل بن عبدالعزى بن رباح بن عبدالله بن قُرْط القرشي العَدوي، كان من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وهوثاني خليفة بعد رسول الله – ﷺ-، أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشْرة امرأة، فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق، قال عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه-: (والله ما عبدنا الله جهرةً حتى أسلم عمر)، وهو من المهاجرين الأولين، شهد بدراً، وبيعة الرضوان، وكل مشهد شهده رسول الله – ﷺ-، وهو الذي أرَّخ التاريخ من الهجرة الذي بأيدي الناس إلى اليوم، وهو أول من سُمِّي بأمير المؤمنين، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وقُتِلَ سنة ٢٣هـ، طعنه أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: (١١٤٤/٣). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (٥٨٨/٤). وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (١٣٧/٤).

(١٠) انظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي: (٣٧٨/٤)، دار الفكر – بيروت، ١٩٩٣م.

(١١) تفسير النَّسَفِي: (١٢٠/١).

٥- وفي حديثه عن ترك التسمية في بداية سورة التوبة ذَكَر بعض أقوال الصحابة - ﷺ- فقال: «وفي ترك التسمية في ابتدائها أقوال: فعن علي وابن عباس - ﷺ- أنَّ بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الأمان[١]، وعن عثمان[٢] - ﷺ- أن رسول الله - ﷺ- كان إذا نزلت عليه سورة أو آية قال: اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا، وتوفي رسول الله - ﷺ- ولم يبين لنا أين نضعها، وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال؛ لأنَّ فيها ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود، فلذلك قُرِنت بينهما، وكانتا تدعيان القرينتين، وتُعَدَّان السابعة من الطوال وهي سبع[٣]، وقيل: اختلف أصحاب رسول الله - ﷺ- فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال، وقال بعضهم: هما سورتان فتركت بينهما فُرْجة لقول من قال هما سورتان، وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة»[٤].

---

(١) انظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي: (١٢٢/٤).

(٢) هو: أبو عبدالله، وأبو عمر، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، الأموي، أمير المؤمنين، وثالث خليفة بعد رسول الله - ﷺ- زوَّجه النبي - ﷺ- ابنته رقية، فماتت عنده في أيام بدر، فزوَّجه بعدها أختها أم كلثوم، فلذلك كان يلقب بذي النُّورين، بشَّره النبي - ﷺ- بالجنَّة، وعدَّه من أهل الجنَّة، وشهد له الشهادة، ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح، أسلم في أول الإسلام، دعاه أبوبكر إلى الإسلام فأسلم، وكان يقول: إني لرابع أربعة في الإسلام، وقُتِل ظُلماً - ﷺ- بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة أو: سبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: (١٠٣٧/٣). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (٤٥٦/٤). وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٥٧٨/٤).

(٣) سنن الترمذي: (٢٧٢/٥)، كتاب تفسير القرآن، باب: سورة التوبة، رقم الحديث (٣٠٨٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح سنن النسائي: (١٠/٥)، كتاب فضائل القرآن، باب: السورة التي يذكر فيها كذا، رقم الحديث (٨٠٠٧).

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٦٠٧/١).

المطلب الرابع

تفسير الإمام النَّسَفي للقرآن بأقوال التابعين

التابعي: هو من صَحِبَ الصحابي، وقيل: مَن لَقِيَ الصحابي[1] قال الله – تعالى-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2]، وقد ذكرهم رسول الله – ﷺ- فقال: ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))[3].

ولقد تَلَقَّى التابعون تفسير القرآن – الكريم- من الصحابة – ﷺ-، وكان لهم من الصفات المؤهلة بالصحابة من حسن الفهم، وصحة المقصد، وسلامة اللغة، ولذا نجد أن المفسرين يرجعون إلى أقوالهم في التفسير، إذا لم يجدوا أقوالاً للصحابة، فيرجحون أقوالهم.

قلت: لأنهم أطهر الناس قلوباً، وأبعد الناس للهوى اتباعاً، وأشجع الناس في قول الحق بياناً، وهم أقرب الناس بعصر التنزيل، ولغتهم لم تتغير بعد.

قال ابن تيمية[4]: (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من

---

(١) مقدمة ابن الصلاح: لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري: (ص١٧٩)، الناشر: مكتبة الفارابي، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م. وانظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى سنة٨٠٦هـ): (ص٣١٧)، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

(٢) التوبة:١٠٠

(٣) صحيح البخاري: (١٣٣٥/٣) كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل أصحاب النبي – ﷺ-، رقم الحديث (٣٤٥١). وصحيح مسلم: (١٩٦٣/٤)، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم الحديث (٢٥٣٣).

(٤) هو: تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام الحرَّاني، النميري، الدمشقي، المعروف بابن تيمية، ولد بحَرَّان يوم الاثنين عاشر- وقيل: الثاني عشر- من شهر ربيع الأول سنة (٦٦١هـ)، ذهب الشيخ – وهو في السابعة – إلى دمشق مع أسرته فراراً من التتار، وهناك حفظ القرآن – الكريم-، وأخذ في تمام مبادئ العلم، مع الجد والاجتهاد، وسماع دواوين الإسلام، بلغ عدد شيوخه أكثر من مائتي شيخ، من أشهرهم: أحمد بن عبد الدائم المقدسي، وإسماعيل بن إبراهيم التنوخي، وابن قدامة المقدسي، ومن تلاميذه: ابن القيم، والمزي، والذهبي، توفي معتقلاً بقلعة دمشق ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٧هـ)، وعُمْره ٧٧ سنة. انظر: تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة (٧٤٨هـ): (١٩٢/٤)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢٨٨/٢٢). وطبقات الحفاظ، لأبي الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة (٩١١هـ): (ص٥٢٠)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جَبْر[1] فإنَّه كان آيةً في التفسير)[2].

وقد اعتمد الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- في تفسيرهِ لِكتاب الله – تعالى- على أقوال هؤلاء التابعين، فتارةً يقدم أقوالهم، وتارةً يجمعها مع أقوال غيرهم من الصحابة، وتارةً يَخرُج عنها.

ومن الأمثلة على اعتماد الإمام النَّسَفِي أقوال التابعين:

١- ما فعله عند تفسيره لقول الله – ﷻ-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾[3]، حيث قال: «قال عَلْقَمة[4]: ما في القرآن يا أيها الناس فهو خطاب لأهل مكة، وما فيه يا أيها الذين أمنوا فهو خطاب لأهل المدينة، وهذا خطاب لمشركي مكة»[5].

٢- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾[6] يقول: «أربعين يوماً عَدَد أيام العِجْل، وعن مجاهد – ﷺ- كانوا يقولون: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نُعَذب مكان آلف سنة يوماً»[7].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٍ﴾[8] يقول: «﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بفداء الأسْرى، ﴿وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٍ﴾ بالقتال والإجلاء، قال

---

(١) هو: مجاهد بن جَبْر، الإمام، شيخ القرَّاء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، روى عن ابن عباس، فأكثر عنه الرواية، وأخذ عنه القرآن والتفسير والفقه، قال: عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، وأوقفه عند كل آية، أسألة فيم نزلت وكيف كانت، مات مجاهد وهو ساجد، سنة (١٠٢هــ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٤/٤٤٩). وتهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: (١٠/٣٨)، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هــ – ١٩٨٤م. وتذكرة الحفاظ، للذهبى: (١/٧١).

(٢) شرح مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح ابن عثيمين: (ص٩٩).

(٣) البقرة:٢١

(٤) هو: علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النَّخعي الهمداني، أبو شِبْل، وعداده في المخضرمين، وقيل: تابعي، كان فقيه العراق، يشبه ابن مسعود في هديه وسمته وفضله، ولد في حياة النبي – ﷺ-، وروى الحديث عن الصحابة، ورواه عنه كثيرون، وشهد صفين، وغزا خُرَاسان، وأقام بخوارزم سنتين، وسكن الكوفة فتوفي فيها سنة (٦٢هــ) وهي الأرجح، ويقال: توفي سنة (٦٥هــ)، وقال أبو نعيم النخعي: عاش تسعين سنة، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبى: (٤/٥٣-٦١). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (٥/١٣٦). والأعلام، للزركلي: (٤/٢٤٨).

(٥) تفسير النَّسَفِي: (١/٤٥).

(٦) البقرة:٨٠

(٧) المصدر السابق: (١/٨٤).

(٨) البقرة:٨٥

السّدِّي[1] أخذ الله عليكم أربعة عهود: ترك القتل، وترك الإخراج، وترك المظاهرة، وفداء الأسير، فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء»[2].

٤- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [3] مخبراً عن حياة الشهيد، يقول الإمام النَّسَفِي-رحمه الله-: «ولا تعلمون ذلك؛ لأنَّ حياة الشهيد لا تُعلم حِسًّاً، عن الحسن[4]- رضي الله عنه- أنَّ الشهداء أحياء عند الله تُعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدواً وعشياً فيصل إليهم الوجع، وعن مجاهد: يرزقون ثمر الجنة، ويجدون ريحها وليسوا فيها»[5].

٥- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [6] يقول: «أي: عذاب النار، كما

---

(١) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن السّدِّي، أبو محمد، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، صاحب التفسير، والمغازي والسِّير، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة (١٢٧هـ) على الأرجح، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢٦٤/٥). والوافي بالوفيات، للصفدي: (١٤٢/٩). وتكملة الإكمال، لمحمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر: (٣١٩/٣)، تحقيق: د. عبد القيوم عبد رب النبي، دار النشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى. والطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري: (٣٢٣/٦)، دار صادر – بيروت. والأعلام، للزركلي: (٣١٧/١).

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٨٦/١).

(٣) البقرة:١٥٤

(٤) هو: الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحَبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، وقيل: إنه سيد التابعين، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، وشب في كنف علي بن أبي طالب، توفي سنة (١١٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: (٥٦٣/٤)، ومشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (المتوفى سنة ٣٥٤هـ): (ص٨٨)، تحقيق: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م. وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، (المتوفى سنة ٣٨٥هـ): (١٠١/١)، تحقيق: بوران الضناوي - كمال يوسف الحوت، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م. والسلوك في طبقات العلماء والملوك، لبهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي، (المتوفى سنة (٧٣٢هـ): (١٢٥/١)، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، الناشر: مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٩٩٥م.

(٥) تفسير النَّسَفِي: (١١٩/١).

(٦) آل عمران:١٨١

أذقتم المسلمين الغصص، قال الضحاك[1]: يقول لهم ذلك خزنة جهنم، وإنما أضيف إلى الله تعالى لأنه بأمره كما في قوله:(سَنَكْتُبُ)» [2].

٦- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[3] يقول: «.... وعن سعيد بن جبير[4] إنما هذا لمن آثرها على الآخرة، فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ، وعن الحسن: كخضرة النبات ولُعب البنات لا حاصل لها»[5].

---

(١) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، البلخي الخراساني، أبو القاسم، وقيل أبو محمد، صاحب التفسير، تابعي، كان من أوعيه العلم، وكان يؤدب الأطفال، ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، أصله من بَلْخ، وكان يقيم بها مدة وبسمرقند مدة وببخارى مدة، توفي بخراسان سنة (١٠٥هـ) على الأصح. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: (٢/٢٠٤٤). والتاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، (المتوفى سنة ٢٥٦هـ): (٤/٣٣٢)، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر – بيروت. والثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، (المتوفى سنة ٣٥٤هـ): (٦/٤٨٠)، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. وتهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (المتوفى سنة ٨٥٢هـ): (٤/٣٩٧)، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/٢٧٥).

(٣) آل عمران:١٨٥

(٤) هو: سعيد بن جبير الأسدي، الإمام الحافظ المقرئ المفسر، أبو عبد الله، تابعي، كان أعلمهم على الأطلاق، وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، قرأ القرآن علي ابن عباس - رضي الله عنهما-، ولد سنة ٤٥هـ، وقتله الحجاج في شهر شعبان سنة (٩٥هـ)، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٥/٢٨٨). والتاريخ الكبير، للبخاري: (٣/٤٦١). وتذكرة الحفاظ، للذهبي: (١/٦١). والثقات، لابن حبان: (٤/٢٧٦).

(٥) تفسير النَّسَفِي: (١/٢٧٦).

المطلـــب الخامس

عناية الإمام النَّسَفِي بأسباب النزول

سبب النزول: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه[(١)].

وتُعَدُّ معرفته من الشروط الأساسية للمُفَسِّر، إذ لا يمكن القول في التفسير إلا بعد معرفة أسباب النزول[(٢)].

قال الواحدي[(٣)]: "يمتنع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[(٤)].

وقال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يُعِين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يُورِث العلم بالمسبَّب"[(٥)].

وقال السيوطي: "وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها، فزال عنهم الإشكال"[(٦)].

والعلماء يعتمدون في معرفة سبب النزول على صحة الرواية عن رسول الله - ﷺ- أو عن الصحابة - ﵃-، فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا إذا كان صريحاً لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع[(٧)].

قال الواحدي: "ولا يحلُّ القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسَّماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجدُّوا في الطَّلب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العِثَار[(٨)] في هذا العلم بالنار"[(٩)].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني: (٧٦/١)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

(٢) انظر: قواعد التفسير جمعاً ودراسة، لخالد بن عثمان السبت: (٥٣/١).

(٣) هو: علي بن أحمد الواحدي، أبو الحسن، الإمام المصنف المفسر النحوي، أستاذ عصره، لازم أبا إسحاق الثعلبي المفسر، أصله من ساوة (بين الرَّي وهَمَذَان)، من مؤلفاته: (البسيط)، و (الوسيط)، و (الوجيز)، و (أسباب النزول)، كلها في التفسير، و (شرح ديوان المتنبي)، وولد بنيسابور، وتوفي بها في شهر جمادي الآخرة سنة ٤٦٨هـ. انظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، لتقي الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد الصيرفيني، (المتوفى سنة ٦٤١هـ): (ص٤٢٣)، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤هـ. وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، (المتوفى سنة ٧٧١هـ): (٢٤٠/٥)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي — د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ. وطبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة: (٢٥٦/١)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ. وطبقات المفسرين، للسيوطي: (ص٦٦).

(٤) أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي: (١٠/١)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية — بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ — ١٩٩١م.

(٥) شرح مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح ابن عثيمين: (ص٣٥).

(٦) لباب النقول في أسباب النزول، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (المتوفى سنة ٩١١ هـ): (١٣/١)، تحقيق: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان.

(٧) مباحث في علوم القرآن، لمناع خليل القطان: (ص٧٦)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٨) عَثَر يعِثرُ ويَعْثُرُ عَثْراً وعِثَاراً وتَعَثَّرَ كَبا، وقيل: (العِثَار) الشر وما عَثُرَ به. انظر: المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده: (٣٤/٤)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م. ولسان العرب، لابن منظور: (٥٣٩/٤).

(٩) أسباب النزول، للواحدي: (ص١٠).

والإمام النَّسَفِي – رحمه الله – ذكر في تفسيره أسباب نزول الآيات، وكان يأخذ بأقوال الصحابة والتابعين في أسباب النزول، ويُرَجِّح – أحياناً- بها في تفسيره للآية، وغالباً نجده يذكر سبب نزول الآية دون أن يذكر راويها أو يشير إليها بالتصحيح والتضعيف.

ومن الأمثلة لذكره أسباب النزول:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[(١)]، يذكر سبب نزولها فيقول: «ولما قال أعرابي لرسول الله – ﷺ-: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ نزل[(٢)]: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾» [(٣)].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾[(٤)]، يذكر سبب نزولها فيقول: «قال معاذ بن جبل[(٥)]: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس؟ فنزل[(٦)]:﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾»[(٧)].

---

(١) البقرة:١٨٦

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، قال: "حدثنا بذلك ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عبدة السجستاني، عن الصُّلب بن حكيم، عن أبيه، عن جده"، قال المحقق: وهذا الحديث ضعيف جدًا، منهار الإسناد بكل حال". جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (المتوفى سنة: ٣١٠ هـ): (٤٨٠/٣)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م. وذكره السيوطي في: لباب النقول في أسباب النزول: (ص٢٣).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١٣٤/١).

(٤) البقرة:١٨٩

(٥) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، ولد سنة (١٨ق هـ)، وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي – ﷺ-، أسلم وهو فتى، كان طويلاً حسن الشعر عظيم العينين أبيض برَّاق الثَّنايا لم يولد له قط، وآخى النبي – ﷺ- بينه وبين جعفر بن أبي طالب، وشهد العقبة، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله – ﷺ- وبعثه رسول الله – ﷺ-، بعد غزوة تبوك، قاضياً ومرشداً لأهل اليمن، وتوفي بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة (١٨هـ). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: (١٤٠٢/٣). والإصابة في تمييز الصحابة، لا بن حجر العسقلاني: (١٣٦/٦). وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٢٠٤/٥).

(٦) ذكرها الواحدي في أسباب النزول، حيث قال: " وقال الكلبي: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عَنمة وهما رجلان من الأنصار قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يكون كما كان لا يكون على حال واحدة فنزلت هذه الآية. أسباب النزول، للواحدي: (ص٥٦). وذكره السيوطي في: لباب النقول في أسباب النزول: (ص٢٥). وفي: الدر المنثور: جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن الكمال، (المتوفى سنة ٩١١هـ): (٤٩٠/١)، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣م. والكلبي ضعيف، وهو متهم بالكذب كما ذكر ابن حجر العسقلاني. انظر: تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (المتوفى سنة ٨٥٢هـ): (ص٤٧٩)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٧) تفسير النَّسَفِي: (١٣٨/١).

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[١]، يذكر سبب نزولها فيقول: «كان أهل اليمن لا يتزودون، ويقولون: نحن متوكِّلون، فيكونون كَلًّا على الناس، فنزل فيهم: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾[٢]، أي: تزودوا، واتقوا الاستطعام، وإبرام الناس والتثقيل عليهم»[٣].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[٤]، نجده يذكر روايات فيقول: «هما حالان، أي: مُسرِّين ومُعْلِنين، يعني: يُعَمِّمُون الأوقات والأحوال بالصدقة؛ لحرصهم على الخير، فكلما نزلت بهم حاجةَ محتاجٍ عجَّلوا قضاءها، ولم يؤخّروه، ولم يتعللوا بوقت ولا حال، وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- حين تصدَّق بأربعين ألف دينار، عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة في السِّر، وعشرة في العَلانية، أو: في علي - رضي الله عنه- لم يمْلِك إلا أربعة دراهم، تصدَّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية»[٥]،[٦].

والذي يظهر للباحث: أنَّ المراد بالأموال هنا كل الأموال، ويحتمل أن يراد الجنس، فيشمل الكل والبعض؛ لأنَّ المبتدأ في الآية اسم موصول؛ واسم الموصول يشبه الشرط في العموم.

وقوله: ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ الباء هنا للظرفية، وفيه عموم الزمن، وقوله تعالى: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ فيه عموم الأحوال، أي: على كل حال، وفي كل زمن.

ونجد في الآية الثناء على الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله سواء كان ليلاً، أو نهاراً، أو سراً، أو جهاراً.

---

(١) البقرة:١٩٧

(٢) ذكرها الواحدي في أسباب النزول، حيث قال: "أخبرنا عمرو بن عمرو المُزَكِّي، أخبرنا محمد بن المكي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدَّثنا يحيى بن بشير، حدَّثنا شبابة، عن ورقاء، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، يقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله - عز وجل-: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾". أسباب النزول، للواحدي: (ص٦٣). وهو صحيح، أخرجه البخاري. انظر: صحيح البخاري: (٢/٥٥٤)، كتاب الحج، باب: قول الله تعالى: {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى}، رقم الحديث (١٤٥١).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١/١٤٣).

(٤) البقرة:٢٧٤

(٥) ذكرها الواحدي في أسباب النزول، حيث قال: "أخبرنا محمد بن يحيى بن مالك الضَّبِّي، حدَّثنا محمد بن إسماعيل الجُرْجَاني، حدَّثنا عبد الرزاق، حدَّثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾قال: نزلت في علي بن أبي طالب كان عنده أربعة دراهم فأنفق بالليل واحداً، وبالنهار واحداً، وفي السر واحداً، وفي العلانية واحداً". أسباب النزول، للواحدي: (ص٩٤). وإسناده ضعيف، وذكر ابن حجر العسقلاني أن عبد الوهاب بن مجاهد، متروك. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (ص٣٦٨). وذكره السيوطي في تفسيره، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن عساكر من طريق عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس. انظر: الدر المنثور: (٢/١٠٠).

(٦) تفسير النَّسَفِي: (١/١٩٠).

المطلـــب السادس

عناية الإمام النَّسَفي بالقراءات

تعريف القراءات لغة: القراءات: جمع قراءة، وهي في اللغة: مصدر سماعي لقرأ[١]، تقول: قرأ فلانٌ قراءةً.

تعريف القراءات اصطلاحاً: علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزواً لناقلها[٢].

وإنَّ كل مُفَسِّرٍ يُقدِمُ على تفسير كتاب الله – تعالى- يحتاج إلى فهم وتطبيق علم القراءات، وإدراكاً من أبي البركات النَّسَفِي لهذا العِلْم وأهميته، فقد اهتم به غاية الاهتمام، حيث اعتمد عليه في تفسيره، وأشار إليه في مقدمته فقال: «قد سألني من تتعين إجابته كتاباً وسطاً في التأويلات، جامعاً لوجوه الاعراب والقراءات»[٣].

وقد وفَّى الإمام النَّسَفِي بما ذكر، فهو يتعرَّض عند تفسيره للآية للقراءات الواردة في الكلمة، سواءً المتواتر منها أو الشاذ، ويوجه ويُرَجِّح بعضها، ونجده في نسبة القراءات إلى قرائها أنَّه كغيره من المفسرين، أحياناً يُصَرِّح باسم القارئ، وأحياناً يذكر البلد التي ينتسب إليها، وأحياناً لا يذكره مطلقاً، ويترك القارئ مجهول، ويُعَبِّر عن ذلك بصيغة المبني للمجهول(قُرِئ).

ومن الأمثلة التي تعرَّض لها على القراءات المتواترة[٤]:

١- ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[٥] حيث قال: «والسِّراط: الجادّة مِن سَرط الشيء إذا ابتلعه كأنه يسرط السابلة إذا سلكوه، والصراط: من قلب السين صاداً لتجانس الطاء في الإطباق؛ لأنَّ الصَّاد والضَّاد والطَّاء والظَّاء من حروف الإطباق، وقد تُشَمُّ الصَّاد صوت الزاي؛ لأنَّ الزاي إلى الطاء

---

(١) لسان العرب، لابن منظور: (١٢٨/١)، مادة قرأ.

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لشمس الدين أبو الخير الشهير بابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (المتوفى سنة: ٨٣٣هـــ): (ص٩)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـــ -١٩٩٩م.

(٣) مقدمة تفسير النَّسَفِي: (٥/١).

(٤) القراءة المتواترة: ما تواترت بسند صحيح عن النبي – ﷺ-، ووافقت رسم المصحف العثماني، وكان لها وجه من العربية. انظر: النشر في القراءات العشر، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، (المتوفى سنة ٨٣٣هـــ): (٢٤/١)، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.

(٥) الفاتحة:٦

أقرب لأنهما مجهورتان وهي قراءة حمزة[(١)]، والسين قراءة ابن كثير[(٢)] في كل القرآن، وهي الأصل في الكلمة، والباقون: بالصَّاد الخالصة وهي: لغة قريش، وهي الثابتة في المصحف الإمام»[(٣)].

٢- ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾[(٤)] يقول: «﴿ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ كوفي[(٥)]»، والمقصود بكوفي: عاصم[(٦)] وحمزة والكسائي[(٧)] وخَلَف[(٨)]،[(٩)].

---

(١) هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام الحَبر، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم الزَّيات، الإمام القدوة، شيخ القراءة، أحد القراء السبعة، وإليه صارت إمامة القراءة بعد عاصم في الكوفة، ولد سنة ٨٠هـ، واختلف في سنة وفاته، فقيل: سنة ١٥٦هـ، وهي الأصح، وقيل: غير ذلك، وقبره بحُلْوان مشهور. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله: (١/١١١)، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ. وغاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي: (١/١١٥)، تحقيق: برجستراسر، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م. وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٧/٩٠).

(٢) هو: عبدالله بن كثير، أبو مَعْبَد، الكناني، الدَّاري، المكي، ولد سنة ٤٥هـ، وروى عن عدد من الصحابة كعبدالله بن الزبير، وأنس بن مالك، وغيرهما، وهو أحد القراء السبعة، كان فصيحاً بليغاً، عليه السكينة والوقار، توفي سنة ١٢٠هـ. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي: (١/٨٦). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (١/١٩٧). وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: (١/١٥٧).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١/٢١). وذكر هذه القراءة البنا الدِّمْياطي في كتابه: اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، المُسمَّى: منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات، أحمد بن محمد البنا، (المتوفى سنة ١١١٧هـ): (١/٣٦٥)، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب – بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. وذُكِرَت هذه القراءة في الميسَّر في القراءات الأربع عشرة، لمحمد فهد خاروف: (ص١٦)، تحقيق: محمد عبدالكريم راجح، دار الكلم الطيب- دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٤) البقرة:١٠

(٥) تفسير النَّسَفِي: (١/٣٥).

(٦) هو: عاصم بن أبي النَّجود الكوفي الأسدي، مولاهم الكوفي القارئ الإمام أبو بكر، أحد القراء السبعة، واسم أبيه بَهْدَلة على الأصح، قرأ القرآن على أبي عبدالرحمن السُّلمي وزرِّ بن حُبَيْش الأسدي، وحدَّث عنهما، وعن أبي وائل، ومصعب بن سعد بن أبي وقاص وجماعة. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي: (١/٨٨). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (١/١٥٣).

(٧) هو: علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي، أحد القراء السبعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزَّيات، وهو إمام الكوفيين في النحو، ولد في حدود سنة ١٢٠هـ، وتوفي بالرّي سنة ١٨٩هـ على الأصح. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي: (١/١٢٠). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (١/٢٣٩).

(٨) هو: خَلَف بن هشام بن ثعلب أبو محمد البزار البغدادي، ولد سنة ١٥٠ هـ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وكان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً، كان يأخذ بمذهب حمزة إلا إنه خالفه في مائة وعشرين حرفاً، وهو أحد القراء العشرة، توفي سنة ٢٢٩ هـ ببغداد وهو مختف من الجهمية. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي: (١/٢٠٨). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (١/١٢٠).

(٩) انظر: اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا: (١/٣٧٨). والميسَّر في القراءات الأربع عشرة، محمد خاروف: (ص١٨).

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(١)] يقول: «فلا خوف بالفتح في كل القرآن يعقوب[(٢)]»[(٣)].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾[(٤)] يقول: «ولا تقبل بالتاء مكي وبصري[(٥)]، والضمير في منها يرجع إلى النفس المؤمنة، أي: لا تقبل منها شفاعة للكافرة»[(٦)].

٥- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[(٧)] تعرض للقراءات الواردة في هذه الآية فقال: «﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ بالتخفيف كوفي، أي: تتعاونون، وبالتشديد غيرهم[(٨)]، فمن خفَّف فقد حذف إحدى التائين، ثم قيل: هي الثانية؛ لأنَّ الثقل بها، وقيل: الأولى، ومن شَدَّد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم... ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ تفدوهم: أبو عمرو، أسر تفدوهم: مكي وشامي[(٩)]، أسرى

---

(١) البقرة:٣٨

(٢) هو: يعقوب بن إسحاق بن زيد أبو محمد الحضرمي، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة، ومقرئها كان من أعلم أهل زمانه بالقرآن والعربية وكلام العرب، والرواية الكثيرة، والحروف، والفقه، والاختلاف في القرآن وتعليله، ومذاهب أهل النحو في القرآن، توفي سنة ٢٠٥ هـ. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي: (١/١٥٧). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (١/٤٤٨).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١/٦٤). وذكر هذه القراءة البنا الدِّمْياطي في كتابه: اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا: (١/٣٨٩). ومحمد خاروف في الميسَّر في القراءات الأربع عشرة، محمد فهد خاروف: (ص٢٢).

(٤) البقرة:٤٨

(٥) المقصود بمكي: عبدالله بن كثير، والمقصود ببصري: أبو عمرو البصري وهو: أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ النحوي البصري الإمام، مقرئ أهل البصرة، اسمه زبّان على الأصح، كان من أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب والشعر، وهو أحد القراء السبعة، مات سنة ١٥٤هـ على الأصح. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي: (١/١٠٠). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (١/٢٧٦). وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: (١/٢٣٧).

(٦) تفسير النَّسَفِي: (١/٦٨).

(٧) البقرة:٨٥

(٨) وهم: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، وكذا أبو جعفر، ويعقوب. انظر: اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا: (١/٤٠١-٤٠٢). والميسَّر في القراءات الأربع عشرة، محمد فهد خاروف: (ص٢٨).

(٩) هو: ابن عامر الشامي عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي، اختلف في كنيته كثيراً والأشهر أنه أبو عِمْران، إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء ا، كان إماماً عالمًا ثقة حافظًا متقناً، ولي القضاء لدمشق بعد بلال بن أبي الدرداء، وكان إمام الجامع بدمشق، ولد سنة ٨ هـ، وتوفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ١١٨ هـ. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي: (١/٨٥). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (١/١٨٨).

تفدوهم حمزة، أُسارى تفادوهم علي[1]، فدى وفادي بمعنى، وأسارى حال، وهو جمع أسير، وكذلك أسرى... ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ بالياء مكي ونافع وأبو بكر»[2]،[3].

٦- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾[4] تعرَّض للقراءات الواردة في كلمة جبريل فقال: «بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز مكي، وبفتح الراء والجيم والهمز مُشْبَعاً كوفي غير حفص[5]، وبكسر الراء والجيم بلا همز غيرهم»[6]، [7].

ومن الأمثلة على القراءات الشاذة[8]:

---

(١) علي: المقصود به هو: الكسائي، وقد تقدم ترجمته في الصفحة السابقة.

(٢) هو: أبو بكر بن عياش ابن سالم الأسدي الكوفي الإمام، أحد الأعلام مولى واصل الأحدب، وكان حَنَّاطاً، اختلف في اسمه على عشرة أقوال، وأصحها: شعبة، ولد سنة ٩٥هـــ، قرأ القرآن ثلاث مرات على عاصم، توفي في جمادى الأولى سنة ١٩٣هـــ. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي: (١٣٨/١). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٤٩٥/٨).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (٨٦/١).

(٤) البقرة:٩٧

(٥) هو: حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر بن أبي داوود الأسدي الكوفي، أخذ القراءة عَرْضاً وتلقيناً على عاصم بن أبي النَّجود، ولد سنة ٩٠هـــ، وتوفي سنة ١٨٠هـــ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (١١١/١).

(٦) هم: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، وكذا أبو جعفر، ويعقوب، وهي لغة الحجازيين، وافقهم اليزيدي. اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا: (٤٠٨/١-٤٠٩). والميسَّر في القراءات الأربع عشرة، محمد فهد خاروف: (ص٣٠).

(٧) تفسير النَّسَفِي: (٩١/١). وذكر هذه القراءة البنا الدمياطي في كتابه: (٣٨٩/١). وذكر هذه القراءة محمد خاروف في الميسَّر في القراءات الأربع عشرة، محمد فهد خاروف: (ص٢٢).

(٨) القراءة الشاذة: للعلماء في المراد بالقراءة الشاذة أقوال:

الأول: وهو قول الأكثر أنَّ القراءة الشاذة: كل قراءة صح سندها، ووافقت العربية ولو بوجه، وخالفت رسم المصحف، وهذا التعريف هو الذي اعتمده مكي القيسي، وأبو شامه، وابن تيمية، وابن الجزري. انظر: الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي: (ص٥٤)، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، ١٩٧٧م. والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بابن أبي شامة المقدسي، (المتوفى سنة٦٦٥ هـــ): (ص١٩٣)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـــ - ٢٠٠٣م. ومجموع فتاوى ابن تيمية: (٣٩٣/١٣). ومنجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري: (ص١٩).

الثاني: اصطلاح ابن جني في المحتسب على أن القراءة الشاذة هي: كل قراءة خرجت عن القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد في كتابه (السَّبعة)، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي عثمان بن جنى: (٣٢/١)، تحقيق: د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي وآخرون، القاهرة، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٤م. أقول: وهذا المصطلح يَعُدُّ القراءات الثلاث المتممة للعشر من الشواذ بالرغم من صحة سندها، وموافقتها للرسم، وللعربية.

الثالث: قول السيوطي أن الشاذة هي: القراءة التي لم يصح سندها، وأن القراءة التي صح سندها، وخالفت رسم المصحف والعربية أو لم تشتهر الاشتهار المذكور تسمى آحادية، ولا يُقرأ بها. انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: (٢٠٨/١)، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر – بيروت – لبنان، ١٤١٦هـــ- ١٩٩٦م ، الطبعة الأولى.

والذي يظهر للباحث: أنَّ القراءة الشاذة هي: التي تفتقد أحد أركان القراءة الصحيحة المتواترة.

١- ذكره للقراءة الواردة في كلمة فومها في قوله تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا﴾[1] حيث يقول: «وفُومها: هي الحنطة، لقراءة ابن مسعود وثومها[2]»[3].

٢- ذكره للقراءة الواردة في كلمة يَشَّقَّق في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾[4]حيث يقول: «أصله يتشقق، وبه قرأ الأعمش[5]، فقلبت التاء شيناً وأدغمت[6]»[7].

٣- ذكره للقراءة الواردة في كلمة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[8] حيث يقول: «وقرأ أبو حنيفة[9] – رضي الله عنه-: إبراهيمُ ربه، برفع إبراهيمُ، وهي قراءة ابن عباس – رضي الله عنه-[10]، أي: دعاه بكلمات من الدُّعاء، فعل المُخْتَبِر هل يجيبه أم لا»[11].

٤- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾[12] يذكر قراءة شاذة ويصرح بشذوذها، فيقول: «﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ قال: أعطى كُلَّ واحد منهم حِمْل بَعِير، وقُرِئ بكسر الجيم شاذاً[1]»[2].

---

(١) البقرة:٦١

(٢) انظر: شواذ القراءات، لرضي الدين شمس القراء أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني: (ص٦٣)، تحقيق: د. شمران العجلي، الناشر: مؤسسة البلاغ – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(٣) تفسير النَّسَفِي: (٧٤/١).

(٤) البقرة:٧٤

(٥) هو: سليمان بن مِهْران الأعمش، أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، الإمام الجليل، ولد سنة ٦٠ هـ، وقيل: سنة ٦١هـ، وتوفي سنة ١٤٨هـ. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي: (٩٤/١). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (١٣٨/١). سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢٢٦/٦).

(٦) انظر: شواذ القراءات، لأبي نصر الكرماني: (ص٦٧).

(٧) تفسير النَّسَفِي: (٨٢/١).

(٨) البقرة:١٢٤

(٩) هو: أبو حنيفة النعمان بن ثابت، التيمي، الكوفي مولداً، والفارسي أصلاً، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، قيل: أصله من أبناء فارس، ولد سنة ٨٠هـ، ونشأ بالكوفة، وكان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقاً، قال عنه الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة، توفي ببغداد سنة ١٥٠هـ. انظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، للتقي الغزي: (٢٤). وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (٣٩٠/٦). وأخبار أبي حنيفة وأصحابه، القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري: (ص١٥)، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. والأعلام، للزركلي: (٣٦/٨).

(١٠) انظر: شواذ القراءات، لأبي نصر الكرماني: (ص٧٤).

(١١) تفسير النَّسَفِي: (١٠٤/١).

(١٢) يوسف:٥٩

(١) انظر: شواذ القراءات، لأبي نصر الكرماني: (ص٢٤٩).

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٧٧٨/٢).

المبحث الثاني

تفسير الإمام النَّسَفِي للقرآن باللغة

المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات.

المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات.

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب.

المطلب الرابع: عنايته بالبلاغة.

المبحث الثاني: تفسير الإمام النَّسَفِي للقرآن باللغة

المطلب الأول: عناية الإمام النَّسَفي بمعاني المفردات

اعتنى الإمام النَّسَفِي – في تفسيره – بمعاني المفردات، وتوضيح ما تحتمله المفردة القرآنية من معانٍ، مع الاستشهاد لهذه المعاني من القرآن – الكريم–، أو من السنَّة النبويَّة، أو بأقوال الصحابة والتابعين، أو من كلام العرب، **ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:**

١- ذِكرُه لمعنى كلمة {خَتَمَ} في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[١] حيث قال: «قال الزَّجاج[٢]: الختم: التغطية، لأنَّ في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه»[٣].

ويظهر للباحث: أنَّ الختم: لا يأتي من أول مخالفة، وإنما هو ناتج عن تكرار وتمادي في المعصية، كما أفادت بذلك أدلة الكتاب والسنة.

٢- وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٤] قال في معنى: الفِسْقُ: «والفِسْقُ: الخروج عن القصد، والفاسق في الشريعة: الخارج عن الأمر بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المترلتين، أي: بين مترلة المؤمن والكافر عند المعتزلة»[٥].

٣- وعند تفسيره لقوله – ﷻ–: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾[٦]يقول في معنى: النَّقْض، والعَهْد: «النَّقْضُ: الفسخُ وفكُّ التركيب، والعهد: الموثق»[٧].

٤- تبيينه لمعنى: {الاسْتِوَاء} الوارد ذِكرُه في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[٨] حيث قال: «الاستواء: الاعتدال والاستقامة، يقال: استوى العُود، أي: قام واعتدل، ثم قيل: استوى إليه كالسَّهم المُرْسَل،

---

(١) البقرة:٧

(٢) هو: إبراهيم بن محمد السري بن سهل، أبو اسحاق الزَّجاج البغدادي، عالم بالنحو واللغة، ولد سنة ٢٤١هـــ، وتوفي سنة ٣١١هـــ، من مؤلفاته: (معاني القرآن) و (الاشتقاق) و (الأمالي) في الأدب واللغة، و (فعلت وأفعلت) في تصريف الألفاظ، و (إعراب القرآن). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٣٦٠/١٤). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي: (٤١١/١). والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي: (ص٢). والأعلام، للزركلي: (٤٠/١).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (٣١/١).

(٤) البقرة:٢٦

(٥) المصدر السابق: (٥٦/١).

(٦) البقرة:٢٧

(٧) المصدر السابق: (٥٦/١).

(٨) البقرة:٢٩

أي: قصده قصداً مستوياً من غير أن يَلْوي على شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[1] أي: أقبل وعمد إلى خلق السَّموات بعد ما خلق ما في الأرض، من غير أن يريدَ فيما بين ذلك خَلْق شيء آخر، والمرادُ بالسماء: جهات العلو، كأنه قيل: ثم استوى إلى فوق»[2].

٥- بيانه لمعنى: {مِلَّة} في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾[3] حيث قال: «والملة: السنة والطريقة، كذا عن الزَّجاج»[4].

ويظهر للباحث: أنَّ الملة: بمعنى الدين، أي: دين إبراهيم، ودين إبراهيم كان حنيفاً مسلماً لله و لم يكن من المشركين، وأخبر الله بأن مخالفة هذه الملة سفه، مهما كان الإنسان حكيماً في قوله فإنه يعتبر سفيهاً إذا لم يلتزم بشريعة الله.

٦- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾[5] يقول في معنى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ﴾: «قالوا: العفو ضد العقوبة، يقال: عفوت عن فلان: إذا صفحت عنه، وأعرضت عَنْ أنْ تعاقبه وهو يتعدى بـــ عن إلى الجاني وإلى الجناية ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾[6] ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[7] وإذا اجتمعا عدّي إلى الأول باللام، فتقول: عفوت له عن ذنبه، ومنه الحديث: ((عفوت لكم عن صدقه الخيل والرقيق))[8]، وقال الزجاج: مَنْ عُفِيَ لَهُ، أي: من ترك له القتل بالدية، وقال الأزهري: العفو في اللغة: الفضل، ومنه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[9] ويقال: عفوت لفلان بمالٍ إذا أفضلت له وأعطيته، وعفوت له عَمَّا لي عليه إذا تركته، ومعنى الآية عند الجمهور: فمن عُفي له من جهة أخيه شيء من العفو، على أنَّ الفعل مسندٌ إلى المصدر كما في: سير بزيد بعض السير»[10].

---

(١) فُصِّلَت:١١
(٢) تفسير النَّسَفِي: (٥٨/١).
(٣) البقرة:١٣٠
(٤) المصدر السابق: (١٠٧/١).
(٥) البقرة:١٧٨
(٦) البقرة:٥٢
(٧) الشورى:٢٥
(٨) مسند الإمام أحمد: (١٢١/١)، باب: مسند علي بن أبي طالب – ﷺ–، رقم الحديث (٩٨٤). وسنن أبي داوود: (١١/٢)، باب: في زكاة السائمة، رقم الحديث (١٥٧٦). وسنن ابن ماجة: (٥٧٠/١)، باب: زكاة الورق والذهب، من حديث علي بن أبي طالب – ﷺ–، رقم الحديث (١٧٩٠). وصححه الألباني في: صحيح أبي داوود: (٢٩٥/٥)، باب: في زكاة السائمة، رقم الحديث (١٤٠٦)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـــ – ٢٠٠٢م. وصحيح سنن ابن ماجة: (٩٧/٢)، باب: زكاة الورق والذهب، رقم الحديث (١٤٥٩)، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـــ – ١٩٩٧م.
(٩) البقرة:٢١٩
(١٠) تفسير النَّسَفِي: (١٢٩/١).

٧- ذِكرُه لمعنى كلمة ﴿إِلۡحَافٗا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾[(١)] حيث قال: «إلحاحاً، قيل: هو نفي السؤال، والإلحاح جميعاً، كقوله:

على لاحِبٍ لا يُهْتَدَي بمنارِه ....[(٢)]

يريد: نفي المنار والاهتداء به، والإلحاح: هو اللزوم، وألا يفارق إلا بشيء يُعطاه، وفي الحديث: ((إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيِيَّ الْحَلِيمَ المتعفف، وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ))[(٣)] وقيل: معناه أنهم إن سألوا بتلطّف، و لم يلحوا»[(٤)].

٨- وفي موضعٍ آخر يبين معنى كلمة ﴿تَسۡـَٔمُوٓاْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾[(٥)] فيقول: «ولا تَمَلُّوا، قال الشاعر:

سئمتُ تكاليف الحياةِ ومن يعشْ ثمانينَ حولاً لا أبا لك يَسْأمِ[(٦)]»[(٧)].

٩- وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾[(٨)] يبين معنى {سَوَّاهُ} فيقول: «قوَّمه، كقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[(٩)]»[(١٠)].

---

(١) البقرة:٢٧٣

(٢) صدر بيت لامرئ القيس، وعُجْزه: إذا سافَهُ العَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرْجَرا. انظر: ديوان امرئ القيس: (ص١٧)، تحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م. وهو: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، أشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل: حندج، وقيل: مليكة، وقيل: عدي، ولد سنة(١٣٠ ق هـ)، وتوفي سنة (٨٠ ق هـ). تاريخ دمشق، لابن عساكر: (٢٢٢/٩). وطبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، (المتوفى سنة ٢٣٢هـ): (٥١/١)، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: دار المدني - جدة. والأعلام، للزركلي: (١١/٢).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، انظر: المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المتوفى سنة (٢٣٥هـ): (٢١٣/٥)، رقم الحديث (٢٥٣٤٤)، عن ميمون بن أبي شبيب، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى. وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير، انظر: المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (المتوفى سنة٣٦٠هـ): (١٩٦/١٠)، رقم الحديث (١٠٤٤٢)، عن ابن مسعود عن فاطمة الزهراء، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

(٤) تفسير النَّسَفِي: (١٩٠/١).

(٥) البقرة:٢٨٢

(٦) ديوان زهير بن أبي سُلْمى: (ص٥)، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

وهو: زهير بن أبي سُلْمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، قال ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، ولد في بلاد (مزينة) بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، وتوفي قبل بعثة النبي محمد - ﷺ- سنة (١٣ ق هـ). انظر: الأعلام، للزركلي: (٥٢/٣).

(٧) تفسير النَّسَفِي: (١٩٥/١).

(٨) السجدة:٩

(٩) التين:٤

(١٠) المصدر السابق: (١٣٥١/٣).

المطلب الثاني

عناية الإمام النَّسَفي بمعاني الحروف والأدوات

إنَّ على المُفَسِّر أن يعتني بمعاني الأدوات والحروف؛ لأنها ترد بمعان مختلفة[١]، قال ابن جرير[٢]- رحمه الله-: (إنَّ لكل حرف من حُرُوف المعاني وجهًا هو به أولى من غيره، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها)[٣].

ومما يدل على اهتمام الإمام النَّسَفِي بالجانب اللغوي في تفسيره، عنايته بمعاني الحروف والأدوات، ومن أمثلة ذلك:

١- ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[٤] حيث قال: «و "مَا" في كَمَا: كافة كما في ربما، أو مصدرية كما في ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾[٥] واللام في الناس للعهد، أي: كما آمن الرسول - ﷺ- ومن معه، وهم ناس معهودون، أو عبد الله بن سلَّام[٦]، وأشياعه أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم، أو للجنس، أي: كما آمن الكاملون في الإنسانية، أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم، والكاف في ﴿كَمَآ ءَامَنَ﴾ في موضع النَّصْب؛ لأنه صفة مصدر

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (٤٢٥/٢).

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمُلِي، الإمام أبو جعفر الطبري، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، كان فقيهاً عالماً بالسنن، جَمَعَ من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، ولد في آمُل طُبْرُسْتَان سنة ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد، وتوفي بها سنة ٣١٠هـ، له مؤلفات كثيرة منها: تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الأمم، والقراءات، وكتاب اختلاف العلماء، وتاريخ الرجال من الصحابة والتابعين، وغيرها. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: (١٢٠/٣). وتذكرة الحفاظ، للذهبي: (٢٠١/٢). وطبقات المفسرين، للسيوطي: (ص٨٢). وطبقات المفسرين، للأدنروي: (ص٤٨).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: (١٩٩/١)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) البقرة:١٣

(٥) التوبة:٢٥

(٦) أبو يوسف عبد الله بن سلَّام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري، كان حليفاً لهم من بني قينقاع، صحابي، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وكان اسمه في الجاهلية الحُصَين فسمَّاه رسول الله - ﷺ- حين أسلم عبد الله، وهو أحد الأحْبَار، أسلم لما قدم النبي - ﷺ- المدينة مهاجراً، توفي بالمدينة سنة ٤٣هـ. انظر: أسد الغابة، لابن الأثير: (٦١٩/١). والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: (٢٧٩/١). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (١١٨/٤). والأعلام، للزركلي: (٩٠/٤).

محذوف، أي: إيماناً مثل إيمان الناس، ومثله ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، والاستفهام في ﴿أَنُؤۡمِنُ﴾ للإنكار، واللام في السفهاء مشار بها إلى الناس»[١].

٢- اعتنى بمعنى {لَعَلَّ} في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٢] فقال: «و لَعَلَّ: للترجي والإطماع، ولكنه إطماعٌ من كريم، فيجري مجرى وعده المحتوم وفاؤه، وبه قال سيبويه[٣]، وقال قُطْرب[٤]: هو بمعنى كي، أي: لكي تتقوا»[٥].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡ﴾[٦] يقول: «ومِن في ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾للتبعيض، أو للبيان، ﴿رِزۡقًا﴾مفعول له إنْ كانت مِنْ للتبعيض، ومفعول به لـــ أَخرَجَ إنْ كانت للبيان»[٧].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٨] يقول: «لبس الحق بالباطل: خَلْطه، والباء: إنْ كانت صِلة مثلها في قولك: لَبست الشيء بالشيء، خلطته به، كان المعنى: ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها، فيختلط الحق المترل بالباطل الذي كتبتم، حتى لا يميز بين حقها وباطلكم، وإنْ كانت باءَ الاستعانة كالتي في قولك: كتبت بالقلم، كان المعنى: ولا تجعلوا الحقَّ ملتبساً مشتبهاً بباطلكم الذي تكتبونه»[٩].

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (٣٦/١-٣٧).

(٢) البقرة:٢١

(٣) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بِشْر، الملقب سيبويه، و "سيبويه" بالفارسية رائحة التفاح، وكان أنيقاً جميلاً، إمام النُّحاة، وأول مَنْ بَسَط علم النحو، ولد في إحدى قرى شِيْراز سنة ١٤٨هـــ، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المُسَمَّى "الكتاب" في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله، ورحل إلى بغداد، فناظر الكِسَائي، وعاد إلى الأهواز فتوفي بها سنة ١٨٠هـــ، وقيل: وفاته وقبره بشيراز، توفي شاباً. انظر: الإكمال، لابن ماكولا: (٤٢٠/٤). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٣٥١/٨). وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: (٢٤٥/١). ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان: (٤٦٣/٣). والأعلام، للزركلي: (٨١/٥).

(٤) هو: محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقُطْرُب، نحوى، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، من الموالي، وهو أول من وضع (المثلث) في اللغة، وقُطْرب لَقَبٌ له دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه، من مؤلفاته: (معاني القرآن)، و (الاشتقاق)، و (القوافي)، و (النوادر)، و(الأزمنة)، وغيرها، توفي سنة ٢٠٦هـــ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (المتوفى سنة ٩١١هـــ): (٢٤٢/١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان – صيدا. والبلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي: (ص٧٢). والأعلام، للزركلي: (٩٥/٧).

(٥) تفسير النَّسَفِي: (٤٦/١).

(٦) البقرة:٢٢

(٧) المصدر السابق: (٤٦/١).

(٨) البقرة:٤٢

(٩) المصدر السابق: (٦٦/١).

٥- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[1] يقول: «والفاء الأولى: للتَّسبيب؛ لأنَّ الظلمَ سببُ التوبة، والثانية: للتعقيب؛ لأنَّ المعنى: فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم، إذ الله – تعالى- جَعَل توبتهم قَتْل أنفسهم، والثالثة: متعلقة بشرط محذوف، كأنَّه قال: فإنْ فعلتم فقد تاب عليكم»[2].

٦- وفي معنى "ما" في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾[3] قال: «سؤالٌ عن حالها وصفتها، لأنهم كانوا عالمين بماهيتها، لأنَّ "مَا" وإنْ كانت سؤالاً عن الجنس، و "كيف" عن الوصف، ولكن قد تقعُ "مَا" موقع "كيف"، وذلك أنهم تعجَّبوا من بقرةٍ ميتة، يُضرب ببعضها ميت فيحيا، فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشَّأن، وما هي: خبر ومبتدأ»[4].

٧- وفي معنى {أَمْ} في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ﴾[5] قال: «أم منقطعة لا متصلة؛ لأنَّ شرطها أنْ يكون قبلها همزة الاستفهام، كقولك: أعندك زيد أم عمرو؟ أي: أيُّهما عندك؟ وجوابه: زيد إنْ كان عنده زيد، أو: عمرو إنْ كان عنده عمرو، وأما "أَمْ" المنقطعة فتقع بعد الاستفهام، وبعد الخبر، وتكون بمعنى بل والهمزة، والتقدير: بل أحسبتم، ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده»[6].

ويرى الباحث: أنَّ "أم" هي للإضراب الانتقالي، وهو الانتقال من كلام إلى آخر، و "حسبتم" بمعنى: ظننتم، وعلى فتنصب المفعولين، ولذا قال بعض النحويين: إنَّ "أنْ" وما دخلت عليه تسد مسد المفعولين، وقال آخرون: بل إنَّ "أنْ" وما دخلت عليه تسد مسد المفعول الأول، ويكون المفعول الثاني محذوفاً دل عليه السياق، فإذا قلنا بالأول فالأمر واضح لا يحتاج إلى تقدير شيء آخر، وإذا قلنا بالثاني يكون التقدير: أم حسبتم دخولكم الجنة حاصلاً.

والخطاب في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ يعود على كل من يتوجه إليه الخطاب إلى النبي – ﷺ- وإلى الصحابة، وإلى من بعدهم.

---

(١) البقرة:٥٤

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٧١/١).

(٣) البقرة:٦٨

(٤) المصدر السابق: (٧٨/١).

(٥) البقرة:٢١٣-٢١٤

(٦) المصدر السابق: (١٥٠/١).

المطلب الثالث

عناية الإمام النَّسَفي بالإعراب

الإعراب[1] هو أحد المباحث المهمة في تفسير القرآن باللغة، فلا يمكن أنْ يفهم القرآن فهماً صحيحاً ما لم تُنْطق كلماته النطق الصحيح.

وإنَّ أقومَ طريقٍ يُسْلَكُ في الوقوف على معنى القرآن – الكريم–، ويُتَوَصَّل به إلى تبيين أغراضه ومغزاه، معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، والنظر في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأثبات[2].

ومن هنا كان على الناظر في كتاب الله، الكاشفِ عن أسراره، النظرُ في اللغة العربية، ومعرفةُ الإعراب، الذي هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، وهو من العلوم الجليلة التي خُصَّت بها العربُ، فبه تميَّز المعاني، ولا يخفى أنَّ جانب الإعراب من أهم الجوانب التي يجب أنْ يلاحظها العالِمُ، والفقيه، والمحدِّث، لأنَّ المعنى يتغيَّر، ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بُدَّ من اعتباره[3].

وإنَّ مِنْ ضِمْن اهتمام الإمام النَّسَفِي بالجانب اللُّغوي اهتمامه بجانب الإعراب، وقد عنى به عناية ظاهرة وبارزة في تفسيره، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة تفسيره فقال: «جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات،...»[4].

والإمام النَّسَفِي يهتم بالإعراب، لعلاقته ببيان المعنى المراد من الآية، إلا إنه لم يتوسَّع فيه كثيراً، ولم يُدْخِل فيه تفصيلات فرعية، فيذكر الوجه الإعرابي للكلمة، وإنْ كان فيها وجوهاً إعرابية أخرى ذكرها، وقد ينسبها لأصحابها من أهل اللغة، وكل ذلك بصورةٍ مختصرةٍ؛ لأنَّه التزم بما قال في مقدمة تفسيره: «... ليس بالطويل المُمِلِّ، ولا بالقصير المُخِلِّ»[5].

---

(١) الإعراب عند النحويين: هو اختلاف آخر الكلمة لاختلاف العامل فيها لفظًا أو تقديرًا. اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله: (٥٢/١)، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م. وإعراب القرآن الكريم: هو ضبط كلماته، والبعد عن اللحن في نطقها حتى يظهر معناها الصحيح. بحوث في أصول التفسير و مناهجه، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي: (ص١١٤)، الناشر: مكتبه التوبة، رقم الطبعة الرابعة،١٤١٩هـ.

(٢) انظر: إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العَكْبري، (المتوفى سنة ٦١٦هـ): (٣/١)، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٣) انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش: (٦/١-٧)، دار اليمامة، دار ابن كثير – دمشق – بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٤) مقدمة تفسير النَّسَفِي: (١٤/١).

(٥) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١] يقول: «إِيَّا عند الخليل[٢] وسيبويه اسم مُضْمَر، والكاف حرف خِطَاب عند سيبويه، ولا محلَّ له من الإعراب، وعند الخليل هو: اسم مُضْمَرٌ أضيف إِيَّا إليه؛ لأنَّه يشبه المظهر، لتقدمه على الفعل والفاعل.

وقال الكوفيون: إياك بكمالها اسم، وتقديم المفعول؛ لقصد الاختصاص، والمعنى: نخصُّك بالعبادة، وهي أقصى غاية الخضوع والتذلّل، ونخصُّك بطلب المعونة»[٣].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[٤]يقول: « أي: ذلك الكتاب الذي وعد به على لسان موسى وعيسى - عليهما الصلاة والسلام-، أو ذلك إشارة إلى "الم"، وإنما ذكّر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث، وهو السورة، لأنَّ الكتابَ إن كان خبره كان ذلك في معناه، ومُسَمَّاه مُسَمَّاه، فجاز إجراء حكمه عليه بالتذكير والتأنيث، وإنْ كان صفته فالإشارة به إلى الكتاب صريحاً، لأنَّ اسم الإشارة مشارٌ به إلى الجنس الواقع صفة له، تقول: هند ذلك الإنسان، أو ذلك الشخص فعل كذا، ووجه تأليف "ذلك الكتاب" مع "الم" إنْ جعلت "الم" إسماً للسورة أنْ يكون "الم" مبتدأ، و"ذلك" مبتدأ ثانياً، و"الكتاب" خبره، والجملة خبر للمبتدأ الأول، ومعناه: أنَّ ذلك هو الكتاب الكامل، كأنَّ ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، كما تقول: هو الرجل، أي: الكامل في الرجولية، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال، وأنْ يكون "الم" خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه "الم" جملة، و"ذلك الكتاب" جملة أخرى، وإنْ جعلت "الم" بمترلة الصوت، كان "ذلك" مبتدأ خبره "الكتاب"، أي: ذلك الكتاب المترل هو الكتاب الكامل»[٥].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[٦]يتعرَّض لإعراب كلمة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فيقول: «﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع رفع أو نصب على المدح، أي: هم﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ أو: أعني ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾، أو هو مبتدأ، وخبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى﴾[٧]، أو جر على أنَّه صفة للمتقين، وهي صفة واردة بياناً وكشفاً للمتقين، كقولك: زيد

---

(١) الفاتحة:٥

(٢) هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزْدِي البصري، أبو عبد الرحمن، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العَرُوْض، وهو أستاذ سيبويه النحوي، ولد ومات في البصرة، من مؤلفاته: (كتاب العين) في اللغة، و(جملة آلات العرب)، و(النغَم)، وغير ذلك، ولد سنة ١٠٠هـ، وتوفي سنة ١٧٠هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: (٥٥٧/١). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٤٢٩/٧). ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان: (٢٤٤/٢).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (٢٠/١).

(٤) البقرة:١-٢

(٥) المصدر السابق: (٢٥/١).

(٦) البقرة:٣

(٧) البقرة:٥

الفقيه المحقق، لاشتمالها على ما أُسِّست عليه حال المتقين من الإيمان الذي هو أساس الحسنات، والصلاة والصدقة: فهما العبادات البدنية والمالية، وهما العيار على غيرهما»[1].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[2] يقول: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الكُفْر: سَتْر الحق بالجحود، والتركيبُ دالٌّ على السَّتر، ولذا سمِّي الزَّراع كافراً، وكذا الليل، و لم يأتِ بالعاطف هنا كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾[3] لأنَّ الجملة الأولى هنا مسوقة بياناً لذكر الكتاب، لا خبراً عن المؤمنين، وسيقت الثانية للإخبار عن الكفار بكذا، فبين الجملتين تفاوت في المراد، وهما على حدٍّ لا مجال للعطف فيه، ولئن كان مبتدأ على تقديرٍ فهو كالجاري عليه، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ بهمزتين كوفي، وسواء بمعنى الاستواء، وصف به كما يوصف بالمصادر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾[4]، أي مستوية، وارتفاعه على أنَّه خبر لإنَّ، و﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ مرتفعٌ به على الفاعلية، كأنَّه قيل: إنَّ الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه، أو يكون سواء خبراً مقدماً، و ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ في موضع الابتداء، أي: سواء عليهم إنذارك وعدمه، والجملة خبر لـــ إنَّ، وإنما جاز الإخبار عن الفعل مع أنَّه خبر أبداً؛ لأنَّه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى، ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ جملة مؤكدة للجملة قبلها، أو خبر لإنَّ، والجملة قبلها اعتراض، أو خبر بعد خبر، والحكمة في الإنذار مع العلم بالإصرار إقامة الحجة، وليكون الإرسال عاماً، وليثاب الرسول – ﷺ–»[5].

٥- ويقول عند تفسيره لقوله – تعالى-: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾[6] «بقصيف الرعد، ﴿وَأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ بوميض البَرْق، ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه، أي: ولو شاء الله أنْ يذهبَ بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما، ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء، وأراد، لا يكادون يبرزون

(١) المصدر السابق: (١/٢٧).

(٢) البقرة:٦

(٣) الانفطار:١٣- ١٤

(٤) آل عمران:٦٤

(٥) تفسير النَّسَفِي: (١/٣١).

(٦) البقرة:٢٠

المفعول إلا في الشيء المستغرب، كنحو قوله:

فلو شِئْتُ أنْ أبكي دَماً لَبَكَيْتُهُ   عليه ولكن ساحة الصَّبرِ أوسعُ[1]»[2].

٦- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾[3] يقول: « أي: بأنَّ لهم جنات، وموضع "أن" وما عملت فيه النصب بـــ "بشّر" عند سيبويه، خلافاً للخليل، وهو كثيرٌ في التتريل»[4].

٧- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[5] يقول: «﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ غير المعلَّم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما قضيت وقدَّرت، والكاف اسم إنَّ، و ﴿أَنتَ﴾: مبتدأ، وما بعده خبره، والجملة خبر إنَّ، أو﴿أَنتَ﴾ فصل، والخبر ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ خبر ثان»[6].

---

(١) هذا البيت للشاعر أبي يعقوب الخُرَيمي، من قصيدة له في رثاء خُرَيْم بن عامر بن عمارة بن خريم المري، وأبو يعقوب الخريمي: هو إسحاق بن حسان بن قوهي، خراساني الأصل، من أبناء السغد، ولد في الجزيرة الفراتية سنة ١٦٦هـــ، وسكن بغداد، واتصل بخريم (الناعم) فنسب إليه، وصفه أبو حاتم السجستاني بأشعر المولدين، وهو صاحب (الرائية) في وصف الفتنة بين الأمين والمأمون، توفي سنة ٢١٢هـــ. انظر: طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي: (١٩٣)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م. والإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا: (٢٤٣/٣)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـــ. وتاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (المتوفى سنة ٥٧١هـــ): (١٩٨/٨)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـــ - ١٩٩٨م. والأعلام، للزركلي: (٢٩٤/١).

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٤٥/١).

(٣) البقرة:٢٥

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٥١/١).

(٥) البقرة:٣٢

(٦) المصدر السابق: (٦١/١).

المطلب الرابع

عناية الإمام النَّسَفِي بالبلاغة

لقد نزل القرآن – الكريم- على العرب وبلغتهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[(١)]، وخاطبهم بأسلوبهم العربي، فالذي يريد معرفة معاني كلام الله – تعالى- ينبغي أنْ يكون على دراية بهذه الأساليب، ليتعرَّف على أسرار التنوّع في الخطاب القرآني، وقد كان الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- كذلك، فقد اشتمل تفسيره على كثيرٍ من الأساليب والصور البلاغية والبيانية، كالتشبيه، والاستعارة، والإيجاز، والتقديم والتأخير، والعطف والاستفهام لغرض بلاغي، والحذف والإضمار، وأمثلة ذلك في تفسيره كثير، منها:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(٢)] يقول: «إيَّاك بكمالها اسم، وتقديمُ المفعول، لقصد الاختصاص، والمعنى: نخصُّك بالعبادة، وهي: أقصى غاية الخضوع والتذلل، ونخصُّك بطلب المعونة، وعَدَل عن الغيبة إلى الخطاب للالتفات، وهو قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التَّكلم، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ﴾[(٤)]، وقول امرئ القيس:

تطَـاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمُـدِ ... ونام الخـليُّ و لم تَرْقُـدِ

وباتَ وبـاتتْ له لَيـلَةٌ ... كليلةِ ذي العائِرِ الأَرْمَدِ

وذلِكَ مِنْ نبأٍ جـاءني ... وخُبِّرْتُهُ عَن أبي الأَسودِ[(٥)]

فالتفت في الأبيات الثلاثة حيث لم يقل: ليلي، وبتُّ، وجاءك، والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القلوب عند السامع، وأحسن تطريةً لنشاطه، وأملأ لاستلذاذ إصغائه، وقد تختصُّ مواقعه بفوائد ولطائف قلَّما تتضح إلا للحذَّاق المهرة، والعلماء النحارير، وقليل ما هم»[(٦)].

---

(١) الشعراء:١٩٥

(٢) الفاتحة:٥

(٣) يونس:٢٢

(٤) فاطر:٩

(٥) ديوان امرئ القيس: (ص٥٣).

(٦) تفسير النَّسَفِي: (٢٠/١).

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [(١)] نجد عنايته بالبلاغة واضحة، ويستشهد بالشعر في بيان الاستعارة الترشيحية[(٢)]، فيقول: «الرِّبح: الفضلُ على رأس المال، والتجارة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح، وإسناد الربح إلى التجارة من الإسناد المجازي، ومعناه: فما ربحوا في تجارتهم، إذ التجارة لا تربح، ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازاً أتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحاً له، كقوله:

ولما رأيتُ النَّسْرَ عَزَّ ابن دَأْيَةٍ وعَشَّشَ في وَكْرَيْهِ جاشَ له صَدْرِي[(٣)]

لما شبَّه الشيبَ بالنسر والشعر الفاحم بالغُراب، أتبعه ذكر التَّعشيش والوَكْر»[(٤)].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ [(٥)] يذكر ما فيها من تشبيه، فيقول: «مواضع حرث لكم، وهذا مجاز شُبِهْنَ بالمحارث تشبيهاً لِمَا يُلْقى في أرحامهن من النُّطَف التي منها النَّسل بالبذور، والولد بالنبات»[(٦)].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [(٧)] يقول: «تمييز، أي: فشا في رأسي الشيب، واشتعلت النار: إذا تفرَّقت في التهابها، وصارت شعلاً، فشَبَّه الشَّيْبَ بشواظ النار في بياضه، وانتشاره في الشَّعَر، وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار، ولا ترى كلاماً أفصح من هذا»[(٨)].

---

(١) البقرة:١٦

(٢) الاستعارة الترشيحية: هي إثبات ملائم المشبه به للمشبه. التعريفات، للجرجاني: (ص٣٦).

(٣) لم أعثر عليه بعد التتبع والاستقراء في دواوين الشعر القديم، و لم تذكر اسمه دواوين الشعر الحديث، وقد ذكره الزمخشري في تفسيره: (١٠٨/١)، وابن عاشور في تفسيره، التحرير والتنوير، محمد الطَّاهر بن عاشور: (٣٠١/١)، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م. واللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي: (٣٦٩/١)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م. والألوسي في تفسيره، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: (١٢٨/٢)، دار إحياء التراث العربي – بيروت. وكلهم ذكروه دون أن يعزوه إلى صاحبه.

(٤) تفسير النَّسَفِي، (٣٨/١-٣٩).

(٥) البقرة:٢٢٣

(٦) المصدر السابق: (١٥٧/١).

(٧) مريم:٤

(٨) المصدر السابق: (٩٧١/٢).

المبحث الثالث

تفسير الإمام النَّسَفِي للقرآن بالرأي

المطلب الأول: عنايته بالمناسبات

المطلب الثاني: عنايته بأسرار التعبير

المبحث الثالث
تفسير الإمام النَّسَفِي للقرآن بالرأي

يُطلق الرأي على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه: أصحاب الرأي: أي: أصحاب القياس، والمراد بالرأي هنا "الاجتهاد" وعليه فالتفسير بالرأي، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم فى القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها[1]، وينقسم إلى قسمين: محمود ومذموم.

فالمحمود: هو المُسْتَمَدُّ من القرآن والسنة، وكان صاحبه عالماً باللغة العربية وأساليبها، وبقواعد الشريعة وأصولها[2]، وقد أجازه العلماء اعتماداً على أمور منها:

١- أن الله – تعالى- أمر عباده بالتدبر، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[5]، وغير ذلك من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن، وإعمال الذهن في آياته، والتذكر والتدبر: يكون بالاجتهاد في فهم معاني القرآن[6].

ويرى الباحث: أنَّ العلة من إنزال القرآن جعلها الشارع في التدبر، وهو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها.

ولذا ذمَّ الله الذين لا يتدبرون القرآن، وأخبر بأنهم قلوبهم مغلفة.

٢- دعاء الرسول – ﷺ- لابن عباس – رضي الله عنه- بقوله: (اللهُمَّ فَقِّهه في الدِّينِ وعَلِّمْهُ التأويل)[7]، فلو كان

---

(١) التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي: (٤/٤١).

(٢) بحوث في أصول التفسير و مناهجه، لفهد الرومي: (ص٧٩).

(٣) القمر:١٧

(٤) محمد:٢٤

(٥) ص:٢٩

(٦) بحوث في أصول التفسير و مناهجه، لفهد الرومي: (ص٧٩).

(٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل ه: (١/٢٦٦)، رقم الحديث (٢٣٩٧). وأورده ابن حبان في صحيحه: (١٥/٥٣١)، رقم الحديث (٧٠٥٥). والحاكم في مستدركه: المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، (المتوفى سنة ٤٠٥هـ): (٣/٦١٥)، رقم الحديث (٦٢٨٠) باب ذكر عبد الله بن عباس، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وأخرجه البخاري: (١/٦٦)، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم الحديث (١٤٣). وصحيح مسلم: (٧/١٥٨)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبدالله بن عباس – رضي الله عنه–، رقم الحديث (٦٥٢٣). وكلاهما بدون زيادة (وعلمه التأويل).

التفسير مقصوراً على النقل لَمَا كان لابن عباس – رضي الله عنهما- ميزة على غيره، فدلَّ ذلك على أنَّ المراد أمرٌ آخَرٌ وراء النَّقل والسَّماع وهو التفسير بالرأي والاجتهاد[1].

٣- ثبت أنَّ الصحابة – رضي الله عنهم- اختلفوا في تفسير القرآن على وجوه، فدلَّ على أنَّه من اجتهادهم[2].

وبهذا يظهر: أنَّ التفسير بالرأي المحمود جائز.

قال ابن تيمية – رحمه الله تعالى-: (فأمَّا من تكلَّم – يعني في التفسير – بما يَعْلَم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه)[3].

والإمام النَّسَفِي – رحمه الله- من المفسرين بالرأي المحمود، فهو كثيراً ما ينقل من أقوال علماء اللغة في تفسير الآية، ويستدل على المعنى باللغة، ويستشهد بالشعر.

ونكتفي – للتمثيل على التفسير بالرأي عند النَّسَفِي – بِذِكْرِ عنايته بالمناسبات، وبأسرار التعبير، كما في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: عنايته بالمناسبات.

المطلب الثاني: عنايته بأسرار التعبير.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي: (٤٣/٤).

(٢) بحوث في أصول التفسير و مناهجه، لفهد الرومي: (ص٨٠).

(٣) شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، شرح ابن عيثيمين: (ص١٠٧).

المطلب الأول

عناية الإمام النَّسَفِي بالمناسبات

إنَّ المناسبة[1]: علم شريف، تَحْزَرُ به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، وهي تجعل الآيات في كتاب الله – تعالى– بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، فتكون متلائمة الأجزاء، محكمة البناء[2].

وبالمناسبة تُعْرف علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سِرُّ البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال[3].

وقد اعتبر بعض المفسرين أنَّ نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو[4].

ولقد ضرب الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– بسهم في تفسير القرآن بالرأي المحمود، ومن ذلك تعرضه لمناسبة الآيات لما قبلها وبعدها، وارتباط ذلك بمعنى الآية وبيانه، **ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:**

١– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾[5] يقول: «لما عدَّد اللهُ فِرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وذكر صفاتهم وأحوالهم، وما اختصَّت به كلٌّ فرقة مما يسعدها،

---

(١) المناسبة في اللغة: هي المقاربة والمشاكلة. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد الحسيني: (٤/٢٦٥). ولسان العرب، لابن منظور: (١/٧٥٥). وفي الاصطلاح العام: المناسبة هي علة الترتيب. علم المناسبات في السور والآيات، د. محمد بن عمر بازمُول: (ص٢٧)، المكتبة المكيَّة – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م. وعند علماء القرآن العظيم: مناسبات القرآن العظيم هي: علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (المتوفى سنة: ٨٥٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، (١/٦). أو بعبارةٍ أخرى: "مناسبات القرآن العظيم هي: المعنى الذي يربط بين سوره وآياته". الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (٣/٣٢٣). وتعرف المناسبة – أيضاً– بأنها: الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات: تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وبما بعدها. مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم: (ص٥٨)، دار القلم – دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م. وهي أيضاً: "معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض". علم المناسبات في السور والآيات، د.محمد بن عمر بازمُول: (ص٢٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (المتوفى سنة ٧٩٤هـ): (١/٣٥)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (١/٦).

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) البقرة:٢١

ويشقيها، ويحظيها، عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات المذكور، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾»[1].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2] نجده يربط بين هذه الآية مع الآية السابقة: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3] فيقول: «ولمَّا احتجَّ عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك ـــ لخلقهم أحياء قادرين، وخلق الأرض التي هي مثواهم ومستقرهم، وخلق السماء التي هي كالقُبَّة المضروبة، والخيمة المُطْنَبة على هذا القرار، وما سوّاه - ﷻ- من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها، والإخراج به من بطنها أشباه النَّسل من الثمار رزقاً لبني آدم، فهذا كُلُّه دليلٌ موصِلٌ إلى التوحيد مبطلٌ للإشراك؛ لأنَّ شيئاً من المخلوقات لا يقدر على إيجاد شيء منها، عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة - ﷺ- وما يقرر إعجاز القرآن فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾»[4].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[5] يقول: «سُنَّةُ الله في كتابه أنْ يذكر الترغيبَ مع الترهيب تنشيطاً لاكتساب ما يُزْلف، وتثبيطاً عن اقتراف ما يُتْلَف، فلمَّا ذكر الكفار وأعمالهم، وأوعدهم بالعقاب قفَّاه بذكر المؤمنين وأعمالهم، وتبشيرهم بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾»[6].

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (٤٥/١).

(٢) البقرة:٢٣

(٣) البقرة:٢٢

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٤٧/١).

(٥) البقرة:٢٥

(٦) المصدر السابق: (٥٠/١).

٤-   وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾(١) يقول: «لمَّا ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعاً لرسول الله -ﷺ- والمؤمنين على الثبات، والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب، وإنكارهم لآياته، وعداوتهم له، قال لهم على طريقة الالتفات ـــ التي هي أبلغ ـــ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾»(٢).

٥-   وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٣) يقول: «ولمَّا برهن على قدرته على الإحياء، حثَّ على الإنفاق في سبيل الله، وأَعْلَم أنَّ مَنْ أنفق في سبيله فله في نفقته أجرٌ عظيمٌ، وهو قادر عليه، فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾»(٤).

ويرى الباحث: أنَّ المراد بالمثل: الصفة؛ لأنَّه لم يذكر المماثل، أما إذا قيل: (مثل هذا كمثل هذا)، فهذا يعني الشبه، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾(٥)، والذي يظهر من الآية: أنَّه لا يوجد فيها بين الممثل والممثل به؛ لأنَّ الممثل هو العامل، والممثل به هو العمل.

والحكمة من هذا الطيّ أن يكون المثل صالحاً للتمثيل بالعامل، والتمثيل بالعمل، وهذا من بلاغة القرآن، أضف إلى ذلك أنَّ الآية فيها ضرب الأمثال؛ وهو تشبيه المعقول بالمحسوس؛ لأنَّ ذلك أقرب إلى الفهم.

(١) البقرة:٢١٤

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١٥٠/١).

(٣) البقرة:٢٦١

(٤) المصدر السابق: (١٨٤/١).

(٥) البقرة:١٧

المطلب الثاني

عناية الإمام النَّسَفِي بأسرار التعبير

من التفسير بالرأي المحمود العناية بأسرار التعبير، وتتضح عناية الإمام النَّسَفِي بأسرار تعبيرات القرآن ومترلته من الكلام العربي من عدَّة أوجه.

منها: عنايته باللغات، والإعراب، والقراءات، وأوجه البيان في الخطاب القرآني، وغير ذلك مما سطَّره في كتابه.

وفي أحيان كثيرة، نجده يستنبط من الآية معانٍ ودلالات ذات أثر في النفس، ومن ذلك مثلاً:

١- حينما تعرَّض لتفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(١)] قال: «ومما اختصَّ به هذا الموضع أنَّه لَّما ذكر الحقيق بالحمد والثناء، وأجرى عليه تلك الصِّفات العظام، تعلَّق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل: إيَّاك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك، وقُدِّمت العبادةُ على الاستعانة؛ لأنَّ تقديمَ الوسيلة قبل طلب الحاجة أقربُ إلى الإجابة»[(٢)].

٢- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[(٣)] يقول: «﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ من مساوئ الأخلاق، لا طمحات ولا مرحات، أو مما يختصُّ بالنساء بالحيض والاستحاضة، وما لا يختص هن من البول والغائط، وسائر الأقذار والأدناس، ولم تُجمع الصفة كالموصوف لأنهما لغتان فصيحتان، ولم يقلْ: طاهرة؛ لأنَّ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أبلغ؛ لأنَّها تكونُ للتكثير، وفيها إشعارٌ بأنَّ مُطَهِّراً طهَّرهُنَّ وما ذلك إلا الله - ﷻ-»[(٤)].

٣- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾[(٥)]يقول: «أي: لا يترك ضَرْب المَثل بالبعوضة ترك من يستحي أنْ يتمثَّل ها لحقارها، وأصل الحياء: تغيُّر وانكسار يعتري الإنسانَ من تخوُّف ما يُعاب به ويُذَمُّ، ولا يجوزُ على القديم التغير، وخوف الذم، ولكن التَّرك لَّما كان مِن لوازمه عبَّر عنه به، ويجوز أنْ تقعَ هذه العبارةُ في كلام الكفرة فقالوا: أما يستحيي ربُّ محمد أنْ يضربَ مثلاً بالذباب

---

(١) الفاتحة:٥

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٢١/١).

(٣) البقرة:٢٥

(٤) المصدر السابق: (٥٣/١).

(٥) البقرة:٢٦

والعنكبوت، فجاءت على سبيل المقابلة، وإطباق الجواب على السؤال، وهو فنٌّ من كلامهم بديع، وفيه لغتان: التعدي بنفسه وبالجار، يقال: استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا»[1].

٤- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[2] يقول: «﴿وَٱسۡتَعِينُواْ﴾ على حوائجكم إلى الله ﴿بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: بالجمع بينهما، وأن تُصلُّوا صابرين على تكاليف الصلاة، محتملين لمشاقِّها، وما يجب فيها من إخلاص القلب، ودفع الوساوس الشيطانية، والهواجس النفسانية، ومراعاة الآداب، والخشوع، واستحضار العلم بأنَّه انتصاب بين يدي جبَّار السَّموات والأرض، أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبرِ عليها، والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها، وكان رسول الله - ﷺ- إذا حَزَبه أمر فَزِعَ إلى الصلاة[3]»[4].

٥- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ﴾[5] يقول: «أي: تداخلهم حُبُّه، والحرص على عبادته، كما يتداخل الصّبغُ الثوب، وقوله: في قلوبهم، بيان لمكان الإشراب، والمضاف وهو الحُبّ محذوف»[6].

٦- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[7] يقول: «كلام فصيح، لِمَا فيه من الغرابة، إذ القصاص قَتْلٌ، وتفويت للحياة، وقد جعل ظرفاً للحياة، وفي تعريف القصاص، وتنكير الحياة بلاغة بيِّنة؛ لأنَّ المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة؛ لمنعه عَمَّا كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا، فكان القصاص حياة وأي حياة! أو نوع من الحياة، وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل؛ لوقوع العلم بالقصاص من القاتل؛ لأنَّه إذا همَّ بالقتل، فتذكر الاقتصاص، ارتدع، فَسَلِم صاحبه من القتل، وهو من القَوَد، فكان شرعُ القصاص سببُ حياة نفسين»[8].

قلت: ولذا جاءت "حياة" نكرة للتعظيم، والمعنى: حياة كبرى، أو عظمى، ثم نجد أنَّه جل وعلا ختم الآية بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[9]؛ لأنَّ الحكم يحتاج إلى تعقل وتأمل وتدبر حتى يتبين مطابقته للعقل.

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (٥٤/١).

(٢) البقرة:٤٥

(٣) سنن أبي داوود: (٥٠٧/١)، كتاب الصلاة، باب: وَقْتِ قِيَامِ النَّبِيِّ - ﷺ- مِنَ اللَّيْلِ، رقم الحديث (١٣٢١)،. ومسند الإمام أحمد: (٣٨٨/٥)، رقم الحديث (٢٣٣٤٧)، من حديث حذيفة، بلفظ: (كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ- إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى). والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، (٤٧٩/١٨)، رقم الحديث (٨٨٣٢).

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٦٧/١).

(٥) البقرة:٩٣

(٦) المصدر السابق: (٩٠/١).

(٧) البقرة:١٧٩

(٨) المصدر السابق: (١٣٠/١).

(٩) البقرة:١٧٩

الفصل الثالث

منهج الإمام النَّسَفِي في الترجيح في التفسير

المبحث الأول: تعريف الاختيار والترجيح، والفرق بينهما، ووقت الترجيح.

المبحث الثاني: صيغ الترجيح عند الإمام النَّسَفِي.

المبحث الثالث: وجوه الترجيح عند الإمام النَّسَفِي .

المبحث الأول

تعريف الاختيار والترجيح، والفرق بينهما، ووقت الترجيح

المطلب الأول: تعريف الاختيار والترجيح.

المطلب الثاني: الفرق بين الاختيار والترجيح.

المطلب الثالث: وقت الترجيح.

الفصل الثالث: منهج الإمام النَّسَفِي في الترجيح في التفسير

المبحث الأول: تعريف الاختيار والترجيح، والفرق بينهما، ووقت الترجيح

المطلب الأول: تعريف الاختيار والترجيح

الفرع الأول: تعريف الاختيار:

الاختيار لغة: مُشتقٌ من الخَير، وهذه المادة (الخاء، والياء، والراء)، أصله العَطْف، والمَيْل، ثمَّ يحمل عليه، فالخير خلافُ الشَّر؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يميل إليه، ويَعْطِف على صاحبه[1].

يقال: خار الشيء يَخِير، صار ذا خَيْر، واختاره وتخَيَّره: انتقاه ومال إليه، وخار الرجل على غيره خيرةً وخيراً: فضله، ويقال: رجلٌ خَيرٌ، وامرأةٌ خَيِّرةٌ، أي: فاضلةٌ في صَلاحِها، والجميعُ خيارٌ وأخيار[2].

وقال بعض أهل اللغة: الاختيار: هو طلب ما هو خير، وفعله[3].

وقال بعضهم: الاختيار: الإرادة مع ملاحظة ما للطرف الآخر، كأنَّ المختار ينظر إلى الطَّرفين، ويميل إلى أحدهما [4].

والاختيارُ: الاصطفاء[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[6] وخار الشيءَ واختاره: انتقاه[7].

ويتضح من خلال ما سبق: أنَّ مادة (الخاء، والياء، والراء) تدور حول الاصطفاء، والعطف، والميل، والانتقاء، والتفضيل، والجودة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: (٢/٢٣٢).

(٢) انظر: العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: (٤/٣٠١)، تحقيق: د/مهدي المخزومي، و د/إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال. ومفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم: (١/٣٢٧-٣٢٩)، دار القلم ـــ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـــ - ١٩٩٦م.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، للإمام عبدالرؤوف بن المناوي: (ص٤١).

(٤) الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـــ - ١٩٩٨م. (٧٤).

(٥) الصَّحَاح، لإسماعيل بن حمَّاد الجوهري: (ص٦٥٢)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين — بيروت — لبنان، ١٩٩٠م.

(٦) طه:١٣

(٧) لسان العرب، لابن منظور: (٤/٢٦٤).

وأما تعريفه اصطلاحاً: ترجيح الشيء، وتخصيصه، وتقديمه على غيره[1].

والمراد بالاختيار في التفسير: هو تقديم أحد الأقوال المقبولة في تفسير الآية لسبب معتبر، مع تصحيح بقية الأقوال، وهذا عندما يكون من الاختلاف من باب التنوع لا التضاد.

وأما الاختيار في اصطلاح المفسرين؛ فلم أرَ من حَرَّره من المتقدمين، واستعمالُ المفسرين له يدلُّ على أنَّه بمعنى الترجيح، حيث يستعملونه في ترجيح قولٍ على آخر، سواء على وجه التقديم واختيار الأولى، أم على وجه تصحيح القول المرجّح، ورد القول الآخر.

الفرع الثاني: تعريف الترجيح:

الترجيح في اللغة: من مادة (رَجَحَ) الراء والجيم والحاء أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على رزانة وزيادة، يقال: رَجَحَ الشيء وهو راجِحٌ إذا رَزَن[2]، وأرْجَح الميزانَ أي: أثقله حتى مال[3].

فالمعنى العام الذي تدور حوله كلمة (رَجَحَ) هو: جعل الشيء راجحاً، أي: فاضلاً زائداً.

والترجيح في اصطلاح الأصوليين: تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر[4]، وعُرِّف أيضاً: "تَقْوِيَةُ إحْدَى الأَمَارَتَيْنِ عَلَى الأُخْرَى لِدَلِيلٍ"[5].

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي: (١١٩/١)، تحقيق: رفيق العجم - علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م. وقواعد الفقه، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي: (ص١٦٤)، دار النشر: الصدف ببلشرز - كراتشي – ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، الطبعة الأولى.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (المتوفى سنة ٣٩٥هـ): (٤٨٩/٢)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) لسان العرب، لابن منظور: (٤٤٥/٢). وانظر: تهذيب اللغة، (١٤٢/٤). ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، (المتوفى سنة ٧٢١هـ): (ص٩٩)، تحقيق: محمود خاطر، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. والقاموس المحيط، (٢٧٩/١). مادة (رَجَحَ).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، للإمام عبدالرؤوف بن المناوي، (المتوفى سنة ١٠٣١هـ): (ص٩٥)، تحقيق: د. عبدالحميد صالح حمدان، عالم الكتب – القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٥) شرح الكوكب المنير، لتقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي، المعروف بابن النجار، (المتوفى سنة ٩٧٢هـ): (٦١٦/٤)، تحقيق: محمد الزحيلي، و نزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م. والبحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، (المتوفى سنة ٧٩٤هـ): (٤٢٥/٤)، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

وقيل: الترجيح إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر[1].

وقيل: تقوية أحد الطَّرفين على الآخر؛ لِيُعْلَم الأقوى، فَيُعْمَلْ به، ويَطْرح الآخر[2].

والمراد بالترجيح في التفسير: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل، أو قاعدة تُقَوِّيه، أو لتضعيف، أو ردِّ ما سواه[3].

ويتضح لنا مما سبق: أنَّ المفسرين ليس عندهم للترجيح حدّ أو تعريف متفق عليه، و لم أرَ من ذَكَرَ له تعريفاً من المتقدمين، واستعمالهم للترجيح في تفاسيرهم يدلُّ على توسُّعِهِم في إطلاقه، فهو عندهم يشمل كلّ تقديم لقولٍ على آخر، سواء كان تقديماً يلزم منه ردّ الأقوال الأخرى، أم كان تقديماً لا يلزم منه ذلك.

ولذلك: فالترجيح عند المفسرين يفترق عن الترجيح بين القراءات عند القراء؛ فمن شرط جواز الترجيح بين القراءات المتواترة عند من يجيزه: عدم ردّ القراءة المرجوحة[4].

وأما الترجيح الذي سرت عليه في هذا البحث فهو: اعتماد أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل، أو لتضعيف وردّ ما سواه[5].

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، (المتوفى سنة ٨١٦هـ): (ص٧٨)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٢) المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (المتوفى سنة ٦٠٦هـ): (٥/٥٢٩)، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي بن حسين الحربي: (١/٢٩)، دار القاسم – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(٤) انظر: معجم مصطلحات علمي التجويد والقراءات، للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري: (ص٥٣)، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي بن حسين الحربي: (١/٢٩).

المطلب الثاني

الفرق بين الاختيار والترجيح

سبق التنبيه على أنَّ عمل المفسرين يدلُّ على عدم تفريقهم بين الاختيار والترجيح، وقد نهجت بعض الدراسات العلمية المتأخرة منهج التفريق بينهما؛ لأنَّ كلَّ لفظ له دلالته في اللغة، كما أنّ ذلك يفيد في التمييز بين الترجيحات الواردة في كتب التفسير؛ فإنها ليست على مرتبة واحدة.

ومن خلال التعريفين السابقين للاختيار والترجيح، الّذَيْن اعتمدتهما في هذه الدراسة يتضح أنَّ بينهما فرقاً من وجهين:

أحدهما: أنَّ الترجيح تقوية لأحد الأقوال؛ ليُعلم الأقوى؛ فيُعمل به، ويُطرح الآخر، بخلاف الاختيار؛ فإنَّه ميلٌ إلى المختار، وليس فيه طرح للأقوال الأخرى.

ومما يؤيد هذا التفريق ما ذكره الأصوليون في مسائل الترجيح، فقد نصَّ بعضهم على أنَّه إذا تحقَّق الترجيح وجب العمل بالراجح وإهمال الآخر(١).

كما يؤيده – أيضاً- ما اتفق عليه الأصوليون من كون الجمع بين الدليلين أولى من الترجيح؛ لأنَّ في الترجيح إسقاطاً لأحدهما(٢).

والثاني: أنَّ الترجيح يكون بين الأقوال المقبولة وغير المقبولة، والصحيحة والضعيفة، وأما الاختيار فلا يكون إلا بين الأقوال المقبولة في تفسير الآية.

ويُبنى على هذا: أنَّ الاختلاف بين الأقوال في الترجيح يكون في الغالب من اختلاف التضاد، بخلاف الاختيار؛ فإنَّ الاختلاف بين الأقوال فيه إنَّما يكون من اختلاف التنوع.

---

(١) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، (٤/٤٢٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى سنة (٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب – الرياض- المملكة العربية السعودية، تاريخ الطبعة : ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، (١٠/٣٠٥).

المطلب الثالث

وقت الترجيح

إنَّ طلب أصحّ الأوجه في تفسير كلام الله – تعالى – من أهم مقاصد العلم وتحصيله، ودراسة التفسير خاصة، لذلك مما ينبغي العلم به، العلم بالتفسير الذي اتفق عليه العلماء، وأجمع عليه أهل الأمصار والأعصار، أو أهل عصر معين، كإجماع الصحابة، أو إجماع التابعين، أو مَن بعدهم(١).

قال ابن قدامة(٢): ويجب على المجتهد في كل مسألة أنْ ينظر أول شيء إلى الإجماع فإنْ وجده لم يحتج إلى النظر في سواه، ولو خالفه كتاب أو سنة علم أنَّ ذلك منسوخ أو متأوَّلٌ لكون الإجماع دليلاً قاطعاً لا يقبل نسخاً ولا تأويلاً(٣).

والتفسير المنقول: إمَّا أنْ يكون مجمعاً عليه، أو مختلفاً فيه، فإنْ كان مجمعاً عليه؛ فلا حاجة إلى الترجيح، وإنْ كان مختلفاً فيه، فالاختلاف نوعان:

الأول: اختلاف تضاد(٤): وهذا النوع يكون فيه الترجيح، لبيان القول الصواب في الآية.

الثاني: اختلاف تنوع(٥): وفي هذا النوع يكون الترجيح لبيان القول الأولى إنْ احتاج الأمر إلى ذلك، وإنْ كانت الآية تحتمل المرجوح(٦).

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي بن حسين الحربي: (٣٤/١).

(٢) هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن نصر المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، أبو محمد شيخ الإسلام، موفق الدين، مولده بجماعيل مِن عمل نابلس سنة ٥٤١هـ، في شعبان، وتوفي يوم السبت يوم الفطر، سنة ٦٢٠هـ. له مؤلفات كثيرة منها: المغني في فقه الحنابلة، هو من أعظم كتبه، والروضة في الأصول، وغيرها، كان إماماً في الفقه والأصول والفرائض. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٦٥/٢٢). ذيل طبقات الحنابلة، لعبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: ()، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م. وشذرات الذهب، لعبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي: (٨٨/٥)، والأعلام، للزركلي: (٦٧/٤).

(٣) روضة الناظر وجنة المناظر، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي: (٣٨٦) تحقيق: د/ عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

(٤) اختلاف التضاد: لا يمكن الجمع فيه بين القولين؛ لأنَّ الضدين لا يجتمعان. انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: (ص٢٩).

(٥) اختلاف التنوع: يمكن الجمع فيه بين القولين المختلفين؛ لأنَّ كل واحدٍ منهما ذكر نوعاً، والنوع داخل في الجنس، وإذا اتفقا في الجنس فلا اختلاف. انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: (ص٢٩).

(٦) انظر: فصول في أصول التفسير، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: (٩٨)، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

وبعبارة أخرى: فإنَّ الكثرة الكاثرة من الآيات وقع الخلاف في تفسيرها، وهذا الخلاف لا يخلو من أحد أربعة أمور:

١- أنْ تكون جميع الأقوال محتَمَلة في الآية، وبقوة الاحتمال نفسها، أو قريباً منه، ونصوص القرآن والسنة شاهدة لكل واحد منها.

٢- أنْ تكون الأقوال متعارضة مع بعضها يتعذر حمل الآية عليها جميعاً.

٣- أنْ تكون الأقوال ليست متعارضة مع بعضها، وإنَّما يكون بعضها معارضاً لدلالة آيات قرآنية، أو لنصوص صحيحة من السنة، أو لإجماع الأمة.

٤- أنْ تكون الأقوال المختلفة في الآية مُحتَمَلة في تفسير الآية، غير أنْ بعضها أولى من بعض لاعتبارات معينة[١].

فأمَّا النوع الأول من الخلاف فلا يدخله ترجيح، إذ يستقيم حَمْل الآية على كل قولٍ منها، وليس بعضها أولى من بعض.

أمَّا الأنواع الثلاثة الباقية فهي محلُّ هذا البحث، والترجيح يكون فيها لوقوع الخلاف في الأقوال الواردة في تفسير آياتها.

ونستطيع أن نوضح منهج الإمام النَّسَفِي في ترجيحاته في التفسير من خلال المباحث الآتية.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي بن حسين الحربي، (٣٥/١).

المبحث الثاني

صيغ الترجيح وأساليبه عند الامام النَّسَفِي

المطلب الأول : التنصيص على القول الراجح

المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره

المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح بصيغة الجزم والأخرى بصيغة التمريض

المبحث الثاني: صيغ الترجيح وأساليبه عند الامام النَّسَفِي

المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح

تُعَدُّ هذه الطريقة من أشهر طرق الترجيح عند المفسرين، لكونها أوضحها وأبينها في الدلالة على القول الراجح، ومبنى هذه الصيغة النص على الصواب، وما في معناه وألفاظ مختلفة.

ومن خلال قراءتي واستعراضي لتفسير النَّسَفِي كاملاً، جمعت صيغ الترجيح من بداية تفسيره لسورة الفاتحة إلى نهاية تفسيره لسورة الناس، ولم أكتفي بحدود رسالتي – سورتي الفاتحة والبقرة- وإنَّما جمعتها كاملاً، وذلك من باب الاستزادة، وحتى تعم الفائدة، وتكون الرؤية أكثر، والمنفعة أشمل.

وللتنصيص على القول الراجح عند الإمام النَّسَفِي درجات، وهي:

(١) التصريح بتصحيح أحد الأقوال، كقوله:

- والأصح[١].
- وهو الأصح[٢].
- والصحيح[٣].
- أن الصحيح[٤].

وتقتضي هذه الصيغة أنَّ ما سوى القول المُرَجَّح عنده مردود.

والأمثلة على التصريح بتصحيح أحد الأقوال عند الإمام النَّسَفِي كثيرة، من ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[٥] يقول: «الهُبُوطُ: النزولُ إلى الأرض، والخطاب لآدم وحواء وإبليس، وقيل: والحية، والصحيح لآدم وحواء[٦]».

(٢) التصريح باختيار أحد الأقوال في تفسير الآية، كقوله:

- والأول أصح[٧]، ومثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨] يقول: «أي: وكان نصر المؤمنين حقاً علينا بإنجائهم مع الرسل، وقد يوقف على حقاً، ومعناه: وكان الانتقام منهم حقاً، ثم يبدأ علينا نصر المؤمنين، والأول أصح[٩]».

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (١٦/١، ٤٨١)، (٨٤٥/٢، ١٢٠٦)، (١٨٢٠/٣).
(٢) المصدر نفسه: (٥٧٢/١)، (١٢٣٢/٢).
(٣) المصدر نفسه: (٤٢/١، ٦٣، ٤٣٣، ٤٦٣)، (٨٩٨/٢، ١١٤٥)، (١٩٧٦/٣).
(٤) المصدر نفسه: (٩٣٩/٢).
(٥) البقرة:٣٦
(٦) المصدر السابق: (٦٣/١).
(٧) المصدر السابق: (١٣٢٤/٢)، (١٩٤٠/٣).
(٨) الروم:٤٧
(٩) المصدر السابق: (١٣٢٤/٢).

(٣) التنصيص على تحسينه قولاً وتفضيله على غيره، كقوله:

- في الأصح[١].
- في الصحيح[٢].
- وهو أحسن[٣].
- وهذا أحسن[٤].
- وهو حسن[٥].
- حَسَن[٦].
- قلنا[٧].
- وفيه دليل على أنَّ الصواب[٨].
- وهذا أظهر[٩].
- والأول أظهر[١٠].
- وهو أظهر[١١].
- والظاهر الأول[١٢].
- وهو الظاهر[١٣].
- والظاهر[١٤].
- والأول أوجه[١٥].
- والأول الوجه[١٦].

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (٤١/١)، (٩٨٤/٢).

(٢) المصدر نفسه: (٦١/١، ٤٦٠-٤٦١).

(٣) المصدر نفسه: (١١١٨/٢).

(٤) المصدر نفسه: (٥١/١).

(٥) المصدر نفسه: (١٢٦٥/٢).

(٦) المصدر نفسه: (١٥٣٩/٣، ١٦٨٧).

(٧) المصدر نفسه: (٥٣/١، ٦٢، ٧١، ١٧١، ٢٨٠، ٣٠٢، ٤١١)، (٨٤٣/٢، ١١٣٣).

(٨) المصدر نفسه: (١٠٥١/٢).

(٩) المصدر نفسه: (٧٣/١).

(١٠) المصدر نفسه: (١١٦/١، ٤٦٤، ٤٦٦)، (٧٣٢/٢، ٩٦١، ١٠٧١).

(١١) المصدر نفسه: (١٠١٤/٢).

(١٢) المصدر نفسه: (١٥٣٧/٣).

(١٣) المصدر نفسه: (٢١٧/١، ٢٤٣، ٦٢٢)، (٨٩٦/٢).

(١٤) المصدر نفسه: (٣٧٥/١)، (٧٥٣/٢، ١٠٤١، ١١٧٧)، (١٥٣٥/٣، ١٧٧٣، ١٩٠٦).

(١٥) المصدر نفسه: (١٨/١).

(١٦) المصدر نفسه: (٦٠/١، ١٢٠، ٥٩٤)، (١١٣٢/٢، ١١٣٤).

- والوجه هو الأول[١].
- وهو الوجه[٢].
- وهذا هو الوجه[٣].
- وهذا الوجه أوقع[٤].
- ولكن الوجه فيه أن يقال[٥].
- قال الزجاج : هو الوجه المختار[٦].
- والأول الأوجه[٧].
- الأوجه[٨].
- والأول أجود[٩].
- إلا إن الأول أجود[١٠].
- والوصل أجود[١١].
- والأول أولى[١٢].
- أولى[١٣].
- والأول أحوط[١٤].
- والأول أشبه[١٥].
- وعليه ظاهر النص[١٦].
- وعندنا[١٧].

(١) تفسير النَّسفي: (١٥٠٩/٣، ١٦٤٢، ١٨٥٢).
(٢) المصدر نفسه: (٧٢٥/٢، ١٠٢٦).
(٣) المصدر نفسه: (٩٢٨).
(٤) المصدر نفسه: (٤٤٣/١).
(٥) المصدر نفسه: (٣٩٠/١).
(٦) المصدر نفسه: (٣٨/١).
(٧) المصدر نفسه: (١٤٩/١).
(٨) المصدر نفسه: (٣٦٨/١).
(٩) المصدر نفسه: (١٢٨/١).
(١٠) المصدر نفسه: (١٤٩١/٣).
(١١) المصدر نفسه: (١٣٠٤/٣).
(١٢) المصدر نفسه: (١٥٣٦/٣، ١٧٦٥).
(١٣) المصدر نفسه: (٤٨/١، ١٥٦، ٣٠٣)، (١٧٣٠/٣).
(١٤) المصدر نفسه: (١٥٦٦/٣).
(١٥) المصدر نفسه: (٤٤٦/١).
(١٦) المصدر نفسه: (٤٨٤/١).
(١٧) المصدر نفسه: (٤٦/١، ١٢٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٦٦، ٢٥٢، ٣٤٤، ٤٧٥).

- فعندنا[1].
- عندنا[2].

وهذه الصيغة ظاهرة في الدلالة على الاختيار والترجيح؛ لأنها تنص على أفضلية قول على آخر.
وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[3] يقول: «والمأمور بقوله: "وبشر" الرسول عليه الصلاة السلام، أو كل أحد، وهذا أحسن؛ لأنَّه يؤذن بأنَّ الأمر لعظمة وفخامة شأنه محقوق بأنَّ يبشر به كل من قدر على البشارة به[4]».

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾[5] يقول: «﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: محمداً عليه السلام، أو القرآن، أو تحويل القبلة، والأول أظهر لقوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾[6]»[7].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[8] يقزل: «﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التمتع عندنا إذ لا تمتع ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندنا، وعند الشافعي – رحمه الله– إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي، أو الصيام، و لم يوجب عليهم شيئاً»[9].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾[10] يقول: «... وموضع السجدة عندنا ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾وعند الشافعي – رحمه الله– عند ﴿تَعْبُدُونَ﴾[11] والأول أحوط»[12].

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (١٣٩/١)، (٧٥٠/٢، ١١٢٠)، (١٧٧٠/٣).
(٢) المصدر نفسه: (١٩/١، ٣١، ٧٩، ٩٧، ١٤١، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٢، ١٩٥، ٢٩٠، ٣٠٥، ٣١١، ٣٤٤، ٦١٧)، ٨٠٠/٢، ١١٢٠، ١١٢١)، (١٤٥٠/٣، ١٥٩٧، ١٦٤٩، ١٨٣٠،
(٣) البقرة:٢٥
(٤) المصدر السابق: (٥١/١).
(٥) البقرة:١٤٦
(٦) الأنعام:٢٠
(٧) المصدر السابق: (١١٦/١).
(٨) البقرة:١٩٦
(٩) المصدر السابق: (١١٠/١).
(١٠) فُصِّلَت:٣٨
(١١) فُصِّلَت:٣٧
(١٢) المصدر السابق: (٧٧/٤).

(٤) التنصيص على العموم وتصدير القول الراجح بعبارة تدلُّ على رجحانه، أو اختيار جمهور المفسرين له، كقوله:

- كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين[١].
- إلى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير[٢].
- وذهب جمهور المفسرين[٣].
- وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، وأكثر المفسرين رحمهم الله[٤].
- وعليه جمهور أهل السنة[٥].
- والقول الأكثر[٦].
- وعلى الأول الجمهور[٧].
- عند الجمهور[٨].
- في قول الجمهور[٩].
- وهو الأصح وعليه الجمهور[١٠].
- وعليه الجمهور[١١].
- الجمهور[١٢].
- والظاهر العموم[١٣].
- يفسره الظاهر[١٤].

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (٣٠٢/١).
(٢) المصدر نفسه: (٥٦٢/١).
(٣) المصدر نفسه: (٥٦٢/١).
(٤) المصدر نفسه: (١٠٧٢/٢).
(٥) المصدر نفسه: (٩٩٠/٢).
(٦) المصدر نفسه: (١٣١٣/٢).
(٧) المصدر نفسه: (٨٩٦/٢).
(٨) المصدر نفسه: (١٢٩/١، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٨)، (٧٧١/٢، ٩٢٢، ٩٧٦، ٩٨٧، ١٠١٩، ١١٦٠، ١٢٤٧)، (١٤٣٣/٣، ١٦٣٥، ١٧٠١، ١٧١٤، ١٨٠٩، ١٨٤٥، ١٨٥٢، ١٨٩١، ١٩١٨).
(٩) المصدر نفسه: (١١٧٠/٢).
(١٠) المصدر نفسه: (١٢٣٢/٢).
(١١) المصدر نفسه: (١٧١/١)، (١٣٨٥/٣، ١٤٢٦، ١٨٩٦، ١٩٨٤).
(١٢) المصدر نفسه: (٢٣/١، ٩٢، ٣٨١، ٤٣٣)، (٧٨٠/٢، ٧٩٤، ٨٠٦، ٨٢٧، ٨٥٤)، (١٤٧٠/٣، ١٦٦٩، ١٦٩١، ١٧١٥، ١٨٩٧).
(١٣) المصدر نفسه: (١٥٨٢/٣، ١٦٥٧).
(١٤) المصدر نفسه: (٣٧٣/١، ٤٢٩، ٦٠٨)، (٨٥٦/٢، ١١١٨، ١٧٣٠، ١٧٦٦).

والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[1] يقول: «وقيل: المراد بالنكاح الوطء، أي: لا تطئوا ما وطيء آباؤكم، وفيه تحريم وطء موطوءة الأب بنكاح، أو بملك يمين، أو بزنا، كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين»[2].

٢- ويقول: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾[3] «يكتسب طاعة، عن السَّدي: أنها المودة في آل رسول الله - ﷺ- نزلت في أبي بكر - رضي الله عنه- ومودته فيهم، والظاهر العموم في أي حسنة كانت، إلا أنها تتناول المودة تناولاً أولياً لذكرها عقيب ذكر المودة في القربى»[4].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[5] يقول: «أي: ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله – تعالى- عند قول العفريت، أو جبريل - عليه السلام-، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ، أو الخضر، أو اصف بن برخيا كاتب سليمان، وهو الأصح وعليه الجمهور، وكان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وهو: يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، أو يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت. وقيل: كان له علم بمجاري الغيوب إلهاماً»[6].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾[7] يقول: «أي: بقول لا إله إلا الله عند الجمهور»[8].

---

(١) النساء:٢٢

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٣٠٢/١).

(٣) الشورى:٢٣

(٤) المصدر السابق: (١٥٨٢/٣).

(٥) النمل:٤٠

(٦) المصدر السابق: (١٧٢/٣).

(٧) النمل:٨٩

(٨) المصدر السابق: (١٨٠/٣).

المطلب الثاني
التفسير بقول مع النص على ضعف غيره

والمراد بهذه الطريقة حصر القول الراجح في قولٍ ما، ورد ما عداه من الأقوال، فإذا قام الدليل على رد بعض الأقوال فالصواب منحصر فيما عداها، فإنَّ الترجيح يكون بالنص على صواب قول وصحته، ويكون برد بعض الأقوال الواردة في الآية المفسرة، وإنْ لم ينص المفسِّر على اختياره وترجيحه.

وهذه الطريقة معتبرة معروفة عند العلماء، بل حكى الإمام ابن عبدالبر[1] الإجماع على مضمونها حيث قال: (ولا خلاف بين أهل العلم والنظر أنَّ المسألة إذا كان فيها وجهان فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما أنَّ الحق في الوجه الآخر، وأنَّه مستغن عن قيام الدليل على صحته بقيام الدليل على بطلانه)[2].

ونجد الإمام النَّسَفِي – رحمه الله – يفسِّر الآية أو المفردة القرآنية، ثم يُعقِبُ ذلك بذكر بعض الأقوال في تفسيرها، فإنْ كان بعض هذه الأقوال غير مرضيٍّ لَدَيهِ أشار إلى ضعفه وعدم قبوله عنده، ومِن صيغ تضعيف الأقوال الأخرى، أو ردِّها عند الإمام النَّسَفِي قوله:

- وهو ضعيف[3].
- وفيه ضعف[4].
- ضعيف[5].
- وفيه بطلان[6].
- وهذا ليس بصحيح[7].
- وهذا فاسد[8].
- فاسد[9].
- وهو تأويلٌ فاسد[10].

---

(١) هو: يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، من كبار حفظ الحديث، مؤرخ، وأديب، يقال له حافظ المغرب، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـــ، من مؤلفاته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، والدُّرر في اختصار المغازي والسير، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وجامع بيان العلم وفضله، وغيرها، توفي سنة ٤٦٣هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء، (١٥٣/١٨). والأعلام للزركلي، (٢٤٠/٨).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧هـــ، (١٩٩/٢٠).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١٠٧/١، ٢٦٩، ٢٨٦)، (١٢٢٤/٢).

(٤) المصدر نفسه: (١٣٦٧/٣).

(٥) المصدر نفسه: (١٢٦/١)، (١٦٩٩/٣).

(٦) المصدر نفسه: (٥٣/١)، (١٩٧٢/٣).

(٧) المصدر نفسه: (١٢٢١/٢).

(٨) المصدر نفسه: (٥٤٨/١).

(٩) المصدر نفسه: (٧٠٣/٢)، (١١٦٥/٢).

(١٠) المصدر نفسه: (١٣٥٢/٣).

- وهو باطل[1].
- باطل[2].
- مردود[3].
- وفيه نقض[4].
- تعسفٌ بين[5].
- وهذا القول غير مرضي[6].
- والأول منهي عنه[7].

والأمثلة على تضعيف قول الإمام النَّسَفِي لبعض الأقوال وردّ بعضها الآخر كثيرة، ومن ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[8]، نجده يهتم بأوجه الإعراب فيرجِّح قول الزَّجاج، ويضعِّف ما قال الفراء[9]، فيقول: «﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: جهل نفسه، أي: لم يفكِّر في نفسه، فوضع "سفه" موضع "جهل"، وعدِّي كما عدِّي، أو معناه: سفه في نفسه، فحذف في، كما حذف "مِنْ" في قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾[10] أي: مِنْ قومه، و"على" في قوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾[11]، أي: على عقدة النكاح، والوجهان: عن الزجاج، وقال الفراء: هو منصوب على التمييز، وهو ضعيف لكونه معرفة»[12].

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[13]، نجده يبدأ بذكر القول الضعيف ثم يعْقُبه بذكر القول الراجح فيقول: «﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ قيل: الجحود لا يكون إلا من عِلْم من الجاحد، وهذا ليس بصحيح؛ لأنَّ الجحودَ هو الإنكار، وقد يكون الإنكارُ للشيء للجهل به، وقد يكون بعد المعرفة تعنُّتاً...»[14].

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (٧٦٢/٢)، (٢٠١١/٣).
(٢) المصدر نفسه: (٣٠٨/١، ٣١٨، ٥١٩، ٥٤٧)، (٨٢٥/٢).
(٣) المصدر نفسه: (٦٨/١، ٤٩٢، ٥٠٤)، (٧٨٠/٢، ١٠٨١).
(٤) المصدر نفسه: (٤٦٦/١).
(٥) المصدر نفسه: (٣٣٠/١).
(٦) المصدر نفسه: (١٠٨١/٢).
(٧) المصدر نفسه: (٣٠٩/١).
(٨) البقرة:١٣٠
(٩) هو: هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب،كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة، ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ، وانتقل إلى بغداد، وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ، له مؤلفات منها: (المقصور والممدود) و (معاني القرآن)، و(المذكر والمؤنث) و (اللغات)، وغيرها. انظر: الأعلام، للزركلي: (١٤٥/٨).
(١٠) الأعراف:١٥٥
(١١) البقرة:٢٣٥
(١٢) المصدر السابق: (١٠٧/١).
(١٣) النمل:١٤
(١٤) المصدر السابق: (١٢٢١/٢).

المطلب الثالث

التفسير بالقول الراجح بصيغة الجزم والأخرى بصيغة التمريض

وهذه الصيغة في الترجيح معروفة مستعملة عند العلماء، فإنَّ الاعتماد على قول ما، أو حكايته بصيغة الجزم، وهي الألفاظ المبنية للفاعل، كـــ: قَالَ، ورَوَى، وذَكَرَ، دليلٌ على أنَّ المفسر يراه الصواب، وحكايته بصفة التمريض، وهي الألفاظ المبنية للمفعول، كـــ: قِيل، ورُوِيَ، وذُكِرَ، ونحوها، دليل على تضعيفه وعدم اعتماده، وهذه الطريقة اصطلح عليها العلماء من أهل الحديث، وغيرهم على العمل بها في التصحيح والتضعيف، فكان الواحد منهم يجزم بما صحَّ منها عنده، ويُمَرِّض ما كان فيه ضعف[1].

وذلك بأنْ يبتدئ تفسير الآية أو المفردة بكلام يبيّن معناها بصيغة الجزم؛ كأنْ يقول: معناه كذا...، أو: يذكر التفسير مباشرة، ثم يشير إلى الأقوال الأخرى التي ذكرها المفسرون في نفس الموضع، ولكنه يذكرها بصيغ التمريض التي توحي بعدم ميله إليها؛ لِما سبق أنْ قرَّره هو في تفسير الآية.

ومن صيغ التمريض التي يحكي بها الإمام النَّسَفِي ضعف الأقوال الأخرى، "وقِيل": وغيرها من الصيغ، ومن الأمثلة على هذه الصيغة من صيغ الترجيح، ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾[2] يقول: «بفتح الياء: مدني وحفص، أي: بأنْ طَهِّرا، أو أي: طهرا، والمعنى: طهراه من الأوثان والخبائث والأنجاس كُلِّها، ﴿لِلطَّآئِفِينَ ﴾للدائرين حوله، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾المجاورين الذين عكفوا عنده، أي: أقاموا لا يبرحون، أو المعتكفين، وقيل: للطائفين للنزّاع إليه من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة»[3].

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾[4] يقول: «الريح: حمزة وعلي، أي: وتقليبها في مهابها قبولاً ودبوراً وجنوباً وشمالاً، وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقماً ولواقح.
وقيل: تارةً بالرحمة، وطوراً بالعذاب»[5].

---

(١) انظر: النكت على كتاب ابن الصلاح، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: (٨٥٢هـــ)، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـــ – ١٩٨٤م، (٣٤٣/١). وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة: (٨٥٢هـــ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، (١١٧/١).

(٢) البقرة:١٢٥

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١٠٥/١).

(٤) البقرة:١٦٤

(٥) تفسير النَّسَفِي: (١٢٢/١).

٣- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[١] يقول: «﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: ومع هذا البرهان النيِّر من الناس ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ أمثالاً من الأصنام، ﴿يُحِبُّونَهُمْ ﴾ يعظمونهم، ويخضعون لهم تعظيم المحبوب، ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ كتعظيم الله والخضوع له، أي: يحبون الأصنام كما يحبون الله، يعني: يسوّون بينهم وبينه في محبتهم؛ لأنهم كانوا يقرِّبون بالله ويتقربون إليه. وقيل: يحبونهم كحب المؤمنين الله»[٢].

٤- ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[٣] «أي: شِرْكُهم بالله أعظم من القتل الذي يحل بهم منكم.

وقيل: الفتنة عذاب الآخرة، وقيل: المحنة والبلاء الذي يترل بالإنسان فيعذب به أشد عليه من القتل، وقيل لحكيم: ما أشد من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت، فقد جعل الإخراج من الوطن من الفتن التي يتمنى عندها الموت»[٤].

والذي يظهر للباحث: من خلال التأمل في الآية الكريمة أنَّ الفتنة هي صد الناس عن دينهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ ﴾[٥] فصد الناس عن دينهم فتنة أشد من قتلهم؛ لأنَّ قتلهم غاية ما فيه أنْ تقطعهم من ملذات الدنيا، لكن الفتنة تقطعهم من الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ﴾[٦].

٥- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾[٧] يقول: «{ مِّنْ عَرَفَٰتٍ }هي: علم للموقف سُمِّي بجمع كأذرعات، وإنما صرفت؛ لأنَّ التاء فيها ليست للتأنيث بل هي مع الألف قبلها علامة جمع المؤنث، وسمِّيت بذلك لأنَّها وصفت لإبراهيم - عليه السلام- فلما رآها عرفها.

وقيل: التقى فيها آدم وحواء فتعارفا، وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة؛ لأنَّ الإفاضة لا تكون إلا بعده»[٨].

---

(١) البقرة:١٦٥

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٢٣).

(٣) البقرة:١٩١

(٤) المصدر السابق: (١/١٣٩).

(٥) البروج:١٠

(٦) الحج:١١

(٧) البقرة:١٩٨

(٨) المصدر السابق: (١/١٤٣).

٦- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾[1] يقول: «﴿عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ هو: قزح، وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة، والمَشْعر: المَعْلَم؛ لأنَّه مَعْلَم العبادة، ووصف بالحرام لحرمته.

وقيل: المشعر الحرام مزدلفة، وسميت المزدلفة جمعاً؛ لأنَّ آدم - عليه السلام- اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها، أي: دنا منها، أو لأنَّه يجمع فيها بين الصلاتين، أو لأنَّ الناس يزدلفون إلى الله - تعالى-، أي: يتقربون بالوقوف فيها»[2].

والذي يظهر للباحث: أنَّ الفاء هنا واقعة في جواب الشرط؛ وأداة الشرط: "إذا" وقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: باللسان، والقلب، والجوارح، فيشمل كل ما فعل عند المشعر من عبادة، ومن ذلك صلاة المغرب، والعشاء، والفجر، و﴿ٱلۡمَشۡعَرِ﴾مكان الشعيرة؛ فهي "مَفْعَل" اسم مكان، وهو المكان الذي تؤدى فيه شعيرة من شعائر الله - عز وجل-، ﴿ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: ذي الحرمة؛ لأنَّه داخل حدود الحرم، وقال العلماء: إنَّ هذا الوصف وصف قيدي، ليخرج المشعر الحلال وهو عرفه، وقالوا: إنَّ المشعر مشعران: حلال وهو عرفه، وحرام وهو مزدلفة.

---

(١) البقرة: ١٩٨

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٤٣-١٤٤).

المبحث الثالث

وجوه الترجيح عند الإمام النَّسَفِي

المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية

المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن

المطلب الثالث : الترجيح بسياق القرآن

المطلب الرابع : الترجيح بالقراءات القرآنية

المطلب الخامس : الترجيح بالحديث النبوي

المطلب السادس : الترجيح بأسباب النزول

المطلب السابع : الترجيح بأقوال السلف

المطلب الثامن : الترجيح بالعموم

المطلب التاسع : الترجيح باللغة والشعر

المبحث الثالث: وجوه الترجيح عند الإمام النَّسَفِي

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر[١] القرآنية

إنَّ تفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير وأحسنها، فما أُجْمِل في مكان فقد فصَّل في موضع آخر، وما اختصر في مكان، فإنَّه قد بسط في آخر[٢].

فإذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله، وكان أحد الأقوال تؤيده آية أو آيات أخرى، فهو أولى بحمل الآية عليه؛ لأنَّ تأييد القرآن له يدل على صحته واستقامته[٣].
واعتماد العلماء على هذا النوع من الترجيح مستفيض ومشتهر، من عهد النبي – صلى الله عليه وسلم- ومروراً بالصحابة والتابعين، إلى وقتنا هذا، ممَّا أدَّى إلى تقرير قاعدة ترجيحية معتبرة عند المفسرين، على أنَّ: "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدَّمٌ على ما عُدم ذلك"[٤].

وقد استعمل الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- هذه القاعدة في الترجيح بين أقوال العلماء، والاستشهاد بالنظائر القرآنية كثيرٌ في تفسيره، فهو يرجِّح بعض الأقوال في التفسير بناءً على شاهد في آيةٍ أخرى، ومن ذلك مثلاً:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[٥] رجَّحَ الإمام النَّسَفِي أن الضمير في "مِثْلِهِ" يُرَد إلى المترل، حيث قال:«﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ متعلق بـــ "سورة" صفة لها، والضمير لما نزلنا، أي: بسورة كائنة من مثله، يعني: فأتوا بسورةٍ مِمَّا هو على صفته في البيان الغريب، وعلوّ الطبقة في حُسْن النظم، أو لعبدنا، أي: فأتوا بمن هو على حاله من كونه أمياً لم يقرأ الكتب، ولم يأخذ من العلماء، ولا قصد إلى مِثْلٍ ونظير هنالك، ورَدُّ الضمير إلى المُنَزَّل أولى؛ لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾[٦]، ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾[٧]، ﴿عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[٨]، ولأن الكلامَ مع ردِّ الضمير إلى المترل أحسن ترتيباً، وذلك أنَّ

---

(١) النظائر: جمع نظيرة وهي: المثل والشبه. انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (٢٦٦/١٤). ولسان العرب، لابن منظور: (٢١٩/٥).
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (١٧٥/٢).
(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (٢٨١/١).
(٤) المصدر السابق: (٢٨٣/١).
(٥) البقرة:٢٣
(٦) يونس:٣٨
(٧) هود:١٣
(٨) الإسراء:٨٨

الحديثَ في المنزّل لا في المنزَّل عليه، وهو مسوقٌ إليه، فإنَّ المعنى: وإنْ ارتبتم في أنَّ القرآنَ مُنْزَلٌ مِن عند الله فهاتوا أنتم نبذاً مما يماثله.

وقضية الترتيب لو كان الضميرُ مردوداً إلى رسول الله – ﷺ– أنْ يقالَ: وإنْ ارتبتم في أنَّ محمداً مُنزَّل عليه، فهاتوا قرآناً مِن مثله، ولأنَّ هذا التفسيرَ يلائم قوله: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾»[1].

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾[2] يقول: «الهبوط: النزول إلى الأرض، والخطاب لآدم وحواء وإبليس، وقيل: والحية، والصحيح: لآدم وحواء، والمراد: هما وذريتهما؛ لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢا﴾[3]»[4].

٣- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾[5] رجَّحَ الإمام النَّسَفِي معنى قوله: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ أي: محمد عليه الصلاة والسلام، حيث قال: «﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ صفة للظالمين، وهو مبتدأ، والخبر ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ أي: محمداً – ﷺ–، أو القرآن، أو تحويل القبلة، والأول أظهر؛ لقوله: ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾»[6].

٤- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾[7] رجَّحَ الإمام النَّسَفِي معنى "أَعْمَى" بأنه أعمى البصر، فقال:«﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ عن الحجة، عن ابن عباس: أعمى البصر وهو كقوله: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا﴾[8] وهو الوجه»[9].

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (١/٦٥-٦٦).

(٢) البقرة:٣٦

(٣) طه:١٢٣

(٤) المصدر السابق: (١/٨٢).

(٥) البقرة:١٤٦

(٦) المصدر السابق: (١/١٤١).

(٧) طه:١٢٤

(٨) الإسراء:٩٧

(٩) المصدر السابق: (٢/٣٨٨).

المطلب الثاني

الترجيح بظاهر القرآن

الظاهر[١]: ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى تجويز غيره[٢].

وحكم الظاهر: أقوى منه أنَّه لا يُعدل عنه إلا بدليل يدلُّ على صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى المحتمل المرجوح، فعلى هذا يجب حمل ألفاظ القرآن على ظاهرها إلا لدليل يصرفه عنها[٣].

قال ابن جرير – رحمه الله-: (غير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته)[٤].

وقد اعتمد العلماء على هذا النوع من الترجيح فقرروا أنَّه: "لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه"[٥].

والإمام النَّسَفِي – رحمه الله- رجَّح في عدة مواضع بظاهر القرآن، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ﴾[٦] ذكر الإمام النَّسَفِي معنى الإحصار، ثم رَجَّحَ أنه يُثْبَتُ بكلِّ منع من عدو، أو مرض، أو غيرهما لظاهر النص، حيث قال: «يقال: أحصر فلان: إذا منعه أمرٌ من خوف، أو مرض، أو عَجْز، وحصر: إذا حبسه عدو عن المضي، وعندنا:

---

(١) الظاهر في اللغة من الظهور: وهو البروز بعد الخفاء. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: (٣٨٧/٢)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت. أو هو خلاف الباطن. لسان العرب، لابن منظور: (٥٢٠/٤).

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامه المقدسي: (٥٦٣/٢). والظاهر – أيضاً-: ما دلَّ على معنىً واحتمل غيره احتمالاً مرجوحاً. انظر: قواعد التفسير، لخالد السَّبت: (٦٧٥/٢). وما احتمل أمرين هو في أحدهما أظهر. انظر: شرح الورقات في أصول الفقه، لجلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (المتوفى: ٨٦٤هـ): (١٣٦)، تحقيق: حسام الدين بن موسى عفانة، الناشر: جامعة القدس - فلسطين، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. وما دل على معنى دلالة راجحة بحيث يظهر منه المراد للسامع بنفس الصيغة، ويكون محتملاً للتأويل والتخصيص. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي: (٤٨٩/١). والظاهر: هو ما تعرفه العرب من كلامها، والباطن: ما يأتي بالاستنباط من الظاهر على طريق العرب في بيانها. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (١٥/١).

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ): (٤٠/١)، دار الفكر - بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. وتفسير القرآن الكريم وأصوله، لعلي بن سليمان العبيد: (١٢٩)، الناشر: مكتبة التوبة – الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (١٥/١).

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (١٢٢/١).

(٦) البقرة:١٩٦

الإحصار: يثبتُ بكلّ منع من عدو، أو مرض، أو غيرهما لظاهر النص، وقد جاء في الحديث: ((مَنْ كُسِرَ أَوْ عَرِجَ فَقَدْ حَلَّ)) أي: جاز له أنْ يحلّ ((وَعَلَيْهِ الحَجُّ مِنْ قَابِلٍ[1]))، وعند الشافعي – رحمه الله– : الإحصار بالعدو وحده، وظاهر النص يدلُّ على أنَّ الإحصارَ يتحقق في العمرة أيضاً؛ لأنَّه ذُكِر عقبهما»[2]

٢– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾[3] ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي معنى العقود ورَجَّح بالظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه، حيث قال: «يُقَال: وَفَّى بالعهد وأَوْفَى به، والعقد: العهد الموثَّق، شُبِّهَ بعقد الحَبْل ونحوه، وهي عقود الله التي عَقَدها على عباده، وألزمها إياهم من مواجب التكليف، أو: ما عقد الله عليكم، أو: ما تعاقدتم بينكم.

والظاهر: أنَّها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله، وتحريم حرامه، وأنه كلام قدَّم مجملاً، ثم عقب بالتفصيل وهو قوله: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾»[4].

٣– ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾[5] «عن الضحاك: بعث إلى الجن رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم؛ لأنهم بهم آنس، وعليه ظاهر النصّ، وقال آخرون: الرسل من الإنس خاصَّة، وإنما قيل: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ لأنَّه لما جمع الثقلين في الخطاب صحَّ ذلك، وإن

(١) سنن أبو داوود: (١١١/٢)، كتاب المناسك، باب: الإحصار، رقم الحديث (١٨٦٤). وسنن الترمذي: (٢٧٧/٣)، كتاب الصوم، باب: ما جاء في الذي يهيل بالحج فيكسر أو يعرج، رقم الحديث (٩٤٠). وسنن النسائي: (٣٨١/٢)، كتاب الحج، باب: فيمن أحصر بغير عدو، رقم الحديث (٣٨٤٤). وابن ماجة في سننه: (١٠٢٨/٢)، كتاب المناسك، باب: المحصر، رقم الحديث (٣٠٧٧). وصححه الألباني في صحيح أبي داوود: (١١٧/٦)، باب الإحصار، رقم الحديث(١٦٢٧). الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١٦٧/١).

(٣) المائدة: ١

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٤٢٣/١).

(٥) الأنعام: ١٣٠

كان من أحدهما كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾[1] أو رسلهم رسل نبينا، كقوله: ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[2]»[3].

٤- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾[4] «ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها.

وقيل: معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له.

وجمهور الصحابة - ﷺ- على أنه في استماع المؤتمّ.

وقيل: في استماع الخطبة.

وقيل: فيهما، وهو الأصحّ»[5].

قلت: واللفظ أعم من هذا فيشمل الجميع، قال الشوكاني - رحمه الله-: (ولا يخفاك أن اللفظ أوسع من هذا، والعام لا يقصر على سببه)[6].

ويرى الباحث أنَّ الحكمة من هذا للانتفاع بآياته، والتدبر في ألفاظه، للوصول إلى معانيها.

٥- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾[7] رجَّحَ الإمام النَّسَفِي أنَّ الخطاب للمؤمنين، حيث قال: «بألسنتهم، وهو خطاب للمنافقين، والظاهر: أنَّه خطاب للمؤمنين»[8].

---

(١) الرحمن:٢٢

(٢) الأحقاف:٢٩

(٣) المصدر السابق: (١/٥٣٧-٥٣٨).

(٤) الأعراف:٢٠٤

(٥) تفسير النَّسَفِي: (١/٦٢٨).

(٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، اسم المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني: (٣/٣١٩)، طبعة جديدة منقحة ومصححة، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٧) المجادلة:٩

(٨) تفسير النَّسَفِي: (٣/٤٤٨).

المطلب الثالث

الترجيح بسياق القرآن

دلالة السياق: هي دلالة سابق الكلام ولاحقه على معناه، ويطلق على سابق الكلام سباق، وعلى لاحقه لحاق، وعليها جميعاً سياق[١].

ودلالة السياق – أيضاً-: ترشد إلى تبيين المُجْمَل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوّع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم[٢].

والنظر في سياق الآية من حيث سباقها ولحاقها، يعين على تعيين القول الراجح، وقد اهتم كثير من المفسرين بالسياق[٣]، فقرروا أنَّ: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الترجيح به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له"[٤].

وقد راعى الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- هذا الأمر، فاحتكم إلى السياق عند ترجيحه لأحد المعاني الواردة في بعض المواضع، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٥] يقول: «الجمهور على أنَّ هذا السؤال يكون في يوم القيامة، دليلُه: سياق الآية وسباقها[٦] .

وقيل: خاطبه به حين رفعه إلى السماء، دليلُه: لفظ "إذ"»[٧].

(١) انظر: دلالة السياق القرآني وأثره في التفسير، لعبدالرحمن عبدالله سرور جرمان المطيري: (٦٢)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. وقواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (١/١١٢).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢/٢٠٠).

(٣) انظر: فصول في أصول التفسير، لمساعد الطيار: (١٠٤).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (١/١١١).

(٥) المائدة:١١٦

(٦) وهو قوله تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ المائدة:١٠٩]..

(٧) تفسير النَّسَفِي: (١/٤٨٦).

٢- ويقول: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[١] «العبادة إنْ حُمِلت على حقيقتها فلا تكون الآية عامَّة، بل المراد بها المؤمنون من الفريقين، دليلُه: السياق، أعني: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[٢] وقراءة ابن عباس - رضي الله عنهما- "وما خلقت الجنّ والإنس من المؤمنين" وهذا لأنَّه لا يجوز أنْ يخلق الذين علم منهم أنَّهم لا يؤمنون للعبادة؛ لأنَّه إذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أنْ توجد منهم، فإذا لم يؤمنوا علم أنَّه خلقهم لجهنَّم كما قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[٣].

وقيل: إلا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن علي - رضي الله عنه-.

وقيل: إلا ليكونوا عباداً لي.

والوجه: أنْ تحمل العبادة على التوحيد، فقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: كل عبادة في القرآن فهي توحيد»[٤].

---

(١) الذاريات:٥٦

(٢) الذاريات:٥٥

(٣) الأعراف:١٧٩

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٣/٣٨٠).

المطلب الرابع

الترجيح بالقراءات القرآنية

من المعلوم كما ذكرنا – سابقاً- أنَّ القراءات قسمان: متواترة وشاذة، وقد دوَّن العلماء هذه القراءات المتواترة، وحفظوا أسانيدها، بحيث لا يمكن زيادة شيء على المتواتر أو النقص منه[١].

وقد اهتم كثيرٌ من المفسرين بالقراءات في ترجيح أحد الأقوال أو ردّها فقرروا أنَّه: "إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردَّها أو ردّ معناها وهي بمترلة آية مستقلة"[٢]، فلا تعتبر الأقوال التي تطعن أو تردّ قراءات قرآنية ثابتة، كما قرروا أنَّ: "اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه"[٣]، وأنَّ: "معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة"[٤].

والإمام النَّسَفِي – رحمه الله- اعتمد هذه القواعد في الترجيح بين الأقوال، فرجَّح بها أقوالاً وضَّعف بها أخرى، ومِن ذلك – على سبيل المثال- ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾[٥] رجَّحَ الإمام النَّسَفِي بين معنى القراءتين المتواترتين في "يَطْهُرْنَ"[٦] بالتشديد، والتخفيف، فبعد أنْ ذكر أقوال العلماء في الفرق بين القراءتين مال إلى الجمع بينهما، فقال: «﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ بالتشديد، كوفي غير حفض، أي: يغتسلن، وأصله: "يَتَطَهَّرْنَ" فأدغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما.

---

(١) انظر: فصول في أصول التفسير، لمساعد الطيار: (١٢٧).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (٧٩/١).

(٣) المصدر نفسه: (٨٨/١).

(٤) المصدر نفسه: (٩٢/١).

(٥) البقرة:٢٢٢

(٦) اختلفوا في تخفيف الطاء وضم الهاء وتشديد الطاء وفتح الهاء من قوله: (حتى يَطْهُرن)، (حتى يطَّهَّرن) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (يَطْهُرن) خفيفة، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي (يطَّهَّرن) مشددة، وقرأ حفص عن عاصم (يَطْهُرن) خفيفة. انظر: السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي: (١٨٢)، تحقيق: د.شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ. والتيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني: (٦٤)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

غيرهم يَطْهُرْنَ، أي: ينقطع دمهن، والقراءتان كآيتين فعملنا بهما، وقلنا له: أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم، وإنْ لم تغتسل، عملاً بقراءة التخفيف، وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل، أو يمضي عليها وقت الصلاة عملاً بقراءة التشديد، والحمل على هذا أولى من العكس؛ لأنَّه حينئذ يجبُ ترك العمل بإحداهما لما عرف، وعند الشافعي – رحمه الله-: لا يقربها حتى تَطْهُر وتَتَطَهَّر دليله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾»[1].

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾[2] ذَكَرَ القراءتين المتواترتين في كلمة: "يُظْهِرَ" وكلمة "الْفَسَاد"[3] ورَجَّحَ أحدها، فقال: «بضمِّ الياء، ونصب الدال: مدنيّ، وبصريّ، وحفص، وغيرهم: بفتح الياء، ورفع الدال، والأوَّل أولى لموافقة ﴿يُبَدِّلَ﴾» [4].

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾[5] يقول: «المُزَيِّن: هو الله عند الجمهور للابتلاء، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾[6]، دليله: قراءة مجاهد "زَيَّنَ لِلنَّاس"[7] على تسمية الفاعل، وعن الحسن: الشيطان»[8].

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (١/١٨٥).

(٢) غافر:٢٦

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو: "يُظهر" مضمومة الياء ونصب الدال في "الفساد"، وقرأ ابن كثير وابن عامر: "يَظهر" منصوبة الياء ورفع الدال في "الفسادُ"، وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر وحمزة والكسائى: "يَظهر" بفتح الياء ورفع الدال في "الفسادُ"، وقرأ حفص عن عاصم: "يُظهر" برفع الياء ونصب الدال في "الفسادُ". السبعة في القراءات، لابن مجاهد: (٥٦٩). والتيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني: (١٢٤).

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٣/٢٠٧).

(٥) آل عمران:١٤

(٦) الكهف:٧

(٧) انظر: شواذ القراءات، لأبي نصر الكرماني: (ص١٠٨).

(٨) تفسير النَّسَفِي: (١/٢٤٠).

المطلب الخامس

الترجيح بالحديث النبوي

الحديث النبوي: ما أضيف إلى النبي - ﷺ- من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفة[1].

والرسول - ﷺ- أعلم الخلق بمعاني كلام الله، وقد كلَّفه الله - تعالى- ببيان معاني القرآن كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، فإذا ثبت الحديث في تفسير الآية فلا يُصار إلى غيره، وحَسْبك به، فهو نصٌ في بيان كلام الله – تعالى-[3].

وقد اعتمد ذه القاعدة عامة العلماء فقرروا أنَّه: "إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مُرَجِّح له على ما خالفه"[4].

ولقد رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- بالحديث النبوي في مواضع منها:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[5] رجَّحَ الإمام النسفي - رحمه الله- قول أبي حنيفة، والجمهور، في أن الصلاة الوسطى صلاة العصر، حيث قال: «﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بين الصلوات، أي: الفضلى، من قولهم للأفضل: الأوسط، وإنما أفردت وعطفت على الصلوات، لانفرادها بالفضل، وهي صلاة العصر عند أبي حنيفة - رحمه الله- وعليه الجمهور لقوله - ﷺ- يوم الأحزاب: ((شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى صَلاَةُ الْعَصْرِ مَلأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ نَارًا))[6] وقال - ﷺ-: ((إنها الصلاة التي شُغِل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب))[1]، وفي مصحف حفصة (والصلاة الوسطى صلاة

(١) تيسير مصطلح الحديث، لمحمود الطحان: (ص٩)، النشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة السابعة، ١٤٠٥هـ.

(٢) النحل:٤٤

(٣) قواعد الترجح عند المفسرين، لحسين الحربي: (١/١٧١).

(٤) المصدر نفسه: (١/١٨٣).

(٥) البقرة:٢٣٨

(٦) صحيح البخاري: (٥/٢٣٤٩)، كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين، رقم الحديث (٦٠٣٣). وصحيح مسلم: (٢/٢٢٥)، كتاب المساجد، باب: الدَّلِيلِ لِمَنْ قَالَ الصَّلاَةُ الْوُسْطَى هِيَ صَلاَةُ الْعَصْرِ، رقم الحديث (١٤٥٧). من حديث علي بن أبي طالب - ﷺ-.

(١) مصنف ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، (المتوفى سنة ٢٣٥هـ): (٢/٢٤٥)، كتاب الصلاة، باب في قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى}، رقم الحديث (٨٦١٢)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

العصر)، ولأنَّها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار، وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم.

وقيل: صلاة الظهر؛ لأنها في وسط النهار، أو صلاة الفجر؛ لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل، أو صلاة المغرب؛ لأنها بين الأربع والمثنى، ولأنها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر، أو صلاة العشاء؛ لأنها بين وترين، أو هي غير معينة، كليلة القدر؛ ليحفظوا الكل»(١).

والذي يظهر للباحث: أنَّ ما ذهب إليه الإمام النَّسفي من أنَّ الصلاة الوسطى صلاة العصر للأدلة القوية والصحيحة في ذلك، ولا عبرة بما خالفه؛ لأنَّ النبي – ﷺ- أعلم الناس بمراد الله، وقد قال سبحانه: (﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

(١) تفسير النَّسَفِي: (١/٢٠٠).

(٢) النحل:٤٤

المطلب السادس

الترجيح بأسباب النزول

لقد قرر الأئمة الأعلام أن من أهم فوائد معرفة أسباب النزول: أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح[(١)].

فإذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله وتعددت أقوالهم فيه، فأولى الأقوال بتفسير الآية ما وافق سبب النزول الصحيح الصريح في السببية[(٢)].

ولذلك من القواعد المعتبرة في الترجيح عند المفسرين الترجيح بأسباب النزول، فالقول الذي يؤيده سبب النزول مقدم على ما ليس كذلك[(٣)].

وهذا مما اعتمد عليه الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- في تفسيره سواءً في ترجيحه لقول في الآية، أو في ردّه لبعض الأقوال لمخالفتها سبب النزول، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾[(٤)] يقول: «الجمهور على أنَّها نزلت[(٥)] في خمسة نفر، كانوا يبالغون في إيذاء رسول الله – ﷺ-، والاستهزاء به، فأهلكهم الله، وهم: الوليد بن المغيرة[(٦)] مَرَّ بِنَبَّال، فتعلق بثوبه سهم، فأصاب عِرْقاً في عقبه، فقطعه فمات، والعاص ابن وائل[(٧)]: دخل في

---

(١) انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير (لابن تيمية)، شرح ابن عثيمين: (ص٣٥).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (١/٢١٥).

(٣) المرجع نفسه: نفس الصفحة.

(٤) الحِجر:٩٥

(٥) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي: (ص١٣١).

(٦) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها، ولد سنة ٩٥ق هـــ، يقال له: "العدل"؛ لأنَّه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو "البيت" جميعها، والوليد يكسوه وحده، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها، وأدرك الاسلام وهو شيخ هَرِم، فعاداه وقاوم دعوته، وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحُجون، وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد. انظر: الأعلام، للزركلي: (٨/١٢٢).

(٧) هو : الْعَاصِ بْنُ وَائِلِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَصِيص بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ، سيد بني سهم في قريش يلتقي نسبه مع النبي محمد – ﷺ - في كعب بن لؤي، أولاده: عمرو بن العاص، وأمه النابغة بنت خزيمة بنت الحارث، وهشام بن العاص، وأمه أم حرملة بنت هشام المخزومية أخت أبي جهل. انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد: (١/٢٦٣)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت، الطبعة لأولى، ١٤١١هـــ.

أخْمَصِه شوكة، فانتفخت رجله فمات، والأسود بن عبد المطلب: عمي، والأسود ابن عبد يغوث: جعل ينطح رأسه بالشجرة، ويضرب وجهه بالشَّوك حتى مات، والحارث بن قيس: امتخط قَيْحاً ومات»[1].

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾[2] هو عبد الله بن سلام عند الجمهور، ولهذا قيل: إنَّ هذه الآية مدنيَّة لأنَّ إسلامَ ابنِ سلام بالمدينة.

رُوي: أنَّه لَمَّا قدم رسولُ الله - ﷺ- المدينةَ نظر إلى وجهه، فعلم أنَّه ليس بوجه كذَّاب، قال له: إنِّي سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلا نبيّ: ما أوَّل أشراط الساعة، وما أوَّل طعام يأكله أهل الجنَّة، وما بالُ الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمِّه؟ فقال رسول الله - ﷺ-: أما أوَّل أشراط الساعة فنارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أوَّل طعام يأكله أهلُ الجنَّة فزيادة كَبِد حُوْت، وأمَّا الولد فإذا سبق ماء الرجلُ نزعه، وإنْ سبق ماءُ المرأة نزعته، فقال: أشهد أنَّك رسول الله حقاً[3]))[4].

(١) تفسير النَّسَفِي: (٢/٢٣٣).

(٢) الأحقاف: ١٠

(٣) صحيح البخاري: (٣/١٢١١)، كتاب الأنبياء، باب قول الله - تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾البقرة:٣٠]، رقم الحديث (٣١٥١). وسنن النسائي: (٥/٧٠)، كتاب المناقب، باب: عبدالله بن سلام – رضي الله عنه-، رقم الحديث .(٨٢٥٤). و (٥/٣٣٨)، كتاب عشرة النساء، باب: كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل، رقم الحديث (٩٠٧٤).

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٣/٣٠٩-٣١٠).

المطلب السابع
الترجيح بأقوال السَّلف

السَّلف في اللغة[1]: ما مضى وتقدم، يُقال: سَلَفَ الشيء سَلَفا، أي: مضى، والسَّلف: الجماعة المتقدِّمون، أو القوم المتقدمون في السَّير، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾[2]، أي: جعلناهم سلفاً متقدِّمين عِبرة لمن بعدهم، وهذا سَلِيْفٌ من الناس، أي: سَلَفٌ، وهو ضِد الخَلِيْفِ، والأمم السالِفَة هي: الماضية أمام الغابرة، وهي السَّالِف.

وفي الاصطلاح: إذا أُطْلِقَ السَّلَفُ عند علماء الاعتقاد فإنما يقصدون الصحابة – رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمة الدين المشهود لهم بالإمامة والفضل واتباع السنة، واجتناب البدعة والحذر منها، وممن اتفقت الأمة على إمامتهم وعِظم شأنهم في الدِّين، وتلقى كلامهم خلفاً عن سلف[3].

فالسلف من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة الأعلام المشهود لهم بالإمامة في الدين أعلم بالتفسير ممن جاء بعدهم، فأقوالهم مقدمة على أقوال غيرهم، بل إنها معتبرة في ترجيح قول على قول، فتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[4].

ولذا نجد الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- يرجح بأقوال السَّلَف في تفسيره، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[5] أي: يجازيهم على استهزائهم فسمَّى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[6] ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ

---

(١) معجم مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني: (٢٤٤). وانظر: المحيط في اللغة، لأبي القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني: (٣٢٣/٨)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م. مادة سَلَفَ. ولسان العرب، لابن منظور: (١٥٨/٩)، مادة سَلَفَ.

(٢) الزُّخرُف:٥٥-٥٦

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، (المتوفى سنة: ١١٨٨هـ): (٢٠/١)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (٢٤٣/١).

(٥) البقرة:١٥

(٦) الشورى:٤٠

عَلَيۡكُمۡ﴾[1] فسمَّى جزاء السيئة سيئة، وجزاء الاعتداء اعتداء، وإنْ لم يكن الجزاء سيئة واعتداء، وهذا لأنَّ الاستهزاءَ لا يجوزُ على الله – تعالى– من حيث الحقيقة؛ لأنَّه من باب العبث، وتعالى عنه.

قال الزجاج: هو الوجه المختار[2].

٢– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١﴾[3] يقول: «إنْ خشيتم أنْ يقصدكم الكفار بقتل أو جرح أو أخذ، والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص، وعند الجمهور ليس بشرط؛ لما روي عن يعلى بن أمية[4] أنَّه قال لعمر: ما بالنا نَقْصُر وقد أَمِنَّا؟ فقال: عجبت مما تعجبت منه فسألت رسول الله – ﷺ– عن ذلك فقال: ((صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ))[5].

وفيه دليل على أنَّه لا يجوز الإكمال في السفر؛ لأنَّ التصدق بما لا يحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد ، وإنْ كان المتصدق ممن لا تلزم طاعته كولي القصاص إذا عفا فمن تلزم طاعته أولى، ولأنَّ حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾[6].

دليله: قراءة عبد الله "من الصلاة أنْ يفتنكم" أي: لئلا يفتنكم على أنَّ المراد بالآية قَصْر الأحوال وهو أنْ يُومئ على الدابة عند الخوف، أو يُخَفِّف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما–»[7].

---

(١) البقرة:١٩٤

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٥٣/١).

(٣) النساء:١٠١

(٤) هو: يعلى بن أمية بن أبي عبيدة (واسمه عُبيد، ويقال زيد) بن همام التميمي الحنظلي، أول من أرَّخ الكتب، وهو صحابي، من الولاة، ومن الأغنياء الأسخياء، من سكان مكة، كان حليفاً لقريش، وأسلم بعد الفتح، وشهد الطائف وحنيناً وتبوك مع النبي – ﷺ– واستعمله أبو بكر على "خولان" وقيل "حلوان" في الردة، ثم استعمله عمر على "نجران"، واستعمله عثمان على اليمن فأقام بصنعاء، ولما قُتِلَ عُثمان انضم إلى الزبير وعائشة، ويقال: إنه حمل عائشة على الجَمَل الذي كان تحته، في وقعة الجمل، ثم صار من أصحاب علي، وقُتِل وهو معه في "صفين" سنة ٣٧هـ. انظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: (٣/٢). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (٦٨٥/٦). وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (١١٣٢/١). والأعلام، للزركلي: (٢٠٤/٨).

(٥) صحيح مُسْلِمُ: (١٤٣/٢)، كتاب صلاة المسافرين، باب: صَلاَةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، رقم الحديث (١٦٠٥). وسنن أبي داوود: (٤٦٤/١)، كتاب صلاة السفر، باب: صَلاَةِ الْمُسَافِرِ، رقم الحديث (١٢٠١). وسنن ابن ماجة: (٣٣٩/١)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: تقصير الصلاة في السفر، رقم الحديث (١٠٦٥). وسنن الترمذي: (٢٤٢/٥)، كتاب تفسير القرآن، باب: سورة النساء، رقم الحديث (٣٠٣٤). وسنن النسائي: (٥٨٣/١)، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب: تقصير الصلاة في السفر، رقم الحديث (١٨٩١).

(٦) النور:٣٣

(٧) تفسير النَّسَفِي: (٣٩٠/١).

٣- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣﴾[1] ذَكَرَ أقوال بعض العلماء في معنى: "يعُودُون"، ثم رَجَّحَ بمذهبه، وبأقوال السلف، فقال: «ثم اختلفوا أنَّ النقض بماذا يحصل؟ فعندنا: بالعزم على الوطء، وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة[2].

وعند الشافعي[3]: بمجرد الإمساك، وهو أنْ لا يطلقها عقيب الظهار[4]».

---

(١) المجادلة:٣

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، الضرير، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، ولد سنة ٦١هـ، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث، وتوفي في واسط بالطاعون سنة ١١٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٥/٢٦٩). وتذكرة الحفاظ للذهبي: (١/٩٢). والأعلام، للزركلي: (٥/١٨٩).

(٣) انظر: الأم، للشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي: (٥/٢٩٤)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٣/٤٤٥).

المطلب الثامن: الترجيح بالعموم

العام: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصْلُح له بحسب وضع واحد(١).

فإذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله – تعالى-، فمنهم من يحملها على عموم ألفاظها، ومنهم من يخصصها ويقصرها على بعض أفراد العموم، فالصواب هو حملها على العموم.

والعموم وجه من وجوه الترجيح المعتبرة، وحجة قوية ترجح بها الأقوال، وقد اعتمد هذا الوجه العلماء، وقرروا أنَّه يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتخصيص(٢).

وقد اعتمد الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- هذا الوجه من وجوه الترجيح في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(٣) رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي أنَّ هذه الآية عامة، حيث قال: «قيل: المراد بهما حمزة وأبو جهل، والأصحُّ: أنَّ الآية عامَّة لكل من هداه الله، ولكلِّ مَن أضلَّه الله، فبيَّن أنَّ مَثَل المهتدي مثل الميت الذي أحيي، وجعل مستضيّئاً يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومَثَلُ الكافر مَثَلُ مَن هو في الظلمات التي لا يتخلَّص منها»(٤).

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾(٥) يقول: «﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ يكتسب طاعة.

عن السُدّي(٦): أنَّها المودَّة في آل رسول الله – ﷺ- نزلت في أبي بكر – ﵁- ومودَّته فيهم، والظاهر: العموم في أيِّ حسنة كانت، إلا أنَّها تتناول المودَّة تناولاً أوّليّاً لذكرها عقيب ذكر المودَّة في القربى»(٧).

٣- ويقول: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾(٨) «قيل: هم أصحاب القليب، والظاهر: العموم»(٩).

---

(١) المحصول في علم أصول الفقه، للرازي: (٥١٣/٢). وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني: (٢٨٥/١)، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (١٦٦/٢).

(٣) الأنعام:١٢٢

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٥٣٤/١).

(٥) الشورى:٢٣

(٦) هو: إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كَرِيمة، الإمام المفسر، أبو محمد، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، من علماء الجرح والتعديل من وّثقه، ومنهم من خالف في توثيقه، إلاَّ أنه كان من أعلم الناس بالتفسير، والسُدّي: بضم المهملة وتشديد الدال نسبة إلى سدة مسجد الكوفة، كان يقعد فيها، وهو السدي الكبير، مات سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٢٦٤/٥-٢٦٥). وتهذيب التهذيب، للإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ: (٢٧٣/١)، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م. والأعلام، للزركلي: (٣١٧/١).

(٧) تفسير النَّسَفِي: (٢٥٣/٣).

(٨) محمد:٣٤

(٩) تفسير النَّسَفِي: (٣٣٠/٣).

المطلب التاسع

الترجيح باللغة[1] والشعر

كان رسول الله – ﷺ- أفصح الناس لساناً، وأوضحهم بياناً، يخاطب الوفود بما يفهمون، ويكلمهم بما يعرفون، وكان الصحابة – ﷺ- وهم أهل اللسان العربي، يُدْركون قوله، ويفهمون معناه، ثم نشأ بعد ذلك علم التفسير؛ بسبب اتساع رقعة البلاد الإسلامية، واختلاط العرب بغيرهم من الشعوب، فالتبست عليهم بعض الألفاظ، وغمض عليهم بعض المعاني، فاتجهت طائفة من العلماء لتفسير ما يحتاج إلى بيان من ألفاظ القرآن – الكريم-[2].

ومعرفة هذا الفَنِّ للمُفَسِّر أمرٌ ضروريٌ، وإلا فلا يَحِلُّ له الإقدام على كتاب الله – تعالى-، قال مالك بن أنس[3]: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً"[4].

وقال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"[5].

وقد اعتمد هذا الوجه العلماء، وقرروا أنَّه ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التتريل عليه[6]، وهذه القاعدة من القواعد التي عليها عامة المفسرين، ولذا قرروا – أيضاً- أنَّه: يجب حمل كلام الله – تعالى- على

---

(١) المقصود باللغة: غريب القرآن: وهو العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: (١٢٣)، الناشر: مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ.

(٢) انظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، لفهد الرومي: (١٢٣).

(٣) هو: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ، من مؤلفاته: الموطأ، والنجوم، وتفسير غريب القرآن، وتوفي بالمدينة سنة ١٧٩هـ. انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، المتوفى سنة (٥٤٤هـ): (١/٢٥)، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م. والأعلام، للزركلي: (٥/٢٥٧).

(٤) التفسير اللغوي للقرآن الكريم، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: (٤٧-٤٨)، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (١/٢٩٢).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (٢/١٩).

المعروف من كلام العرب دون الشاذ[1] والضعيف[2] والمنكر[3]، وأنَّه يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسِّياق، والموافقة لأدلة الشرع[4].

وقد أولى الإمام النَّسَفِي — رحمه الله- الجانب اللُّغوي في تفسيره اهتماماً كبيراً، فكان يحتكم إلى اللُّغة فيما يرجِّحه من المعاني، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[5] يقول: «الأوجه أنْ ينتصب على المدح، أي: أعني رسلاً، ويجوز أنْ يكون بدلاً من الأول، وأنْ يكون مفعولاً، أي: وأرسلنا رسلاً»[6].

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾[7] يقول: «فُسِّر بالجنس، وقيل: نزلت حين كان النضر ابن الحارث[8] يستعجل بالعذاب.

والعجَل والعجَلة مصدران، وهو: تقديم الشيء على وقته، والظاهر: أنَّ المراد الجنس، وأنَّه رُكِّب فيه العَجَلة، فكأنَّه خُلِق من العَجَل، ولأنَّه يكثر منه، والعرب تقول لمن يُكْثِر منه الكَرَم "خُلِق من الكَرَم"، فقدَّم أوَّلاً ذمَّ الإنسان على إفراط العَجَلة، وأنَّه مطبوع عليها، ثم منعه وزجره كأنَّه قال: ليس ببدع منه أنْ يستعجل، فإنَّه مجبول على ذلك، وهو طبعه، وسجيته، فقد رُكِّبَ فيه.

وقيل: العَجَل: الطين بلغه حمير، قال شاعرهم :

---

(١) الشاذ: هو الذي يكون وجوده قليلاً، لكن لا يجيء على القياس. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (المتوفى سنة ١٠٩٤هـ): (٥٢٨)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. والشذوذ يلحق القياس والاستعمال. انظر: الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، (المتوفى سنة ٣٩٢هـ): (٩٨/١)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب – بيروت. والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، (المتوفى سنة ٩١١هـ): (١٨٢/١)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

(٢) الضعيف: ما انحطَّ عن دَرجة الفصيح، ويكون في ثبوته كلام. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسوطي: (١٦٩/١). والكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: (ص٥٧٥).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (٢٤/٢). والمُنْكَر: أَضعُف من الضعيف، وأقلُّ استعمالاً بحيثُ أنكرَه بعضُ أئمة اللغة ولم يَعْرفه. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسوطي: (١٦٩/١). والكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: (ص٥٧٥).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (٢٦٢/٢).

(٥) النساء:١٦٥

(٦) تفسير النَّسَفِي: (٤١٦/١).

(٧) الأنبياء:٣٧

(٨) هو: النضر ابن الحارث بن علقمة بن كِلْدة بن عبد مناف بن عبد الدَّار، أُسِرَ يوم بدر مع المشركين، ولما رجع رسول الله – ﷺ- إلى المدينة ومر بالصَّفْراء أُمِر به فضرب عُنقه هنالك. تاريخ ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: (٣٢٧/٢)، دار القلم – بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م.

والنبع في الصخَّرة الصَّمَّاء مَنْبتُه والنَّخْلُ تُنْبتُ بين الماءِ والعَجَلِ[1]

وإنما منع عن الاستعجال، وهو مطبوع عليه، كما أمره بقمع الشهوة، وقد ركَّبها فيه؛ لأنَّه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة، وترك العجلة»[2].

٣- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [3] يقول: «﴿كُلَّ﴾: منصوب بفعل مضمر يفسِّره الظاهر، وقُرِئ بالرفع شاذاً، والنصب أولى؛ لأنَّه لو رفع لأمكن أنْ يكون ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ في موضع الجرّ وصفاً لـــ ﴿شَيْءٍ﴾، ويكون الخبر ﴿بِقَدَرٍ﴾ وتقديره: إنَّا كلّ شيء مخلوق لنا كائن بقدر، ويحتمل أنْ يكون ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ هو الخبر، وتقديره: إنَّا كلّ شيء مخلوق لنا بقدر، فلمَّا تردَّد الأمر في الرفع عدل إلى النصب، وتقديره، إنَّا خلقنا كلّ شيء بقدر، فيكون الخلق عامَّاً لكلِّ شيء، وهو المراد بالآية.

ولا يجوز في النصب أنْ يكون ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ صفة لـــ ﴿شَيْءٍ﴾؛ لأنَّه تفسير الناصب، والصفة لا تعمل في الموصوف»[4].

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠﴾[5] يقول: «﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ مبتدأ ﴿السَّابِقُونَ﴾ خبره، تقديره: السابقون إلى الخيرات السابقون إلى الجنات.

وقيل: الثاني تأكيد للأوَّل، والخبر ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾[6] والأوَّل أوجه»[7].

---

(١) لم أعثر على قائله، لكنه ذُكر عند أكثر المفسرين.

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٢/٤٠٤).

(٣) القمر: ٤٩

(٤) تفسير النَّسَفِي: (٣/٤٠٧).

(٥) الواقعة: ١٠

(٦) الواقعة: ١١

(٧) المصدر السابق: (٣/٤٢٠).

القسم الثاني

ترجيحات الإمام النّسَفِي لسورتي الفاتحة والبقرة

الفصل الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في علوم القرآن واللغة.

الفصل الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقيدة والعبادات.

الفصل الثالث: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في أحكام الأسرة والمعاملات.

الفصل الرابع: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقوبات ومسائل أخرى متفرقة.

الفصل الأول

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في علوم القرآن واللغة.

المبحث الأول: ترجيحات الإِمام النَّسَفِي في علوم القرآن

المبحث الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في اللغة

المبحث الأول

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في علوم القرآن

المطلب الأول: نزول سورة الفاتحة.

المطلب الثاني: البسملة في الفاتحة.

المطلب الثالث: أداء لفظ الجلالة (الله)

المطلب الرابع: الوقف والابتداء

المطلب الخامس: الناسخ والمنسوخ.

الفصل الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في علوم القرآن واللغة

المبحث الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في علوم القرآن

المطلب الأول: نزول سورة الفاتحة

الأقوال في نزول الفاتحة:

رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ سورة الفاتحة مكية ومدنية، حيث قال عند عَرْضه للخلاف في هذه المسألة:« فاتحة الكتاب: مكية، وقيل: مدنية، والأصح: أنها مكية ومدنية، نزلت بمكة حين فرضت الصلاة، ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة إلى الكعبة»[1].

الدراسة والترجيح: لنزول سورة الفاتحة ثلاثة أقوال عند العلماء:

القول الأول: ذهب الجمهور إلى أنّ الفاتحةَ مكِّيةٌ، وهو المروي عن علي بن أبي طالب – ﷺ–، وابن عباس – رضي الله عنهما–، الحسن البصري، وقتادة، ورَجَّحَه من المفسرين الواحدي[2]، والبغوي[3] في تفسيره[4]، وابن عطية الأندلسي[5] في تفسيره[6]، والرازي[7] في تفسيره المسمى: مفاتيح الغيب أو التفسير

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (٢٥/١).

(٢) أسباب النزول، للواحدي: (ص١٢).

(٣) هو: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، المعروف بالفرَّاء، البغوي، الفقيه الشافعي المُحدِّث المفسِّر؛ كان بحراً في العلوم، وصنف في التفسير، وأوضح المشكلات من قول النبي – ﷺ–، وروى الحديث ودرَّس، وكان لا يلقي الدرس إلا على الطهارة، له مصنفات كثيرة، منها: (التهذيب) في الفقه، و (شرح السنة) في الحديث، و (معالم التنزيل) في تفسير القرآن، توفي في شوال سنة ٥١٦هـ، ودفن عند شيخه القاضي حسين بمقبرة الطَّالقان. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: (١٣٦/٢). وتذكرة الحفاظ، للذهبي: (٣٧/٤). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٤٣٩/١٩). وطبقات المفسرين، للسيوطي: (٣٨/١).

(٤) انظر: معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي: (٤٩/١)، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٥) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، الغرناطي، الأندلسي، أبو محمد، من أهل غِرْناطة، كان فقيهاً عالماً بالتفسير والحديث والفقه واللغة والنحو، ولد سنة ٤٨١هـ، وتوفي سنة ٥٤٦هـ، له مؤلفات منها: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، و (المجموع) في ذكر مروياته وأسماء شيوخه. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون: (ص١٠٣). وطبقات المفسرين، للأدنروي: (١٧٥/١). وطبقات المفسرين، للسيوطي: (٥٠/١). وبغية الوعاة، للسيوطي: (٧٣/٢). والأعلام للزركلي: (٢٨٢/٣).

(٦) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: (٥٨/١)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

(٧) هو: محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري، أبو عبدالله الرازي إمام مفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ولد سنة ٥٤٤هـ، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الرَّي، وإليها نسبته، ويقال له: (ابن خطيب الرَّي) رحل إلى خوارزم، وما وراء النَّهر، وخرَاسان، وتوفي في هُرَاة سنة ٦٠٦هـ، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية، من تصانيفه: (مفاتيح الغيب) في تفسير القرآن الكريم، و (المحصول في أصول الفقه) و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و (معالم أصول الدين). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٢٤٨/٤). وشذرات الذهب، لابن العماد: (٤/٧). وطبقات المفسرين، للسيوطي: (ص١٠٠). والأعلام، للزركلي: (٣١٣/٦).

الكبير[1]، والقرطبي[2]، والبيضاوي[3]، وأبو حيان الأندلسي[4]، وابن كثير[5]، ابن عادل الحنبلي الدمشقي[6] في تفسيره[7]، وأبي السعود[8] في تفسيره[9]، والنيسابوري[10] في تفسيره[11]، والألوسي[12] في تفسيره[1].

(١) انظر: مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: (١/١٧)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١/١١٥).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي، المسمى: أنوار التتريل و أسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي: (١/٧)، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، ومحمد أحمد الأطرش، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان — بيروت - دمشق - الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

(٤) انظر: تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: (١/١٢٥)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – والشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، و د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية — بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: (١/١٠١)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٦) هو: عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، الإمام العالم الفاضل سراج الدين: صاحب التفسير الكبير "اللباب في علوم الكتاب" توفي بعد سنة ٨٨٠هـ. انظر: طبقات المفسرين، للأدنروي: (ص ٤١٨). ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة: (٧/٣٠٠). والأعلام، للزركلي: (٥/٥٨).

(٧) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي: (١/١٥٩)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٨) هو: أَبُو السُّعُود مُحَمَّد بن محمد بن مصطفى الْعِمَادِيّ، ولد بقرب القسطنطينية، فِي شهر صفر سنة ٨٩٦هـ، قَرَأَ حَاشِيَة التَّجْرِيد وَشرح الْمِفْتَاح وَشرح المواقف من أَوله إِلَى آخِره على أَبِيه، ودَرَسَ ودَرَّسَ في بلادٍ متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي، وصَنَّف: (إرشاد الْعقل السَّلِيم إِلَى مزايا الْقُرْآن الْعَظِيم) فِي التَّفْسِير، (تحفة الطلاب) في المناظرة، و (رسالة في المسح على الخفين)، كَانَت وَفَاته فِي شهر جُمَادَى الأولى سنة ٩٨٢هـ. انظر: طبقات المفسرين، للأدنروي: (ص: ٣٩٨).

(٩) انظر: تفسير أبي السعود، المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: (١/٨)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(١٠) هو: الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مُفَسِّر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات، أصله من بلدة (قُم) ومنشأه وسكنه في نيسابور، توفي بعد ٨٥٠هـ، له مؤلفات، منها: (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) يعرف بتفسير النيسابوري، و (لب التأويل) و (شرح الشافية) في الصرف، يعرف بشرح النظام، و (شرح الشافية في التصريف لابن الحاجب). انظر: طبقات المفسرين، للأدنروي: (١/٤٢٠). ومعجم المؤلفين: لعمر كحالة: (٣/٢٨٢). والأعلام، للزركلي: (٢/٢١٦).

(١١) انظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمّي النيسابوري: (١/٢٣)، تحقيق: زكرياء عميرات، دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(١٢) هو: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، ونسبة الأسرة الآلوسية إلى جزيرة (آلوس) في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد، ولد سنة ١٢١٧هـ، كان سلفي الإعتقاد، مجتهداً، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ، وعزل، فانقطع للعلم، من مؤلفاته: (روح المعاني) في التفسير، و (غرائب الاغتراب) ضمنه تراجم الذين لقيهم، وأبحاثاً ومناظرات، و (دقائق التفسير). انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار: (٢/١٢٤ – ١٢٥)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر — بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: (١/١٣٩)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي — بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م. والأعلام، للزركلي: (٧/١٧٦).

(١) انظر: روح المعاني، للألوسي: (١/٣٣).

واستدلُّوا لذلك بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[١]

فقالوا: إنّ سورة الحجر مكيَّة بإجماع، وقد ورد تفسير السبع المثاني بالفاتحة مُسْنَداً إلى النبي - ﷺ- عن أبي هريرة[٢]، وأبي بن كعب[٣]،[٤].

ومن هنا فإنَّ الآية دالة على تقدّم نزول الفاتحة على سورة الحجر.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (يستنبط من تفسير السَّبع المثاني بالفاتحة أنَّ الفاتحة مكّية، وهو قول الجمهور خلافًا لمجاهد، ووجه الدلالة أنَّه سبحانه امتن على رسوله بها، وسورة الحِجْر مكّية اتفاقًا، فيدلّ على تقديم نزول الفاتحة عليها)[٥].

٢- مما هو معلوم بالضرورة أنّ فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ في الإسلام قطّ صلاةُ بغير فاتحة الكتاب، ولا أدلَّ على ذلك من قوله - ﷺ-: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب[٦]))[٧].

قال الواحدي: (و لم يكن الله ليمتن على رسوله بإيتائه فاتحة الكتاب وهو بمكة، ثم يُنْزلها بالمدينة، ولا يَسَعُنا القول بأنّ رسول الله - ﷺ- قام بضع عشرة سنة يصلّي بلا فاتحة الكتاب!!، هذا مما لا تقبله العقول)[١].

---

(١) الحِجر:٨٧

(٢) صحيح البخاري: (١٦٢٣/٤)، كتاب التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٤٢٠٤).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: (٢٨١/٣)، وسنن الترمذي: (١٥٥/٥)، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٢٨٧٥)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في: صحيح سنن الترمذي: (٣٧٥/٦).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١١٥/١). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (٥٨/١). وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١٠١/١). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (١٥٩/١). وروح المعاني، للألوسي: (٣٣/١)،

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: (١٥٩/٨)، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٦) صحيح البخاري: (٢٦٣/٣)، كتاب الأذان، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، رقم الحديث (٧٢٣).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١١٥/١). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (٥٨/١). وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١٠١/١). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (١٥٩/١). وروح المعاني، للألوسي: (٣٣/١)،

(١) أسباب الترول، للواحدي: (٢٣).

القول الثاني: يرى بعض أهل العلم: أنَّ سورة الفاتحة مدنية، وقد روي هذا القول عن أبي هريرة، وعطاء بن يسار(١)، ومجاهد، وعطاء الخراساني(٢)، وابن شهاب الزهري(٣)، وغيرهم(٤)، وحكاه أبو اللَّيث السمرقندي(٥) في تفسيره(٦).

واستدلوا بما رواه ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: ((بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ- سَمِعَ نَقِيضًا(٧) مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ(٨)))(١).

ووجه الدلالة منه: أنَّ الفاتحة نزلت حينما نزلت خواتيم سورة البقرة، وهذه الأخيرة مدنيَّة باتفاق.

---

(١) هو: عَطاء بن يسَار الْهِلَالِي أَبُو مُحَمَّد الْمدنِي القَاضِي، مولى مَيْمُونَة زوج النبي - ﷺ-، ثِقَة، كثير الحَدِيث، مَاتَ سنة ١٠٣هـ وهو الأصح، وقيل: سنة ١٠٤هـ، وقيل: سنة ٩٤هـ، وعمره ٨٤ سنة. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٤/٤٤٨).تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٧/٢١٧)، وطبقات الحفاظ، للسيوطي: (ص: ٤١).

(٢) هو: عطاء بن أبي مسلم أبو عثمان الخراساني واسم أبيه ميسرة وقيل عبد الله صدوق، يَهِم كثيراً، ويُرْسِل، ويُدَلِّس، ولد سنة ٥٠هـ، وتوفي في أريحا فَحُمِل ودفن في بيت المقدس سنة ١٣٥هـ، لم يصح أنَّ البخاري أخرج له. انظر: تهذيب الكمال، للحافظ البزي: (٢٠/١٠٦). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٤/٤٤٨). وتقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (١/٦٧٦).

(٣) هو: ابن شهاب الزهري هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، وكنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه وثبته، ولد سنة ٥٠هـ، وتوفي في شهر رمضان سنة ١٢٤هـ.انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٥/٣٢٦). وتقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٢/١٣٣).

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (١/٦١). وجمال القراء وكمال الإقراء، للسخاوي: (١/١١). والاتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١/٣٤).

(٥) هو: نصر بن محمد بن أحمد السَّمرقندي، أبو اللَّيث، الملقب بإمام الهدى، مُفَسِّر مِن أئمة الحنفية، له تفسير القرآن، وقد نسب إليه (تفسير بحر العلوم) و(بستان العارفين)، و(تنبيه الغافلين)، و(عمدة العقائد)، و(خزانة الفقه)، وغيرها، توفي سنة ٣٧٥هـ، وقيل: ٣٨٣هـ، انظر: انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي: (٢/١٩٦). وتاج التراجم في طبقات الحنفية، لابن قطلوبغا: (ص ٣١٠). وطبقات المفسرين، للأدنروي: (ص ٩١). وغاية النهاية، لابن الجزري: (٢/٣٣٧). وطبقات المفسرين، للداوودي: (٢/٣٤٦).

(٦) انظر: بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السَّمرقندي الفقيه الحنفي: (١/٣٩)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت.

(٧) قَوله: (سَمِعَ نَقِيضًا)؛ هو بالقاف والضَّاد المعجمتين- أي: صوتاً كصوتِ الباب إذا فُتح. انظر: شرح النووي على مسلم: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي: (٦/٩١)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٨) صحيح مسلم: (٢/١٩٨)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَالْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ، رقم الحديث (١٩١٣).

(١) بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السَّمرقندي الفقيه الحنفي: (١/٣٩).

القول الثالث: قال بعض العلماء: إنَّ سورة الفاتحة تكرَّرَ نزولها؛ فنَزلت بمكة، ثم نزلت بالمدينة.

وقد حكى هذا القول: الثعلبي[(١)] في تفسيره[(٢)]، والبغوي[(٣)]، والزمخشري[(٤)]، والرازي[(٥)]، والسخاوي[(٦)] في جمال القراء[(٧)]، والزركشي[(٨)] في البرهان[(٩)]، والسيوطي[(١٠)].

وقد استَدَلَّ أصحاب هذا الرأي بما يلي:

١- أنَّه لا مانع من تكرّر نزول بعض القرآن، وقد يكون ذلك تعظيماً لشأنه، وتذكيراً به، إلى غير ذلك من الفوائد[(١١)].

٢- أنَّ تسمية سورة الفاتحة (بالمثاني) دليلٌ على نزولها بمكة تارة، وبالمدينة تارة أخرى[(١٢)].

قال الثعلبي بعد ذكر القولين بمكية الفاتحة ومدنيتها: (وَلَفَّق[(١)] بعض العلماء بين هذين القولين ....فلذلك سميت مثاني)[(٢)].

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، أبو إسحاق، مفسر له اشتغال بالتاريخ، من مؤلفاته: الكشف والبيان في تفسير القرآن، وعرائس المجالس في قصص الأنبياء، توفي سنة ٤٢٧هـ. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٧٩/١). وطبقات المفسرين، للداوودي: (٦٥/١). الأعلام، للزركلي: (٢١٢/١).

(٢) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: (٨٩/١)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٣) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (٤٩/١).

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: (٢٣/١). تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١٨٤/١).

(٦) هو :علي بن محمد بن عبد الصمد الهَمَداني السَّخاوي، أبو الحسن، عالم بالقراءات والأصول، واللغة، والتفسير، ولد سنة ٥٥٨هـ، له مؤلفات، منها: جمال القراء وكمال الإقراء، ومنير الدياجير في الآداب، وشرح الشاطبية، وغيرها، توفي سنة ٦٤٣هـ. انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي: (٦٣١/٢). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٢٢/٢٣). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (٥٦٨/١).

(٧) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء، للسَّخاوي: (٣٤/١).

(٨) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، ولد سنة ٧٤٥هـ، كَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى الِاشْتِغَال بِالْعلمِ، لَا يشْتَغل له عَنهُ بِشَيْء، وَله أَقَارِب يكفونه أَمر دُنْيَاهُ، تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها: (البرهان في علوم القرآن) و(الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) و (لقطة العجلان) في أصول الفقه، و (البحر المحيط) في أصول الفقه، و (إعلام الساجد بأحكام المساجد) و (الديباج في توضيح المنهاج) فقه، و (ربيع الغزلان) أدب، و(عقود الجمان، ذيل وفيات الأعيان)، وتوفّي فِي رَجَب سنة ٧٩٤هـ، انظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة: (١٦٧/٣)، والأعلام، للزركلي: (٨٠/٤).

(٩) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢٩/١).

(١٠) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (١١٣/١).

(١١) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢٩/١).

(١٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١٨٤/١). والبرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢٩/١).

(١) التلفيق: من لَفّق، ضم شقة إلى أُخْرَى، أي: القيام بعمل يجمع فيه بين عدة مذاهب، حتى لا يمكن اعتبار هذا العمل صحيحاً في أي مذهب من المذاهب. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي: (ص: ١٤٤)، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٢) الكشف والبيان في تفسير القرآن، للثعلبي: (٩٠/١).

القول الراجح في نزول الفاتحة.

الذي يترجَّح في نزول الفاتحة هو القول الأول – وهو غير ما رَجَّحَه النَّسَفِي– من أنَّ سورة الفاتحة مكيَّة؛ وذلك للأسباب الآتية:

– لأنّ الله – تعالى– امتنّ على رسوله – ﷺ– بسورة الفاتحة بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾(1) والآية من سورة الحجر، ومعلوم أنّ سورة الحجر مَكِّيَّة اتفاقاً.

– قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (... وكذلك قول من قال: الفاتحة لم تنْزل إلا بالمدينة غلطٌ بلا ريب، ولو لم تكن معنا أدّلة صحيحة تدّلنا على ذلك لكان من قال: إنها مكية؛ معه زيادة عِلْمٍ)(2).

– أمَّا الحديث الذي استدلّ به أصحاب القول بمدنيَّة سورة الفاتحة فقد أُورد عليه أنَّه ليس المراد في دلالة الحديث أنَّ الفاتحة نزلت في ذلك الوقت، وإنما أريد به الإخبار بفضلها(3).

– قال القرطبي بعد أنْ ذكر هذا الحديث: (فهذا الحديث يدلّ على أنها مدنية، وأنّ جبريل لم ينزل بها؛ وليس كذلك، بل نزل بها في مكة(4)...فتتفق الآثار)(5).

– أمَّا القائلون بتكرُّرِ نزول الفاتحة فيمكن أنْ يقال لهم: إنّ الفاتحة نزلت على حَرْفٍ بمكة، ونزلت بقيَّةُ وجوهها في المدينة، وهذا التوجيه استحسنه بعض العلماء، ومنهم السَّخاوي(6)، وعماد الدين الكِنْدي(7).

– أمَّا قولهم: إنَّ تسمية الفاتحة بالمثاني دليلٌ على نزولها مرة بمكة ومرة بالمدينة؛ فلا يسلَّم لهم، إذ أنَّ التثنية هنا بمعنى التكرير(1)، في القراءة. والله أعلم.

---

(1) الحِجر:٨٧

(2) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١٩١/١٧).

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (٦١/١).

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١١٦/١).

(5) التذكار في أفضل الأذكار، فؤاد أحمد زمرلي: ص(٢٢٩)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى.

(6) انظر: جمال القراء، للسخاوي: (٣٤/١).

(7) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (١١٥/١). وعماد الدين الكندي هو أبو الحسن بن أبي بكر بن أبي الحسن الكندي النحوي، من مؤلفاته: (الكفيل بمعاني التنزيل)، توفي سنة ٧٤١هـــ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الباقية، (١٦١/٢). وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: (٥٣٢/١).

(1) انظر: تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي: (٣١/١)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هــ– ١٩٩٧م. وروح المعاني، للألوسي: (٧٨/١٤). والتحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١٣٥/١)، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧م.

المطلب الثاني: البسملة في الفاتحة

الأقوال في بسملة الفاتحة

رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها، وإنَّما هي آيةٌ مستقلة من القرآن، حيث قال – بعد أنْ استعرض الأقوال في هذه المسألة-: «... **ولنا** حديث أبي هريرة قال: سمعت النبي- ﷺ- يقول: ((قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى-: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾[1]، قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى-: حَمِدَنِى عَبْدِى، وَإِذَا قَالَ ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[2]، قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى-: أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدِى، وَإِذَا قَالَ ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[3]، قَالَ: مَجَّدَنِى عَبْدِى، فَإِذَا قَال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[4]، قَالَ: هَذَا بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[5]، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ))[6]، فالابتداء بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ **دليلٌ على** أنَّ التسمية ليست من الفاتحة، وإذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها إجماعاً،....**وما ذكروا لا يضرنا**؛ لأنَّ التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور **عندنا**... وإنما يُرد علينا أنْ لو لم نجعلها آية من القرآن»[7].

ولذا فقد أكد الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ البسملة ليست من سورة الفاتحة ولا من غيرها من السور، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[8] «**وهو دليلٌ** على أنَّ التسميةَ ليست من الفاتحة، إذ لو كانت منها لما أعادهما؛ لخلو الإعادة عن الإفادة»[9].

الدراسة والترجيح:

القول الأول: اتفق الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- في ترجيحه بأنَّ البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من

---

(١) الفاتحة:٢

(٢) الفاتحة:٣

(٣) الفاتحة:٤

(٤) الفاتحة:٥

(٥) الفاتحة:٦-٧

(٦) صحيح مسلم: (٩/٢)، كتاب الصلاة، باب: قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم الحديث (٩٠٤).

(٧) تفسير النَّسَفِي: (٢٩/١).

(٨) الفاتحة:٣

(٩) تفسير النَّسَفِي: (٣٠/١).

غيرها، وإنما هي آية مستقلة، مع أحد قولي ابْن الْمُبَارَك[1] وَأَحْمَد ابْنِ حَنْبَل[2]، وَذَكَرَ الرَّازِي أَنَّهُ مُقْتَضَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَهُ[3]، ورَجَّحَه من المفسرين: أبو بكر الجصاص[4] في أحكام القرآن[5]، وأبي السعود[6]، واسماعيل حقي[7] في تفسيره[8]، والألوسي[9]، ومحمد الطاهر بن عاشور[10] في تفسيره[11]، واختاره شيـــخ

---

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، أبو عبدالرحمن المروزي، مولى بني حنظلة، ثقة ثبت، فقيه عالم جواد مجاهد، جُمِعت فيه خصال الخير، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار، حاجاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة والسخاء، كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم، سنة ١٨١هـــ، له كتاب في (الجهاد) وهو أول من صنف فيه، و (الرقائق). انظر: تهذيب الكمال، للحافظ البزي: (٥/٣٣٤). وتقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (١/٦٧٦).

(٢) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: (٢٠/٢٠٦)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى – و محمد عبد الكبير البكرى، الناشر: مؤسسة قرطبة. والمغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد: (١/٥٥٥)، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـــ.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٢٢/٤٣٤، ٤٣٩)، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى سنة ٧٢٨هـــ) تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـــ – ٢٠٠٥م. وأحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص: (١/١٢)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـــ. والبناية شرح الهداية، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـــ): (٢/١٩٢)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـــ – ٢٠٠٠م. وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي: (١/١١٢)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٣هـــ.

(٤) هو: أحمد بن علي الرازي، الإمام الكبير، أبو بكر الجصاص: فاضل من أهل الرَّي، ولد سنة ٣٠٥هـــ، سكن بغداد ومات فيها سنة ٣٧٠هـــ، انتهت إليه رئاسة الحنفية، وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع، له مؤلفات، منها: (أحكام القرآن) و (أصول الفقه). الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي: (ص٨٤). تاج التراجم في طبقات الحنفية، لابن قطلوبغا: (١/٢). والأعلام، للزركلي: (١/١٧١).

(٥) انظر: أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص: (١/١٢). تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـــ.

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود: (١/٩).

(٧) هو: إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء: مُتَصَوف مُفَسِّر، تُركي مُسْتَعرب، ولد في آيدوس، وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاغ، وأوذي، وعاد إلى بروسة فمات فيها سنة ١١٢٧هـــ، له مؤلفات، منها: (روح البيان في تفسير القرآن) يُعْرَف بتفسير حقي، و (الرسالة الخليلية) تصوف، و (الأربعون حديثا). انظر: معجم المؤلفين، لعمر كحالة: (٢/٢٦٦). والأعلام، للزركلي: (١/٣١٣).

(٨) انظر: تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي: (١/٦)، دار إحياء التراث العربى – بيروت.

(٩) انظر: روح المعاني، للألوسي: (١/٣٩).

(١٠) انظر: التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور: (١/١٤٣).

(١١) هو: محمد الطاهر بن عاشور: ولد سنة ١٢٩٦هـــ – ١٨٧٩م، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عُين (عام ١٩٣٢م) شيخاً للإسلام مالكياً، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد)، وكتب كثيراً في المجلات، توفي سنة ١٣٩٣هـــ – ١٩٧٣م. انظر: الأعلام، للزركلي: (٦/١٧٤).

الإسلام ابن تيمية[1]، ورجَّحَه الشيخ ابن عثيمين[2] في تفسيره[3].

واستدلوا على ذلك بما يلي:

١- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى –: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[4]، قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى –: حَمِدَنِى عَبْدِى، وَإِذَا قَالَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[5]، قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى –: أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدِى، وَإِذَا قَالَ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[6]، قَالَ: مَجَّدَنِى عَبْدِى، فَإِذَا قَالَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[7]، قَالَ: هَذَا بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[8]، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ))[9].

٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قَالَ: ((صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – وَأَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[10] لاَ يَذْكُرُونَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِى أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلاَ فِى آخِرِهَا))[11].

٣- عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: ((أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يفتتح الصلاة بــ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾))[1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٢٢/٣٥٠-٣٥٢، ٤٠٥-٤٠٦).

(٢) هو: هو محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن الوهيبي التميمي، أبو عبد الله، إمامٌ عالم من مجتهدي المذهب الحنبلي في هذا العصر، ذو ذكاء وهمة عالية في تحصيل العلم، وكان زاهداً عابداً متواضعاً، له الكثير من المؤلفات، منها: تفسير القرآن، توفي سنة ١٤٢١ هــ. انظر:الجامع لحياة العلامة محمد بن عثيمين العلمية والعملية: (٨ – ٢٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين: (١/٧-٨)، دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هــ.

(٤) الفاتحة:٢

(٥) الفاتحة:٣

(٦) الفاتحة:٤

(٧) الفاتحة:٥

(٨) الفاتحة:٦-٧

(٩) سبق تخريجه.

(١٠) الفاتحة:٢

(١١) صحيح البخاري: (١/٢٥٩)، كتاب الصلاة، باب: ما يقول بعد التكبير، رقم الحديث (٧١٠). وصحيح مسلم: (٢/١٢)، الصلاة، باب حُجَّةِ مَنْ قَالَ لاَ يَجْهَرُ بِالْبَسْمَلَةِ، رقم الحديث (٩١٨).

(١) المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني: (١٢/١٤٥)، رقم الحديث (١٢٧٤٩)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هــ – ١٩٨٣م.

٤- وَثَبَتَ عَنْهُ فِي السُّنَنِ أَنَّهُ قَالَ: ((سُورَةٌ مِنْ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَهِيَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾(١)))(٢)، وَهِيَ ثَلَاثُونَ آيَةً بِدُونِ الْبَسْمَلَةِ(٣).

القول الثاني: وذهب إلى القول بأنّ البسملة ليست آيةً من سورة الفاتحة، ولا من غيرها مِن السور، وليست من القرآن إلاّ من سورة النمل - مالكاً(٤)، وبعض الحنفية(٥)، والأوزاعي(٦)، وهو قول في مذهب الإمام أحمد(٧)، وإليه ذهب قراء المدينة، والبصرة، والشام(٨)، وهو اختيار ابن جرير الطبري(٩)، وأبي اللّيث السمرقندي(١٠)، ومكي بن أبي طالب القيسي(١١)، وابن العربي(١٢)، وابن عطية(١)، وهو ترجيح القرطبي(٢).

---

(١) المُلك:١

(٢) سنن ابن ماجة: (١٢٤٤/٢)، كتاب، باب: ثواب القرآن، رقم الحديث (٣٧٨٦). وسنن الترمذي: (١٦٤/٥)، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، رقم الحديث (٢٨٩١). وسنن النسائي: (٤٩٦/٦)، كتاب التفسير، باب: سورة التحريم، رقم الحديث (١١٦١٢). وصححه الحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٧٥٣/١) باب: ذكر فضائل سور و آي متفرقة، رقم الحديث (٢٠٧٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. والألباني في: صحيح ابن ماجة: (٣١٦/٢). رقم الحديث (٣٠٥٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٤٣٤/٢٢، ٤٣٩). والمغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لابن قدامة المقدسي: (٥٥٥/١). تبيين الحقائق شرح كتر الدقائق، لفخر الدين الزيلعي الحنفي: (١١٢/١). ومفاتيح الغيب، للرازي: (١٦٧/١).

(٤) انظر: التمهيد، لابن عبد البر: (٢٠٦/٢٠). والمغني لابن قدامة المقدسي: (٥٥٥/١). والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٣٥٠/٣-٣٥٣)، دار الفكر.

(٥) انظر: التمهيد، لابن عبد البر: (٢٠٧/٢٠). والمغني، لابن قدامة المقدسي: (٥٥٥/١). ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٤٣٨/٢٢).

(٦) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزَاع، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين، ولد في بَعْلَبَك سنة ٨٨هـ، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧هـ، وعُرِضَ عليه القضاء فامتنع، روى عنه مالك والثوري وأهل الشام له كتاب (السنن) في الفقه، و (المسائل). انظر: الثقات، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي: (٦٢/٧)، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. والأعلام، للزركلي: (٣٢٠/٣).

(٧) انظر: المغني، لابن قدامة المقدسي: (٥٥٥/١). ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٤٣٨/٢٢).

(٨) انظر: الكشف عن وجوه القراءات، لمكي بن أبي طالب: (٢٢/١). ومعالم التتريل، للبغوي: (٥١/١).

(٩) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري: (١٤٧/١).

(١٠) انظر: بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي: (٧٥/١).

(١١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات: لمكي بن أبي طالب: (٢٢/١).

(١٢) انظر: أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي: (٥/١)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا دار الفكر - بيروت – لبنان. ابْن الْعَرَبِيّ هو: الْعَلامَة الْحَافِظ القَاضِي أَبُو بكر مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد الإشبيلي، ولد سنة ٤٦٨هـ، كَانَ متبحراً فِي الْعلم ثاقب الذِّهْن، لَيِّن الكنف، كريم الشَّمَائِل، ولّي قَضَاء إشبيلية، فَكَانَ ذَا شدَّة وسطوة، ثمَّ عُزل فَأقبل على التَّأْلِيف وَنشر الْعلم، وَبلغ رُتْبَة الِاجْتِهَاد، مِن تصانيفه: أحكام القرآن في التَّفْسِير، وعارضة الأحوذي فِي شرح التِّرْمِذِيّ، وَغير ذَلِك فِي الْفِقْه وَالْأُصُول وعلوم الْقُرْآن وَالْأَدب والنحو والتاريخ، مَاتَ بفاس فِي ربيع الآخر سنة ٥٤٣هـ. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٢٩٦/٤)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٦٣/١٤)، والوافي بالوفيات، للصفدي: (٢٦٦/٣)، وطبقات الحفاظ، للسيوطي: (ص٤٦٨)، وطبقات المفسرين، للأدنروي: (ص١٨٠).

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية: (٦٠/١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١٤٥/١).

واستدلوا لذلك بما يلي:

١- استدلوا بحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- السابق الذكر، على أنَّها لم تذكر البسملة.

٢- واستدلوا بحديث أنس بن مالك - رضي الله عنه- السابق الذكر - أيضاً-، على أنَّها لم تذكر البسملة.

٣- لو كانت البسملة من القرآن لكان إثباتها إمَّا عن طريق التواتر، أو الآحاد، والأول: باطل؛ لأنَّه لو ثبت بالتواتر كونه من القرآن لحصل العلم الضروري من ذلك، ولا امتنع الخلاف؛ لقول الله - عز وجل-: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1] والاختلاف موجود في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾[2] ههنا، فعلمنا أنها ليست من كتاب الله؛ لأنَّ ما كان من كتاب الله فقد نفى عنه الاختلاف بقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[3]، والثاني: أيضاً باطل؛ لأنَّ خبر الواحد لا يفيد إلا الظن، فلو جعلناه طريقاً إلى إثبات القرآن لخرج القرآن عن كونه حجة يقينية، ولصار ذلك ظنياً، ولو جاز ذلك لجاز ادعاء الروافض أنَّ القرآن دخله الزيادة والنقصان والتغيير والتحريف[4].

القول الثالث: وهو أنَّ البسملة آية من سورة الفاتحة، وذهب إلى هذا القول الزهري، وطاووس، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وسفيان الثوري[5]، وهو أحد قولي ابن المبارك، ومنهم أكثر فقهاء الحديث كالإمام أحمد بن حنبل في أحد قوليه[6]، وهو قول بعض أصحاب أبي حنيفة[7]، والصحيح من قول الشافعي[1]، وإليه

---

(١) النساء:٨٢

(٢) الفاتحة:١

(٣) الحِجر:٩

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي: (٥/١)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١٤٥/١). والتحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١٣٩/١). والتمهيد، لابن عبد البر: (٢٠٧/٢٠). والمغني، لابن قدامة المقدسي: (٥٥٥/١). ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٤٣٨/٢٢).

(٥) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ، فقيه عابد، إمامٌ حُجة، ولد سنة ٩٧هـ، ولد ونشأ في الكوفة، وانتقل إلى البصرة فتوفي فيها في شعبان سنة ١٦١هـ، له من الكتب: (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، وكتاب في (الفرائض)، وكان آية في الحفظ، من كلامه: ما حفظت شيئاً فنسيته. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٤٤٨/٤). وتقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٤٤٨/١). والأعلام، للزركلي: (١٠٥/٣).

(٦) انظر: المغني، لابن قدامة المقدسي: (٥٥٥/١). ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٤٣٨/٢٢).

(٧) انظر: التمهيد، لابن عبد البر: (٢٠٧/٢٠). والمغني، لابن قدامة المقدسي: (٥٥٥/١). ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٤٣٨/٢٢).

(١) انظر: التمهيد، لابن عبد البر: (٢٠٦/٢٠). والمغني لابن قدامة المقدسي: (٥٥٥/١). والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٣٥٠/٣-٣٥٣).

ذهب قراء مكة والكوفة وفقهاؤها[1]، ورجَّحه من المفسرين: الفخر الرازي[2]، وشمس الدين الشربيني[3]، وسيد قطب[4] في تفسيره[5].

واستدلوا لذلك بما يلي:

١- حديث أم سلمة – رضي الله عنها- قالت: ((كان رسول الله – ﷺ- إذا قرأ يقطع قراءته آية آية: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[6]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[7]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[8]، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[9]))[10].

٢- عن ابن عباس – رضي الله عنهما-: ((كَانَ النَّبِيُّ – ﷺ- لاَ يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْهِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1]))[2].

---

(١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات، لمكي بن أبي طالب: (٢٢/١). ومعالم التتريل، للبغوي: (٥١/١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (٦٢١/١).

(٣) انظر: تفسير السراج المنير، لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني: (١١/١)، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) هو: وسيد قطب هو: سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط سنة ١٣٢٤هـ – ١٩٠٦م، تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) وعُيِّنَ مُدَرِّساً للعربية، فموظفاً في ديوان وزارة المعارف، ثم مراقبا فنياً للوزراة، وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (١٩٤٨ – ١٩٥١م) ولما عاد انتقد البرامج المصرية، وبنى على هذا استقالته ١٩٥٣م في العام الثاني للثورة، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣ – ١٩٥٤م) وسُجِنَ معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم، وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الاسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والاسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق). انظر: الأعلام، للزركلي: (١٤٧/٣).

(٥) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي: (٦٢١/١)، الناشر: دار الشروق – بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

(٦) الفاتحة:١

(٧) الفاتحة:٢

(٨) الفاتحة:٣

(٩) الفاتحة:٤

(١٠) سنن الترمذي: (١٨٥/٥)، كتاب القراءات، باب: فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٢٩٢٧). وسنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي: (٣١٢/١)، باب: وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، رقم الحديث (٣٧)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م. وصححه الألباني في: صحيح سنن الترمذي: (٤٢٧/٦)، رقم الحديث (٢٩٢٧). وإرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: لمحمد ناصر الدين الألباني: (٦٠/٢)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(١) الفاتحة:١

(٢) سنن أبي داوود: (٢٨٨/١)، كتاب الصلاة، باب: من جهر بالبسملة، رقم الحديث (٧٨٧). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود: (٣٧٢/٣)، باب: من جهر بالبسملة، رقم الحديث (٧٥٤).

٣- عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: ((فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾))[١].

٤- إجماع المسلمين على أنَّ سورة الفاتحة نقلت فيها البسملة متصلة بالسورة بلا فرق بينهما[٢].

القول الرابع: وهو أنَّ البسملة آية من سورة الفاتحة، ومن كل سورة، وهو قولٌ للشافعي وابن المبارك[٣]، ورجَّحه من المفسرين: الثعلبي[٤].

وحُجتُهم: لِأَنَّهَا كُتِبَتْ فِي الْمُصْحَفِ بِخَطِّ سَائِرِ الْقُرْآنِ[٥].

الترجيح في بسملة الفاتحة :

الذي يترجَّح هو القول الأول - وهو ما رَجَّحَه الإمام النَّسَفِي وغيره- مِن أنَّ البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها، وإنَّما هي آية مستقلة من القرآن، وذلك لقوة الأدلة التي ذكروها.

- وما استدلوا به من قالوا أنَّ البسملة من الفاتحة بحديثي أبي هريرة وأم سلمة، فهذان الحديثان لا يرتقيان بالصحة إلى درجة أحاديث القول الأول[٦]، ومن جهة قال ابن عاشور: أنَّ ذكر البسملة جاء على وجه التمثيل لكيفية القراءة، وبدأت بالبسملة لشهرها[١].

- وأمَّا ما استدلوا به من حديث ابن عباس فهذا يؤكد ما رجحناه من أنَّ البسملة أنزلت للفصل بين السور.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: (٤٥/٢)، باب: الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) آيَةٌ تَامَّةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ، رقم الحديث (٢٢١٨)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. وفي السنن الصغرى: (ص٥٤٥)، باب: تخصيص فاتحة الكتاب بالذكر، رقم الحديث (٩٩٣)، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٣٣٥/٣)، والتحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١٤٢/١).

(٣) انظر: التمهيد، لابن عبد البر: (٢٠٧/٢٠). والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٣٥٠/٣).

(٤) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١٠٢/١).

(٥) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (٥١/١).

(٦) حديث أبي هريرة: فهو لم يخرجه أحد من رجال الصحيح، إنما خرجه الطبراني وابن مردويه والبيهقي، فهو نازل عن درجة الصحيح، فلا يعارض الأحاديث الصحيحة، وأما حديث أم سلمة: فلم يخرجه من رجال الصحيح غير أبي داوود وأخرجه أحمد بن حنبل والبيهقي، وصحح بعض طرقه وقد طعن فيه الطحاوي بأنه رواه ابن أبي مليكة، ولم يثبت سماع ابن أبي مليكة من أم سلمة، يعني أنه مقطوع، على أنه روى عنها ما يخالفه. انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١٤٢/١).

(١) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١٤٢/١).

- وأمَّا عن الإجماع على أنَّ ما بين الدفتين كلام الله، فالجواب: أنَّه لا يقتضي إلا أنَّ البسملة قرآن، وهذا لا نزاع فيه، وأمَّا كون المواضع التي رسمت فيها في المصحف مما تجب قراءتها فيها، فذلك أمر يتبع رواية القراء، وأخبار السنة الصحيحة، فيعود إلى الأدلة السابقة[1]، و لم يتفقوا في الأدلة السابقة.

- وأمَّا ما استدلوا به أصحاب القول بأنَّ البسملة آية من كل سورة، لِأَنَّهَا موجودة فِي رسم المصحف، فالحق البين في أمر البسملة في أوائل السور، أنَّها كتبت للفصل بين السور ليكون الفصل مناسباً لابتداء المصحف، ولئلا يكون بلفظ من غير القرآن، وقد روى أبو داود[2] في سننه، والترمذي[3] وصححه، عن ابن عباس أنَّه قال: قلت لعثمان بن عفان: ((ما حَمَلَكم أنْ عمدتم إلى براءة وهي من الْمِئِينَ وإلى الأنفال وهي من المثاني فجعلتموهما في السبع الطوال، و لم تكتبوا بينهما سطراً ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، قال عثمان: كان النبي لما تنزل عليه الآياتُ فيدعو بعض من كان يكتب له ويقول له: ((ضع هذه الآية بالسورة التي يذكر فيها كذا وكذا))، أو تنزل عليه الآية والآيتان فيقول مثل ذلك، وكانت الأنفال من أول ما أنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما أنزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقُبِض رسول الله ــ ﷺ ــ و لم يبين لنا أنَّها

(١) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١/١٤٢).

(٢) هو: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر ، الإمام، شيخ السنة، مقدم الحفاظ، أبو داوود، الأزدي السجستاني، محدث البصرة، ولد بسجستان سنة ٢٠٢هــ، أما سجستان إقليم صغير منفرد، متاخم لإقليم السند، ورحل إلى بغداد، ثم إلى البصرة، وجمع، وصنف، وبرع في هذا الشأن، وتوفي في سادس عشر شوال، سنة ٢٧٥هــ، من مؤلفاته: (السنن) وهو أحد الكتب الستة، جمع فيه ٤٨٠٠ حديث، و(المراسيل) في الحديث، و (كتاب الزهد) في خزانة القرويين، وغيرها. انظر: الثقات، لابن حبان: (٨/٢٨٢). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٣/٢٠٣). وطبقات الفقهاء، لابن منظور: (١/١٧١). والسلوك في طبقات العلماء والملوك، لبهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي: (١/١٤٢)، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، الناشر: مكتبة الإرشاد – صنعاء – اليمن، سنة النشر: ١٩٩٥م. والوفيات، لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب: (ص١٨٨)، تحقيق: عادل نويهض، الناشر: دار الإقامة الجديدة – بيروت، سنة النشر: ١٩٧٨م. وصفة الصفوة، لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج: (٤/٦٩)، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣) هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، أبو عيسى: من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون)، ولد سنة ٢٠٩هــ، تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه، وقام برحلة إلى خراسان، والعراق، والحجاز، وعمي في آخر عمره، وكان يضرب به المثل في الحفظ، مات بترمذ ليلة الإثنين في ثالث عشر رجب سنة ٢٧٩هــ، من تصانيفه: (الجامع الكبير) باسم (صحيح الترمذي) في الحديث، و (الشمائل النبوية) و (التاريخ) و (العلل) في الحديث. انظر: تهذيب الكمال، للحافظ المزي: (٢٦/٢٥٠). وتذكرة الحفاظ، للذهبي: (٢/١٥٤)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٩/٣٤٤). والأعلام، للزركلي: (٦/٣٢٢).

منها، فظننتُ أنَّها منها، فمن هناك وضعتُها في السبع الطوال، و لم أكتب بينهما سطر ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1])) ،[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ترجيحه لهذا القول: (وَهُوَ أَوْسَطُ الْأَقْوَالِ وَبِهِ تَجْتَمِعُ الْأَدِلَّةُ فَإِنَّ كِتَابَةَ الصَّحَابَةِ لَهَا فِي الْمَصَاحِفِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَكَوْنُهُمْ فَصَلُوهَا عَنْ السُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْهَا)[3]، وقال: (أَنَّهَا مِنْ الْقُرْآنِ حَيْثُ كُتِبَتْ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ وَلَيْسَتْ مِنْ السُّورَةِ... وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ)[4].

وقال العلامة ابن عثيمين – رحمه الله –عن هذا القول: (إنها ليست من الفاتحة؛ ولكنَّها آية مستقلة من كتاب الله؛ وهذا القول هو الحق؛ ودليل هذا: النص، وسياق السورة.

أما النص: فقد جاء في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "قال الله – تعالى-: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: إذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[5] قال الله – تعالى-: حمدني عبدي؛ وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[6] قال الله – تعالى-: أثنى عليَّ عبدي؛ وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[7] قال الله – تعالى-: مجّدني عبدي؛ وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[8]قال الله – تعالى-: هذا بيني وبين عبدي نصفين؛ وإذا قال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[1]، قال الله – تعالى-: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل"، وهذا كالنص على أنَّ البسملة ليست من الفاتحة.

---

(١) سنن أبي داوود: (٢٨٧/١)، كتاب الصلاة، باب: مَنْ جَهَرَ بهَا (البسملة)، رقم الحديث (٧٨٦). وسنن الترمذي: (٢٧٢/٥)، كتاب تفسير القرآن، باب: سورة التوبة، رقم الحديث (٣٠٨٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وضعفه الألباني. انظر: ضعيف أبي داوود، للألباني: (٣٠٦/١)، رقم الحديث (١٤٠).

(٢) انظر: الدر المنثور، للسيوطي: (١١٩/٤). وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٢٩/١). والتحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١٤٣/١– ١٤٤).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٢٧٦/٢٢).

(٤) المرجع نفسه: (٤٣٨/٢٢–٤٣٩).

(٥) الفاتحة:٢

(٦) الفاتحة:٣

(٧) الفاتحة:٤

(٨) الفاتحة:٥

(١) الفاتحة:٦–٧

وفي الصحيح عن أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال: "صلَّيت خلف النبي – صلى الله عليه وسلم–، وأبي بكر، وعمر، فكانوا لا يذكرون ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في أول قراءة، ولا في آخرها"[1]: والمراد لا يجهرون، والتمييز بينها وبين الفاتحة في الجهر وعدمه يدل على أنَّها ليست منها.

أمَّا من جهة السياق من حيث المعنى: فالفاتحة سبع آيات بالاتفاق، وإذا أردت أن توزع سبع الآية على موضوع السورة وجدت أنَّ نصفها هو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[2]وهي الآية التي قال الله فيها: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين"؛ لأنَّ؛ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾[3]: واحدة، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾[4]: الثانية، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾[5]: الثالثة، وكلها حق لله – عز وجل– ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[6]: الرابعة، يعني الوسَط؛ وهي قسمان: قسم منها حق لله، وقسم حق للعبد، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[7]، للعبد، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[8] للعبد، ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[9] للعبد، فتكون ثلاث آيات لله – عز وجل– وهي الثلاث الأولى، وثلاث آيات للعبد، وهي الثلاث الأخيرة، وواحدة بين العبد وربِّه، وهي الرابعة الوسطى.. ثم من جهة السياق من حيث اللفظ، فإذا قلنا: إنَّ البسملة آية من الفاتحة، لزم أنْ تكون الآية السابعة طويلة على قدر آيتين، ومن المعلوم أنَّ تقارب الآية في الطول والقصر هو الأصل..)[10].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الفاتحة:٥

(٣) الفاتحة:٢

(٤) الفاتحة:٣

(٥) الفاتحة:٤

(٦) الفاتحة:٥

(٧) الفاتحة:٦

(٨) الفاتحة:٦-٧

(٩) الفاتحة:٦-٧

(١٠) تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين: (١/٧-٨).

المطلب الثالث: في أداء لفظ الجلالة (الله) من بسملة الفاتحة

رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- عند تفسيره لبسملة الفاتحة أنَّ لام لفظ الجلالة تفخم إذا كان قبلها فتحة أو ضمة، وترقق إذا كان قبلها كسرة، في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ حيث قال: «وتفخم لامه إذا كان قبلها فتحة أو ضمة، وترقق إذا كان قبلها كسرة، ومنهم من يرققها بكل حال، ومنهم من يفخم بكل حال، والجمهور على الأول»[(١)].

الدراسة والترجيح:

هناك ثلاثة أقوال لأداء اللام في لفظ الجلالة:

القول الأول: إنَّ اللام في لفظ الجلالة تفخم إذا كان قبلها فتحة أو ضمة، وترقق إذا كان قبلها كسرة، وهذا ما رجَّحَه الإمام النّسَفِي – رحمه الله- وعليه جمهور العلماء، منهم: الثعلبي[(٢)]، ومكي بن أبي طالب القيسي[(٣)]، والرازي[(٤)]، والسمين الحلبي[(٥)]، وابن عرفة[(٦)]، والنيسابوري[(٧)]، وأبو العباس أحمد بن عَجِيبة[(٨)] في

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (٢٨/١).

(٢) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (٥/١).

(٣) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السَّبْع وعِلَلِها وحِجَجِها، لمكي بن أبي طالب القيسي: (٢١٩/١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (٩١/١).

(٥) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (٧/١).

(٦) انظر: تفسير ابن عرفه، لابن عرفه: (٧٢/١).

(٧) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (٦٢/١).

(٨) هو: أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عَجِيبة، الحسني الأنجري، مُفَسِّر، صوفي، من أهل المغرب، ولد سنة ١١٦٠هـ، وتوفي سنة ١٢٢٤هـ، ودفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان)، له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، و (أزهار البستان) في طبقات الأعيان المالكية، و (الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية) و (الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية) جمع فيه بين النحو والتصوف. انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني: (٨٥٤/٢)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، والأعلام، للزركلي: (٢٤٥/١).

تفسيره[1]، وابن الجزري[2] في منظومة المقدمة[3]، والألوسي[4].

القول الثاني: إنَّ لام لفظ الجلالة تفخم في كل حال[5].

القول الثالث: إنَّ لام لفظ الجلالة ترقق في كل حال[6].

القول الراجح: هو القول الأول - أنَّ اللام في لفظ الجلالة تفخم إذا كان قبلها فتحة أو ضمة، وترقق إذا كان قبلها كسرة- وهو ما رجَّحَه الإمام النّسَفِي - رحمه الله- وما عليه جمهور العلماء.

يقول النيسابوري: (أنهم استحسنوا تفخيم اللام وتغليظها من لفظ «الله» بعد الفتحة والضمة دون الكسرة.

أمَّا الأول: فللفرق بينه وبين لفظ اللَّات في الذكر، ولأنَّ التفخيم مِشْعِر بالتعظيم، ولأنَّ اللام الرقيقة تذكر بطرف اللّسان، والغليظة تذكر بكل اللّسان، فكان العمل فيه أكثر، فيكون أدخل في الثواب، وهذا كما جاء في التوراة: أحبب ربك بكل قلبك.

وأما الثاني: فلأنَّ النَّقل من الكسرة إلى اللام الغليظة ثقيل على اللسان؛ لكونه كالصَّعود بعد الانحدار)[7] .

---

(١) انظر: البحر المديد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي: (٢٥/١)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) هو: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه، من حفاظ الحديث، ولد في دمشق سنة ٧٥١هـ، ونشأ فيها، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن)، ورحل إلى مصر مراراً، ودخل بلاد الروم، وسافر إلى ما وراء النهر، ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها، ومات فيها سنة ٨٣٣هـ، له مؤلفات كثيرة، منها: (النشر في القراءات العشر)، و (غاية النهاية في طبقات القراء)، اختصره من كتاب آخر له اسمه (نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات)، و (التمهيد في علم التجويد) و (منجد المقرئين) و (التتمة في القراءات) و (تحبير التيسير في القراءات العشر، و (تقريب النشر في القراءات العشر) و (الدرة المضية) في القراءات، و (طيبة النشر في القراءات العشر) منظومة، و (المقدمة الجزرية) أرجوزة في التجويد، وغيرها. انظر: الضوء اللامع، للسخاوي: (٢٥٥/٩). وطبقات المفسرين، للأدنروي: (٣٢٠/١). وطبقات الحفاظ، للسيوطي: (ص: ٥٤٩). والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: (٢٥٧/٢)، دار المعرفة – بيروت. والأعلام، للزركلي: (٤٥/٧).

(٣) انظر: منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (الجزرية)، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ): (ص١٣)، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٤) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (٢٥/١).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (٩١/١). وتفسير النَّسَفِي: (٢٨/١). وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (٦٢/١).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (٩١/١). وتفسير النَّسَفِي: (٢٨/١). وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (٦٢/١).

(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (٦٢/١).

المطلب الرابع: الوقف والابتداء

المسألة الأولى: في الوقف على (لا ريب فيه)

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾[1] رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– أنَّ الوقف على فيه، هو المشهور، حيث قال: « والوقف على فيه **هو المشهور**، وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على ريب، ولا بُدَّ للواقف مِن أنْ ينوي خبراً، والتقدير: لا ريب فيه»[2].

الدراسة والترجيح:

للوقف على قوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ قولين:

القول الأول: وهو القول بأنَّ الوقف يكون على كلمة (فيه)، من قوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾، وهو ما رَجَّحه الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– وعليه أكثر العلماء والمفسرين، منهم: الزمخشري[3]، والرازي[4]، والبيضاوي[5]، وابن جزي[6]، وابن كثير[7]، وابن عرفة المالكي [8]، والشوكاني[9]، والألوسي[10]، ومحمد الطاهر بن عاشور[11].

وحُجَتُهم: أنَّ خبر ﴿لَا رَيۡبَ﴾: ﴿فِيهِۛ﴾، فيوقف عليه، ويُبتدأ بـــ ﴿هُدٗى﴾ فتكون صفة للقرآن.

---

(١) البقرة:٢

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/٣٨).

(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/٧٦).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١/١٩).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي، للبيضاوي: (١/٣١).

(٦) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي، ابن جزي الكلبي: (١/٣٥)، دار الكتاب العربي – بيروت– لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـــ – ١٩٨٣م. وابن جزي هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه، من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غِرْناطة، ولد سنة ٦٩٣هـــ، وتوفي سنة ٧٤١هـــ، من كتبه: (التسهيل لعلوم التنزيل) تفسير، و(القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية)، و (تقريب الوصول إلى علم الأصول)، و (الفوائد العامة في لحن العامة) و (البارع في قراءة نافع). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر العسقلاني: (١/٤٦٤)، الأعلام، للزركلي: (٥/٣٢٥).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/١٦٢).

(٨) انظر: تفسير ابن عرفة، لابن عرفة: (١/١١٢ – ١١٣).

(٩) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/٣٩).

(١٠) انظر: روح المعاني، للألوسي: (١/٩١).

(١١) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١/٢٢٢).

قال ابن كثير: (ومن القراء من يقف على قوله: ﴿لَا رَيْبَ﴾ ويبتدئ بقوله: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والوقف على قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أولى؛ للآية التي ذكرنا[1]، ولأنَّه يصير قوله: ﴿هُدًى﴾ صفة للقرآن، وذلك أبلغ من كون: ﴿فِيهِ هُدًى﴾ [2]).

القول الثاني: وهو القول بأنَّ الوقف يكون على كلمة (ريب) من قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ﴾، ومن القائلين بهذا القول: الزجاج[3]، والسمين الحلبي[4]، وابن عادل الحنبلي[5].

وحُجَتُهم: أنَّ خبر ﴿لَا رَيْبَ﴾، محذوف، تقديره: (فيه).

القول الراجح: هو القول الأول، وهو ما رَجَّحَه الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– وما عليه أكثر العلماء والمفسرين، لأنَّ عند الوقف على (فيه) يكون القرآن بجملته هداية، ولأنَّ القاعدة التفسيرية تقول: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار[6].

قال الفخر الرازي: (الوقف على ﴿فِيهِ﴾ هو المشهور، وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على ﴿لَا رَيْبَ﴾ ولا بدّ للواقف مِن أنْ ينوي خبراً، ونظيره قوله: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾[7] وقول العرب: لا بأس، وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز؛ والتقدير: {لا رَيْبَا فِيه} ﴿فِيهِ هُدًى﴾، واعلم أنَّ القراءة الأولى أولى؛ لأنَّ على القراءة الأولى يكون الكتاب نفسه هدى، وفي الثانية لا يكون الكتاب نفسه هدى، بل يكون فيه هدى، والأول أولى؛ لما تكرر في القرآن من أنَّ القرآن نورٌ وهدى. والله أعلم)[8].

وأضيف إلى ما ذكره العلماء أنَّ قوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ جملة جديدة مستقلة، وتكون لبيان كماله، فوق أنَّه لا ريب فيه.

ثم هذه القراءات كلها تتجه إلى سمو القرآن وعلوه، وأنَّه فوق علم الناس، إنَّه كتاب الله العلي الحكيم.

---

(١) الآية هي: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة:١،٢].

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١٦٢/١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل: (٦٧/١)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٤) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (٣٣/١).

(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي: (٢٢٦/١).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (٧١/٢).

(٧) الشعراء:٥٠

(٨) مفاتيح الغيب، للرازي: (١٩/٢).

المسألة الثانية: في الوقف على (بمؤمنين)

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾[١]

رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي - رحمه الله- رأي من قال إنَّ الوقف لازم[٢] على ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾، حيث قال: «الوقف لازم على ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾؛ لأنَّه لو وصل لصار التقدير: وما هم بمؤمنين مخادعين، فينتفي الوصف، كقولك: "ما هو برجل كاذب"، والمراد: نفي الإيمان عنهم، وإثبات الخداع لهم.

ومَن جَعَلَ يخادعون حالاً من الضمير في: يقول، والعامل فيها: يقول، والتقدير: يقول آمنا بالله مخادعين، أو حالاً من الضمير في بمؤمنين، والعامل فيها اسم الفاعل، والتقدير: وما هم بمؤمنين في حال خداعهم، لا يقف، والوجه الأول»[٣].

الدراسة والترجيح:

ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي قولين في الوقف على ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾:

القول الأول: إنَّ الوقف لازم على ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾؛ لأنَّه لو وصل لصار التقدير: وما هم بمؤمنين مخادعين، فينتفي الوصف، ووافقه في ذلك النيسابوري وقال: الوقف لازم إذ لو وصل بقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[٤] لصارت الجملة صفة للمؤمنين، فانتفى الخداع عنهم وتقرر الإيمان الخالص خالياً عن الخداع كما تقول: ما هو بمؤمن مخادع، ومراد الله نفي الإيمان وإثبات الخداع.[٥]

القول الثاني: إنَّ الوقف هنا ليس بلازم؛ وذلك لمن جعل (يخادعون) حالاً من الضمير في ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾، يقول أبو بكر الأنباري[٦]:

---

(١) البقرة:٨

(٢) الوقف اللازم: وهو لزوم الوقف على ما تم معناه، فإن لم يوقف عليه أُوْهِمَ غير المعنى المراد. غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر: (ص:٢٢٦)، الناشر: القاهرة، الطبعة السابعة. وصفحات في علوم القراءات، د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي: (ص:٢٧٧)، الناشر: المكتبة الأمدادية، الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ.

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١/٤٨ - ٤٩).

(٤) البقرة:٩

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري: (١/٤٤).

(٦) هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن، ولد في الأنبار (على الفرات)، وتوفي ببغداد، وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم، توفي سنة ٣٢٨هـ، من كتبه: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل. انظر: نوابغ الرواة في رابعة المئات، للشيخ آغا بزرك الطهراني: (١/١٦٢)، تحقيق: علي تقي فنروي، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، سنة النشر: ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.الأعلام، للزركلي: (٦/٣٣٤).

(والوقف على قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ حَسَن، وليس بتام؛ لأنَّ قوله: (يخادعون الله) في موضع نصب على من (هُمْ)، كأنَّه قال: مخادعين الله).[1]

ويعلل السِّجَاوَنْدِيُّ[2] هذا الاختيار للوقف التام[3] فيقول: (... لأنَّ ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ منكر، والجملة بعد المنكر تتعلق به صفة، فلو وصل صار التقدير: وما هم بمؤمنين مخادعين، فينفي الوصف لا مع الموصوف، فينتقض المعنى، فإنَّ المراد نفي الإيمان عنهم، وإثبات الخداع لهم، ومراد الله نفي الإيمان عنهم وإثبات الخداع)[4] وذلك؛ لأنَّ النفي إذا دخل على الموصوف بصفة ينفي الصفة ويقرر الموصوف، كقوله: ما هو برجل كاذب.

بينما يرى غيرهم من العلماء التفصيل في المسألة بحسب المراد من اللغة؛ حيث يرى الشيخ أحمدُ بنُ عبدالكريمِ بنِ محمَّدٍ الأَشْمُونيُّ[5] في هذه الآية الآتي:

١- أنَّه لا وقف على ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ولا على ﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾؛ لأنَّ الله أراد أنْ يعلمنا أحوال المنافقين أنهم يظهرون خلاف ما يبطنون، والآية دلت على نفي الإيمان عنهم، فلو وقفنا على ﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ لكنا مخبرين عنهم بالإيمان وهو خلاف ما تقتضيه الآية.

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبو بكر الأنباري: (٤٩٦/١)، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، طبعة ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م.

(٢) هو: محمد بن طيفور الغزنوي السِّجَاوَنْدِيُّ، أبو عبد الله: مُفَسِّر، عالم بالقراءات، ومن كتبه: (التفسير) و (الإيضاح في الوقف والابتداء) و (علل القراءات)، توفي سنة ٥٦٠هـ. انظر: طبقات المفسرين، للأدنروي: (٢٧٤/١). وطبقات المفسرين، للسيوطي: (٨٧/١). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (١٥٧/٢). والأعلام، للزركلي: (١٧٩/٦).

(٣) الوقف التام: هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده؛ لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده لا لفظاً ولا معنى. انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر: (ص١٧٦)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، الناشر: مكتبة دار الأنبار - بغداد، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٨م. والتمهيد في علم التجويد، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف: (ص١٧٤)، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، الناشر: مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي: (٣٧٤/١)، الناشر: مكتبة طيبة – المدينة المنورة، الطبعة الثانية.

(٤)، علل الوقوف، محمد بن طيفور السجاوندي: (١٠٨/١)، تحقيق: د.محمد بن عبدالله العيدي، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(٥) هو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن محمد بن أحمد بن عبد الكريم الاشموني، الشافعي، فقيه، مقرئ، توفي في حدود القرن ١١ الهجري، من تصانيفه: (منار الهدى في بيان الوقف والابتداء)، و(القول المتين في بيان امور الدين). انظر: معجم المؤلفين، لعمر كحالة: (١٢١/٢).

٢- أنَّ الوقف على ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾ وقف تام إنْ جُعل ما بعده استئنافاً بيانياً، كأنَّ قائلاً يقول: ما بالهم قالوا آمنا ويظهرون الإيمان وماهم بمؤمنين، فقيل: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

٣- أنَّه لا وقف على ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾ عند من جعل الجملة بدلاً من الجملة الواقعة صلة ل(مَنْ) وهي ﴿يَقُولُ﴾، وتكون من بدل الاشتمال؛ لأنَّ قولهم مشتمل على الخداع، أو حال من ضمير ﴿يَقُولُ﴾.

٤- أنَّه وقف تام من حيث كون الكلمة رأس آية.

٥- أنَّه لا يجوز أنْ تكون جملة ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ في محل جر صفة لـ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾؛ لأنَّ ذلك يوجب نفي خداعهم، والمعنى: على إثبات الخداع لهم ونفي الإيمان عنهم، وكل من الحال والصفة قيدٌ يتسلط النفي عليه وعليهما.[1]

والراجح فيما يظهر للباحث التفصيل في الوقف على نحو ما قاله الشيخ الأشموني؛ وذلك بحسب المدلول النحوي واللغوي، حيث تكافأت الأوجه اللغوية عند الأشموني دون مُرَجَّحٍ بينٍ واضح، فالذي يقف له وجه إعرابي صحيح، والذي يقف له وجه إعرابي صحيح، وعليه فإنَّ الوقف على رأس الآية وقف تام، وهو موافق لرسم المصحف.

(١) انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن محمد الأشموني: (ص٣٣)، شركة ومطبعة البابي الحلبي- مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

المسألة الثالثة: في الوقف على (الصابرين)

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)﴾[(١)]، رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي — رحمه الله– أنَّ الوقف على راجعون لا على الصابرين، حيث قال: «﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على هذه البلايا أو المسترجعين عند البلايا؛ لأنَّ الاسترجاع تسليم وإذعان وفي الحديث: ((من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه))[(٢)]، وطفئ سراج رسول الله – ﷺ– فقال: ((إنا لله وإنا إليه راجعون)) فقيل: أمصيبة هي؟ قال: ((نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة))[(٣)].

والخطاب لرسول الله – ﷺ–، أو لكل من يتأتى منه البشارة.

﴿الَّذِينَ﴾ نصب صفة للصابرين، ولا وقف عليها، بل يوقف على راجعون.

ومن ابتدأ بـــ ﴿الَّذِينَ﴾ وجعل الخبر أولئك يقف على ﴿الصَّابِرِينَ﴾ لا على ﴿رَاجِعُونَ﴾، **والأول الوجه**؛ لأنَّ ﴿الَّذِينَ﴾ وما بعده بيان للصابرين»[(٤)].

الدراسة والترجيح:

يخالف الإمام النسفي ـــ رحمه الله ــ في ترجيحه الوقف على كلمة ﴿رَاجِعُونَ﴾ جماعة من أهل العلم، منهم أبو بكر الأنباري الذي يرى ترجيح الوقف على قوله تعالى: ﴿وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ﴾ باعتباره وقفاً حسناً[(٥)]،

---

(١) البقرة:١٥٥– ١٥٦

(٢) أخرجه الطبراني في: المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني: (١٢/٢٥٥)، رقم الحديث (١٣٠٦٠)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم — الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـــ – ١٩٨٣م. والبيهقي في: شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي: (٧/١١٦)، باب: في الصبر على المصائب، رقم الحديث (٩٦٨٩)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـــ. وفي كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري: (٣/٣٠٠)، رقم الحديث(٦٦٤٨)، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـــ – ١٩٨١م.

(٣) أخرجه أبي داوود في المراسيل، لأبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني: (١/٤٤٠)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـــ.

(٤) تفسير النَّسَفِي: (١/١٤٥).

(٥) الوقف الحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه به لفظاً ومعنى. انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو الداني: (ص١٧٦). والتمهيد في علم التجويد، لابن الجزري: (ص١٧٤). وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي: (١/٣٧٤).

ولا يرى أنَّ الوقف تام على كلمة ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾ نعت للصابرين.(١)

وذكر الإمام الداني(٢) ناقلاً عن بعض العلماء القول بأنَّ الوقف على ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وقف كافٍ(٣)؛ لأنَّ بعده كلمة ﴿ٱلَّذِينَ﴾(٤)، وهو بذلك يوافق الإمام النَّسَفِي من ناحية أنَّ مِن مفهوم الوقف الكافي جواز الوقف حتى مع تعلق الكلمة الموقوف عليها بما بعدها من ناحية المعنى دون اللفظ.(٥)

ويشرح الإمام الزركشي الخلاف في ذلك فيقول : (فصل بعضهم في الصفة بين أن تكون للاختصاص؛ فيمتنع الوقف على موصوفها دونها، وبين أنْ تكون للمدح؛ فيجوز، وجرى عليه الرماني(٦) في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قال: ويجوز الوقف عليه خلافاً لبعضهم، وعامل الصفة في المدح غير عامل الموصوف، فلهذا جاز قطعهاً عما قبلها، بخلاف الاختصاص، فإنَّ عاملها عامل الموصوف).(٧)

والذي يترجح والله أعلم أنَّ الوقف على ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وقف تام مع جواز الوقف كذلك على كلمة ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ باعتباره وقفا كافياً، ويدل على ذلك رسم المصحف، مع ملاحظة أنَّ الوقف التام والكافي شبيهان جداً ببعضهما.

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لأبي بكر الأنباري: (٥٣٦/١ – ٥٣٧).

(٢) هو: الإِمَامُ الحَافِظُ المُجَوِّدُ المُقْرِئُ الحَاذِقُ عَالِمُ الأَنْدَلُسِ أَبُو عَمْرٍو؛ عُثْمَانُ بنُ سَعِيْدِ بنِ عُثْمَانَ بنِ سَعِيْدِ بنِ عُمَرَ الأُمَوِيُّ مَوْلاَهُمُ الأَنْدَلُسِيُّ القُرْطُبِيُّ ثُمَّ الدَّانِي، ولد سنة ٣٧١هـ، وَيُعْرَف قَدِيْماً بِابْنِ الصَّيْرَفِيِّ، مُصَنِّفُ "التَّيْسِيْر" وَ "جَامِع البَيَانِ" وَغَيْر ذَلِكَ، مُحَدِّثٌ مُكْثِر ومقرئ متقدم، إليه المُنْتَهَى فِي تَحَرِيْر عِلمِ القِرَاءات وَعلمِ المَصَاحِف مَعَ البرَاعَة فِي علم الحَدِيْث وَالتَّفْسِيْر وَالنَّحْو وَغَيْر ذَلِكَ، توفي سنة ٤٤٤هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٣١/١٣). وطبقات الحفاظ، للسيوطي: (ص: ٤٢٨).وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (٨٠/١).

(٣) الوقف الكافي: هو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده، إلا أن الذي بعده متعلق به معناً. انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو الداني: (ص١٧٦). والتمهيد في علم التجويد، لابن الجزري: (ص١٧١). وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي: (٣٧٢/١).

(٤) المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو الداني: (ص٢٨)، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، الطبعة الأولى، دار عمار، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٥) أحكام قراءة القرآن، محمود خليل الحصري: (ص٢٥٧ – ٢٥٨)، تحقيق: محمد طلحة منيار، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(٦) هو: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مُفَسِّر، من كبار النحاة، أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد، ولد سنة ٢٩٦هـ، وتوفي سنة ٣٨٤هـ، له نحو مئة مصنف، منها: (الأكوان) و (المعلوم والمجهول) و (الأسماء والصفات)، وغيرها، انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزأبادي: (٤٤/١). وبغية الوعاة، للسيوطي: (١٨٠/٢). والأعلام، للزركلي: (٣١٤/٤).

(٧) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: (٣٥٦/١)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

المطلب الخامس: الناسخ والمنسوخ

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[1]، رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الزيادة على النص نسخ، حيث قال: «﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾تفسير النسخ لغة: التبديل، وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق الذي تقرر في أوهامنا استمراره بطريق التراخي فكان تبديلاً في حقنا بياناً محضاً في حق صاحب الشرع.

وفيه جواب عن البداء الذي يدعيه منكروه ــ أعني اليهود ــ ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت أو تأبيد، ثبت نصاً أو دلالة.

وشرطه التمكن من عقد القلب **عندنا** دون التمكن من الفعل خلافاً للمعتزلة.

وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقاً ومختلفاً ويجوز نسخ التلاوة والحكم، والحكم دون التلاوة، والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فإنَّه نسخ **عندنا** خلافاً للشافعي -رحمه الله-»[2].

الدراسة والترجيح:

يوافق الإمام الطبري أنَّ النسخ نقل حكم آية إلى غيره وهذا الاختيار بروايته قول ابن عباس – رضي الله عنه-، وقول ابن مسعود – رضي الله عنه-.[3]

ويرى الإمام القرطبي أنَّ النسخ في كلام العرب على وجهين، الأول: النقل، والثاني: الإبطال والإزالة، والمقصود في الآيات المعنى الثاني، ويروي الإمام القرطبي إجماع السلف على وقوع النسخ في الشريعة، وينتقد بعض طوائف الإسلام التي أنكرته، وينتقد كذلك اليهود الذين أنكروا بدورهم النسخ رغم وجود تطبيقاته العملية في شريعتهم[4]، وأنَّ البداء الذي زعموه ليس هو النسخ؛ فالبداء هو ترك ما عزم عليه ابتداءً قبل فعله، وليس هذا كالنسخ[5].

ويوافق تعريف الإمام القرطبي تعريفَ الإمام النسفي في شأن تراخي الناسخ عن المنسوخ، والمنسوخ عنده هو الحكم الثابت نفسه لا مثله كما زعمت المعتزلة[6].

---

(١) البقرة:١٠٦

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١١٨ – ١١٩).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: (٢/٤٧١ – ٤٧٤).

(٤) ومثاله ما حرّم الله على بني إسرائيل في شريعة موسى من الحيوان بعد أن كان عليهم حلالاً، ورفع القتل عن من عبد العجل بعد أنْ أمروا به، وغير ذلك.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١/٦٠/٦٨).

(٦) انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

ويرى القرطبي – رحمه الله– جواز نسخ القرآن بالقرآن ويروي أنَّ الحُذَّاق من الأئمة على أنَّه يجوز نسخ القرآن بالسنة والعكس؛ سواء كانت السنة متواترة أم خبر آحاد ما دامت صحيحة.[1]

والذي يظهر للباحث أنَّ الإمام النَّسَفِي يوافق قوله قول العلماء في مفهوم النسخ وأنواعه، ولا يظهر فيما سبق ما يرجح قولاً من أقواله على قول أحد من العلماء.

وأما مسألة الزيادة على النص فإنها على نوعين:

الأول: متفق على أنَّه لا يكون نسخاً، وذلك إذا كانت الزيادة مستقلة عن المزيد عليه، سواء كانت مخالفة لجنس المزيد عليه، كزيادة الصلاة على الزكاة، أو كانت من جنس المزيد عليه كزيادة الصلاة على الصلاة.

الثاني: نوع مختلف في كونه نسخاً أو لا، وذلك إذا كانت الزيادة غير مستقلة عن المزيد عليه، كزيادة التغريب على الجلد مائة في حد الزاني غير المحصن؛ فإن التغريب لا يستقل بنفسه؛ لأنه جزء من الحد[2].

والجمهور لا يرون تلك الزيادة إذا جاءت في نص آخر نسخاً، بل يرونها من زيادة البيان، وحيث أمكن إعمالها مع النص الأول فلا نسخ لعدم التعارض، ومن شروط النسخ وجود التعارض بين الناسخ والمنسوخ[3].

والإمام النَّسَفِي رجَّح أنَّ الزيادة على النص نسخ، وهو غير ما رجَّحه الجمهور، والباحث يرجِّح ما رجحه الجمهور، وذلك بالتفصيل الذي ذكرناه، ولأنَّ الزيادة على النص من زيادة البيان، ومن شروط النسخ وجود التعارض بين الناسخ والمنسوخ.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٦٨/٦٠/١).

(٢) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزاني: (ص٢٧٣)، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٣) انظر: تيسير علم أصول الفقه، عبدالله بن يوسف الجديع: (ص٣٣٧)، الناشر: مؤسسة الريان – بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

المبحث الثاني

ترجيحات الإمام النَّسَفِي اللغوية

المطلب الأول : ترجيحات الإمام النَّسَفِي في الإعراب

المسألة الأولى: في اسم (الرحمن) في البسملة

المسألة الثانية: أل التعريفية في لفظ (الحمد)

المسألة الثالثة: في معنى (ما)

المسألة الرابعة: في إعراب (سَفِهَ نَفْسَه)

المسألة الخامسة: في ضمير (يعرفونه)

المطلب الثاني :ترجيحات الإمام النَّسَفِي في البلاغة

المسألة الأولى: في التشبيه

المسألة الثانية: في تداخل التشبيه المُفْرَق والمُرَكَّب

المسألة الثالثة: في عود الضمير

المسألة الرابعة: في لام الجنس والعهد

المبحث الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي اللغوية

المطلب الأول : ترجيحات الإمام النَّسَفِي في الإعراب

المسألة الأولى: في اسم (الرحمن) في البسملة

رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- عند تفسيره لبسملة الفاتحة، أنَّ (رحمن) غير منصرف عند من زعم أنَّ الشرط انتفاء فعلانة إذ ليس له فعلانة، حيث قال: «والرحمن فُعْلان من رحم وهو الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب وهو الممتلىء غضباً، وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض.

ورحمن غير منصرف عند من زعم أنَّ الشرط انتفاء فُعْلانة إذ ليس له فُعْلانة، ومن زعم أنَّ الشرط وجود فُعْلى صَرَفه إذ ليس له فُعْلى، **والأول أوجه**»[١].

الدراسة والترجيح: ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي الاختلاف في "رحمن" على قولين:

القول الأول: إنَّ "رحمن" غير منصرف عند من زعم أنَّ الشرط انتفاء فَعْلانة، إذ ليس له مؤنث، وهذا قول الزمخشري[٢]، والنيسابوري[٣]، وأبي حيان الأندلسي[٤].

القول الثاني: إنَّ "رحمن": منصرف، وهذا من زعم أنَّ الشرط وجود فعلى[٥].

وقد رجعت إلى الكتب التي اعتنت بإعراب القرآن فلم أجد أحداً تعرض لموضوع صرف لفظ "رحمن"، باستثناء بعض المفسرين الذين تناولوا إعراب القرآن في تفاسيرهم كالزمخشري وأبي حيان الأندلسي.

قال الزمخشري: (فإنْ قلت كيف تقول الله رحمان، أتصرفه أم لا، قلت: أقيسه على أخواته من بابه، أعني: نحو عطشان، وغرثان، وسكران، فلا أصرفه، فإنْ قلت: قد شُرِط في امتناع صَرْف فَعْلان أنْ يكون فَعْلان فَعْلى واختصاصه بالله يحظر أنْ يكون فَعْلان فَعْلى، فلم تمنعه الصرف، قلت: كما حظر ذلك أنْ يكون له مؤنث على فعلى كعطشى، فقد حظر أنْ يكون له مؤنث على فَعْلانة كندمانة، فإذاً لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره)[٦].

ويلاحظ: من كلام الزمخشري أنَّ لفظ "رحمن" غير منصرف لانتفاء فعلانة.

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (١/٢٨ – ٢٩).

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/٥٠ – ٥١)،

(٣) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (٧٧ – ٧٨).

(٤) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/١٢٥).

(٥) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/٥٠ – ٥١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (٧٧ – ٧٨). تفسير النَّسَفِي: (١/٢٨ – ٢٩). والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/١٢٥).

(٦) الكشاف، للزمخشري: (١/٥٠ – ٥١).

قال النيسابوري: (واختلف في مَنْع صَرف "رحمن" إذ ليس له مؤنث على فعلى كعطشى، ولا على فَعْلانة كندمانة، فمن شَرَط في منع صرف فعلان صفة وجود فعلى صرفه، ومن شرط فيه انتفاء فعلانة لم يصرفه، وإذا تساقط الدليلان للتعارض فللصرف وجه، وهو أنَّ الأصل في الأسماء الصَّرف، ولمنع الصرف وجه، وهو القياس على أخواته من بابه نحو: عطشان وغرثان)[1].

ويلاحظ: من كلام النيسابوري أنَّه موافق لما قاله الزمخشري، ويتضح ذلك من خلال قوله: ولمنع الصرف وجه وهو القياس على أخواته من بابه نحو: عطشان وغرثان.

وقال أبو حيان الأندلسي: (وإذا قلت الله رحمن ففي صرفه قولان: ليسند أحدهما إلى أصل عام، وهو أنَّ أصل الاسم الصرف، والآخر: إلى أصل خاصٍّ وهو أنَّ أصل فعلان المنع؛ لغلبته فيه)[2].

ويلاحظ: ميل أبي حيان الأندلسي إلى منع صرف لفظ "رحمن" بقوله: وهو أنَّ أصل فَعْلان المنع لغلبته فيه.

والذي يترجَّح للباحث من هذين القولين ما رجَّحَه الإمام النَّسَفي؛ وذلك لأنَّ لفظ "رحمن" ممنوع من الصرف قياساً على نظائره، وهو موافق لما قاله الزمخشري، وهذا يؤكد ما أشرنا إليه من اعتماد النَّسَفي على تفسير الزمخشري.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (٧٧ – ٧٨).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/١٢٥).

المسألة الثانية: أل التعريفية في لفظ (الحمد)

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[1] رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– أنَّ أل التعريف في "الحمد" للاستغراق، حيث قال: «والألف واللام فيه للاستغراق **عندنا** خلافاً للمعتزلة، ولذا قُرِنَ باسم الله؛ لأنَّه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال، وهو بناء على مسألة خلق الأفعال...»[2].

الدراسة والترجيح:

اختلف المفسرون في تعريف "الحمد" إلى أقوال:

القول الأول: إنَّ تعريف "الحمد" للاستغراق، وهو قول القرطبي[3]، والرازي[4]، والبيضاوي[5]، وأبو حيان الأندلسي[6]، والشنقيطي[7]، والشوكاني[8]، والألوسي[9]، وابن عثيمين[10]، وغيرهم.

قال القرطبي: (والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه، إذ له الأسماء الحسنى والصفات العُلا)[11].

وقال الشنقيطي: (والألف واللام في {الْحَمْدُ} لاستغراق جميع المحامد، وهو ثناء أثنى به تعالى على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به)[12].

القول الثاني: إنَّ التعريف في "الحمد" للجنس، وهو قول الزمخشري[13]، والبيضاوي[14]، والنيسابوري[15]، ومحمد الطاهر بن عاشور[16].

---

(١) الفاتحة:٢

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/٢٩).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١/١٣٣).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١/١٨٠).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي: (١/٤٢).

(٦) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/١٣١).

(٧) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي: (٢/٢).

(٨) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/٣٠).

(٩) انظر: روح المعاني، للألوسي: (١/٤٣).

(١٠) انظر: تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٢/٥).

(١١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١/١٣٣).

(١٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي: (٢/٢).

(١٣) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/٥٣).

(١٤) انظر: تفسير البيضاوي: (١/٤٢).

(١٥) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (١/٨٤).

(١٦) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١/١٥٩).

قال الزمخشري: (قلت: ما معنى التعريف فيه، قلت: هو نحو التعريف في "أرسلها العِرَاك" وهو تعريف الجنس، ومعناه الاشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أنَّ الحمد ما هو والعِرَاك ما هو من بين أجناس الأفعال، والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وَهْمٌ منهم)[1].

فيلاحظ: من كلام الزمخشري أنَّه يقصد بأنَّ "أل" لتعريف جنس الحمد، أي: ماهيته، ويذهب آخرون بأنَّها لاستغراق جنس الحمد، فهو مخصوص بالله، فكل المحامد لله – ﷻ–.

وقد حكى البيضاوي القولين فقال: (والتعريف فيه للجنس ومعناه: الإشارة إلى ما يعرف كل أحد أنَّ الحمد ما هو، أو للاستغراق، إذ الحمد في الحقيقة كُلّه له، إذ ما من خير إلا وهو موليه بواسط أو بغير واسط كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[2])[3].

القول الثالث: ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ "أل" في لفظ "الحمد" يجوز أنْ تكون للعهد، أي: الحمد المعروف بينكم[4].

وقد رجَّح بعض الذين اعتنوا بإعراب القرآن أنَّ "أل" في لفظ "الحمد" للجنس، دون أنْ يحددوا ويبينوا أَهِيَ للماهية، أو للاستغراق[5].

والذي يترجَّح هو القول الأول – وهو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي– أنَّ "أل" في لفظ "الحمد" للاستغراق، لِمَا تحمل من دلالات بلاغية أكثر من دلالة الماهيَّة.

ورجَّح الشوكاني هذا القول، حيث قال: (وتعريفه لاستغراق أفراد الحمد، وأنها مختصَّةٌ بالرب سبحانه على معنى أنَّ حمد غيره لا اعتداد به؛ لأنَّ المُنْعم هو الله – ﷻ–، أو على أنَّ حمده هو الفرد الكامل، فيكون الحصر ادعائياً، وقد جاء في الحديث: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ[6]))[7].

فعلى هذا يكون "أل" قد أفاد الاستغراق والكمال، فالحمد كله وبكماله لله تعالى وحده، فلا يستحق أحد من خلقه حمداً، لأنَّ الحمد عبادة، والعبادة لله وحده.

---

(١) الكشاف، للزمخشري: (٥٣/١).

(٢) النحل:٥٣

(٣) تفسير البيضاوي: (٤٢/١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١٨٠/١). والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١٣١/١).

(٥) انظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحي الدين درويش: (٣٤/١)، اليمامة، دار ابن كثير – دمشق – بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٦) سنن النسائي: (١٥٦/٦)، كتاب السير، باب: الاستنصار عند اللقاء، رقم الحديث (١٠٤٤٥). والحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٦٨٦/١)، كتاب الدعاء والتكبير و التهليل و التسبيح والذكر، رقم الحديث (١٨٦٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

(٧) فتح القدير، للشوكاني: (٣٠/١).

المسألة الثالثة: في معاني (ما)

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾[1] رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- على أنَّ "ما" في الآية موصولة بمعنى "الذي"، في موضع نصب عطفاً على السِّحر، حيث قال: «﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ **الجمهور** على أنَّ "ما" بمعنى "الذي" هو نصب عطف على السِّحر، أي: ويعلمونهم ما أنزل على الملكين، أو على ما تتلوا، أي: واتبعوا ما أنزل على الملكين»[2].

الدراسة والترجيح: اختلف المفسرون في معنى "ما" في الآية على أقوال:

القول الأول: إنَّ "ما" موصولة بمعنى "الذي" محلها النصب عطفاً على السِّحر، والتقدير: أي يُعلِّمون الناس السِّحر، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين، وقد اختار هذا القول جمهور العلماء، منهم: الثعلبي[3]، والزمخشري[4]، والرازي[5]، وأبو البقاء العُكبَري[6] في التبيان في إعراب القرآن[7]، وأبو حيان الأندلسي[8]، وعبدالله بن هشام الأنصاري[9] في مغني اللبيب[10]، وأبو حفص عمر بن عادل الحنبلي الدمشقي[1]،

---

(١) البقرة:١٠٢

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١١٥).

(٣) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١/٢٤٥).

(٤) الكشاف، للزمخشري: (١/١٩٨).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٣/١٩٧).

(٦) هو: عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكْبَريّ البغدادي الضرير النحوي الحنبلي، صاحب الإعراب، أبو البقاء، محبّ الدين: عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب، أصله من عُكْبَرا (بليدة على دجلة)، ولد سنة ٥٣٨هـ، وتوفي سنة ٦١٦هـ، ومولده ووفاته ببغداد، أصيب في صباه بالجدري، فَعُمِي، وكانت طريقته في التأليف أن يطلب ما صنّف من الكتب في الموضوع، فيقرأها عليه بعض تلاميذه، ثم يملي من آرائه وتمحيصه وما علق في ذهنه، من مصنفاته: (شرح ديوان المتنبي) و (اللباب في علل البناء والإعراب) و (شرح اللمع لابن جني) و (التبيان في إعراب القرآن) ويُسَمَّى (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن) و (الترصيف في التصريف). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي: (٢/٣٨)، والأعلام، للزركلي: (٤/٨٠).

(٧) انظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العُكبَري: (ص٣٥)، تحقيق: علي محمد البجاوى، إعداد فريق بيت الأفكار الدولية.

(٨) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/٤٩٧).

(٩) هو: عبد الله بن يُوسُف بن أَحْمد بن عبد الله بن هِشَام الْأنْصَارِيّ الشَّيْخ جمال الدّين الْحَنْبَلِيّ النَّحْوِيّ الْفَاضِل، الْعَلامَة الْمَشْهُور، ولد فِي ذِي الْقعدَة سنة ٧٠٨هـ، وتفقه للشَّافِعِيّ ثمَّ تحنبل، وأتقن الْعَرَبيَّة ففاق الأقران بل الشُّيُوخ، وَتخرج بِهِ جمَاعَة من أهل مصر وَغَيرهم، له مؤلفات منها: (مُغني اللبيب عَن كتب الأعاريب)، و (التَّوْضِيح على الألفية)، و(رفع الْخَصَاصَة عَن قراء الْخُلَاصَة)، (عُمْدَة الطَّالِب فِي تَحْقِيق تصريف ابْن الْحَاجِب)، توفي لَيْلَة الْجُمُعَة خَامِس ذِي الْقعدَة سنة ٧٦١هـ. انظر: بغية الوعاة، للسيوطي: (٢/٦٨). الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر العسقلاني: (١/٢٩١). والأعلام، للزركلي: (٤/١٤٧).

(١٠) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري: (ص٤١٥)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٢/٣٣٧).

عادل الحنبلي[١]، والسمين الحلبي[٢]، والبيضاوي[٣]، والزجاج[٤]، والألوسي[٥].

قال أبو البقاء العُكبَري: ("ما" بمعنى "الذي" وهو في موضع نصب عطفاً على السِّحر، أي: ويعلمون الذي أنزل، وقيل: هو معطوف على ما تتلوا)[٦].

القول الثاني: إنَّها موصولة – أيضاً–، ومحلُّها النصب لكن عطفاً على ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[٧]، والتقدير: واتبعوا ما تتلوا الشياطين، وما أنزل على الملكين، وعلى هذا فما بينهما اعتراض، ولا حاجة إلى القول بأنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً[٨].

القول الثالث: إنَّ "ما" حرف نفي، واختار هذا القول بعض العلماء، منهم: القرطبي[٩]، وابن كثير[١٠]، والشوكاني[١١].

قال القرطبي: (﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ "ما" نفي، والواو للعطف على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾[١٢] وذلك أنَّ اليهود قالوا: إنَّ الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك، وفي الكلام تقديم وتأخير، التقدير: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت، فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾[١٣]، هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصحُّ ما قيل فيها، ولا يلتفت إلى سواه)[١٤].

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٢/٣٣٧).

(٢) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (١/٢٦٥).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي: (١/٣٧١).

(٤) انظر: إعراب القرآن، للزجاج: (١/١٦٠).

(٥) انظر: روح المعاني، للألوسي: (١/٤٣٩).

(٦) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العُكبَري: (ص٣٥)،

(٧) البقرة:١٠٢

(٨) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٢/٣٣٧). والدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (١/٢٦٥).

(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٥٠).

(١٠) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٣٥٠).

(١١) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/١٨٦).

(١٢) البقرة:١٠٢

(١٣) البقرة:١٠٢

(١٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٥٠).

القول الرابع: إنَّ "ما" محلها الجر عطفاً على ﴿مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾[1] والتقدير: افتراء على ملك سليمان، وافتراء على ما أنزل على الملكين، وهو اختيار أبي مسلم[2]،[3].

واحتج أبو مسلم: بأنَّ السِّحر لو كان نازلاً عليهما لكان مُنْزله هو الله – تعالى–، وذلك غير جائز، كما لا يجوز في الأنبياء أن يبعثوا السِّحر، كذلك في الملائكة بطريق الأولى، وأيضاً فإنَّ تعليم السحر كفر بقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[4]، وأيضاً فإنما يضاف السحر إلى الكفرة والمردة، فكيف يضاف إلى الله – تعالى– ما ينهى عنه؟ والمعنى: أنَّ الشياطين نسبوا السحر إلى مُلْكِ سليمان مع أنَّ مُلْكِ سليمان كان مبرأ عنه، فكذلك نسبوا ما أنزل على الملكين إلى السحر، مع أنَّ المنزل عليهما كانا مبرّأين عن السحر؛ لأنَّ المنزل عليهما هو الشرع والدين، وكانا يعلمان الناس ذلك مع قولهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[5] توكيداً لبعثهم على قبوله والتمسّك به، فكانت طائفة تتمسّك، وأخرى تخالف[6].

والذي يترجح لدى الباحث هو القول الأول، قول جمهور العلماء، أنَّ "ما" موصولة بمعنى "الذي"، وهو في موضع نصب عطفاً على السِّحر، وهو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي.

وهاروت وماروت بدل من الشياطين، والسحرة كانت تزعم أنَّ الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل لم ينزلا السحر، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر، وأخبرهم أنَّ السحر من عمل الشياطين.

(١) البقرة:١٠٢

(٢) هو: محمد بن بَحر الْأَصْفَهَانِي الْكَاتِب أَبُو مُسلم، كَانَ نحوياً كَاتبا بليغاً، مترسلاً جدلاً، متكلماً معتزلياً، عَالما بالتفسير وَغَيره من صنوف الْعلم، وَصَارَ عَالم أَصْبَهَان وَفَارِس، من مؤلفاته: (جَامع التَّأْوِيل لمحكم التَّنْزِيل)، على مَذْهَب الْمُعْتَزلَة، و(الناسخ والمنسوخ)، و(كتاب فِي النَّحْو) و(جامع رسائله)، ولد سنة ٢٥٤هـ، وتوفي سنة ٣٢٢هـ. انظر: بغية الوعاة، للسيوطي: (٥٩/١). ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة: (٩٧/٩). والأعلام، للزركلي: (٥٠/٦).

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣٣٧/٢). والدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (٢٦٥/١).

(٤) البقرة:١٠٢

(٥) البقرة:١٠٢

(٦) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣٣٨/٢).

المسألة الرابعة: في إعراب (سَفِهَ نَفْسَه)

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[1]

رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– قولي الزَّجاج في قوله ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، وضَعَّفَ قول الفراء، حيث قال: «﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: جَهِل نفسه، أي: لم يُفَكِّر في نفسه، فوضع سَفِهَ موضع جَهِل، وعُدي كما عُدي، أو: معناه سَفِهَ في نَفسه، فحذف "في" كما حذف "مِنْ" في قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ﴾[2] أي: مِنْ قومه، و"على" في قوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾[3] أي: على عُقْدَة النكاح، والوجهان عن الزجاج.

وقال الفراء: هو منصوب على التمييز، **وهو ضعيف**؛ لكونه معرفة»[4].

الدراسة والترجيح:

ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: نصب "نَفْسَهُ" على اعتبار أنَّ الفعل "سَفِهَ" بمعنى جَهِل، فجعله متعدي بنفسه، وهذا قول الزَّجاج[5]، وأبو البقاء العُكبَري[6]، وابن سِيِّده[7].

القول الثاني: النصب على نزع الخافض، حيث حذف حرف الجر، ونصب الاسم بعده، وهذا قول الزَّجاج[8]، والنحاس[9]، ومكي بن أبي طالب[10]، ومحي الدين درويش[11].

---

(١) البقرة:١٣٠

(٢) الأعراف:١٥٥

(٣) البقرة:٢٣٥

(٤) تفسير النَّسَفِي: (١/١٣١).

(٥) انظر: إعراب القرآن، للزجاج: (١/٢٣).

(٦) انظر: التبيان في إعراب القرآن وبيانه، لأبي البقاء العُكبري: (ص٤٠).

(٧) انظر: إعراب القرآن، لابن سيده: (١/٢٩١).

(٨) انظر: إعراب القرآن، للزجاج: (١/٢٣).

(٩) انظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس: (١/٢٦٣)، تحقيق د. زهير غازي زاهد، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م.

(١٠) انظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي: (١/١١١)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

(١١) انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحي الدين درويش: (١/١٧٤).

قال مكي بن أبي طالب: (قوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أي: في نَفْسِه، فنصب لما حذف حرف الجر، وقيل: معنى "سَفِهَ" جَهِل وضيع، فتعدى فنصب نفسه، وقال الفراء: نصب نفسه على التفسير)(١).

القول الثالث: النَّصب على التمييز، وهو قول الفراء(٢).

قال الفراء: (وقوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ العرب توقع سَفِه على نَفْسه، وهى مَعْرِفة، وكذلك قوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾(٣) وهى من المعرفة كالنكرة؛ لأنَّه مفسِّر، والمفسِّر في أكثر الكلام نكرة؛ كقولك: ضِقت بهِ ذَرْعا، وقوله: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾(٤) فالفعل للذَرْع؛ لأنَّك تقول: ضاق ذَرْعى به، فلمَّا جعلت الضِيق مسنَدا إليك فقلت: ضقت، جاء الذَّرْع مُفَسِّراً؛ لأنَّ الضيق فيه؛ كما تقول: "هو أوسعكم داراً"، دَخَلَتِ الدار؛ لتدلّ على أنَّ السَّعة فيها لا في الرَّجُل؛ وكذلك قولهم: "قد وَجِعْتَ بَطْنَك"، ووثِقْتَ رأيك - أو - وَفِقْتَ، إنما الفعل للأمر، فلمَّا أُسند الفعل إلى الرجُل صلح النصب فيما عاد بذكره على التفسير؛ ولذلك لا يجوز تقديمه، فلا يقال: رأيَه سَفِهَ زيدٌ، كما لا يجور داراً أنت أوسعهم؛ لأنَّه وإن كان معرفة فإنَّه في تأويل نكرة، ويصيبه النصب في موضع نصب النكرة ولا يجاوزه)(٥).

ويلاحظ: من كلام الفرَّاء أنَّه يُدَلِّلُ بالآيات والأمثلة ليوضح قوله بأنَّ ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ نصب على التفسير.

ومن خلال ما سبق يتضح للباحث أنَّ الإمام النَّسَفِي قد رجَّح القولين السابقين، وضعَّف القول الثالث، والباحث يميل إلى ما رجَّحَه الإمام النَّسَفِي، لكونه معرفة، والأصل في التمييز أنَّه نكرة.

ولأنَّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ خبر، أو بدل من فاعل يرغب، والتقدير: وما يرغب عن ملة إبراهيم أحد إلا من سفه نفسه، والسَّفه بمعنى الجهل.

---

(١) مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي: (١/١١١).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: (١/٧٢).

(٣) القصص:٥٨

(٤) النساء:٤

(٥) المصدر السابق: (١/٧٢).

المسألة الخامسة: في ضمير يعرفونه

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾[1]

رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الضمير في ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ يعود إلى النبي – ﷺ- حيث قال: «﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ صفة للظالمين، وهو مبتدأ، والخبر: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ أي: محمداً – ﷺ-، أو القرآن، أو تحويل القبلة، **والأول أظهر** لقوله: ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾»[2].

الدراسة والترجيح:

اختلف المفسرون في الضمير العائد في قوله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾، وقد ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي ثلاثة أقوال في ذلك، وزاد بعضهم إلى أربعة أقوال، وهي:

القول الأول: إنَّ الضمير في: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ يعود إلى النبي – ﷺ-، وهذا قول جمهور العلماء، من السلف والخلف، منهم: ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والزجاج[3]، وأبو الليث السمرقندي[4]، وابن زمنين[5]، والثعلبي[6]، والواحدي[7]، والبغوي[8]، والزمخشري[9]، والرازي[10]، والقرطبي[11]، والبيضاوي[12]،

---

(١) البقرة:١٤٦

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٤٦).

(٣) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: (١/٢٣). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/١٦٢). والدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (١/٣٥٤). والكشف والبيان، للثعلبي: (٢/١٣).

(٤) انظر: بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي: (١/١٢٨).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين، المُسَمَّى: تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين: (١/١٨٦)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكتر، دار النشر : الفاروق الحديثة – مصر- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(٦) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (٢/١٣).

(٧) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي: (١/١٣٧)، تحقيق: صفوان عدنان ي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ،

(٨) انظر: معالم التتريل، للبغوي: (١/١٦٤).

(٩) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/٢٣٠).

(١٠) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١١٦ – ١١٧).

(١١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/١٦٢)، (٦/٤٠٠).

(١٢) انظر تفسير البيضاوي: (١/٤٢٣).

والخازن[1]، وأبي حيان الأندلسي[2]، والسمين الحلبي[3]، وابن عرفة المالكي[4]، وابن عادل الحنبلي[5]، والسيوطي[6]، وأبي السعود[7]، والألوسي[8]، والسعدي[9]، وابن عثيمين[10].

وحُجُّتهم:

١- أنَّه يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [11] أي: يعرفونه معرفة جليّة كما يعرفون أبناءهم لا تشتبه أبناؤهم وأبناء غيرهم.

٢- ويؤيد كون الضمير لرسول الله - ﷺ- ما روي في سبب نزول الآية، أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه كانوا يعرفون رسول الله - ﷺ- بنعته وصفته وبعثه في كتابهم كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان، فقد روي عن عمر - رضي الله عنه- أنَّه سأل عبد الله بن سلام - رضي الله عنه- عن رسول الله - ﷺ- فقال: أنا أعلم به مني بابني، قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّي لست أشك في محمد أنَّه نبي، وأمَّا ولدي فلعلَّ والدته خانت، فقبَّل عُمَرُ رأسَه[12].

٣- وجاز الإضمار وإنْ لم يسبق له ذكر؛ لأنَّ الكلام يدل عليه، ولا يلتبس على السامع، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار، بأنَّه لشهرته معلوم بغير إعلام.

٤- أنَّ الضمير إنما يرجع إلى مذكور سابق، وأقرب المذكورات العلم في قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [13] والمراد من ذلك العلم: النبوة، فكأنَّه تعالى قال: إنهم يعرفون ذلك العلم كما يعرفون أبناءهم، وأمَّا أمر القبلة فما تقدم ذكره البتة.

---

(١) انظر: تفسير الخازن: (١/١٢٣).

(٢) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/٦٠٨ - ٦٠٩).

(٣) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (١/٣٥٤).

(٤) انظر: تفسير ابن عرفة المالكي: (٢/٤٦٠).

(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي الحنبلي: (٣/٥١).

(٦) انظر: الدر المنثور، للسيوطي: (١/٣٥٦- ٣٥٧).

(٧) انظر: تفسير أبي السعود، المُسَمَّى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي(١/١٧٦).

(٨) انظر: روح المعاني، للألوسي: (٢/٥١).

(٩) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي: (١/٧٢)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(١٠) انظر: تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٤/١١٤).

(١١) البقرة:١٤٦

(١٢) انظر: أسباب النزول، للواحدي: (ص٤٧).

(١٣) البقرة:١٤٥

٥- أنَّ الله – تعالى- ما أخبر في القرآن أنَّ أمر تحويل القبلة مذكور في التوراة والإنجيل، وأخبر فيه أنَّ نبوة محمد – ﷺ- مذكورة في التوراة والإنجيل، فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى.

٦- أنَّ المعجزات لا تدل أول دلالتها إلا على صدق محمد – ﷺ-، فأمَّا أمر القبلة، فذلك إنَّما يثبت لأنَّه أحد ما جاء به محمد – ﷺ- فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى[١].

القول الثاني: إنَّ الضمير في: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعود إلى القرآن، وهذا قول ابن جزي[٢]، ومحمد الطاهر بن عاشور[٣]، وسيد قطب[٤].

القول الثالث: إنَّ الضمير في: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعود إلى تحويل القبلة، وهذا قول مجموعة من علماء السلف والخلف، منهم: ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج[٥] والربيع[٦]، واختاره من المفسرين: الطبري[٧]، وابن عطية[٨]، والبقاعي[٩]، والثعالبي[١٠]، والشوكاني[١١].

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري: (٢٣٠/١). ومفاتيح الغيب، للرازي: (١١٦ – ١١٧). والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٦٠٨/١ – ٦٠٩). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي الحنبلي: (٥١/٣).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (٧٣/١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١٧١/٧).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١٠٥/١)، (٤٩٧/٢).

(٥) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكي، ولد سنة ٨٠هـ، كان إمام أهل الحجاز في عصره، وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة، رومي الأصل، من موالي قريش، مكي المولد والوفاة، قال أحمد بن حنبل: كان من أوعية العلم، وقال الذهبي: كان ثبتا، لكنه يُدَلِّس، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي: (٣٥٦/٥)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م. وتذكرة الحفاظ، للذهبي: (١٢٧/١). والأعلام، للزركلي: (١٦٠/٤).

(٦) هو: الربيع بن خثيم بن عائذ الثوري التميمي الكوفي، أبو يزيد، الإمام القدوة العابد، أحد الأعلام الثقات، أدرك زمان النبي – ﷺ- ، وأرسل عنه، وروى عن عبد الله بن مسعود، وأبي أيوب الانصاري، وعمرو بن ميمون، وهو قليل الرواية إلا أنَّه كبير الشأن، حَدَّثَ عنه: الشعبي، وإبراهيم النخعي، وهلال بن يساف، ومنذر الثوري، وهبيرة بن خزيمة، وآخرون، كان يُعَدُّ من عقلاء الرجال، توفي قبل سنة ٦٣هـ. انظر: التاريخ الكبير، للبخاري: (٢٦٩/٣). والطبقات الكبرى، لابن سعد: (١٨٢/٦). والثقات، لابن حبان: (٢٢٤/٤). وحلية الأولياء، للأصبهاني: (١٠٥/٢).

(٧) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (١٨٧/٣).

(٨) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٢٠٩/١).

(٩) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: (٢٦٩/١).

(١٠) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي: (١١٧/١).

(١١) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١٧٩/١).

قال الطبري: (يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾، أحبارَ اليهود، وعلماء النصارى، يقول: يعرف هؤلاء الأحبارُ من اليهود، والعلماءُ من النصارى: أن البيتَ الحرام قبلتُهم، وقبلة إبراهيم وقبلةُ الأنبياء قبلك، كما يعرفون أبناءَهم)[1].

وقال الشوكاني: (قيل: الضمير لمحمد – ﷺ-: أي: يعرفون نبوته، رُوي ذلك عن مجاهد وقتادة وطائفة من أهل العلم، وقيل: يعرفون تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، ورَجَّحَ صاحب الكشاف الأول، وعندي أن الرَّاجِح الآخر؛ كما يدل عليه السياق الذي سيقت له هذه الآيات)[2].

وقد ردَّ هذا القول بعض العلماء، فقال محمد الطاهر بن عاشور: (فالضمير المنصوب في ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ لا يعود إلى تحويل القبلة؛ لأنَّه لو كان كذلك لصارت الجملة تكريراً لمضمون قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ﴾[3] بل هو عائد إمَّا إلى الرسول، وإنْ لم يسبق ذكر لمعادٍ مناسبٍ لضمير الغيبة، لكنَّه قد علم من الكلام السابق وتكرر خطابه فيه من قوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾[4]، وقوله: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ﴾[5]، وقوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ﴾[6]، وقوله: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ﴾[7] فالإتيان بالضمير بطريق الغيبة من الالتفات، وهو على تقدير مضاف، أي: يعرفون صِدْقَهُ)[8].

القول الرابع: إنَّ الضمير في: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ يعود إلى العِلْم، في قوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾[9]،[10].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (١٨٧/٣).

(٢) فتح القدير، للشوكاني: (١٧٩/١).

(٣) البقرة:١٤٤

(٤) البقرة:١٤٣

(٥) البقرة:١٤٤

(٦) البقرة:١٤٤

(٧) البقرة:١٤٤

(٨) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٤٠/٢).

(٩) البقرة:١٤٥

(١٠) انظر: الدُّر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (٣٥٤/١). واللُّباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٥١/٣). وروح المعاني، للألوسي: (٥١/٢).

القول الراجح:

والذي يترجَّح لدى الباحث هو القول الأول، وهو قول جمهور العلماء من السلف والخلف، أنَّ الضمير في: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعود إلى النبي - ﷺ-، وهو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي، وذلك لقوة الأدلة التي أوردوها، ولسبب نزول الآية.

وذلك لأنَّ شريعته موضوع المحاجة بين نبيه - عليه الصلاة والسلام- وبين اليهود، وهو حاضرٌ في العقول والنفوس دائماً، ولذا نجد أنَّ الله سجَّل معرفتهم له معرفة مستيقن، وهو علم جازم قاطع بالتشبيه الذي يفيد اليقين في المعرفة، فالإنسان لا يمكن أن يجهل ولده، فكما أنَّ الذين أوتوا الكتاب لا يمكن أن يجهلوا أبنائهم الذين من أصلابهم، فكذلك لا يجهلون الرسول النبي الأمي.

المطلب الثاني : ترجيحات الإمام النَّسَفِي في البلاغة :

المسألة الأولى : في التشبيه[(١)]

في قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾[(٢)]

رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ ما في الآية تشبيه بليغ[(٣)]، لا استعارة، حيث قال: «﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ أي: هم صُمٌّ، كانت حواسُّهم سليمةً، ولكن لَمَّا سَدُّوا عن الإصاخةِ إلى الحق مسامِعَهم، وأبوا أنْ ينطقوا به ألسنتهم، وأنْ ينظروا، أو يتبصروا بعيونهم، جعلوا كأنَّما إيفت مشاعرهم[(٤)]، وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم: هم لِيوثٌ للشُّجعان، وبحورٌ للأسخياء، إلا إنَّ هذا في الصفات، وذلك في الأسماء، وما في الآية تشبيهٌ بليغٌ **في الأصح** لا استعارة؛ لأنَّ المستعارَ له مذكور وهم المنافقون، والاستعارة إنَّما تُطلق حيث يُطوى ذِكْرُ المستعار له، ويجعل الكلامُ خلواً عنه، صالحاً لأنْ يُراد به المنقول عنه والمنقول إليه، لولا دلالة الحال، أو فحوى الكلام»[(٥)].

الدراسة والترجيح:

ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي في الآية قولين:

القول الأول: على أنَّ ما في الآية تشبيه بليغ، واختار هذا القول: الزمخشري[(٦)]، والبيضاوي[(٧)]، وأبي حيان الأندلسي[(٨)]، ومحمد الطاهر بن عاشور[(٩)]، والألوسي[(١٠)].

---

(١) التشبيه: لغة التمثيل، واصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين، أو: أكثر، قصد اشتراكهما في صفة، أو: أكثر، بأداة: لغرض يقصد المتكلم للعلم. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: (ص: ٢١٩)، تحقيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) البقرة:١٨

(٣) التشبيه البليغ: هو ما حذفت فيه الأداة، ووجه الشبه، وهو أرقى أنواع التشبيه بلاغة انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: (ص:٢٤٢).

(٤) "إيفت مشاعرهم": دخلت عليها آفةٌ وعاهة. انظر: تفسير النَّسَفِي: (٥٦/١).

(٥) تفسير النَّسَفِي: (٥٦/١).

(٦) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١١٢/١).

(٧) انظر: تفسير البيضاوي: (١٩٤/١).

(٨) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٢١٦/١).

(٩) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٣١٤/١).

(١٠) انظر: روح المعاني، للألوسي: (١٨٤/١).

قال الزمخشري: (فإن قلت: هل يُسَمَّى ما في الآية استعارة؟ قلت: مُخْتَلَفٌ فيه، والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة؛ لأنَّ المستعار له مذكور وهم المنافقون)[1].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: (والإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه البليغ، شبهوا في انعدام آثار الإحساس منهم بالصُّمِّ البُكْم العُمْي، أي: كل واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاث، وذلك شأن الأخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدأ هو اسم دال على جمع، فالمعنى: كل واحد منهم كالأصم الأبْكم الأعْمى وليس المعنى على التوزيع، فلا يفهم أنَّ بعضهم كالأصَمِّ، وبعضهم كالأبْكم، وبعضهم كالأعْمى، وليس هو من الاستعارة عند محققي أهل البيان)[2].

القول الثاني: إنَّ ما في الآية استعارة لا تشبيه، وذهب إلى هذا القول محي الدين درويش إذ يقول: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾[3] استعارة تصريحية[4]، فقد شبههم بالصُّم والبُكْم والعُمْي، وطوى ذِكر المشبه)[5].

والذي يترجَّح لدى الباحث هو القول الأول، أنَّ ما في الآية تشبيه بليغ لا استعارة، وهو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي، وذلك؛ لأنَّه لم تُذكر الأداة، ولا وجه الشبه، ولأنَّ الاستعارة التصريحية هو استعارت اللفظ بذاته وأطباقه على المشبه به؛ ولأن المستعار له هنا مذكور وهم ــ المنافقون ــ فلم يطوى، لزم أن يكون هنا تشبيه بليغ.

---

(١) الكشاف، للزمخشري: (١/١١٢).

(٢) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١/٣١٣ - ٣١٤).

(٣) البقرة:١٨

(٤) الاستعارة التصريحية: هي الّتي يُصَرَّحُ فيها بذات اللّفظ المستعار، الذي هو في الأصل المشبّه به حين كان الكلام تشبيهاً، قبل أن تُحْذَف أركانه باستثناء المشبَّهِ به، أو بعض صفاته أو خصائصه، أو بعض لوازمه الذهنيّة القريبة أو البعيدة. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي: (١/٦٤٥)، دار القلم – دمشق - الدار الشامية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحي الدين درويش: (١/٦١).

المسألة الثانية: في تداخل التشبيه المُفْرَق[(١)] والمُركَّب[(٢)]

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾[(٣)]، رَجّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– أنَّ الآية تشبيه تمثيلي مُرَكَّب غير مُفْرَق، وذلك بعد استعراضه للتشبيه التمثيلي المفرق، لِيَخْلُص إلى أنَّ التمثيلين في هذه الآية وما قبلها من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به، حيث قال: «﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ ثنى الله – ﷻ- في شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والإيضاح، وشبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد ناراً وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار، وهنا شبَّه دين الإسلام بالصَّيِّب؛ لأنَّ القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيبهم من الأفزاع والبلايا من جهة أهل الإسلام بالصواعق.

والمعنى: أو كمثل ذوي صَيِّب، فحذف "مثل" لدلالة العطف عليه، "وذوي" لدلالة يجعلون عليه.

والمراد: كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فَلَقَوا منها ما لَقَوا، فهذا تشبيه أشياء بأشياء، إلا إنَّه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح في قوله: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾[(٤)]، وقول امرئ القيس:

كأنَّ قُلُوبَ الطّير رطباً ويابِساً   لدى وكْرهاً العنَّابُ والحشفُ البالي[(٥)]

بل جاء به مطوياً ذكره على سنن الاستعارة.

والصحيح أنَّ التمثيلين من جملة التمثيلات المُرَكَّبة دون المُفْرَقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به. بيانه: أنَّ العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك، فتشبهها بنظائرها، ما فعل امرؤ القيس، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامَّت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها؛ كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[(٦)].

---

(١) التشبيه المفرق هو: أن يأتي بمشبَّه ومَشَبَّهٍ به، ويُتْبِعُهُ بمشبَّهٍ وَمُشبَّهٍ به، وقد يزيد في كلام متتابع، دون فواصل، وقد راق للبيانيين هذا الفنّ فوضعوا له اسم: (التشبيه المفروق). البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن الميداني: (٢/٢٠٠).

(٢) التشبيه المُرَكَّب: وهو التشبيه الذي يكون على شكل لَوْحَةٍ تُصَوِّرُ أكْثر مِنْ مفرد، ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذاً من مفردٍ بعينه، بل يكون مأخوذاً منْه ومن غيره، أو من الصُّورةَ العامّة. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن الميداني: (٢/١٨٦).

(٣) البقرة:١٩

(٤) غافر:٥٨

(٥) ديوان امرئ القيس: (ص١٢٩)، في قصيدة: (ألا عِمْ صَبَاحًا).

(٦) الجمعة:٥

فالمراد تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوارة بحال الحِمار في جهله بما يحمل من أسفار الحِكْمَة، وتساوي الحالتين عنده من حَمْل أسفار الحِكْمَة، وحَمْل ما سواها من الأوْقَار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكَدِّ والتعب.

وكقوله: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[1]، فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا، كَقِلَّة بقاء الخضر، فهو تشبيه كيفية بكيفة، فأمَّا أنْ يُراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض، ومصيره شيئاً واحداً فلا.

فكذلك لَّما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم، وما خَبَطُوا فيه من الحيرة والدَّهشة، شُبِّهت حيرتهم، وشِدَّة الأمر عليهم بما يكابد من طُفِئت ناره بعد أيقادها في ظلمة الليل، وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق.

والتمثيل الثاني أبلغ؛ لأنَّه أدلُّ على فرط الحِيرة، وشِدَّة الأمر، ولذا أُخِّر، وهم يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ.

وعطف أحد التمثيلين على الآخر بـــ " أو " لأنها في أصلها لتساوي شيئين فصاعداً في الشك عند البعض، ثم استعيرت لمجرد التساوي كقولك "جالس الحسن أو ابن سيرين" تريد أنهما سَيَّان في استصواب أنْ يجالسا، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾[2]، أي: الآثم والكَفُور سَيَّان في وجوب العصيان، فكذا هنا، معناه: أنَّ كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين، وأنَّ الكيفيتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل، فبأيتهما مثلتها فأنت مُصِيب، وإنْ مثلتها بهما جميعاً فكذلك»[3].

الدراسة والترجيح:

ذَكَرَ العلماء في هذه المسألة قولين، هما:

القول الأول: أنَّ هذا تشبيه تمثيلي مُفْرَق، وهذا قول محي الدين درويش[4]، وحكاه الرازي[5]، وابن عادل الحنبلي[6]، ورجَّحه ابن عاشور[7].

قال محمد الطاهر بن عاشور في نهاية حديثه عن هذه المسألة: (فظهر أنَّ هذا المُرَكَّب التمثيلي صالح لاعتبارات تفريق التشبيه وهو أعلى التمثيل)[8].

---

(١) الكهف:٤٥

(٢) الإنسان:٢٤

(٣) تفسير النَّسَفِي: (٤٥/١).

(٤) انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحي الدين درويش: (٦٢/١).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٧٢/٢).

(٦) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣٨٤/١- ٣٨٥).

(٧) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٣١٧/١).

(٨) المرجع السابق، نفس الصفحة.

وقد حكى الفخر الرازي القولين بصيغة السؤال والجواب دون أن يُرَجَّح أحدهما، فقال: (السؤال الثالث: المُشَبَّه بالصَيِّب، والظلمات، والرعد، والبرق، والصواعق، ما هو الجواب لعلماء البيان؟ هاهنا قولان: أحدهما: أنَّ هذا تشبيه مُفْرَق، ومعناه: أنْ يكون المثل مُرَكباً مِن أمور، والممثل يكون أيضاً مُرَكَّباً مِن أمور، ويكون كل واحد من المثل شبيهاً بكل واحد من الممثل، فهاهنا شَبَّه دين الإسلام بالصَيِّب؛ لأنَّ القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبهات الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالبرق والرعد وما يصيب الكفرة من الفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق، والمعنى: "أو كمثل ذوي صَيِّب"، والمراد: كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة، والقول الثاني: أنَّه تشبيه مُرَكب، وهو الذي يُشَبَّه فيه إحدى الجملتين بالأخرى في أمرٍ مِن الأمور، وإنْ لم تكن آحاد إحدى الجملتين شَبِيْهَة بآحاد الجملة الأخرى، وهاهنا المقصود تشبيه حيرة المنافقين في الدنيا والدين بحيرة من انطفت ناره بعد إيقادها، وبحيرة من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق، فإن قيل الذي كنت تُقَدِّرُه في التشبيه المُفْرَق مِن حذف المضاف وهو قولك: (أو كمثل ذوي صيب)، هل يقَدَّر مثله في المُرَكَّب، قلنا: لولا طلب الراجع في قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ ما يرجع إليه، لما كان بنا حاجة إلى تقديره)[١].

القول الثاني: أنَّ هذا تشبيه تمثيلي مُرَكَّب، وهذا قول جمهور المفسرين، وأصحاب البلاغة[٢]، منهم: الزمخشري[٣]، والبيضاوي[٤]، وابن جزي[٥]، وأبي حيان الأندلسي[٦]، وابن عجيبة[٧].

قال الزمخشري: (والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه، أنَّ التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف الواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل)[٨].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي: (٧٢/٢).

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني: (ص٢٩٩)، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، الناشر: دار إحياء العلوم – بيروت، سنة النشر ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. ومفتاح العلوم، للسكاكي: (ص١٥٤). ومختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني: (ص١٩١)، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ. والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي: (٣٨٧/١)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، ١٩٩٥م. والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن الميداني: (ص٦٠٨).

(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١١٤/١).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي: (١٩٩/١).

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (٢٠/١).

(٦) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٢٢١/١).

(٧) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة: (٥٩/١).

(٨) الكشاف، للزمخشري: (١١٤/١).

وقال السكاكي[1]: (﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ وأصل النظم: "أو كمثل ذوي صيب" فحذف "ذوي" لدلالة "يجعلون أصابعهم في آذانهم" عليه، وحذف "مثل" لما دل عليه عطفه على قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[2] إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين مثل المستوقدين وهو صفتهم العجيبة الشأن، وبين ذوات ذوي الصيب، إنما التشبيه بين صفة أولئك، وبين صفة هؤلاء)[3].

وقال أبو حيان الأندلسي: (وهذا التمثيل الثاني أتى كاشفاً لحالهم بعد كشف الأول، وإنَّما قصد بذلك التفصيل والإسهاب بحال المنافق، وشبهه في التمثيل الأول بمستوقد النار، وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وانقطاع جدواه بذهاب النور، وشبه في الثاني دين الإسلام بالصَّيِّب، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيبهم من الإفزاع والفتن من جهة المسلمين بالصواعق، وكلا التمثيلين من التمثيلات المفرقة.

والأحسن أنْ يكون من التمثيلات المُرَكَّبة دون المُفْرَقة، فلا تتكلف مقابلة شيء بشيء، فوصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما حبطوا فيه من الحيرة والدهشة بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل، وبحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق، وإنَّما قُدِّرَ "كمثل ذوي صَيِّب" لعود الضمير في "يجعلون"، والتمثيل الثاني أبلغ؛ لأنَّه أدلّ على فَرْط الحِيْرة وشِدة الأمر، ولذلك أُخِّر فصار ارتقاء من الأهون إلى الأغلظ)[4].

والذي يترجَّح للباحث هو القول الثاني أنَّ التمثيلين تشبيه تمثيلي مُرَكَّب، وهو ما رَجَّحَه الإمام النَّسَفِي، وذلك؛ لأنَّه جاء على شكل وحدة مُرَكَّبة، دون ملاحظة التقابل الجزئي بين المشبه والمشبه به.

---

(١) هو: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، سراج الدين الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب ، من أهل خوارزم، إمام في النحو والتصريف والمعاني والبيان والاستدلال والعروض والشعر، وله النصيب الوافر في علم الكلام وسائر الفنون، ومن رأى مصنفه علم تبحره ونبله وفضله، ولد ليلة الثلاثاء جمادى الأول سنة ٥٥٥هـ، وتوفي بخوارزم سنة ٦٢٦هـ. انظر: بغية الوعاة، للسيوطي: (٣٦٤/٢). الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي: (٢٢٦/٢). وتاج التراجم في طبقات الحنفية، لابن قطلوبغا: (٢٧/١). والأعلام، للزركلي: (٢٢٢/٨).

(٢) البقرة:١٧

(٣) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي: (١٥٤/١) (المتوفى: ٦٢٦هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٤) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٢٢١/١).

المسألة الثالثة: عود الضمير

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[1] رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– أنَّ الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ عائدٌ على المُنَزَّل، أي: القرآن، حيث قال: «﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ متعلق بـــ "سُورَةٍ" صفة لها، والضمير لـــ "ما نزلنا"، أي: بسورة كائنة من مثله، يعني: فأتوا بسورةٍ مما هو على صفته في البيان الغريب، وعلوّ الطبقة في حُسْن النظم، أو لعبدنا، أي: فأتوا بمن هو على حاله من كونه أُمِّياً لم يقرأ الكتب، و لم يأخذ من العلماء، ولا قَصَد إلى مثلٍ ونظير هنالك، ورد الضمير إلى المُنَزَّل **أولى**؛ لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[2]،﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾[3]، ﴿عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[4]، ولأنَّ الكلام مع رد الضمير إلى المُنَزَّل **أحسن ترتيباً**.

وذلك: أنَّ الحديثَ في المُنَزَّل لا في المُنْزَل عليه، وهو مسوقٌ إليه، فإن المعنى: وإن ارتبتم في أنَّ القرآنَ مُنْزَلٌ من عند الله، فهاتوا أنتم نبذاً مما يماثله.

وقضية الترتيب لو كان الضميرُ مردوداً إلى رسول الله – ﷺ– أنْ يقال: وإنْ ارتبتم في أنَّ محمداً مُنْزَلٌ عليه، فهاتوا قرآناً مِن مثله، ولأنَّ هذا التفسيرَ يلائمُ قوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾[5]»[6].

الدراسة والترجيح:

ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي في هذه المسألة قولين، هما:

القول الأول: إنَّ الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ عائدٌ على المُنَزَّل، أي: القرآن، وبه قال مجاهد وقتادة[7]،

---

(١) البقرة:٢٣

(٢) البقرة:٢٣، و يونس:٣٨

(٣) هود:١٣

(٤) الإسراء:٨٨

(٥) البقرة:٢٣

(٦) تفسير النَّسَفِي: (٦٥/١).

(٧) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣٧٣/١)، والنكت والعيون، للماوردي: (٨٤/١).

ومقاتل[1] في تفسيره[2]، وعبدالرزاق الصنعاني[3] في تفسيره[4]، والطبري[5]، وابن أبي حاتم[6] في تفسيره[7]، وأبي الليث السمرقندي[8]، وابن أبي زمنين[9]، والثعلبي[10]، ومكي بن أبي طالب القيسي[11]، والماوردي[1]،

---

(١) هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، صاحب التفسير، نزيل مرو، ويقال له: ابن دوال دوز، كذبوه وهجروه، ورمى بالتجسيم، أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفى بالبصرة سنة ١٥٠هـ، من كتبه: (التفسير الكبير)، و (نوادر التفسير) و (الرد على القدرية) و (متشابه القرآن) و (الناسخ والمنسوخ) و (القراءات) و (الوجوه والنظائر). انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٢٤٩/١٠). وتهذيب الكمال، للحافظ البزي: (٤٣٤/٢٨). وتقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٢١٠/٢). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢٠١/٧). والأعلام، للزركلي: (٢٨١/٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى: (٩٣/١)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني: (٢٦٠/١)، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ. وعبدالرزاق الصنعاني هو: عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني، ثقة، من حفاظ الحديث الثقات، مُصَنِّف شهير، ولد سنة ١٢٦هـ، وعَمِي في آخر عمره فتغير، وكان يتشيع، له مصنفات، منها: (الجامع الكبير) في الحديث، قال الذهبي: وهو خزانة علم، وكتاب في (تفسير القرآن) و (المصنف في الحديث)، مات في النصف من شعبان، سنة٢١١هـ، وعمره خمس وثمانون سنة. انظر: التاريخ الكبير، للبخاري: (١٣٠/٦). وتهذيب الكمال، للحافظ البزي: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي: (٥٢/١٨)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.. وتذكرة الحفاظ، للذهبي: (٢٦٦/١). وتقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٥٩٩/١). والأعلام، للزركلي: (٣٥٣/٣).

(٤) انظر: تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني: (٢٦٠/١)، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣٧٣/١).

(٦) هو: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظليّ الرازيّ، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم، كان منزله في درب حنظلة بالرَّي، وإليهما نسبته، ولد سنة ٢٤٠هـ، وتوفي سنة ٣٢٧هـ، له مؤلفات، منها: (التفسير) و (الجرح والتعديل)، و (الرد على الجهمية)، و (علل الحديث)، و (المسند)، و (الكنى) و (الفوائد الكبرى) و (المراسيل)، و (تقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل)، و (آداب الشافعيّ ومناقبه).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم: (٦٣/١)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية.

(٨) انظر: بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي: (٣٤/١).

(٩) انظر: تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (١٢٧/١).

(١٠) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١ / ١٦٨).

(١١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي: (١٩٠/١)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(١) انظر: النكت والعيون، للماوردي: (٨٤/١).

والواحدي[1]، والسمعاني[2]، والبغوي[3]، والزمخشري[4]، وابن عطية[5]، والرازي[6]، والقرطبي[7]، والبيضاوي[8]، وابن كثير[9]، والشوكاني[10]، وأبو بكر الجزائري[11] في تفسيره[12].

وقد روي عن قتادة: «﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، يعني: مِن مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، حَقًّا لَا بَاطِلَ فِيهِ، وَلَا كَذِبَ»، وعن مجاهد: «﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، مثلِ القرآن»[13].

قال الطبري – رحمه الله-: (والتأويل الأول، الذي قاله مجاهد وقتادة، هو التأويل الصحيح؛ لأنَّ الله جَل ثناؤه قال في سُورة أخرى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾[14]، ومعلومٌ أنَّ السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه)[1].

---

(١) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري: (١/١٠٢)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدَّمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي: (١/٩٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني: (١/٥٩).

(٣) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (١/٧٢).

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/١٢٩).

(٥) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (١/٩٣).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٢/١٠٩).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١/٢٣٢).

(٨) انظر: تفسير البيضاوي: (١/٦٥).

(٩) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/١٩٩).

(١٠) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/٦٢).

(١١) هو: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ولد في قرية ليرة جنوب بلاد الجزائر سنة ١٩٢١م، وفيها نشأ وتلقى علومه الأولية، رحل مع أسرته إلى المدينة المنورة، والتحق بحلقات العلم في المسجد النبوي - الشريف- فأصبح مُدَرِّساً للتفسير والحديث فيه وفي الجامعة الإسلامية من أول افتتاحها إلى أن تقاعد في سنة ١٤٠٦هـ، وقد قام بتأليف عدد كبير من المؤلفات، منها: (أيسر التفاسير للقرآن الكريم)، و(منهاج المسلم) كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، و(عقيدة المؤمن) يشتمل على أصول عقيدة المؤمن جامع لفروعها، و (الضروريات الفقهية) رسالة في الفقه المالكي، المصدر: موقع طريق الإسلام، المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين، المؤلف: أعضاء ملتقى أهل الحديث، مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث.

(١٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري: (١/٥)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٩٣)، وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (١/٣٧٣). وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: (١/٦٣).

(١٤) يونس:٣٨

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (١/٣٧٣).

القول الثاني: أنَّ الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ عائدٌ على المُنَزَّل عليه، أي: محمدٌ - ﷺ-، وهذا قول الزجاج[1].

قال الزجاج: (قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[2] قيل: من مثل محمد - ﷺ- فالهاء تعود إلى عبدنا، وقيل: تعود الهاء إلى قوله "ما"، أي: فأتوا بسورة من مثله ما نزلناه على عبدنا - فيكون "مِن" زيادة - على قول أبي الحسن- دليله قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾[3]، وقيل: الهاء تعود إلى الأنداد، كما قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾[4] وفي الأخرى: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾[5]؛ فجاز عودها إلى الأنداد في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[6]، والمعنى يقتضي الأوجه الثلاثة، وقرب اللفظ يقتضي عوده إلى عبدنا، ومن ذلك قوله: ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ قيل: التقدير أول كافر بالتوراة، وهو مقتضى قوله: ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾فيعود إلى ما، وقيل: يعود الهاء إلى قوله: ﴿بِمَا أَنزَلْتُ﴾وهو القرآن، والوجه الأول أقرب، ويجوز أنْ تعود الهاء إلى النبي - ﷺ- وذلك مذكور دلالة، لأنَّ قوله: ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾[7] أي: أنزلته على محمد - ﷺ-)[8].

والذي يترجَّح للباحث هو القول الأول، وهو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي، وذلك؛ لأنَّه لا يحسن هنا إلا مثل القرآن، للآيات الدالة على ذلك؛ ولأنَّ الله ذكر في هذه الآية وغيرها لفظ سورة، ومعلوم أنَّ السورة إنَّما هي من القرآن.

---

(١) انظر: إعراب القرآن، للزجاج: (٢/٥٥٢-٥٥٣)، ومعاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل: (١/١٠٠)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(٢) البقرة:٢٣

(٣) يونس:٣٨

(٤) النحل:٦٦

(٥) المؤمنون:٢١

(٦) البقرة:٢٢

(٧) البقرة:٤١

(٨) انظر: إعراب القرآن، للزجاج: (٢/٥٥٢-٥٥٣).

المسألة الرابعة: في لام الجنس والعهد

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾[1] رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ اللام في "الحجر" للجنس، أي: اضرب الشيء الذي يقال له الحجر، حيث قال: «﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ عطشوا في التيه، فدعا لهم موسى بالسُّقْيا، فقيل له: اضرب بعصاك الحَجَر، واللام للعهد والإشارة إلى حَجَرٍ معلوم، فقد روي أنَّه حَجَر طوري حمله معه وكان مربعاً له أربعة أوجه، كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلاً، أو للجنس، أي: اضرب الشيء الذي يقال له الحَجَر، **وهذا أظهر** في الحُجَّة وأبين في القدرة»[2].

الدراسة والترجيح:

ذكر المفسرون قولين في هذه المسألة:

القول الأول: أنَّ اللام في "الحَجَر" للعهد والإشارة إلى حجر معلوم،

القول الثاني: أنَّ اللام في "الحَجَر" للجنس، أي: اضرب الشيء الذي يقال له الحَجَر، وهذا قول الحسن والزمخشري[3]، والبيضاوي[4]، والألوسي[5]، ومحمد الطاهر بن عاشور[6]، والشوكاني[7].

والذي يترجَّح للباحث هو القول الثاني، وهو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي، لأنَّه أبين في قوة الإعجاز من أنْ يضرب حَجَرَاً بعينه.

وقد أيَّد هذا القول ورجَّحه مِن المتأخرين ابن عثيمين حيث قال: (المراد به الجنس؛ فيشمل أيّ حَجَر يكون؛ وهذا أبلغ من القول بأنَّه حَجَر مُعَين)[8].

---

(١) البقرة: ٦٠

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٩٢/١).

(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١٧٢/١).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي: (٣٢٩/١).

(٥) انظر: روح المعاني، للألوسي: (٣٣٤/١).

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٥١٨/١).

(٧) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١٤٣/١).

(٨) تفسير القرآن، لابن عثيمين: (١٤٥/٣).

الفصل الثاني

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقيدة والعبادات.

المبحث الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقيدة.

المبحث الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العبادات.

المبحث الأول

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقيدة

المطلب الأول: ترجيحاته في آيات الصفات

المسألة الأولى: في المراد من قوله: (الذي خلقكم).

المسألة الثانية: البشارة للمؤمن

المسألة الثالثة: في عقاب الأمم الظالمة

المطلب الثاني: ترجيحاته في آيات أخبار الغيوب

المسألة الأولى: في الخلود

المسألة الثانية: في سجود الملائكة لآدم

المسألة الثالثة: إقامة آدم في الجنة

المسألة الرابعة: غواية الشيطان لآدم وحواء

المسألة الخامسة: في هبوط آدم وحواء وإبليس

المسألة السادسة: في الشفاعة

المسألة السابعة: في المراد من قوله: {كَانَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً}

الفصل الثاني

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقيدة والعبادات

المبحث الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقيدة

المطلب الأول: ترجيحاته في آيات الصفات

المسألة الأولى: في المراد من قوله: (الذي خلقكم).

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾[1]، رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الخلق في قوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ إيجاد المعدوم، حيث قال: «والخلق إيجاد المعدوم على تقدير واستواء، وعند المعتزلة إيجاد الشيء على تقدير واستواء، وهذا بناء على أنَّ المعدوم شيء عندهم؛ لأنَّ الشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه عندهم، **وعندنا** هو اسم للموجود»[2].

الدراسة والترجيح: ذكر الإمام النَّسَفِي أنَّ في المسألة قولين:

القول الأول: أنَّ الخلق المقصود به في قوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ إيجاد المعدوم، وهو قول أهل السنَّة والجماعة، وجمهور العلماء، منهم: وابن كثير[3]، وابن القيم[4]، وأبي حيان الأندلسي[5]، ومحمد الطاهر بن عاشور[6]، والشنقيطي[7]، وأبو بكر الجزائري[8]، وابن عثيمين[9].

قال ابن عثيمين: (﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ أي: أوجدكم من العدم)[10].

---

(١) البقرة:٢١

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٦٢/١).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١٩٤/١).

(٤) انظر: الضوء المنير في التفسير، لابن القيم، جمعه: علي الحمد المحمد الصالحي: (١٧٨/١)، الناشر: مؤسسة النور للطباعة والتجليد، بالتعاون مع مكتبة السلام – الرياض.

(٥) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٢٣١/١).

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٣٢٧/١).

(٧) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي: (١٧/٣).

(٨) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري: (٣٢/١).

(٩) انظر: تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٤١/٣).

(١٠) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

القول الثاني: أنَّ الخلق المقصود به في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ إيجاد الشيء، وهو قول المعتزلة، وبعض العلماء، منهم: الزمخشري[١]، والبيضاوي[٢]، وأبي السعود[٣]، وشمس الدين الشربيني[٤].

قال الزمخشري: (والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء، يقال: خلق النعل إذا قدَّره وسواها بالمقياس)[٥].

والراجح والذي لا شك فيه هو القول الأول أنَّ الخلق إيجاد المعدوم على تقدير واستواء، وهو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي – رحمه الله–، والله – سبحانه وتعالى– قد وصف نفسه بصفات عدة، ومنها بأنه الخالق كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ والخلق معناه الإنشاء والإبداع والإيجاد والتقدير والتصوير، والعرب يعرفون الله، وأنَّه وحده الذي خلقهم كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٦]، وكانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[٧]، فهم يؤمنون بوحدة الذات والصفات، واشراكهم كان اشراك العبودية فهم يعبدون مع الله غيره آلهة أخرى، تعالى الله عما يقولن علواً كبيراً.

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/١٢٢).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي: (١/٢١٥).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود: (١/٥٩).

(٤) انظر: تفسير السراج المنير، لشمس الدين محمد الشربيني: (١/٣٣).

(٥) الكشاف، للزمخشري: (١/١٢٢).

(٦) لقمان:٢٥

(٧) الزُّمَر:٣

المسألة الثانية: البشارة للمؤمن

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1]، رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله–: أنَّ الخطاب في قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾لكل أحد قدر على البشارة، حيث قال: «والمأمور بقوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ الرسول – عليه الصلاة والسلام–، أو كل أحد، **وهذا أحسن**؛ لأنَّه يؤذن بأنَّ الأمر لعظمة وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به»[2].

الدراسة والترجيح:

ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي في هذه المسألة قولان، هما:

القول الأول: إنَّ الخطاب في قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾للرسول – ﷺ– وإلى هذا القول ذهب بعض المفسرين، منهم: الطبري[3]، والخازن[4]، وأبو حيان الأندلسي[5]، والسمين الحلبي[6]، والبقاعي[7]، والألوسي[8]، ومحمد الطاهر بن عاشور[9]، وأبو بكر الجزائري[10].

قال أبو حيان الأندلسي: (والمأمور بالتبشير قيل: النبي – ﷺ–، وقيل : كل من يصلح للبشارة من غير تعيين، قال الزمخشري: وهذا أحسن وأجزل؛ لأنَّه يؤذن بأنَّ الأمر لعظمة وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به، انتهى كلامه، والوجه الأول عندي أولى؛ لأنَّ أمره – ﷺ– لخصوصيته بالبشارة أفخم وأجزل، وكأنَّه ما اتكل على أن يبشر المؤمنين كل سامع، بل نص على أعظمهم وأصدقهم، ليكون ذلك أوثق عندهم، وأقطع في الإخبار بهذه البشارة العظيمة، إذ تبشيره – ﷺ– تبشير من الله ــ تعالىــ)[11].

---

(١) البقرة:٢٥

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/٦٨).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (١/٣٨٣).

(٤) انظر: تفسير الخازن، المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: (١/٤٠)، دار الفكر – بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٥) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/٢٥٢).

(٦) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (١/٩٧).

(٧) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: (١/٧١)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٨) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: (١/٢٢٨).

(٩) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١/٣٥١).

(١٠) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري: (١/٣٥).

(١١) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/٢٥٢).

القول الثاني: إنَّ الخطاب في قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ لكل من قدر على البشارة، وإلى هذا القول ذهب بعض المفسرين، منهم: الزمخشري[1]، والرازي[2]، والبيضاوي[3]، وابن جزي[4].

قال الرازي: (من المأمور بقوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ والجواب: يجوز أن يكون رسول الله – ﷺ–، وأن يكون كل أحد، كما قال – عليه الصلاة والسلام–: ((بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِى الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[5] لم يأمر بذلك واحد بعينه، وإنما كل أحد مأمور به، وهذا الوجه أحسن وأجزل؛ لأنَّه يؤذن بأنَّ هذا الأمر لعظمته وفخامته حقيق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به)[6].

والذي يترجَّح للباحث: بعد النظر والتأمل في أقوال المفسرين يظهر للباحث أنَّ القول الأول هو الراجح، وذلك بأنَّ الخطاب في قوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للرسول ــ ﷺ ــ.

وبشر: فعل أمر من التبشير، وأصله من البشارة، وأصلها الخبر الذي يجيء المبلغ به فيبدوا أثار السرور على بشرته، وصاحبه يسمى البشير، ولذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾[7]، والنبي – ﷺ– هو البشير النذير، الذي يبشر أهل الحق واليقين، وينذر أهل الكفر والإلحاد.

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/١٣٤).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١/٢٨٠).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي: (١/٢٤١).

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (١/٢٥).

(٥) سنن أبي داوود: (١/٢٢٠)، كتاب الصلاة، باب: مَا جَاءَ فِى الْمَشْيِ إِلَى الصَّلاَةِ فِى الظُّلَمِ، رقم الحديث (٥٦١). وسنن ابن ماجة: (١/٢٥٧)، كتاب المساجد والجماعات، باب: المشي إلى الصلاة، رقم الحديث (٧٨١). وصححه الألباني في صحيح أبي داوود: (٣/٨٨)، باب: ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظّلَم ، رقم الحديث (٥٧٠). وفي صحيح ابن ماجة: (١/١٣٠)، رقم الحديث (٦٣٣).

(٦) مفاتيح الغيب، للرازي: (١/٢٨٠).

(٧) يوسف:٩٦

المسألة الثالثة: في عقاب الأمم الظالمة.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [(١)] رجَّحَ الإمام النَّسَفِي– رحمه الله- واختار أنَّ الصاعقة هي الموت، وردَّ على المعتزلة بجواز الرؤية، وأنهم إنَّما عوقبوا لكون سؤالهم تعنتاً، حيث قال: «﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أي: الموت، و قيل: هي نارٌ جاءتْ من السماء فأحرقتهم.

رُوي أنَّ السَّبعين الذين كانوا مع موسى – عليه السلام- عند الانطلاق إلى الجبل قالوا له: نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء، فأرنا الله جهرة، فقال موسى: سألته ذلك فأباه عليّ، فقالوا: إنك رأيت الله – تعالى- فلن نؤمنَ لك حتى نرى الله جهرةً، فبعث اللهُ عليهم صاعقةً فأحرقتهم، وتعلقت المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية؛ لأنَّه لو كان جائز الرؤية لما عذّبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت.

قلنا: إنما عُوقبوا بكفرهم؛ لأنَّ قولهم: إنَّك رأيتَ الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، كفر منهم، ولأنَّهم امتنعوا عن الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربَّهم جهرة، والإيمانُ بالأنبياء واجبٌ بعد ظهور معجزاتهم، ولا يجوزُ اقتراحُ الآيات عليهم، ولأنهم لم يسألوا سؤالَ استرشادٍ، بل سؤال تعنُّتٍ وعناد»[(٢)].

الدراسة والترجيح:

ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي في المسألة قولين حول اختلاف معنى الصاعقة وأنها نار، أو موت، هما:

القول الأول: إنَّ قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ معناه الموت، قاله مقاتل بن سليمان[(٣)]، وعبدالرزاق الصنعاني[(٤)]، والزجاج[(٥)]، وابن أبي حاتم[(٦)]، والماوردي[(٧)]، والبغوي[(٨)].

---

(١) البقرة:٥٥

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٩٠/١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١٠٥/١).

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق: (٢٧١/١).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (١٣٧/١).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: (١١٢/١).

(٧) انظر: النكت والعيون، للماوردي: (١٢٣/١).

(٨) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (١١٩/١).

قال مقاتل بن سليمان: فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ أخذهم الصاعقة، يعني الموت عقوبة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ يعني: الموت نظيرها: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[1] يعني ميتاً، وكقوله- ﷻ-: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[2] يعني: فمات)[3].

قال الزجاج: (قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ معنى الصاعقة: ما يُصْعقون منه، أيْ: يموتون، فأخذهم الصاعقة فماتوا، الدليل على أنهم ماتوا قوله - ﷻ-: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦﴾[4])[5].

وقد ضَعَّفَ هذا القول الإمام الفخر الرازي فقال:

(للمفسرين في الصاعقة قولان: الأول: أنها هي الموت، وهو قول الحسن، وقتادة، واحتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وهذا ضعيف لوجوه، أحدها: قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ولو كانت الصاعقة هي الموت لامتنع كونهم ناظرين إلى الصاعقة، وثانيها: أنَّه تعالى قال في حق موسى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أثبت الصاعقة في حقه مع أنَّه لم يكن ميتاً؛ لأنَّه قال: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾[6] والإفاقة لا تكون عن الموت بل عن الغشي، وثالثها: أنَّ الصاعقة وهي التي تصعق، وذلك إشارة إلى سبب الموت. ورابعها: أنَّ ورودها وهم مشاهدون لها أعظم في باب العقوبة منها إذا وردت بغتة وهم لا يعلمون، ولذلك قال: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ منبهاً على عظم العقوبة، القول الثاني: وهو قول المحققين: أنَّ الصاعقة هي سبب الموت ولذلك قال في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾[7] واختلفوا في أنَّ ذلك السبب أي شيء كان، على ثلاثة أوجه: أحدها: أنَّها نارٌ وقعت من السماء فأحرقتهم، وثانيها: صيحة جاءت من السماء، وثالثها: أرسل الله – تعالى- جنوداً سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوماً وليلة)[8].

---

(١) الأعراف:١٤٣

(٢) الزُّمَر:٦٨

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/١٠٥).

(٤) البقرة:٥٦

(٥) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (١/١٣٧).

(٦) الأعراف:١٤٣

(٧) الأعراف:١٥٥

(٨) مفاتيح الغيب، للرازي: (٣/٥٢١).

القول الثاني: إنَّ قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ معناه: نار من السماء أحرقتهم، وهذا قول السَّدي[1]، وبه قال الثعالبي[2]، والواحدي[3]، والزمخشري[4]، والرازي[5]، والقرطبي[6]، وابن كثير [7]، والشوكاني[8].

وذكر الإمام القرطبي: أنها نار من السماء أحرقتهم[9]، وتبعه الإمام الشوكاني في أنَّ معنى الصاعقة نار محرقة نزلت من السماء[10].

قال الزمخشري: (والصَّاعِقَةُ ما صعقهم، أي: أماتهم، قيل: نار وقعت من السماء فأحرقتهم، وقيل: صيحة جاءت من السماء، وقيل: أرسل اللّه جنوداً سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوماً وليلة، وموسى- عليه السلام-، لم تكن صعقته موتاً ولكن غشية، بدليل قوله: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾[11]، والظاهر: أنَّه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾)[12].

ووافق الإمام النَّسَفِي الإمام القرطبي على كون الآية دليلاً على جواز رؤية الله في الآخرة خلافاً للمعتزلة؛ لأنَّ طلب بني إسرائيل لم يكن محالاً[13]، و وافقه الإمام الشوكاني على ذلك معللاً عقوبة بني إسرائيل تلك بأنهم طلبوا من الله ما لم يأذن به من رؤيته في الدنيا، مع ورود الأحاديث الصحيحة المتواترة قطعية الدلالة على رؤية الله في الآخرة[14].

ويذكر الإمام الطبري أنَّ تأنيب الله لهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ دليلٌ على سوء استقامتهم لأنبيائهم مع كثرة معاينتهم من آيات الله، وتتابع الحجج عليهم، وسبوغ النعم من الله لديهم، وهم مع ذلك يسألون

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: (٨٢/٢). وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: (١١٢/١).
(٢) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١٩٩/١).
(٣) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي: (١٠٦/١).
(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١٤٢/١).
(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥٢١/٣).
(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٤٠٣/١).
(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١٦٦/١).
(٨) انظر: فتح القدير ، للشوكاني: (١٠٢/١).
(٩) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٤٠٣/١).
(١٠) فتح القدير ، للشوكاني: (١٠٢/١).
(١١) الأعراف:١٤٣
(١٢) الكشاف، للزمخشري: (١٤٢/١).
(١٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٤٠٣/١).
(١٤) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١٠٣/١).

نبيهم أن يجعل لهم إلها غير الله، ويعبدون العجل مرة وإلى غير ذلك من التعنت، فلا غرابة أن يكون سؤالهم رؤية الله من جملة تعنتهم وسوء استقامتهم فلذلك عوقبوا عليه بالصاعقة[(1)].

والذي يظهر للباحث أنَّه لا تناقض بين معنى الصاعقة؛ لأنَّه ليس هنالك مانع شرعي أو عقلي من اجتماع صور العذاب تلك كلها في معنى الصاعقة التي تحمل الصوت الهائل الذي ينخلع منه القلب، وتشتمل النار المحرقة، وتؤدي إلى الموت المحقق.

وبالنظر إلى مقارنة أقوال المفسرين مع قول الإمام النَّسَفِي يكون ما ذهب إليه الإمام النَّسَفِي من تعريف للصاعقة بالموت، أو النار، ورده على المعتزلة بجواز الرؤية، وأنهم إنَّما عوقبوا لكون سؤالهم تعنتاً، اختياراً راجحاً. والله أعلم.

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: (٢/٨١ – ٨٢).

المطلب الثاني: ترجيحاته في آيات أخبار الغيوب

المسألة الأولى: في الخلود

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ رجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله-: أنَّ خالدون يعني البقاء الدائم الذي لا ينقطع، وأبطل قول الجهمية بزعمهم بفناء الجنة وأهلها، حيث قال: «الخلد والخلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع، **وفيه بطلان** قول الجهمية فإنَّهم يقولون بفناء الجنة وأهلها؛ لأنَّه تعالى وصف بأنَّه الأول والآخر، وتحقيق وصف الأولية بسبقه على الخلق أجمع، فيجب تحقيق وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات، وذا إنما يتحقَّق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة، ولأنَّه تعالى باقٍ وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال.

قلنا: الأول في حقِّه هو الذي لا ابتداء لوجوده، والآخر هو الذي لا انتهاءَ له، وفي حقنا الأول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق، واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفي النقيصة والزوال، وذا في تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه، وأنَّى يقعُ التشابه في البقاء وهو تعالى باقٍ لذاته، وبقاؤه واجب الوجود، وبقاء الخلق به، وهو جائز الوجود»[1].

الدراسة والترجيح:

القول الأول: أنَّ الخلد في ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ خلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع، وهذا قول أهل السنة والجماعة، وما عليه السلف والخلف من جمهور العلماء، منهم: ابن عباس، وسعيد بن جبير، والقرطبي[2]، والسيوطي[3]، وأبو بكر الجزائري[4].

قال القرطبي: (والخلود: البقاء ومنه جنة الخلد، وقد تستعمل مجازاً فيما يطول، ومنه قولهم في الدعاء: خلَّد الله ملكه أي: طوله، قال زهير:

ألا لا أرى على الحَوَادثِ باقِياً   ولا خالِداً إلاّ الجِبالَ الرّواسِيَا [5]

وأما الذي في الآية فهو أبدي حقيقة)[6].

---

(١) تفسير النَّسَفِي: (١/٧١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١/٢٤١).

(٣) انظر: الدر المنثور، للسيوطي: (١/١٠٢).

(٤) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري: (١/٣٥).

(٥) ديوان زهير بن أبي سلمى: (ص٤٨).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١/٢٤١).

القول الثاني: قول الجهميَّة: فإنَّهم يقولون بفناء الجنة وأهلها(١).

والذي يترَجَّح مِمَّا لا شك فيه هو القول الأول، قول أهل السنة والجماعة، أنَّ الخلد: هو خلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع، وهذا ما رَجَّحه الإمام النَّسَفِي، لدلالة الآيات القرآنية الصريحة بذلك، والأدلة المتواترة الصريحة من الأحاديث النبوية، والتي لا تدع مجالاً للشك.

فالله قد أخبرنا بأبديتها، وأبدية حياة أهلها، وعدم انقطاعها عنهم، وعدم خروجهم منها، قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾(٦)، وغيرها من الآيات.

ومن الأحاديث ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: ((يقال لأهل الجنة يا أهل الجنة خلود لا موت، ولأهل النار يا أهل النار خلود لا موت))(٧).

وجاء عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهيْئَةِ كَبْش أَمْلَحُ فينادي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فيقول: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وكُلُّهُم قد رآه، ثم ينادي يَا أَهْلَ النَّار فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فيقول: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وكُلُّهُم قد رآه فيذبح، ثم يقول يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثم قرأ ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ – وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا – وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾(٨)))(٩).

ويجب أن أنبه إلى أنَّ نعيم الجنة نعيم مادي حسي؛ لأنَّ ذلك هو ما تدل عليه الألفاظ، ولا يصح تأويلها بغير سند من الشرع، ولا حجة، ولا دليل، ولا نؤولها بعقولنا المجردة، فإنَّ ذلك يُعَدُّ إنكاراً للغيب الذي قرر الله في كتابه الكريم أنَّ أول صفة من صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب.

---

(١) انظر: تفسير النَّسَفِي: (٧١/١). ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٣٨/١)، (٤٢٥/٥).

(٢) التوبة:١٠٠

(٣) الحِجر:٤٨

(٤) هود:١٠٨

(٥) ص:٥٤

(٦) الدخان:٥٦

(٧) صحيح البخاري: (٢٣٩٧/٥)، كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، رقم الحديث (٦١٧٩).

(٨) مريم:٣٩

(٩) صحيح البخاري: (١٧٦٠/٤)، كتاب التفسير، باب: سورة مريم، رقم الحديث (٤٤٥٣). وصحيح مسلم: (١٥٢/٨)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ، رقم الحديث (٧٣٦٠).

المسألة الثانية: في سجود الملائكة لآدم

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾[(١)]، رجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ السجود كان وضع الوجه على الأرض، وكان سجود تحية وتكريم وتعظيم، حيث قال: «﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾أي: اخضعوا له وأقرُّوا بالفضل له.

عن أُبيّ بن كعب، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما-: كان ذلك انحناءً، و لم يكن خروراً على الذّقن.

والجمهورُ على أنَّ المأمورَ به وَضْعُ الوجه على الأرض.

وكان السجودُ تحيةً لآدم – عليه السلام- **في الصحيح**، إذ لو كان لله – تعالى- لما امتنع عنه إبليس.

وكان سجودُ التحية جائزاً فيما مضى، ثم نُسِخ بقوله – ﷺ- لسلمان حين أراد أن يسجد له: ((لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لأحد إلا لله تعالى[(٢)]))[(٣)]».

الدراسة والترجيح:

في هذه المسألة رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- ترجيحين: ترجيح في كيفية السجود، وترجيح في لمن السجود؟

وسنستعرض الأقوال في كلٍ منهما:

أولاً: في كيفية السجود: اختلف المفسِّرون في كيفية السجود لآدم على قولين:

القول الأول: إنَّ السجود كان انحناءً، وهذا قول ابن عباس وأبي بن كعب والثعلبي[(٤)]، وأبو الليث السمرقندي[(٥)].

القول الثاني: إنَّ السجود كان وضع الوجه على الأرض، وهذا قول الجمهور منهم: البغوي[(٦)]، والشوكاني[(١)]، وابن عثيمين[(٢)].

---

(١) البقرة:٣٤

(٢) سنن الترمذي: (٤٦٥/٣)، كتاب الرضاع، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة، رقم الحديث (١١٥٩)، من حديث أبي هريرة. ومسند الإمام أحمد: (١٥٨/٣)، رقم الحديث (١٢٦٣٥)، من حديث أنس، و (٨٦/٦)، رقم الحديث (٢٤٥١٥)، من حديث عائشة. قال الألباني: حديث حسن صحيح: انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، للألباني: (١٥٩/٣)، رقم الحديث (١١٥٩).

(٣) تفسير النَّسَفِي: (٨٠/١).

(٤) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١٨٠/١).

(٥) انظر: بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي: (٦٩/١).

(٦) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (٨١/١).

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١٠٥/١).

(٢) انظر: تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٨٣/٣).

والذي يترجَّح هو القول الثاني وهو ما رَجَّحه الإمام النَّسَفِي وعليه الجمهور، أنَّ السجود كان وضع الوجه على الأرض، وهو ما تقتضيه اللغة العربية، إذ أنَّ السجود في لغة العرب، هو وضع الجبهة على الأرض[1].
وهو ما اختاره الإمام الشوكاني، حيث قال: (ومعنى السجود هنا: هو وضع الجبهة على الأرض وإليه ذهب الجمهور، وقال قوم: هو مجرد التذلل والانقياد)[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين: (قوله تعالى: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾: "السجود" هو السجود على الأرض بأنَّ يضع الساجد جبهته على الأرض خضوعاً، وخشوعاً؛ وليس المراد به هنا الركوع؛ لأنَّ الله تعالى فرَّق بين الركوع والسجود، كما في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾[4])[5].

ثانياً: معنى السجود لآدم – عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾.
اختلف المفسِّرون في معنى سجود الملائكة لآدم – عليه السلام – على قولين:
القول الأول: إنَّ السجود لآدم – عليه السلام – وكان سجود تعظيم وإجلال، وتكريم وتحية وسلام، وهذا قول الرازي[6]، والبغوي[7]، وابن كثير[8]، والجصاص[9]، وأبي السعود[10]، والشوكاني[11]، وابن عاشور[1].

---

(١) انظر: المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده: (٣٣٣/٣)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. والصحاح في اللغة، للجوهري: (٣٠٣/١). وتاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي: (١٧٢/٨). وتهذيب اللغة، للأزهري: (٤٥٦/٣). ولسان العرب، لابن منظور: (٢٠٤/٣). مختار الصحاح، للرازي: (٣٢٦/١). والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـــ أحمد الزيات ـــ حامد عبد القادر ـــ محمد النجار: (٤١٦/١)، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة.
(٢) فتح القدير، للشوكاني: (١٠٥/١).
(٣) الفتح:٢٩
(٤) الحج:٧٧
(٥) تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٨٣/٣).
(٦) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١٩٥/٢).
(٧) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (٨١/١).
(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٢٣٢/١).
(٩) انظر: أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص: (٣٧/١)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ.
(١٠) انظر: تفسير أبي السعود: (٨٧/١).
(١١) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١٠٥/١).
(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٤٢٢/١).

وقد ذكر الإمام الشوكاني هذا المعنى؛ فقال: (وقد دلت هذه الآية على أنَّ السجود لآدم، وكذلك الآية الأخرى أعني قوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[2] فلا يستلزم تحريمه لغير الله في شريعة نبينا محمد - ﷺ- أن يكون كذلك في سائر الشرائع)[3].

ورَجَّح هذا – أيضاً- ابن عاشور، مُستدلاً عليه بأنَّ لام التعليل إذا عُلِّقَت بالسجود فإنَّها تفيد الإختصاص، فيكون السجود لذات آدم تكريماً وتعظيماً، فقال: (وتَعْدِيَةُ "اسجدوا" لاسم آدم باللام دالٌ على أنَّهم كُلِّفُوا بالسجود لذاته، وهو أصلُ دلالة لام التعليل إذا علق بمادَّة السجود، مثل قوله: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾[5]، ولا يُعكِّر عليه أنَّ السجود في الإسلام لغير الله مُحَرَّم؛ لأنَّ هذا شرعٌ جديدٌ نَسَخَ ما كان في الشرائع الأخرى)[6].

القول الثاني: إنَّما جُعِلَ آدم – عليه السلام- قبلة، والسجود لله – عز وجل-، وهو قول بعض العلماء والمفسرين، منهم: ابن العربي[7]، القرطبي[8]، والألوسي[9].

قال القرطبي: (استدلَ مَن فَضَّلَ آدم وبَنِيهِ بقوله تعالى للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾.

قالوا: وذلك يدلُ على أنَّه كان أفضل منهم.

والجواب أنَّ معنى: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ اسجدوا لي مُستَقبِلِينَ وجهَ آدم.

وهو كقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾[10] أي: عند دلوك الشمس، وكقوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾[1] أي: فَقَعُوا لي عند إِتمام خَلْقِهِ ومواجهتكم إيّاه ساجدين...،

---

(١) الحِجر:٢٩

(٢) يوسف:١٠٠

(٣) فتح القدير، للشوكاني: (١/١٠٥).

(٤) النجم:٦٢

(٥) فُصِّلَت:٣٧

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١/٤٢٢).

(٧) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي: (١/٢٧).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١/٢٩٢ – ٢٩٣).

(٩) انظر: روح المعاني: للألوسي: (١/٢٦٩).

(١٠) الإسراء:٧٨

(١) ص:٧٢

واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنَّه لم يكن سجود عبادة، فقال الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض، كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنَّه الظاهر من السجود في العُرْفِ والشرع، وعلى هذا قيل: كان ذلك السجود تكريماً لآدم وإظهاراً لفضله، وطاعة لله _ تعالى _، وكان آدم كالقِبْلَةِ لنا. ومعنى "لآدم": إلى آدم، كما يقال: صلّى للقبلة، أي: إلى القبلة)(١).

ولكن هذا المعنى قد استبعده العلماء.

قال الحافظ ابن كثير: (وقال بعضهم: بل كانت السجدة لله، وآدم قِبْلَةً فيها؛ كما قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ وفي هذا التنظير نَظَرٌ)(٢).

وقال الجصاص: (ومن الناس من يقول: إنَّ السجود كان لله وآدم كان بمنزلة القبلة لهم، وليس هذا بشيء؛ لأنَّه يوجب أن لا يكون لآدم في ذلك حظ من التفضيل والتكرمة، وظاهر ذلك يقتضي أن يكون آدم مفضلاً مكرماً، فذلك كظاهر الحمد إذا وقع لمن يستحق ذلك يحمل على الحقيقة، ولا يحمل على ما يطلق من ذلك مجازاً، كما يقال: أخلاقُ فلانٍ محمودةٌ ومذمومة؛ لأنَّ حُكم اللفظ أنْ يكون محمولاً على بابه وحقيقته، ويدل على أن الأمر بالسجود قد كان أراد به تَكْرِمَةَ آدم – عليه السلام – وتفضيلَه، قول إبليس – فيما حكى الله عنه –: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾(٣) فأخبر إبليسُ أنَّ امتناعه كان من السجود لأجل ما كان من تفضيل الله وتَكْرِمَتِهِ بأمره إياه بالسجود له، ولو كان الأمر بالسجود له على أنَّه نُصِبَ قِبْلَةً للساجدين من غير تَكْرِمَةٍ ولا فضيلَة له؛ لما كان لآدم في ذلك حظٌ ولا فضيلةٌ تُحسَد، كالكعبة المنصوبة للقبلة)(٤).

وقد أجاب الألوسي عن هذا الاعتراض بأنَّ فهم إبليس التكريم لآدم عليهم بالأمر بالسجود له الْتِبَاسٌ من الأمر عليه، وأنَّ جعل آدم قِبْلَةً دليلٌ على عظم شأنه، كما في جعل الكعبة قِبْلَةً من بين سائر الأماكن(٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١/٢٩٢ – ٢٩٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٢٣٢).

(٣) الإسراء:٦١ – ٦٢

(٤) أحكام القرآن، للجصاص: (١/٣٧ – ٣٨).

(٥) انظر: روح المعاني: للألوسي: (١/٢٦٩).

ولا يخفى ما في قول الألوسي هذا من تَكَلُّفٍ في تعليل سبب امتناع سجود إبليس لآدم – عليه السلام – لا دليل عليه.

والذي يترجح للباحث في هذه المسألة هو القول الأول: وهو أنَّ السجود كان لآدم على الحقيقة تكريماً وتعظيماً وتحية وسلاماً لآدم أبي البشر، وأنَّ له اختصاصاً بالتكريم على الملائكة الأطهار الأبرار، ولأنَّه المعنى الظاهر من دلالة اللفظ، ورَجَّحَ هذا المعنى الرازي[1]، وهو ما رَجَّحَه الإمام النَّسَفِي.

وكما بين ابن كثير هذه المسألة، وذَكَرَ أقوال العلماء في سبب السجود فقال: (قال بعض الناس – العلماء- كان هذا سجود تحية سلامٍ وإكرامٍ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾[2] وقد كان هذا مشروعاً في الأمم الماضية، ولكنَّه نُسِخَ في مِلَّتِنا، قال معاذ – رضي الله عنه- للنبي – صلى الله عليه وسلم-: قَدِمْتُ الشَّامَ فرأيتهم يسجدون لأساقِفَتِهِم وعُلَمَائِهِم، فأنت يا رسول الله أحقُّ أنْ يُسجد لك، فقال – صلى الله عليه وسلم-: ((لا؛ لو كنت آمِراً بشراً أنْ يسجد لِبَشَرٍ لأَمَرْتُ المرأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزوجها؛ مِن عِظَمِ حقِّهِ عليها))[3] ورجَّحَه الرازي، وقال بعضهم: بل كانت السجدة لله، وآدمُ قِبْلَةً فيها، كما قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾[4] وفي هذا التنظير نَظَر، **والأظهر: أنَّ القولَ الأَوَّلَ أولى**، والسجدة لآدم إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وسلامًا، وهي طاعة لله – عز وجل-؛ لأنها امتثال لأمره تعالى)[5].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٢/١٩٥).

(٢) يوسف:١٠٠

(٣) سنن ابن ماجه: (١/٥٩٥)، كتاب النكاح، باب: حق الزوج على المرأة، رقم الحديث (١٨٥٣). ومسند الإمام أحمد: (٤/٣٨١)، رقم الحديث (١٩٤٢٢). وصحيح ابن حبان: (٩/٤٧٩)، باب: معاشر الزوجين، رقم الحديث (٤١٧١). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. والحاكم في المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: (٤/١٩٠)، كتاب البر والصلة، رقم الحديث (٧٣٢٥)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م. وقال: (حديث صحيح على شرط الشيخين). وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. انظر: السلسلة الصحيحة، للألباني: (٣/٢٠٠)، رقم الحديث (١٢٠٣). وصحيح ابن ماجه: (١/٣١١)، رقم الحديث (١٥٠٢).

(٤) الإسراء:٧٨

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٢٣٢).

المسألة الثالثة: إقامة آدم في الجنة

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[1] رجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الجنة، هي جنة الخلد، حيث قال: «{الْجَنَّةَ} هي جنةُ الخلد التي وُعِدت للمتقين؛ **للنقل المشهور**، واللام للتعريف.

وقالت المعتزلةُ: كانت بستاناً باليمن؛ لأنَّ الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها.

قلنا: إنما لا يخرج منها من دخلها جزاء، وقد دخل النبي – ﷺ- ليلة المعراج، ثم خرج منها، وأهل الجنة يُكلَّفون المعرفة والتوحيد»[2].

الدراسة والترجيح: في المسألة قولين:

القول الأول: إنَّ الجنة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾هي جنة الخُلد، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقول الجمهور من العلماء والمفسرين، منهم: الثعلبي[3]، والرازي[4]، والبيضاوي[5]، والنيسابوري[6]، والقرطبي[7]، وابن كثير[8]، واسماعيل حقي[9]، وابن تيمية[10]، وابن القيم[11]، والعز بن عبدالسلام[12]، والثعالبي[13]، وابن جزي[14]، ومحمد الطاهر بن عاشور[1]، وابن عثيمين[2].

---

(١) البقرة:٣٥

(٢) تفسير النَّسَفِي: (٨١/١).

(٣) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (٦٢/١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٣).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي: (٢٩٦/١).

(٦) انظر: تفسير النيسابوري: (١٩٠/١).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٠٣/١).

(٨) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٢٣٨/١). والبداية والنهاية، لابن كثير: (٨٢/١).

(٩) انظر: روح البيان، لإسماعيل حقي: (١٢٦/١).

(١٠) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٣٤٧/٤).

(١١) انظر: تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: (٢٢٤/١)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(١٢) انظر: تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي: (٢٨/١)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(١٣) انظر: تفسير الثعالبي: (٥٠/١).

(١٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (٣٠/١).

(١) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٤٣٠/١).

(٢) انظر: تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٨٥/٣).

حُجتهم: أجمل ابن القيم حجة القائلين بهذا من أهل السنة والجماعة، وقول الجمهور من العلماء والمفسرين، فقال: (فالجنة جاءت مُعَرَّفة بلام التعريف في جميع المواضع، كقوله: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ ونظائره، ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب، فقد صار هذا الاسم علماً عليها بالغلبة، كالمدينة والنجم والبيت والكتاب، ونظائرها، فحيث ورد لفظها معرفاً، انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين، وأما إنْ أريد به جنة غيرها، فإنَّها تجيء منكرة، أو مقيدة بالإضافة، أو مقيدة من السياق، بما يدل على أنها جنة في الأرض، فالأول: كقوله: ﴿جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ﴾[1] ، والثاني: كقوله: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ﴾[2]، والثالث: كقوله: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾[3]، قالوا: مما يدل على أنَّ جنة آدم هي جنة المآوى، ما روي عن أبي موسى الأشعري قال: «لَمَّا أُخْرِجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ، زُوِّدَ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ كُلِّ شَيْءٍ، فَثِمَارُكُمْ هَذِهِ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ تَغَيَّرُ وَتِلْكَ لَا تَغَيَّرُ» [4]، قالوا: وقد ضمن الله – ﷻ– له إنْ تاب إليه وأناب، أنْ يعيده إليها، كما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾[5] «قال: يا رب، ألم تخلقني بيدك، قال: بلى، قال: أي رب، ألم تنفخ في من روحك، قال: بلى، قال: أي رب، ألم تسكني جنتك، قال: بلى، قال: أي رب، ألم تسبق رحمتك غضبك، قال: بلى، قال: أرأيت إنْ تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة، قال: بلى، قال: فهو قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾»[6]، وله طرق عن ابن عباس، وفي بعضها: كان آدم قال لربه إذا عصاه: رب إنْ أنا تبت وأصلحت، فقال له ربه: إني راجعك إلى الجنة، فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنَّها جنة الخلد)[7].

---

(١) الكهف:٣٢

(٢) الكهف:٣٩

(٣) القلم:١٧

(٤) المستدرك على الصحيحين، للحاكم: (٥٩٢/٢)، باب: ذكر آدم عليه السلام، رقم الحديث (٣٩٩٦)، قال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه. ومسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار: (٤٥/٨)، رقم الحديث (٣٠٢٩)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م). وشعب الإيمان، للبيهقي: (٦١/٥)، باب: مَا جَاءَ فِي إِطْعَامِ الطَّعَامِ وَسَقْيِ الْمَاءِ، رقم الحديث (٣٠٩٨).

(٥) البقرة:٣٧

(٦) المستدرك على الصحيحين، للحاكم: (٥٩٤/٢)، باب: ذكر آدم عليه السلام، رقم الحديث (٤٠٠٢)، قال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٧) تفسير القرآن الكريم، لابن القيم: (٢٢٤/١).

القول الثاني: إنَّ الجنة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ هي جنة الأرض. وهذا ما ذهبت إليه المعتزلة، والقدرية، وقاله: أبو القاسم البلخي[1]، وأبو مسلم الأصفهاني[2].

وحُجَّت القائلين بهذا القول:

١- قالوا: بأنَّ الجنة لا يكون فيها ابتلاء وتكليف.

والجواب: إنّا قد أجمعنا على أنَّ أهل الجنّة مأمورون فيها بالمعرفة ومكلّفون بذلك[3].

وجواب آخر: إنّ الله – تعالى- قادر على الجمع بين الأضداد، فأرى آدم المحنة في الجنّة، وأرى إبراهيم النعمة في النار لئلاّ يأمن العبد ربّه ولا يقنط من رحمته، وليعلم أنّ له أن يفعل ما يشاء[4].

٢- واحتجّوا: بأنَّ من دخل الجنة يستحيل الخروج منها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[5].

والجواب عنه: إنّ من دخلها للثواب لا يخرج منها أبداً، وآدم لم يدخلها للثواب، ألا ترى أنّ رضوان خازن الجنة يدخلها ثم يخرج منها، وإبليس أيضاً كان داخل الجنّة وأُخرج منها[6].

وأنها لو كانت جنة الخلد لما وصل إليها إبليس، فإن الله يقول: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[7] وقال: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾[8]، وقال: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾[9] وأيضاً: فإن جنة الخُلد هي دار القدس، قدست عن الخطايا والمعاصي تطهيراً لها، وقد لغا فيها إبليس وكذب، وأخرج منها آدم وحواء بمعصيتهما.

---

(١) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم البلخي، ولد سنة ٢٧٣هـ، صاحب التصانيف في علم الكلام، وكان فيه اعتزال، أقام ببغداد واشتهرت بها كتبه ثم عاد إلى بلخ وتوفى بها في شعبان سنة ٣١٩هـ، له كتب، منها: (التفسير)، و (تأييد مقالة أبي الهذيل). انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (٣٨٤/٩). وتاج التراجم في طبقات الحنفية، لابن قطلوبغا: (١١/١). والجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي: (٢٧١/١). والأعلام، للزركلي: (٦٥/٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٣٤٧/٤). وتفسير القرآن الكريم، لابن القيم: (٢٢٤/١). وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (١٩٠/١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٣٤٧/٤). والكشف والبيان، للثعلبي: (١٨٢/١). وتفسير القرآن الكريم، لابن القيم: (٢٢٤/١).

(٤) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١٨٢/١). وتفسير القرآن الكريم، لابن القيم: (٢٢٤/١).

(٥) الحِجر:٤٨

(٦) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١٨٢/١). وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (١٩٠/١).

(٧) الطور:٢٣

(٨) النبأ:٣٥

(٩) الواقعة:٢٥-٢٦

٣- قالوا: وكيف يجوز على آدم مع مكانه من الله وكمال عقله أنْ يطلب شجرة الخلد وهو في دار الخلد والملك الذي لا يبلى؟[١].

وقد رَدَّ على هذه الحِجج القرطبي فقال في تفسيره: (أنَّ الله – تعالى- عَرَّف الجنة بالألف واللام، ومن قال: أسأل الله الجنة، لم يفهم منه في تعارف الخلق إلا طلب جنة الخُلد، ولا يستحيل في العقل دخول إبليس الجنة لتغرير آدم، وقد لقي موسى آدم – عليهما السلام- فقال له موسى: أنت أشقيت ذريتك وأخرجتهم من الجنة، فأدخل الألف واللام ليدل على أنَّها جنة الخلد المعروفة، فلم ينكر ذلك آدم، ولو كانت غيرها لرد على موسى، فلما سكت آدم على ما قرره موسى صح أنَّ الدار التي أخرجهم الله – ﷻ- منها بخلاف الدار التي أخرجوا إليها.

وأما ما احتجوا به من الآي: فذلك إنَّما جعله الله فيها بعد دخول أهلها فيها يوم القيامة، ولا يمتنع أن تكون دار الخلد لمن أراد الله تخليده فيها وقد يخرج منها من قضي عليه بالفناء، وقد أجمع أهل التأويل على أنَّ الملائكة يدخلون الجنة على أهل الجنة ويخرجون منها، وقد دخلها النبي – ﷺ- ليلة الإسراء ثم خرج منها، وأخبر بما فيها، وأنها هي جنة الخُلد حقاً.

وأما قولهم: إنَّ الجنة دار القدس وقد طهرها الله – تعالى- من الخطايا فجهل منهم، وذلك أنَّ الله – تعالى- أمر بني إسرائيل أنْ يدخلوا الأرض المقدسة وهي الشام، وأجمع أهل الشرائع على أنَّ الله – تعالى- قدسها، وقد شوهد فيها المعاصي والكفر والكذب ولم يكن تقديسها مما يمنع فيها المعاصي، وكذلك دار القدس، قال أبو الحسن بن بطال[٢]: وقد حكى بعض المشايخ أنَّ أهل السنة مجمعون على أنَّ جنة الخُلد هي التي أهبط منها آدم – عليه السلام- فلا معنى لقول من خالفهم.

وقولهم: كيف يجوز على آدم في كمال عقله أنْ يطلب شجرة الخلد وهو في دار الخلد، فيعكس عليهم ويقال: كيف يجوز على آدم وهو في كمال عقله أنْ يطلب شجرة الخلد في دار الفناء، هذا ما لا يجوز على من له أدنى مسكة من عقل، فكيف بآدم الذي هو أرجح الخلق عقلا..[٣])

وقد ذَكَرَ ابن القيم حُجَجُهُمْ وردَّ عليها، وقد رأيت أن أنقل ما ذكره لتعم الفائدة، وليتضح البيان، ويُفهم القصد، وتزيل الشبهة.

قال ابن القيم: (قالوا: هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها قالوا: قد أخبر الله – سبحانه- على لسان جميع رسله، أنَّ جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد، وقد

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٠٢/١-٣٠٢). وتفسير القرآن الكريم، لابن القيم: (٢٢٤/١).

(٢) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة، كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة، شرح "الصحيح" في عدة أسفار، رواه الناس عنه، توفي في صفر سنة ٤٤٩هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي: (٢١٦/٣). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٤٧/١٨). والأعلام، للزركلي: (٢٨٥/٤).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٠٢/١-٣٠٢).

وصفها الله - ﷻ- لنا في كتابه بصفاتها، ومحال أنْ يصف الله - ﷻ- شيئاً بصفته، ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفه بها، قالوا: فوجدنا الله – تعالى- وصف الجنة التي أعدت للمتقين بأنَّها دار المُقامة، فمن دخلها أقام بها، و لم يقم آدم بالجنة التي دخلها، ووصفها بأنَّها جنة الخلد، وآدم لم يُخَلَّد فيها، ووصفها بأنَّها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهي، ووصفها بأنَّها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان، وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء، ووصفها بأنها دار لا يعصي الله فيها أبدا، وقد عصى آدم ربه في جنته التي دخلها، ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل، وسماها دار السلام، و لم يسلم فيها الأبوان من الفتنة، ودار القرار، و لم يستقر فيها، وقال في داخلها: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[1]، وقد اخرج منها الأبوان، وقال: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾[2] ، وقد ند فيها آدم هارباً فاراً، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه، وهذا النصب بعينه، وأخبر أنه: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[3] وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه، وأخبر أنَّه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب، وقد سمع فيها آدم -عليه السلام- كذب إبليس، وقد سماها الله - ﷻ- مقعد صدق، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه، وقد قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[4]، و لم يقل إني جاعل في جنة المأوى، فقالت الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ﴾[5]، ومحال أنْ يكون هذا في جنة المأوى، وقد أخبر الله – تعالى- عن إبليس أنه قال لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[6] ، فإن كان الله - ﷻ- قد اسكن آدم جنة الخلد، والملك الذي لا يبلى، فكيف لم يرد عليه، ويقول له كيف تدلني على شيء أنا فيه وقد أعطيته، و لم يكن الله - ﷻ- قد اخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين، ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس، ولا مال إلى نصيحته، ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطعمه فيه من الخلد، قالوا: ولو كان أدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يسكنها إلا طاهر مقدس، فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور حتى فتن فيها أدم -عليه السلام- ووسوس له، وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه، وإما أن تكون في أذنه، وعلى التقديرين: فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين، وأيضاً:

---

(١) الحِجر:٤٨

(٢) الحِجر:٤٨

(٣) الطور:٢٣

(٤) البقرة:٣٠

(٥) البقرة:٣٠

(٦) طه:١٢٠

فبعد أن قيل له: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾(1) أيفسح له أنْ يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والأبعاد له والزجر والطرد بعتوه واستكباره، وهل هذا يلائم قوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ فإنْ كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبراً، فما التكبر بعد هذا، فإنْ قلتم فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو في الأرض وهما فوق السماء في عليين، فهذا غير معقول لغة ولا حساً ولا عرفاً، وإنْ زعمتم أنه دخل في بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة، فأبطل وأبطل، إذ كيف يرتقي بعد الاهباط إلى أنْ يدخل الجنة، ولو في بطن الحية، وإذا قلتم إنَّه دخل في قلوبهما ووسوس إليهما، فالمحذور قائم، وأيضاً: فإن الله – ﷻ– حكى مخاطبته لهما كلاماً سمعاه شفاهاً فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾(2) وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة...

وأيضاً: فإنه سبحانه قال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾(3)، ووسوسة اللعين من أخبث الكلم، فلا تصعد إلى محل القدس، وقد روى عن النبي أنَّ آدم – عليه السلام– نام في جنته، وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين، قالوا: ولا نزاع إنَّ الله – ﷻ– خلق آدم في الأرض، ولم يذكر في موضع واحد أصلا أنه نقله إلى السماء بعد ذلك، ولو كان قد نقله ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر؛ لأنَّه من أعظم الآيات، ومن أعظم النعم عليه، فإنَّه كان معراجاً ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات، قالوا: وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء، وقد أخبر ملائكته أنَّه جاعله في الأرض خليفة، وكيف يسكنه دار الخُلد التي من دخلها خُلِّد فيها ولا يخرج منها قال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾(4).

قالوا: فإذا جمع ما أخبر به سبحانه من أنه خلقه من الأرض، وجعله خليفة في الأرض، وإن إبليس وسوس إليه في مكانه الذي أسكنه فيه بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له، وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة، وأنَّ دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف، وأنه لا لغوٌ فيها ولا تأثيم، ولا كذاب، وأن من دخلها لا يخرج منها، ولا ييأس، ولا يحزن، ولا يخاف، ولا ينام، وأن الله حرمها على الكافرين، وإبليس رأس الكفر، فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض، وفكر فيه المنصف الذي رفع له علم الدليل فشمر إليه بنفسه عن حضيض التقليد، تبين له الصواب، والله الموفق، فلو لم يكن في المسألة إلا أن الجنة ليست

---

(1) الأعراف:13

(2) الأعراف:20

(3) فاطر:10

(4) الحِجر:48

دار تكليف، وقد كلف الله – سبحانه- الأبوين بينهما عن الأكل من الشجرة، فدل على أنها دار تكليف لا جزاء، وخلد، فهذا أيضاً بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها، والله أعلم[(١)].

في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم:

قالوا: أما قولكم إنَّ الله – سبحانه- أخبر أنَّ جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد، فهذا حق في الدخول المطلق، الذي هو دخول استقرار ودوام، وأما الدخول العارض، فيقع قبل يوم القيامة، وقد دخل النبي الجنة ليلة الإسراء، وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة، وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به في يوم القيامة، فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا، وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد.

قالوا: وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة، وأنها لم توجد في جنة آدم – عليه السلام- من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب، وغيرها، فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الإسلام، ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، كما يدل عليه سياق الآيات كلها، فإن نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها، وهذا لا ينفي أن يكون فيها بين أبوي الثقلين ما حكاه الله – تعالى- من ذلك، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها، فلا تنافي بين الأمرين، وأما قولكم أنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وقد كلف الله – سبحانه- آدم بالنهي عن الأكل من تلك الشجرة، فدل على أن تلك الجنة دار تكليف لا دار خلود، فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنين يوم القيامة، فحينئذ ينقطع التكليف وأما وقوع التكليف فيها دار الدنيا فلا دليل على امتناعه البتة، كيف وقد ثبت عن النبي– صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت..[(٢)])) الحديث، وغيره ممتنع أن يكون فيها من

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، لابن القيم: (١/٢٢٤).

(٢) ذكر هذا الحديث ابن القيم في تفسيره، ولم أجد تخريج له إلا في كتاب: الآحاد والمثاني، لأحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني: (١/١٨٩)، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
ويمكننا الاستدلال بحديث: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ: ((أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم- فَدَعَا بِلَالًا، فَقَالَ يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي إِنِّي دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ فَأَتَيْتُ عَلَى قَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرْتَفِعٍ مُشْرِفٍ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ قَالُوا لِرَجُلٍ مِنْ الْعَرَبِ، قُلْتُ أَنَا عَرَبِيٌّ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا لِرَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، قُلْتُ فَأَنَا مُحَمَّدٌ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم- لَوْلَا غَيْرَتُكَ يَا عُمَرُ لَدَخَلْتُ الْقَصْرَ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَغَارَ عَلَيْكَ، قَالَ: وَقَالَ لِبِلَالٍ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم- بِهَذَا)). انظر: المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: (١/٤٥٧)، كتاب صلاة التطوع، رقم الحديث (١١٧٩)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م. وسنن الترمذي: (٥/٦٢٠)، كتاب المناقب، باب: في مناقب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- رقم الحديث (٣٦٨٩). ومسند الإمام أحمد: (٣٨/١٠١)، رقم الحديث (٢٢٩٩٦). وصححه الألباني في: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته: (١/١٣٨٦)، رقم الحديث (١٣٨٥٣).

يعمل بأمر الله، ويعبد الله قبل يوم القيامة، بل هذا هو الواقع، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم، لا يتعدونها سواء سمي ذلك تكليفاً أو لم يُسَمْ.

الوجه الثاني: أنَّ التكليف لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها، وإنما كان حجرا عليهما في شجرة واحدة من جملة أشجارها، إما واحدة بالعين، أو بالنوع، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه في دار الخلد، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها، فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات فلا دليل عليه، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفعة عنها، فهو حق، ولكن لا يدل على مطلوبكم.

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها: فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم، فإنما ينفي النوم عن أهلها يوم دخول الخلود، حيث لا يموتون، وأما قبل ذلك فلا.

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد اهباطه وإخراجه من السماء: فلعمر الله إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم، وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد اهباط الله له منها لا يرتضيها منصف، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هنالك صعوداً عارضاً لتمام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله – تعالى–، وقد أسبابه، وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان، وقد أخبر الله – سبحانه– عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله، يقعدون من السماء مقاعد للسمع، فيستمعون الشيء من الوحي، وهذا صعود إلى هناك، ولكنه صعود عارض، لا يستقرون في المكان الذي يصعدون إليه، مع قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾[1] فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط، فهذا محتمل، والله اعلم.

وأما استدلالكم بأنَّ الله – سبحانه– أعلم آدم – عليه السلام– مقدار أجله، وما ذكرتم من الحديث، وتقرير الدلالة منه، فجوابه: أن إعلامه بذلك لا ينافي إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة، وأما اخباره سبحانه أن داخلها لا يموت، وأنه لا يخرج منها، فهذا يوم القيامة.

وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض، فلا ريب في ذلك، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها، وقد جاء في بعض الآثار أن الله – سبحانه– ألقاه على باب الجنة أربعين صباحاً، فجعل إبليس يطوف به ويقول: لأمر ما خلقت، فلما رآه أجوف، علم أنه خلق لا يتمالك، فقال: لئن سلطت عليه لأهلكنه، ولئن سلط علي لأعصينه، مع أن قوله – سبحانه–: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ

(١) البقرة:٣٦

مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ [(١)] يدل على أنه كان معهم في السماء، حيث أنبأهم بتلك الأسماء، وإلا فهم لم يترلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك، ولو كان خلقه قد كمل في الأرض، لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره، ثم يعيده إلى الأرض، فقد اصعد المسيح إلى السماء، ثم يترله إلى الأرض قبل يوم القيامة، وقد أسرى ببدن رسول الله وروحه إلى فوق السموات، فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنازعيهم، والله أعلم)[(٢)].

القول الراجح:

ومن خلال ما سبق: ومن خلال استعراضنا لحِجَج الفريقين، يتبين لنا أنَّ القول الراجح هو قول أهل السنة والجماعة، وهو ما رجَّحَه الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- وعليه الجمهور، أنَّ الجنة التي أسكن فيها آدم وزوجه، هي جنة الخلد.

وهو ما رجَّحه ابن تيمية، حيث قال: (وَ " الْجَنَّةُ " الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمَ وَزَوْجَتَهُ عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: هِيَ جَنَّةُ الْخُلْدِ وَمَنْ قَالَ: إنَّهَا جَنَّةٌ فِي الْأَرْضِ، بِأَرْضِ الْهِنْدِ، أَوْ بِأَرْضِ جُدَّةَ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُلْحِدِينَ، أَوْ مِنْ إخْوَانِهِمْ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُبْتَدِعِينَ، فَإِنَّ هَذَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ يَرُدَّانِ هَذَا الْقَوْلَ، وَسَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا مُتَّفِقُونَ عَلَى بُطْلَانِ هَذَا الْقَوْلِ[(٣)]) .

ورجَّحه من المتأخرين ابن عثيمين فقال: (ظاهر الكتاب، والسنة أنها جنة الخلد، وليست سواها؛ لأن "أل" هنا للعهد الذهني، فإن قيل: كيف يكون القول الصحيح أنها جنة الخلد مع أنَّ من دخلها لا يخرج منها، وهذه أُخرج منها آدم؟

فالجواب: أنَّ من دخل جنة الخلد لا يخرج منها بعد البعث، وفي هذا يقول ابن القيم في الميمية المشهورة:

فحيَّ على جنات عدن فإنها　　　منازلك الأولى وفيها المخيم[(٤)]

قال: "منازلك الأولى"؛ لأن أبانا آدم نزلها..[(٥)]).

---

(١) البقرة:٣١ – ٣٣

(٢) تفسير القرآن الكريم، لابن القيم: (١/٢٣٥ – ٢٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٤/٣٤٧).

(٤) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: (١/١٢٣)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

(٥) تفسير القرآن، لابن العثيمين: (٣/٨٥).

المسألة الرابعة: غواية الشيطان لآدم وحواء

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾(1)، رجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ النَّهي إنَّما هو نهي تنزيه، حيث قال: «﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾ أي: عن الشجرة، أي: فحملهما الشيطان على الزلَّة بسببها، وتحقيقه: فأصدر الشيطان زلَّتهما عنها، أو: فأزلَّهما عن الجنة بمعنى: أذهبهما عنها وأبعدهما.

وزلَّة آدم بالخطأ في التأويل إما بحمل النهي على التنزيه دون التحريم، أو بحمل اللام على تعريف العهد وكأن الله – تعالى- أراد الجنس، **والأول الوجه**»(2).

الدراسة والترجيح:

اختلف العلماء والمفسرون حول زلة آدم، واعتماد ذلك على نهي الله – تعالى- لآدم – عليه السلام- من أكل الشجرة، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾(3)، على قولين:

القول الأول: أنْ يتأول النهي فَيُحمل على التنزيه دون التحريم، وهو قول بعض العلماء والمفسرين، منهم: الرازي(4)، والعز بن عبد السلام(5).

القول الثاني: أنَّ النَّهي هنا نهي تحريم، وهو قول بعض العلماء والمفسرين، منهم: السعدي(6)، والشعراوي(7) في تفسيره(8).

القول الثالث: أو بحمل اللام على تعريف العهد، أي: وقع النَّهي على جنس من الشجر، وهو قول بعض العلماء والمفسرين، منهم: الخازن(9)، والبغوي(10)، وابن عثيمين(11).

---

(1) البقرة:٣٦

(2) تفسير النَّسَفِي: (٨١/١).

(3) البقرة:٣٥

(4) انظر: مفاتيح الغيب: للرازي: (٥/٣ – ٦).

(5) انظر: تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام: (٢٨/١).

(6) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي: (٤٩/١).

(7) هو: محمد متولي الشعراوي، مولده ووفاته بمصر، من مؤلفاته: التفسير، توفى سنة ١٤١٨هـ، ولم أعثر له على ترجمة شافية. انظر: غلاف كتابه: تفسير الشعراوي.

(8) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي: (١٣٩/١ – ١٤٠)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م).

(9) انظر: تفسير الخازن: (٤٩/١).

(10) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (٨٣/١).

(11) انظر: تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٨٥/٣).

قال ابن عثيمين: (قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أشار الله تعالى إلى الشجرة بعينها، و "أل" فيها للعهد الحضوري؛ لأنَّ كل ما جاء بـــ "أل" بعد اسم الإشارة فهو للعهد الحضوري؛ إذ إنَّ اسم الإشارة يعني الإشارة إلى شيء قريب؛ وهذه الشجرة غير معلومة النوع، فتبقى على إبهامها..)[1].

والذي يترجح لدى الباحث هو القول الأول وهو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي أنَّ النَّهي إنَّما هو نهي تنزيه.

ورجَّح هذا القول الفخر الرازي وذكَرَ أقوال الناس في هذه المسألة، مع أدلتهم، وردَّ على من قال: أنَّ النهي نهي تحريم، فقال: (قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ لا شبهة في أنَّه نهى؛ ولكن فيه بحثان.

الأول: أنَّ هذا نهي تحريم، أو نهي تنزيه، فيه خلاف، فقال قائلون: هذه الصيغة لنهي التنزيه؛ وذلك لأنَّ هذه الصيغة وردت تارة في التنزيه وأخرى في التحريم، والأصل عدم الاشتراك فلا بد من جعل اللفظ حقيقة في القدر المشترك بين القسمين، وما ذلك إلا أن يجعل حقيقة في ترجيح جانب الترك على جانب الفعل من غير أن يكون فيه دلالة على المنع من الفعل أو على الإطلاق فيه، لكن الإطلاق فيه كان ثابتاً بحكم الأصل، فإنَّ الأصل في المنافع الإباحة، فإذا ضممنا مدلول اللفظ إلى هذا الأصل صار المجموع دليلاً على التنزيه، قالوا: وهذا هو الأولى بهذا المقام؛ لأنَّ على هذا التقدير يرجع حاصل معصية آدم – عليه السلام – إلى ترك الأولى، ومعلوم أن كل مذهب كان أفضى إلى عصمة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – كان أولى بالقبول.

وقال آخرون: بل هذا النهي نهي تحريم، واحتجوا عليه بأمور:

أحدها: أنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾[2] وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] فكما أنَّ هذا للتحريم فكذا الأول.

وثانيها: أنه قال: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4] معناه: إن أكلتما منها فقد ظلمتما أنفسكما، ألا تراهما لما أكلا ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[5].

وثالثها: أنَّ هذا النهي لو كان نهي تنزيه لما استحق آدم بفعله الإخراج من الجنة ولما وجبت التوبة عليه.

---

(١) تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٨٥/٣).

(٢) البقرة:٢٢٢

(٣) الأنعام:١٥٢

(٤) البقرة:٣٥

(٥) الأعراف:٢٣

والجواب عن الأول نقول: إنَّ النهي وإن كان في الأصل للتتريه ولكنه قد يحمل على التحريم لدلالة منفصلة، وعن الثاني: أنَّ قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ أي: فتظلما أنفسكما بفعل ما الأولى بكما تركه؛ لأنكما إذا فعلتما ذلك أخرجتما من الجنة التي لا تظمآن فيها ولا تجوعان ولا تضحيان ولا تعريان إلى موضع ليس لكما فيه شيء من هذا، وعن الثالث: أنَّا لا نسلم أنَّ الإخراج من الجنة كان لهذا السبب.

البحث الثاني: قال قائلون قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ يفيد بفحواه النهي عن الأكل، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ النهي عن القرب لا يفيد النهي عن الأكل(١).

(١) مفاتيح الغيب، للرازي: (٣/٥- ٦).

المسألة الخامسة: في هبوط آدم وحواء وإبليس

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[1] رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الخطاب لآدم وحواء، حيث قال: «﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ الهبوط: النزول إلى الأرض.

والخطاب لآدم وحواء وإبليس، وقيل: والحية.

والصحيح لآدم وحواء.

والمراد: هما وذريتهما؛ لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾[2]»[3].

الدراسة والترجيح: ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنَّ الخطاب في قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾لآدم وحواء وإبليس، وهو قول الرازي[4]، والبيضاوي[5]، وابن كثير[6]، وابن جزي[7]، وابن القيم[8]، والنيسابوري[9]، وأبو بكر الجزائري[10].

ودليلهم: قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، قالوا: إنَّ لفظ الخطاب ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ أتى فيه بضمير الجمع[11].

القول الثاني: إنَّ الخطاب في قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ لآدم وحواء وإبليس والحية، وهو قول الثعلبي[12]، والسمعاني[13]، والبغوي[14]، والخازن[15]، وابن عجيبة[16].

---

(١) البقرة:٣٦

(٢) طه:١٢٣

(٣) تفسير النَّسَفِي: (٦٠/١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١٦/٣).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي: (٢٩٧/١).

(٦) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير: (٨٨/١).

(٧) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (٣٠/١).

(٨) انظر: التفسير القيم، لابن القيم: (٢٢٠/١).

(٩) انظر: تفسير النيسابوري: (١٩٦/١).

(١٠) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري: (٤٧/١).

(١١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١٦/٣). وتفسير القرآن، لابن القيم: (٢٢٠/١).

(١٢) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (٦٣/١).

(١٣) انظر: تفسير السمعاني: (٦٩/١).

(١٤) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (٨٤/١).

(١٥) انظر: تفسير الخازن: (٥٠/١).

(١٦) انظر: البحر المديد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني: (٧٥/١).

قال ابن القيم: (وقد قيل: إنَّ الخطاب لهما وللحية، وهذا ضعيف جداً، إذ لا ذكر للحية في شيء من قصة آدم، ولا في السياق ما يدل عليها)[١].

القول الثالث: إنَّ الخطاب في قوله: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ لآدم وحواء، وهو قول الزمخشري[٢]، وإسماعيل حقي[٣]، والشربيني[٤]، والبيضاوي[٥]، والشوكاني[٦]، والألوسي[٧]، ومحمد الطاهر بن عاشور[٨]، ومحمد الأمين الشنقيطي[٩].

حُجَّتُهم:

قالوا بأنَّ الخطاب إنما هو لآدم وحواء، والمراد هما وذريتهما؛ لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم، جعلا كأنهما الإنس كلهم، والدليل عليه قوله: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[١٠] ويدل على ذلك قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١١] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[١٢]، وما هو الا حكم يعم الناس كلهم[١٣].

قال ابن القيم: (وقد ظن الزمخشري أنَّ قوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾[١٤] خطاب لآدم وحواء خاصة، وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما، قال: والدليل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال: ويدل على ذلك قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم، ومعنى

---

(١) التفسير القيم، لابن القيم: (١/٢٢٠).

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/١٥٧).

(٣) انظر: روح البيان، لإسماعيل حقي: (١/٨٦).

(٤) انظر: تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني: (١/٤٩).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي: (١/٢٩٧).

(٦) انظر: فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني: (١/١٠٨).

(٧) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، للألوسي: (١/٢٨٠).

(٨) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (١/٤٣٤).

(٩) انظر: أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن المختار الشنقيطي: (٢١/٢٣٧).

(١٠) طه:١٢٣

(١١) البقرة:٣٨

(١٢) البقرة:٣٩

(١٣) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/١٥٧). وتفسير النَّسَفِي: (١/٦٠).

(١٤) البقرة:٣٨

قوله: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضاً، وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية، فإنَّ العداوة التي ذكرها الله – تعالى- إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[1] وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان، واعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو، وأما آدم وزوجته فإنه إنما أخبر في كتابه أنَّه خلقها ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة، فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته، والعداوة بين الإنسان والشيطان وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس وهو ثلاثة فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشري شيئاً، وأما قوله تعالى في سورة طه: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ وهذا خطاب لآدم وحواء وقد جعل بعضهم لبعض عدو، فالضمير في قوله: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا﴾ أما أن يرجع إلى آدم وزوجته، أو إلى آدم وإبليس، و لم يذكر الزوجة؛ لأنها تبع له، وعلى هذا فلعداوة المذكورة للمتخاطبين بالاهباط، وهما آدم وإبليس، فالأمر ظاهر، وأما على الأول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين: أحدهما: أمره تعالى لا لآدم وزوجه بالهبوط والثاني إخباره بالعداوة بين آدم وزوجته وبين إبليس ولهذا أتى الضمير الجمع في الثاني دون الأول ولا بد أن يكون إبليس داخلا في حكم هذه العداوة قطعاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ﴾[2] وقال للذرية: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون التثنية)[3].

القول الراجح:

والقول الذي أرجَّحه هو القول الأول – وهو غير ما رجحه الإمام النَّسَفِي- أنَّ الخطاب في قوله: ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ﴾ لآدم وحواء وإبليس، وذلك لقوة الأدلة التي قيلت.

ورجَّح هذا ابن القيم حيث قال: (وأما الاهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع، وتارة بلفظ التثنية، وتارة بلفظ الأفراد، كقوله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾[4] وكذلك في سورة ص، وهذا لإبليس وحده، وحيث ورد بصيغة الجمع: فهو لآدم وزوجه وإبليس، إذ مدار القصة عليهم، وحيث ورد بلفظ التثنية: فإما أن يكون لآدم وزوجه، إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية، وإما أن يكون لآدم وإبليس،

---

(١) فاطر:٦

(٢) طه:١١٧

(٣) تفسير القرآن، لابن القيم: (١/٢٢١ – ٢٢٢).

(٤) الأعراف:١٣

إذ هما أبوا الثقلين وأصلا الذرية، فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما، وقد حكيت القولين في ذلك.

والذي يوضح أنَّ الضمير في قوله: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ لآدم وإبليس، أنَّ الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجه، فقال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾[1] وهذا يدل على أنَّ المخاطب بالاهباط هو آدم ومن زين له المعصية، ودخلت الزوجة تبعاً، فإنَّ المقصود إخبار الله تعالى للثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية، ومخالفة الأمر، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوي الإنس فقط، وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم، وأخبر أنَّه اهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة، فعلم أنَّ حكم الزوجة كذلك، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبي الأنس وأمهم فتأمله.

وبالجملة: فقوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ظاهر في الجمع، فلا يسوغ حمله على الاثنين في قوله: ﴿ٱهْبِطَا﴾ من غير موجب)[2].

(١) طه:١٢١-١٢٣

(٢) تفسير القرآن، لابن القيم: (١/٢٢٣ - ٢٢٤).

المسألة السادسة: في الشفاعة

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ﴾[١]

رَجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– أنَّ الآية تنفي شفاعة الكفار، وردَّ قول المعتزلة في نفي الشفاعة للعصاة، حيث قال: «وتشبث المعتزلة بالآية في نفي الشفاعة للعصاة **مردود**؛ لأن المنفي شفاعة الكفار، وقد قال – عليه الصلاة والسلام–: ((شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي مَنْ كَذَّبَ بِهَا لَمْ يَنَلْهَا))[٢]»[٣].

الدراسة والترجيح:

رَجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– أنَّ نفي الشفاعة المقصود بها في الآية إنَّما هي للكفار، وردَّ قول المعتزلة بقولهم: أنَّها في نفي شفاعة العصاة.

ولمزيدٍ من الإيضاح، نُبينها من خلال استعراض أقوالهم:

القول الأول: أنَّ الآية تنفي شفاعة الكفار، وهو قول أهل السنة والجماعة، وجمهور العلماء والمفسرين، منهم: الطبري[٤]، والثعلبي[٥]، والرازي[٦]، والبيضاوي[٧]، والقرطبي[٨]، وابن تيمية[٩]، وابن كثير[١٠]، وأبي حيان الأندلسي[١١]، وأبي الليث السمرقندي[١٢]، والألوسي[١٣]، وابن عاشور[١٤]، والشنقيطي[١٥]، وأبي بكر الجزائري[١٦]، وابن عثيمين[١٧].

---

(١) البقرة:٤٨

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير النَّسَفِي: (٨٧/١).

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري: (٣٣/٢).

(٥) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١٩٠/١).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥٢/٣ – ٥٣).

(٧) انظر: تفسير البيضاوي: (٣١٩/١).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣٧٨/١).

(٩) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١١٦/١).

(١٠) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٢٥٦/١).

(١١) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٣٤٩/١).

(١٢) انظر: بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي: (٧٧/١).

(١٣) انظر: روح المعاني، للألوسي: (٢٥٢/١).

(١٤) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٤٨٧/١).

(١٥) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي: (٤٨/٣).

(١٦) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري: (٥٢/١).

(١٧) تفسير القرآن، لابن عثيمين: (١٢١/٣).

والأدلة على ذلك من القرآن والسنة كثير، وسأكتفي بالاستشهاد ببعضها:

١- قوله سبحانه وتعالى حكاية عن عيسى - عليه السلام -: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[1]، وجه الاستدلال: أنَّ هذه الشفاعة من عيسى - عليه السلام - إما أنْ يقال إنها كانت في حق الكفار، أو في حق المسلم المطيع، أو في حق المسلم صاحب الصغيرة، أو المسلم صاحب الكبيرة بعد التوبة، أو المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة، والقسم الأول باطل؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لا يليق بالكفار، والقسم الثاني والثالث والرابع باطل؛ لأنَّ المسلم المطيع، والمسلم صاحب الصغيرة، والمسلم صاحب الكبيرة لا يجوز بعد التوبة تعذيبه عقلاً عند الخصم، وإذا كان كذلك لم يكن قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ لائقاً بهم، وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يقال إنَّ هذه الشفاعة إنما وردت في حق المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة، وإذا صح القول بهذه الشفاعة في حق عيسى - عليه السلام - صح القول بها في حق محمد - صلى الله عليه وسلم - ضرورة، لأنَّه لا قائل بالفرق[2].

٢- قوله تعالى حكاية عن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[3] فقوله: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يجوز حمله على الكافر؛ لأنَّه ليس أهلاً للمغفرة بالإجماع، ولا حمله على صاحب الصغيرة، ولا على صاحب الكبيرة بعد التوبة؛ لأنَّ غفرانه لهم واجب عقلاً عند الخصم فلا حاجة له إلى الشفاعة، فلم يبق إلا حمله على صاحب الكبيرة قبل التوبة، ومما يؤكد دلالة هاتين الآيتين على ما قلناه، ما روي في صحيح مسلم كتاب الإيمان أنَّه - عليه الصلاة والسلام- تَلاَ قَوْلَ اللَّهِ - عز وجل- فِى إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وَقَالَ عِيسَى - عليه السلام -: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ أُمَّتِى أُمَّتِى، وَبَكَى فَقَالَ اللَّهُ - عز وجل- يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِى أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ[4]))[5].

---

(١) المائدة:١١٨

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥٦/٣).

(٣) إبراهيم:٣٦

(٤) صحيح مسلم: (١٣٢/١)، كتاب الإيمان، باب: دُعَاءِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم- لأُمَّتِهِ وَبُكَائِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ، رقم الحديث (٥٢٠).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥٦/٣).

٣- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾(١)، فنقول: ليس في ظاهر الآية أنَّ المقصود من الآية أنَّ المجرمين لا يملكون الشفاعة لغيرهم، أو أنهم لا يملكون شفاعة غيرهم لهم؛ لأنَّ المصدر كما يجوز ويحسن إضافته إلى الفاعل، يجوز ويحسن إضافته إلى المفعول، إلا أنَّا نقول حمل الآية على الوجه الثاني أولى؛ لأنَّ حملها على الوجه الأول يجري مجرى إيضاح الواضحات، فإنَّ كل أحد يعلم أنَّ المجرمين الذين يساقون إلى جهنم ورداً لا يملكون الشفاعة لغيرهم، فتعين حملها على الوجه الثاني إذا ثبت هذا فنقول: الآية تدل على حصول الشفاعة لأهل الكبائر؛ لأنَّه قال عقيبه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ والتقدير: أنَّ المجرمين لا يستحقون أن يشفع لهم غيرهم إلا إذا كانوا اتخذوا عند الرحمن عهداً، فكل من اتخذ عند الرحمن عهداً وجب دخوله فيه، وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهداً وهو التوحيد والإسلام، فوجب أن يكون داخلاً تحته، أقصى ما في الباب أن يقال: واليهودي اتخذ عند الرحمن عهداً وهو الإيمان بالله فوجب دخوله تحته لكنا نقول ترك العمل به في حقه لضرورة الإجماع، فوجب أن يكون معمولاً به فيما وراءه(٢).

٤- قوله تعالى في صفة الملائكة: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾(٣) وجه الاستدلال به: أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله – تعالى-، وكل من كان مرتضى عند الله – تعالى- وجب أن يكون من أهل الشفاعة، إنما قلنا إن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله – تعالى-؛ لأنَّه مرتضى عند الله بحسب إيمانه وتوحيده، وكل من صدق عليه أنه مرتضى عند الله بحسب هذا الوصف يصدق عليه أنه مرتضى عند الله – تعالى-؛ لأن المرتضى عند الله جزء من مفهوم قولنا مرتضى عند الله بحسب إيمانه، ومتى صدق المركب، صدق المفرد، فثبت أنَّ صاحب الكبيرة مرتضى عند الله، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون من أهل الشفاعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ نفي الشفاعة إلا لمن كان مرتضى، والاستثناء عن النفي إثبات، فوجب أن يكون المرتضى أهلاً لشفاعتهم، وإذا ثبت أنَّ صاحب الكبيرة داخل في شفاعة الملائكة، وجب دخوله في شفاعة الأنبياء وشفاعة محمد - ﷺ- ضرورة أنَّه لا قائل بالفرق(٤).

---

(١) مريم:٨٥ – ٨٧

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي: (٥٦/٣). والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي: (٣٥/٣)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٣) الأنبياء:٢٨

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي: (٥٧/٣). والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي: (٦٨٩/٣)، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف – الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.والإيمان، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: (ص٦٦)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – عمان – الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م..

٥- قوله تعالى: في صفة الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[١]، خصهم بذلك فوجب أن يكون حال المسلم بخلافه، بناء على مسألة دليل الخطاب[٢].

٦- قوله تعالى لمحمد - ﷺ-: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٣] دلت الآية على أنه تعالى أمر محمداً بأن يستغفر لكل المؤمنين والمؤمنات، وقد بين الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[٤] أنَّ صاحب الكبيرة مؤمن، وإذا كان كذلك ثبت أنَّ محمداً - ﷺ- استغفر لهم، وإذا كان كذلك ثبت أنَّ الله — تعالى- قد غفر لهم، وإلا لكان الله — تعالى- قد أمره بالدعاء ليرد دعاءه، فيصير ذلك محض التحقير والايذاء، وهو غير لائق بالله — تعالى- ولا بمحمد - ﷺ- فدل على أنَّ الله - تعالى- لما أمر محمداً بالاستغفار لكل العصاة فقد استجاب دعاءه، وذلك إنما يتم لو غفر لهم، ولا معنى للشفاعة إلا هذا[٥].

٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[٦] فالله - تعالى- أمر الكل بأنهم إذا حياهم أحد بتحية، أن يقابلوا تلك التحية بأحسن منها، أو يردوها، ثم أمرنا بتحية محمد - ﷺ- حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[٧] الصلاة من الله رحمة، ولا شك أنَّ هذا تحية، فلما طلبنا من الله الرحمة لمحمد - ﷺ- وجب بمقتضى قوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ أن يفعل محمد مثله، وهو أن يطلب لكل المسلمين الرحمة من الله — تعالى- وهذا هو معنى الشفاعة، ثم توافقنا على أنه - ﷺ- غير مردود الدعاء، فوجب أن يقبل الله شفاعته في الكل، وهو المطلوب[٨].

٨- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[٩] وليس في الآية ذكر التوبة، والآية تدل على أنَّ الرسول متى

---

(١) المدَّثر:٤٨

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي: (٣/٥٧).

(٣) محمد:١٩

(٤) البقرة:٣

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٢/٥٧).

(٦) النساء:٨٦

(٧) الأحزاب:٥٦

(٨) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٢/٥٨).

(٩) النساء:٦٤

استغفر للعصاة والظالمين فإنَّ الله يغفر لهم، وهذا يدل على أنَّ شفاعة الرسول في حق أهل الكبائر مقبولة في الدنيا، فوجب أن تكون مقبولة في الآخرة؛ لأنَّه لا قائل بالفرق[1].

٩- قوله تعالى في صفة الملائكة: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2] وصاحب الكبيرة من جملة المؤمنين، فوجب دخوله في جملة من تستغفر الملائكة لهم، أقصى ما في الباب أنَّه ورد بعد ذلك قوله: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾[3]، إلا أنَّ هذا لا يقتضي تخصيص ذلك العام، لما ثبت في أصول الفقه أنَّ اللفظ العام إذا ذكر بعده بعض أقسامه، فإنَّ ذلك لا يوجب تخصيص ذلك العام بذلك الخاص.

١٠- الأخبار الدالة على حصول الشفاعة لأهل الكبائر ولنذكر منها ثلاثة أوجه:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قال: ((شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي))[4].

- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ-: ((لِكُلِّ نَبِىٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِىٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لأُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِىَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِى لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا))[5]، والاستدلال به أنَّ الحديث صريح في أنَّ شفاعته - ﷺ- تنال كل مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِهِ لا يشرك بالله شيئاً، وصاحب الكبيرة كذلك، فوجب أن تناله الشفاعة[6].

وعن أبي هريرة قال: أُتِىَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: ((أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِى وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَمَا لاَ

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥٨/٢).

(٢) غافر:٧

(٣) غافر:٧

(٤) سبق تخريجه.

(٥) صحيح البخاري: (٢٣٢٣/٥)، كتاب الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، رقم الحديث (٥٩٤٥). وصحيح مسلم: (١١١/١)، كتاب الإيمان، باب: اخْتِبَاءِ النَّبِىِّ -ﷺ- دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لأُمَّتِهِ، رقم الحديث (٥١٢).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٢٣/٢). والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لابن أبي الخير العمراني اليمني الشافعي: (٦٨٩/٣)، والاقتصاد في الاعتقاد، للمقدسي: عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (ص: ١٦٤)، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م. ولُمعة الاعتقاد، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي: (ص: ٣٣)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. والاعتقاد، لابن أبي يعلى: لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد: (ص: ٣٤)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا، فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ: أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، - ﷺ-، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا، فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى - عليه السلام- فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا، فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى - عليه السلام-: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى - عليه السلام-، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا، فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى - عليه السلام-: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، - وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ- فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى[(١)]))[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم: (١/١٢٧)، كتاب الإيمان، باب: أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، رقم الحديث (٥٠١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٢/٢٣). والاقتصاد في الاعتقاد، للمقدسي (ص: ١٦٤). ولُمعة الاعتقاد، لابن قدامة المقدسي: (ص: ٣٣). شرح الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي: (١/٢٨٦)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

القول الثاني: إنَّ الآية تنفي شفاعة العصاة– أهل الكبائر–، وهو قول المعتزلة[1].

وحجتهم:

١– استدلوا بالآيات التي تنفي الشفاعة، وهي:

– قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾[2]، وقد ردَّ العلماء قولهم بهذا.

قال ابن كثير: (وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ يعني من الكافرين، كما قال: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[3] وكما قال عن أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[4]، إلى أن قال ... فأخبر تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به، ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه، فإنه لا ينفعهم قرابة قريب، ولا شفاعة ذي جاه، ولا يقبل منهم فداء، ولو بملء الأرض ذهباً)[5].

وقال القرطبي: (مذهب أهل الحق أن الشفاعة حق، وأنكرها المعتزلة وخلدوا المؤمنين من المذنبين الذين دخلوا النار في العذاب، والأخبار متظاهرة بأن من كان من العصاة المذنبين الموحدين من أمم النبيين، هم الذين تنالهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين، وقد تمسك القاضي عليهم في الرد بشيئين:

أحدهما: الأخبار الكثيرة التي تواترت في المعنى.

والثاني: الإجماع من السلف على تلقي هذه الأخبار بالقبول.

ولم يبد من أحد منهم في عصر من الأعصار نكير، فظهور روايتها، وإطباقهم على صحتها، وقبولهم لها، دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق، وفساد دين المعتزلة)[6].

– وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[7]، وهذه الآية الكريمة نظير الآية السابقة.

---

(١) انظر: تفسير النَّسَفِي: (٨٧/١). ومفاتيح الغيب، للرازي: (٢٣/٢). والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لابن أبي الخير بن العمراني اليمني الشافعي: (٦٨٩/٣)، والاقتصاد في الاعتقاد، للمقدسي (ص: ١٦٤). ولُمعة الاعتقاد، لابن قدامة المقدسي: (ص: ٣٣). وشرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي: (٢٨٦/١)

(٢) البقرة:٤٨

(٣) المدَّثر:٤٨

(٤) الشعراء:١٠٠ – ١٠١

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٢٥٦/١).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣٧٩/١).

(٧) البقرة:١٢٣

- قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾[1]

قال الطبري: لا شافع لهم يشفع عند الله كما كان ذلك لهم في الدنيا، فقد كان بعضهم يشفع في الدنيا لبعض بالقرابة والجوار والخلة، وغير ذلك من الأسباب، فبطل ذلك كله يومئذ كما أخبر تعالى ذكره عن قيل أعدائه من أهل الجحيم في الآخرة إذا صاروا فيها ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾[2].

وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص.

وإنما معناه: من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله، لأنَّ أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض، وكان قتادة يقول في ذلك: قد علم الله أن ناساً يتحابون في الدنيا، ويشفع بعضهم لبعض، فأما يوم القيامة فلا خلة إلا خلة المتقين)[3].

- قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[4]

وقد احتج أكثر المنكرين للشفاعة بهذه الآية الكريمة، واحتجاجهم في غير موضعه؛ حيث أنَّ الحديث عن الكفار، كما هو سياق الآيات التي قبلها، فقد قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[5].

قال ابن كثير: (أي: من كان متصفا بمثل هذه الصفات فإنَّه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع؛ لأنَّ الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة، فإنه له النار لا محالة خالدا فيها)[6].

قال القرطبي: (هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين، وذلك أن قوماً من أهل التوحيد عذبوا بذنوبهم، ثم شفع فيهم، فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة، فأخرجوا من النار، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم)[7].

---

(١) البقرة:٢٥٤

(٢) الشعراء:١٠٠ - ١٠١

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣٨٣/٥ - ٣٨٤).

(٤) المدَّثر:٤٨

(٥) المدَّثر:٤٢ - ٤٨

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٢٧٣/٨).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٨٨/١٩).

- قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[1]

قال القرطبي: أي: (ما للكافرين من ولي يمنع من عذابهم ولا شفيع)[2].

- قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾[3]

- وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾[4]

قال الطبري: يقول جل ثناؤه: (ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويجاب فيما سأل؛ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)[5].

قال ابن كثير: (وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير)[6].

ومن خلال ما سبق: يتبين لنا أنَّ الآيات التي استدلت بها المعتزلة، كلها تؤكد عدم شفاعة الكافرين.

٢- استدلوا بأحاديث يقولون بأنها تدل على أنَّه لا توجد الشفاعة في حق أصحاب الكبائر، وهي أربعة أحاديث:

- عن أبي هريرة - ﷺ- أن رسول الله - ﷺ- دخل المقبرة فقال: ((السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنِّى قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِى، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِى بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِى خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟

---

(١) الأنعام: ٧٠

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١٤/٨٥).

(٣) السجدة: ٤

(٤) غافر: ١٨

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢١/٣٦٩).

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٧/١٣٧).

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَلَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ: أَلاَ هَلُمَّ أَلاَ هَلُمَّ أَلاَ هَلُمَّ ثَلاَثًا فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا، فَأَقُولُ: فَسُحْقًا فَسُحْقًا فَسُحْقًا))(١)، والاستدلال بهذا الخبر على نفي الشفاعة أنَّه لو كان شفيعاً لهم لم يكن يقول فسحقاً فسحقاً؛ لأنَّ الشفيع لا يقول ذلك، وكيف يجوز أن يكون شفيعاً لهم في الخلاص من العقاب الدائم وهو يمنعهم شربة ماء.

- عن جابر بن عبد الله – ﷺ– أن النبي – ﷺ– قال لكعب بن عجرة(٢) : ((يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ أُعِيذُكَ بِاللَّهِ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ قَالَ وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أُمَرَاءُ سَيَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِحَدِيثِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَمْ يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِحَدِيثِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ وَأُولَئِكَ يَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ))(٣).

والاستدلال بهذا الحديث من ثلاثة أوجه: أحدها: أنَّه إذا لم يكن من النبي، ولا النبي منه، فكيف يشفع له.

وثانيها: قوله – ﷺ-: ((وَلَمْ يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ)) دليل على نفي الشفاعة؛ لأنَّه إذا منع من الوصول إلى الرسول حتى لا يرد عليه الحوض، فبأن يمتنع الرسول من خلاصه من العقاب أولى.

وثالثها: أنَّ قوله – ﷺ-: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ النَّار)) صريح في أنَّه لا أثر للشفاعة في حق صاحب الكبيرة.

- عن أبي هريرة – ﷺ– قال: قال رسول الله – ﷺ-: ((لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِى أَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ لاَ أُلْفِيَنَّ يَجِيءُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى

---

(١) سنن النسائي: (٩٥/١)، كتاب الطهارة، باب: حلية الوضوء، رقم الحديث (١٤٣). وسنن البيهقي: (٨٢/١)، باب: إسباغ الوضوء، رقم الحديث (٣٩٢). وصحيح ابن حبان: (٣٢١/٣)، باب: فضل الوضوء، رقم الحديث (١٠٤٦). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) هو: كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن عوف البلوي، حليف الأنصار، صحابي، يكنى أبا محمد، وتأخر إسلامه ثم أسلم، وشهد المشاهد كلها، روى عنه ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وابن عباس، وغيرهم، وفيه نزلت: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ البقرة:١٩٦]، وسكن الكوفة، وتوفي بالمدينة سنة ٥١هـ. انظر: .الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: .(١٣٢١/٣). وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٥٠٧/٤ – ٥٠٨). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (٥٩٩/٥). والأعلام، للزركلي: (٢٢٧/٥).

(٣) مسند الإمام أحمد: (٣٩٩/٣)، باب: مسند جابر بن عبدالله – ﷺ– رقم الحديث (١٥٣١٩). وصحيح ابن حبان: (٩/٥)، باب: فضل الصلوات الخمس، رقم الحديث (١٧٢٣). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِى أَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ))[1] وهذا صريح في المطلوب؛ لأنَّه إذا لم يملك له من الله شيئاً، فليس له في الشفاعة نصيب.

- وعن أبي هريرة – رضي الله عنه –قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ رَجُلٌ أَعْطَى بِى ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوفِ أَجْرَهُ))[2]، والاستدلال به أنه – عليه الصلاة والسلام– لما كان خصيماً لهؤلاء استحال أن يكون شفيعاً لهم، فهذا مجموع وجوه المعتزلة[3].

قال الزمخشري: (فإن قلت: هل فيه دليل على أنَّ الشفاعة لا تقبل للعصاة؟ قلت: نعم؛ لأنَّه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع، فعلم أنها لا تقبل للعصاة، فإن قلت: الضمير في: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾[4] إلى، أي: النفسين يرجع، قلت: إلى الثانية العاصية غير المجزي عنها، وهي التي لا يؤخذ منها عدل، ومعنى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ لا يقبل منها شفاعة إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها، ويجوز أن يرجع إلى النفس الأولى، على أنه لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزئ عنها شيئاً ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها)[5].

قال الإمام الفخر الرازي: (والجواب على جميع أدلة المعتزلة بحرف واحد، وهو أن أدلتهم على نفي الشفاعة تفيد نفي جميع أقسام الشفاعات، وأدلتنا على إثبات الشفاعة تفيد إثبات شفاعة خاصة، والعام والخاص إذا تعارضا قدم الخاص على العام، فكانت دلائلنا مقدمة على دلائلهم)[6].

والذي يترَجَّح والذي لا شك فيه، هو القول الأول، قول أهل السنة والجماعة، وهو ما رَجَّحَه الإمام النَّسَفِي، وذلك من وجوه:

- لما ذكروا من الأدلة الصحيحة الصريحة التي لا تدع مجالاً للشك.
- ولأنَّ الأدلة التي استدلت بها المعتزلة، من الآيات والأحاديث كلها خاصة بعدم الشفاعة للكافرين، ولا يفهم منها البتة عدم الشفاعة لأصحاب الكبائر.

---

(١) صحيح البخاري: (١١١٨/٣)، كتاب الجهاد والسير، باب: الغلول، رقم الحديث (٢٩٠٨). وصحيح مسلم: (١٠/٦)، كتاب الإمارة، باب: غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، رقم الحديث (٤٨٣٩).

(٢) صحيح البخاري: (٧٧٥/٢)، كتاب البيوع، باب: إثم من باع حراً، رقم الحديث (٢١١٤).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥٥/٣).

(٤) البقرة:٤٨

(٥) الكشاف، للزمخشري: (١٦٥/١).

(٦) مفاتيح الغيب، للرازي: (٦١/٣).

- وورود أحاديث صحيحة صريحة لا تكاد تحصر تدل على الشفاعة، وسأذكر بعضها من غير ما ذُكر، ما يؤكد ما رجَّحناه، ولمزيدٍ من الإيضاح والبيان، منها:

- عن أبي هُرَيْرَةَ- ﷺ- قَالَ: قال رسول الله - ﷺ-:((أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خالِصَاً مِنْ قَلْبه أو نَفْسهِ))(1).

- وعن أبي هُرَيْرَةَ- ﷺ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ))(2).

- عن جابر بن عبدالله - ﷺ- قال: قال رسول الله - ﷺ-: ((إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ))(3).

وكذلك الأحاديث الدالة على أنَّ الشهيد يشفع لسبعين من أهل بيته، وأنَّ الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما.

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: ((يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِى سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ))(4).

ورجَّح هذا النووي(5) فقال: (مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا، ووجوبها سمعا، بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾(6) وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ

---

(1) صحيح البخاري: (49/1)، كتاب العلم، باب: الحرص على الحديث، رقم الحديث (99). و (2402/5)، كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، رقم الحديث (6201).

(2) صحيح مسلم: (59/7)، كتاب الفضائل، باب: تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا - ﷺ- عَلَى جَمِيعِ الْخَلاَئِقِ، رقم الحديث (6079).

(3) صحيح البخاري: (2399/5)، كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، رقم الحديث (6190). وصحيح مسلم: (122/1)، كتاب الإيمان، باب: أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، رقم الحديث (491). واللفظ لمسلم.

(4) سنن أبي داوود في سننه: (322/2)، كتاب الجهاد، باب: فِي الشَّهِيدِ يُشَفَّعُ، رقم الحديث (2524). وسنن الترمذي: (187/4)، كتاب فضائل الجهاد، باب: في ثواب الشهيد، رقم الحديث (1663). وصححه الألباني في: صحيح أبي داوود: (281/7)، باب: الشهيد يشفع، رقم الحديث (7722).

(5) هو: الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي، ولد في المحرم سنة 631هـ، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته، وقدم دمشق سنة 649هـ، وحج مرتين، توفي في رابع عشر رجب سنة 676هـ، وصنف التصانيف النافعة في الحديث، والفقه، منها: (المنهاج في شرح صحيح مسلم) و (تهذيب الأسماء واللغات) و (منهاج الطالبين) و (تصحيح التنبيه) في فقه الشافعية، و(التقريب والتيسير) في مصطلح الحديث، و (خلاصة الأحكام من مهمات السنن وقواعد الإسلام) و (رياض الصالحين) و (بستان العارفين) (روضة الطالبين) فقه، و(التبيان في آداب حملة القرآن) و (المقاصد) رسالة في التوحيد، و (مختصر طبقات الشافعية لابن الصلاح) و (مناقب الشافعي) و(الأربعون حديثا النووية). انظر: المعين في طبقات المحدثين، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: (ص70)، تحقيق: د.همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان - عمان – الأردن، الطبعة الأولى، 1404هـ. وتذكرة الحفاظ، للذهبي: (174/4). وشذرات الذهب، لابن العماد: (353/5). وطبقات الحفاظ، للسيوطي: (106/1).

(6) طه:109

ٱرۡتَضَىٰ ﴾[1] وأمثالهما، وبخبر الصادق - ﷺ- وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[2]، وبقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾[3]، وهذه الآيات في الكفار وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات، فباطل وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم، واخراج من استوجب النار، لكن الشفاعة خمسة أقسام: أولها: مختصة بنبينا - ﷺ- وهي الاراحة من هول الموقف، وتعجيل الحساب، الثانية: في ادخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه وردت أيضا لنبينا - ﷺ- وقد ذكرها مسلم - رحمه الله-، الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا - ﷺ- ومن شاء الله — تعالى-، الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين، فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا - ﷺ- والملائكة واخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله — تعالى- كل من قال لا إله الا الله، كما جاء في الحديث، لا يبقى فيها إلا الكافرون، الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وهذه لا ينكرها المعتزلة، ولا ينكرون — أيضاً- شفاعة الحشر الأول)[4].

- ورجَّح هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَمَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: إثْبَاتُ الشَّفَاعَةِ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانٍ)[5].

---

(١) الأنبياء:٢٨

(٢) المدَّثر:٤٨

(٣) غافر:١٨

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي: (٣/٣٥ - ٣٦).

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١/١١٦).

المسألة السابعة: المراد من قوله: (كان الناس أمة واحدة)

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾(1) رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ المراد من قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح- عليهما السلام-، حيث قال: «﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح – عليهما السلام-، أو: هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ويدل على حذفه قوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ وقراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾(2) أو كان الناس أمة واحدة كفاراً فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم **والأول الأوجه**»(3).

الدراسة والترجيح:

اختلف المفسرون حول تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، وذهبوا إلى ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول: قال بعضهم: أنَّ معناها: متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح – عليهما السلام-، وذهب إلى هذا القول: ابن عباس، وقتادة، وعكرمة، وحكى هذا القول الطبري فقال: (قال بعضهم: هم الذين كانوا بين آدم ونوح، وهم عشرة قرون، كلهم كانوا على شريعة من الحق، فاختلفوا بعد ذلك.

ذكر من قال ذلك: عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله "كان الناس أمةً واحدةً فاختلفوا"(4).

وعن قتادة في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، قال: كانوا على الهدى جميعًا، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فكان أوَّلَ نبي بُعث نوحٌ)(5).

---

(1) البقرة:٢١٣

(2) يونس:١٩

(3) تفسير النَّسَفِي: (١/١٧٧).

(4) المستدرك على الصحيحين للحاكم: (٢/٥٩٦)، رقم الحديث (٤٠٠٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٤/٢٧٥ – ٢٧٦).

والذي يظهر للباحث من هذا القول: أنَّ "الأمة" عندهم بمعنى: الدين، والآية على معنى قول هؤلاء: كان الناس أمَّة مجتمعة على ملة واحدة ودين واحد فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

القول الثاني: وقال آخرون: معنى ذلك كان الناس أمة واحدة على دين واحد يوم استخرَج ذرية آدمَ من صلبه، فعرضهم على آدم، وإلى هذا القول ذهب أبي العالية وأُبيّ بن كعب.

ذَكَرَ هذا: عن أبي العالية، عن أُبيّ بن كعب، قال: كانوا أمة واحدة حيث عُرضوا على آدم، ففطَرهم يومئذ على الإسلام، وأقرُّوا له بالعبودية، وكانوا أمة واحدة مسلمين كلهم، ثم اختلفوا من بعد آدم، فكان أبيّ يقرأ: "كان الناسُ أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين" إلى "فيما اختلفوا فيه". وإن الله إنما بعث الرسل وأنزل الكتب عند الاختلاف(١).

ويتضح للباحث مما سبق: أنَّ هذا القول مقارب للقول الأول الذي قاله ابن عباس، إنَّ الناس كانوا على دين واحد، وهو الإسلام، إلا أنَّ الوقت الذي كان فيه الناس أمة واحدة، مخالفٌ الوقتَ الذي وقَّته ابن عباس.

القول الثالث: وقال بعضهم: بل تأويل ذلك كان آدم على الحقّ إمامًا لذريته، فبعث الله النبيين في ولده، ووجهوا معنى "الأمة" إلى طاعة الله، والدعاء إلى توحيده واتباع أمره، من قول الله – ﷻ-: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾(٢)، يعني بقوله "أمة"، إمامًا في الخير يُقتدى به، ويُتَّبع عليه، وذهب إلى هذا القول مجاهد، فقد قال: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، قال: آدم(٣).

وكأنَّ من قال هذا القول، استجاز بتسمية الواحد باسم الجماعة لاجتماع أخلاق الخير الذي يكون في الجماعة المفرَّقة فيمن سماه بـــ "الأمة"، كما يقال: "فلان أمة وحده"، يقول مقام الأمة.

وقد يجوز أنْ يكون سماه بذلك؛ لأنَّه سبب لاجتماع الأسباب من الناس على ما دعاهم إليه من أخلاق الخير، فلما كان آدم – عليه السلام– سببًا لاجتماع من اجتمع على دينه من ولده إلى حال اختلافهم سماه بذلك "أمة"(٤).

القول الرابع: وقال آخرون بخلاف ذلك كله في ذلك، وقالوا: إنما معنى قوله: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، على دين واحد، فبعث الله النبيين، وهذا قول لابن عباس، والسَّدي(٥).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٧٦/٤ – ٢٧٧).

(٢) النحل: ١٢٠

(٣) انظر: تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج: (١٠٤/١)، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، الناشر: المنشورات العلمية – بيروت. وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٧٦/٤ – ٢٧٧).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٧٦/٤ – ٢٧٧).

(٥) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

ذكر من قال ذلك: عن ابن عباس قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، يقول: كان دينًا واحدًا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[١].

القول الخامس: إنَّ معناها: هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وذهب إلى هذا القول: الكلبي، والواقدي، وغيرهم[٢].

القول السادس: إنَّ معناها: كان الناس أمة واحدة كفاراً فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم[٣].

والذي يترجح للباحث: هو القول الرابع، وقريب إلى القولين الأول والثاني، إذ هما متفقين على أنَّ معنى قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، على دين واحد، وهو دين الإسلام، فاختلفوا فبعث الله النبيين، ويؤيد هذا القول قراءة أبيّ وابن مسعود حيث قرأ: (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين)[٤]، والله سبحانه لم يبعث الرسل ولم ينزل الكتب إلا عند الاختلاف، إلا أنَّ القول الأول والثاني حَدَّدوه بوقت وزمن، والقول الرابع غير محدد، فظهر لنا ترجيحه، إذ أنَّ ظاهر الآية يدلُّ على ذلك.

وهو ما رجَّحه الطبري حيث قال: (وأولى التأويلات في هذه الآية بالصواب أنْ يقال: إنَّ الله - ﷻ- أخبر عباده أنَّ الناس كانوا أمة واحدة على دين واحد وملة واحدة، كما: عن السَّدي: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، يقول: دينًا واحدًا على دين آدم، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

وكان الدينُ الذي كانوا عليه دينَ الحق، كما قال أبي بن كعب، وعن السدي، قال: هي في قراءة ابن مسعود: "اختلفوا عنه" عن الإسلام.

وقد يجوز أن يكون ذلك الوقت الذي كانوا فيه أمة واحدة من عهد آدم إلى عهد نوح عليهما السلام، كما روي عكرمة، عن ابن عباس، وكما قاله قتادة.

وجائزٌ أنْ يكون كان ذلك حين عَرض على آدم خلقه، وجائزٌ أنْ يكون كان ذلك في وقت غير ذلك- ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة على أيِّ هذه الأوقات كان ذلك، فغيرُ جائز أنْ نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل: من أنَّ الناس كانوا أمة واحدة، فبعث الله فيهم لما اختلفوا الأنبياءَ والرسل، ولا يضرُّنا الجهل بوقت ذلك، كما لا ينفعُنَا العلمُ به، إذا لم يكن العلم به لله طاعةً)[٥].

---

(١) المعجم الكبير، للطبراني: (٣٠٩/١١). رقم الحديث (١١٨٥٧). ومسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي: (٤٧٣/٤)، رقم الحديث (٢٦٠٦)، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م. قال المحقق حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(٢) انظر: تفسير النَّسفي: (١٧٧/١).

(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري: (٢٨٣/١). وتفسير النَّسفي: (١٧٧/١).

(٤) انظر: شواذ القراءات، للكرماني: (ص٨٩).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٧٨/٤ – ٢٨٠).

المبحث الثاني

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العبادات

المطلب الأول: ترجيحه في الصلاة.

المسألة الأولى: في الصلاة الوسطى

المسألة الثانية: مفهوم البر

المطلب الثاني: ترجيحه في الحج وأحكام القتال في المسجد الحرام.

المسألة الأولى: في الإحصار

المسألة الثانية: الهدي على المتمتع

المسألة الثالثة: في انعقاد الإحرام

المسألة الرابعة: في تسمية عرفات

المسألة الخامسة: في المراد بِالطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ

المسألة السادسة: حكم القتال عند المسجد الحرام

المبحث الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العبادات

المطلب الأول: ترجيحه في الصلاة.

مسألة: في الصلاة الوسطى

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[1]، رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، حيث قال: «﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بين الصلوات، أي: الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط، وإنَّما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل، وهي صلاة العصر عند أبي حنيفة – رحمه الله- **وعليه الجمهور**؛ لقوله – ﷺ- يوم الأحزاب: ((شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى صَلاَةُ الْعَصْرِ مَلأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ نَارًا))[2]، وقال – ﷺ-: ((إنَّها الصلاة التي شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب))[3] وفي مصحف حفصة: والصلاة الوسطى صلاة العصر؛ ولأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار، وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم.

وقيل: صلاة الظهر لأنَّها في وسط النهار، أو صلاة الفجر لأنَّها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل، أو صلاة المغرب لأنَّها بين الأربع والمثنى، ولأنَّها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر، أو صلاة العشاء لأنَّها بين وترين، أو هي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل»[4].

الدراسة والترجيح: ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي الأقوال التي قيلت في تحديد صلاة العصر، وهي:

القول الأول: إنَّ الصلاة الوسطى صلاة العصر، وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عمر[5]،

---

(١) البقرة:٢٣٨

(٢) صحيح البخاري: (٢٣٤٩/٥)، كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين، رقم الحديث (٦٠٣٣). وصحيح مسلم: (١١٢/٢)، كتاب المساجد، باب: الدَّلِيلِ لِمَنْ قَالَ الصَّلاَةُ الْوُسْطَى هِيَ صَلاَةُ الْعَصْرِ، رقم الحديث (١٤٥٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (٢٤٥/٢)، كتاب الصلاة، باب: في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ رقم الحديث (٨٦١٢).

(٤) تفسير النَّسَفِي: (١٩٩/١ – ٢٠٠).

(٥) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما-، ابن نُفَيل بن عبدالعُزَّى، القرشي العدوي؛ أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعُرِض على رسول الله – ﷺ- يوم أحد فرده لصغر سنه، فعُرِض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعِلْم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله – ﷺ-، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما تأخذ به نفسه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله – ﷺ-، ثم كان بعد موته مولعاً بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات، توفى بمكة سنة ٧٣هـ، وهو ابن ٨٤ سنة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: (٩٥٠/٣)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: (٢٨/٣). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢٠٣/٣).

وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وهو اختيار أبي حنيفة وأصحابه[1]، والشافعي في الصحيح[2]، وأحمد بن حنبل[3]، وأكثر أهل الأثر، وإليه ذهب عبدالملك بن حبيب من المالكية[4]، وابن تيمية[5]، ورجَّحه القرطبي[6]، وابن عطية[7]، والشوكاني[8]، وسيد قطب[9]، وابن عثيمين[10].

قال الشوكاني: (وقد اختلف أهل العلم في تعيينها على ثمانية عشر قولاً أوردها في شرحي للمنتقى وذكرت ما تمسكت به كل طائفة، وأَرْجَحِ الأقوال وأصحها ما ذهب إليه الجمهور من أنها العصر لما ثبت عند البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم من حديث علي قال: ((كنا نراها الفجر حتى سمعت رسول الله - ﷺ- يقول يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وأجوافهم ناراً[11]))[12].

وقال سيد قطب: (أما الصلاة الوسطى فالأرجح من مجموع الروايات أنها صلاة العصر لقوله - ﷺ- يوم الأحزاب: ((شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً))، وتخصيصها بالذكر ربما لأنَّ وقتها يجيء بعد نومة القيلولة، وقد تفوت المصلي)[13].

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين، المسماه: رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، لابن عابدين: (٣٦١/١)، دار الفكر – بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: الحاوي في فقه الشافعي، لأبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي: (٨/٢)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير: (٣٧١/١)، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٣) انظر: المغني، لابن قدامة: (٤٢١/١).

(٤) عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الالبيري القرطبي، أبو مروان: عالم الأندلس وفقيهها في عصره، أصله من طليطلة، من بني سليم، أو من مواليهم، ولد في إلبيرة سنة ١٧٤هـ، وسكن قرطبة، وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة ٢٣٨هـ، كان عالماً بالتاريخ والأدب، رأساً في فقه المالكية، له تصانيف كثيرة، قيل: تزيد على ألف، منها: "حروب الإسلام" و "طبقات الفقهاء والتابعين" و "طبقات المحدثين" و "تفسير موطأ مالك". ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: (٢٥١/١). والأعلام، للزركلي: (١٥٧/٤).

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (١٠٦/٢٣).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢١٠/٣).

(٧) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (٣١٥/١).

(٨) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (٣٨٧/١).

(٩) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٤٠/١).

(١٠) انظر: تفسير القرآن، لابن عثيمين: (١٤١/٥).

(١١) سبق تخريجه.

(١٢) فتح القدير، للشوكاني: (٣٨٧/١).

(١٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٢٤٠/١).

القول الثاني: إنَّها صلاة الظهر، وهذا قول زيد بن ثابت[1]، لما روي عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ – ﷺ- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ- يُصَلِّى الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّى صَلاَةً أَشَدَّ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ- مِنْهَا فَنَزَلَتْ ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾وَقَالَ: ((إِنَّ قَبْلَهَا صَلاَتَيْنِ وَبَعْدَهَا صَلاَتَيْنِ[2]))[3].

وأَمَّا مَنْ قَالَ: إنَّهَا الظُّهْرُ، فَلِأَنَّهَا أَوَّلُ صَلَاةٍ فُرِضَتْ[4].

القول الثالث: إنَّها صلاة الفجر، وهذا قول عمر وابنه عبدالله بن عمر، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس،

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة: صحابي، من أكابرهم، كان كاتب الوحي، ولد في المدينة سنة ١١ق هـــ، ونشأ بمكة، وقُتِلَ أبوه وهو ابن ست سنين، وهاجر مع النبي – ﷺ- وهو ابن ١١ سنة، وتعلم وتفقه في الدين، فكان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا سافر، وكان ابن عباس – على جلالة قدره وسعة علمه – يأتيه إلى بيته للأخذ عنه، ويقول: العلم يُؤْتَى ولا يَأْتِي، وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي – ﷺ- من الأنصار، وعرضه عليه، وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر، ثم لعثمان حين جهز المصاحف إلى الأمصار، توفي سنة ٤٥هـــ، له في كتب الحديث (٩٢) حديثاً. انظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: (١/١٦٠). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (٢/٥٩٢). والأعلام، للزركلي: (٣/٥٧).

(٢) سنن أبي داوود: (١/١٥٩)، كتاب الصلاة، باب: فِي وَقْتِ صَلاَةِ الْعَصْرِ، رقم الحديث (٤١١). وصححه الألباني في: صحيح أبي داوود: (٢/٢٨٠)، باب: وقت العصر، رقم الحديث (٤٣٩). وسنن النسائي: (١/١٥٢)، كتاب الصلاة الأول، باب: تأويل قوله جل ثناؤه ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وذكر الاختلاف في الصلاة الوسطى، رقم الحديث (٣٥٧). ومسند الإمام أحمد: (٥/١٨٣)، رقم الحديث (٢١٦٣٥).

(٣) انظر: المغني، لابن قدامة: (١/٤٢١). وأحكام القرآن، للجصاص: (٢/١٥٥). وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٥/٢٠٦). والنكت والعيون، للماوردي: (١/٣٠٩). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣/٢٠٩). وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٦٤٧). تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن: (١/٢٤٥).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٥/٢٠٦). وأحكام القرآن، لابن العربي: (١/٤٤٨). والنكت والعيون، للماوردي: (١/٣٠٩). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣/٢٠٩). وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٦٤٧). تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن: (١/٢٤٥).

وعائشة[1] وحفصة[2]، وجابر بن عبدالله[3]، وعكرمة[4]، وسعيد بن جبير، ومذهب مالك[5]، والشافعي في أحد قوليه، ورجَّحه محمد الطاهر بن عاشور[6].

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: (وأصح ما في هذا الخلاف: ما جاء من جهة الأثر وذلك قولان:

أحدهما: أنها الصبح، هذا قول جمهور فقهاء المدينة، وهو قول عمر وابنه عبد الله، وعلي، وابن عباس، وعائشة، وحفصة، وجابر بن عبد الله، وبه قال مالك، وهو عن الشافعي أيضاً، لأنَّ الشائع عندهم أنها الصبح، وهم أعلم الناس بما يروى عن رسول الله - ﷺ- من قول أو فعل أو قرينة حال.

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش: أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب، ولدت سنة ٩ق هـــ، كانت تكنى بأم عبد الله، تزوجها النبي - ﷺ- في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه، ولها خطب ومواقف، وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعراً، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم، وكان (مسروق) إذا روى عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق، روي عنها (٢٢١٠) أحاديث، وتوفيت في المدينة سنة ٥٨هـــ. انظر: حلية الأولياء، للأصفهاني: (٤٤/٢). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (١٦/٨). والأعلام، للزركلي: (٢٤٠/٣).

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب: صحابية جليلة صالحة، من أزواج النبي - ﷺ- ولدت بمكة سنة١٨ق هـــ، وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي، فكانت عنده إلى أن ظهر الاسلام، فأسلما، وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها، فخطبها رسول الله - ﷺ- من أبيها، فزوجه إياها، سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة، واستمرت في المدينة بعد وفاة النبي - ﷺ- إلى أن توفيت بها، روى لها البخاري ومسلم في الصحيحين (٦٠) حديثاً. انظر: حلية الأولياء: للأصفهاني: (٥٠/٢). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (٥٨١/٧). والأعلام، للزركلي: (٢٦٤/٢).

(٣) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري السُّلمي - ﷺ- صحابي غزا مع الرسول - ﷺ- تسع عشرة غزوة، وكان من أهل بيعة الرضوان، ولد سنة ١٦ق هـــ، وذهب بصره في آخر عمره، توفي سنة ٧٣هـــ. انظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: (٦٥/١). وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٣٧/٢). والإيثار بمعرفة رواة الآثار، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني: (ص٥٢)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٣هـــ.

(٤) عكرمة مولى ابن عباس، العلَّامة، الحافظ، المُفَسِّر، أبو عبد الله الهاشمي، مولاهم، المدني، البربري الأصل، سمع ابن عباس وابا سعيد وعائشة روى عنه جابر بن زيد وعمرو بن دينار، قال أبو نعيم: مات سنة سبع ومائة، قال ابن عيينة: عكرمة مولى ابن عباس أعلم الناس. انظر: التاريخ الكبير، للبخاري: (٤٩/٧). وحلية الأولياء، للأصفهاني:(٣٢٦/٣). وصفة الصفوة، لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج: (١٠٤/٢)،تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م. وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٢/٥).

(٥) انظر: موطأ الإمام مالك، لمالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي: (١٣٩/١)، كتاب صلاة الجماعة، باب: الصلاة الوسطى، رقم الحديث (٣١٦). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – مصر. والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر: (٢٨٤/٤). ولاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي: (١٨٩/٢)، تحقيق: سالم محمد عطا - محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٠م.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٤٦٨/٢).

القول الثاني: إنَّها العصر، وهذا قول جمهور من أهل الحديث، وهو قول عبد الله بن مسعود، وروي عن علي أيضاً، وهو الأصح عن ابن عباس أيضاً، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، ونسب إلى عائشة، وحفصة، والحسن، وبه قال أبو حنيفة، والشافعي في رواية، ومال إليه ابن حبيب من المالكية، وحجتهم ما روي أن النبي - ﷺ- قال يومَ الخندق حين نسي أن يصلي العصر من شدة الشغل في حفر الخندق، حتى غربت الشمس فقال : (شغلونا أي المشركون عن الصلاة الوسطى، أضرم الله قبورهم ناراً).

والأصح من هذين القولين: أولهما؛ لما في (الموطأ)(١) و (الصحيحين)(٢) أنَّ عائشة وحفصة أمَرَتا كاتبي مصحفيهما أنْ يكتبا قوله تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) وأسندت عائشة ذلك إلى رسول الله - ﷺ- و لم تسنده حفصة، فإذا بطل أنْ تكون الوسطى هي العصر، بحكم عطفها على الوسطى تعين كونها الصبح، هذا من جهة الأثر.

وأما من جهة مسالك الأدلة المتقدمة، فأفضلية الصبح ثابتة بالقرآن، قال تعالى مخصصاً لها بالذكر: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(٣) وفي الصحيح أنَّ ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون عند صلاة الصبح، وتوسطها بالمعنى الحقيقي ظاهر، لأنَّ وقتها بين الليل والنهار، فالظهر والعصر نهاريتان، والمغرب والعشاء ليليتان، والصبح وقت متردد بين الوقتين، حتى إنَّ الشرع عامل نافلته معاملة نوافل النهار فشرع فيها الإسرار، وفريضته معاملة فرائض الليل فشرع فيها الجهر.

ومن جهة الوصاية بالمحافظة عليها، هي أجدر الصلوات بذلك لأنها الصلاة التي تكثر المثبطات عنها، باختلاف الأقاليم والعصور والأمم، بخلاف غيرها فقد تشق إحدى الصلوات الأخرى على طائفة دون أخرى، بحسب الأحوال والأقاليم والفصول، ومن الناس من ذهب إلى أن الصلاة الوسطى قصد إخفاؤها ليحافظ الناس على جميع الصلوات، وهذا قول باطل؛ لأنَّ الله – تعالى- عرَّفها باللام ووصفها فكيف يكون مجموع هذين المعرفين غير مفهوم وأما قياس ذلك على ساعة الجمعة وليلة القدر ففاسد، لأنَّ كليهما قد ذكر بطريق الإبهام وصحت الآثار بأنها غير معينة(٤).

---

(١) موطأ الإمام مالك، للإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، رواية محمد بن الحسن: (٥١٢/٣)، باب التفسير، رقم الحديث (٩٩٩)، تحقيق: د. تقي الدين الندوي، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩١م.

(٢) صحيح مسلم: (١١٢/٢)، كتاب المساجد، باب: الدَّلِيلِ لِمَنْ قَالَ الصَّلاَةُ الْوُسْطَى هِيَ صَلاَةُ الْعَصْرِ، رقم الحديث (١٤٥٩).

(٣) الإسراء:٧٨

(٤) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٤٦٨/٢-٤٦٩).

القول الرابع: إنَّها صلاة المغرب، وهو قول قبيصة بن ذؤيب[(١)]، والحجة لهم أنها متوسطة في عدد الركعات ليست بأقلها ولا أكثرها ولا تقصر في السفر، وإن رسول الله - ﷺ- لم يؤخرها عن وقتها و لم يعجلها ، وبعدها صلاتا جهر وقبلها صلاتا سر، وروي من حديث عائشة - رضي الله عتها-: عن النبي - ﷺ- قال: ((إنَّ أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب[(٢)]))[(٣)].

القول الخامس: إنَّها صلاة العشاء، لأنها بين صلاتين لا تقصران، وتجيء في وقت نوم، ويستحب تأخيرها، وذلك شاق فوقع التأكيد في المحافظة عليها.

القول السادس: إنَّها صلاة الجمعة، لأنها خصت بالجمع لها والخطبة فيها وجعلت عيداً، ذكره ابن حبيب، ومكي[(٤)].

القول السابع: إنَّها غير معينة كليلة القدر، وهذا قول ابن العربي[(٥)].

قال ابن العربي: (وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إنَّهَا غَيْرُ مُعَيَّنَةٍ، فَلِتَعَارُضِ الْأَدِلَّةِ وَعَدَمِ التَّرْجِيحِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَبَّأَهَا فِي الصَّلَوَاتِ كَمَا خَبَّأَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ، وَخَبَّأَ السَّاعَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَخَبَّأَ الْكَبَائِرَ فِي السَّيِّئَاتِ؛ لِيُحَافِظَ الْخَلْقُ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَيَقُومُوا جَمِيعَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَيَلْزَمُوا الذِّكْرَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ كُلِّهِ، وَيَجْتَنِبُوا جَمِيعَ الْكَبَائِرِ وَالسَّيِّئَاتِ)[(٦)].

---

(١) قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي: صحابي، من الفقهاء الوجوه، ولد في أول سنة من الهجرة وقيل: ولد عام الفتح يكنى أبا إسحاق، وكان على خاتم عبد الملك بن مروان بالشام، وتوفي بدمشق سنة ٨٦هـ. انظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: (٣٩٣/١). وتذكرة الحفاظ، للذهبي: (٤٨/١). والأعلام، للزركلي: (١٨٩/٥).

(٢) المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: (٢٩٣/٦)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد - عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢١٠/٣).

(٤) مكي بن إبراهيم بن بشير التميمي البلخي، أبو السكن، ثقة ثبت، مات في شعبان سنة ٢١٥هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي: (٢٦٨/١). وتقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني: (٢١١/٢)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار المكتبة العلمية - بيروت - لبنان. و(٥٤٥/١)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٥) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي: (٤٤٩/١).

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة: (٤٤٩/١).

والذي يترجَّح لدى الباحث هو القول الأول وذلك لورود الحديث الصحيح الصريح عند الشيخين، وهو نصٌ في محل التزاع، ولم أرى ــ فيما يظهر لي ــ مع أصحاب الأقوال الأخرى دليلٌ صريح على قولهم. والله أعلم بالصواب.

وهذا القول الذي أرجحه — وهو أنَّ الصلاة الوسطى صلاة العصر - هو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي، وهو قول جمهور العلماء من السلف والخلف.

وهو ما رجَّحَه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: (فَقَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ-: أَنَّ الصَّلَاةَ الْوُسْطَى هِيَ الْعَصْرُ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَشُكُّ فِيهِ مَنْ عَرَفَ الْأَحَادِيثَ الْمَأْثُورَةَ، وَلِهَذَا اتَّفَقَ عَلَى ذَلِكَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ وَغَيْرُهُمْ، وَإِنْ كَانَ لِلصَّحَابَةِ وَالْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مَقَالَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فَإِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا بِحَسَبِ اجْتِهَادِهِمْ)(1).

وقد رجَّحه - أيضاً- ابن عثيمين فقال: (﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ أي: الفضلى؛ وهي صلاة العصر، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله - ﷺ-؛ ولا عبرة بما خالفه؛ لأنَّ النبي - ﷺ- أعلم الناس بمراد الله؛ وقد قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(2))(3).

(1) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٢٣/١٠٦).

(2) النحل:٤٤

(3) تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٥/١٤١).

المسألة الثانية: مفهوم البر

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[١]

رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الخطاب لأهل الكتاب، وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّل رسول اللّه – ﷺ- إلى الكعبة، وزعم كل واحد من الفريقين أنَّ البرّ التوجه إلى قبلته، فردّ عليهم، بأنَّه ليس البرّ فيما أنتم عليه، فإنَّه منسوخ خارج من البرّ، ولكن البرّ ما نبينه، حيث قال: «﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟﴾[٢] أي: ليس البر توليتكم ﴿وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[٣] والخطاب لأهل الكتاب؛ لأنَّ قبلة النصارى مشرق بيت المقدس، وقبلة اليهود مغربه، وكل واحد من الفريقين يزعم أنَّ البر التوجه إلى قبلته، فرد عليهم بأنَّ البر ليس فيما أنتم عليه، فإنَّه منسوخ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾[٤] بر ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[٥] أو: ذا البر من آمن، والقولان على حذف المضاف، **والأول أجود**، والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي.

وقيل: كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل: ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة، ولكن البر الذي يجب الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الأعمال»[٦].

الدراسة والترجيح:

يوافق الإمام النَّسَفِي رأي الإمام الطبري حول معنى (البر) في الآية، فقد ذكر الطبري أنَّ البر ليس مجرد الصلاة وحدها؛ بل هي الخصال التي بينها الله في الآية جميعاً، وأنَّ اليهود والنصارى لما اختلفوا وتكلموا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الذي هو قبلة اليهود، وعن المشرق الذي هو قبلة النصارى، وفضل كل فريق منهم ما هو عليه قيل لهم: ليس البر ما أنتم عليه، ولكن البر من آمن بالله[٧].

ووافق الإمامين النَّسَفِي والطبري – رحمهما الله- في معنى البر وسبب نزول الآية الإمام القرطبي، و الإمام ابن كثير، والإمام الشوكاني – رحمهم الله-[٨].

---

(١) البقرة:١٧٧

(٢) البقرة:١٧٧

(٣) البقرة:١٧٧

(٤) البقرة:١٧٧

(٥) البقرة:١٧٧

(٦) تفسير النَّسَفِي: (١٥٣/١).

(٧) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣٣٦/٣).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢٣٩/٢)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٣٥٤/١)، وفتح القدير، للشوكاني:(١٩٩/١).

وأورد الإمام القرطبي في تفسيره تفصيل الخلاف اللغوي في تقدير الكلام مبيناً حذف المضاف في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[(1)]، وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾[(2)] وكقول الشاعر:

فإنَّما هِيَ إِقْبَالٌ وإِدْبَارُ[(3)]

أي: ذات إقبال و إدبار، وقيل المعنى: ولكن ذا البر، كقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[(4)] أي: ذووا درجات عند الله، ويجوز أن يكون البر بمعنى البار، على أسلوب تسمية الفاعل بالمصدر، كما يقال: رجل عدل[(5)].

وعلى ما سبق: فإنَّ ترجيح الإمام النَّسَفِي في جعل الخطاب لأهل الكتاب، وفي سبب الآية، ومعنى البر الاصطلاحي راجح موافق لقول أئمة التفسير، وفي معنى البر اللغوي رجَّح الإمام النَّسَفِي تقدير البر ب(ذا) ووصفه بأنَّه الاختيار الأجود، وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وعطاء وسفيان والزجاج كما حكاه الإمام القرطبي[(6)]، وهو وجه قوي لكنه يستوي مع القولين اللغويين الآخرين، ووصف الإمام النَّسَفِي له بالأجود لم يبين فيه وجه الجودة، فمن هنا لا يرى الباحث وجهاً للترجيح اللهم إلا من ناحية أنَّه اختيار الأئمة الآنف ذكرهم من الصحابة ومن تبعهم فيكون الترجيح من هذه الناحية ممكناً. والله أعلم.

---

(١) يوسف:٨٢

(٢) البقرة:٩٣

(٣) عجز البيت للخنساء تماضر بنت عمرو السُّلَمية، وبدايته: (ترتع ما غفلت حتّى إذا ادّكرت) انظر: البيان والتبيين، لأبي عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ: (١٣٧/٣)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ. والشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: (٣٣٥/١)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ. والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده المرسي: (٦٣٩/٨)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(٤) آل عمران:١٦٣

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢٣٨/٢ – ٢٣٩)، وفتح القدير، للشوكاني:(١٩٨/١ – ١٩٩).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢٣٩/٢).

المطلب الثاني: ترجيحه في الحج وأحكام القتال في المسجد الحرام

المسألة الأولى: في الإحصار

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾[1] رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي — رحمه الله- بظاهر النَّص أنَّ الإحصار يثبت بكل منع من عدو، أو مرض، أو غيرهما، في الحج والعمرة، حيث قال: «﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ يقال: أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز، وحصر إذا حبسه عدو عن المضي.

وعندنا الإحصار يثبتُ بكلِّ منع من عدو أو مرض، أو غيرهما لظاهر النص، وقد جاء في الحديث: ((مَنْ كُسِرَ، أَوْ عُرِجَ، فَقَدَ حَلَّ - أي: جاز له أن يحل- وَعَلَيْهِ اَلْحَجُّ مِنْ قَابِلٍ))[2].

وعند الشافعي - رحمه الله-: الإحصار بالعدو وحده.

وظاهر النص يدلُّ على أنَّ الإحصار يتحقق في العمرة أيضاً؛ لأنَّه ذُكِر عقبهما»[3].

الدراسة والترجيح:

ذكَرَ الإمام النَّسَفِي في هذه المسألة — الإحصار- ترجيحين، ونحن سنستعرض الترجيحين وندرسها كلُ ترجيح على حده:

الأول: أنَّ الإحصار يثبتُ بكلِّ منع من عدو، أو مرض، أو غيرهما.

الثاني: هل الإحصار يختص بالحج فقط، أم يتحقق في العمرة أيضاً؟

وللعلماء في مسألة تعيين الإحصار - المانع- أقوال ثلاثة، وهي:

القول الأول: إنَّ الإحصار بالمرض، قاله علقمة، وعروة بن الزبير[4]، مُستدلين بنص الآية[5].

---

(١) البقرة:١٩٦

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١/١٦٧).

(٤) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أبو عبد الله: المدني، التابعي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ولد سنة٢٢هـ، وكان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، لم يدخل في شئ من الفتن، وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين، وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة ٩٣هـ، وهو أخو عبد الله بن البير لأبيه وأمه، و "بئر عروة" بالمدينة منسوبة إليه. انظر: طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق الشيرازي: (ص٥٨)، تحقيق: إحسان عباس، تهذيب: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، دار الرائد العربي — بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م. وتهذيب الأسماء، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي: (١/٤٦٥). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٤/٤٢١). والأعلام، للزركلي: (٤/٢٢٦).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٣٧١). وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٢/٨١).

القول الثاني: إنَّ الإحصار بالعدو خاصَّة، قاله ابن عباس[١]، وابن عمر، وأنس، وسعيد بن جبير، ومالك[٢]، والشافعي[٣]، وأحمد[٤]، والسمعاني[٥]، وابن العربي[٦]، والبيضاوي[٧]، وابن عادل الحنبلي[٨]، والألوسي[٩]، والشنقيطي[١٠].

قال ابن العربي: (﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: هَذِهِ آيَةٌ مُشْكِلَةٌ عُضْلَةٌ مِنْ الْعُضْلِ، فِيهَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: مُنِعْتُمْ بِأَيِّ عُذْرٍ كَانَ؛ قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَأَبُو حَنِيفَةَ.

الثَّانِي: مُنِعْتُمْ بِالْعَدُوِّ خَاصَّةً؛ قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَنَسٌ، وَالشَّافِعِيُّ؛ وَهُوَ اخْتِيَارُ عُلَمَائِنَا، وَرَأْيُ أَكْثَرِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَمُحَصِّلِيهَا عَلَى أَنَّ أُحْصِرَ عُرِّضَ لِلْمَرَضِ، وَحُصِرَ نَزَلَ بِهِ الْحَصْرُ)[١١].

وحُجة مَن قال أنَّ الإحصار بالعدو خاصة، استدلوا بآية الإحصار ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾، أنَّها نزلت في أصحاب النبي – ﷺ- حين حصرهم العدو، وأنَّ آخر الآية دليلٌ عليه، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾والأمان يكون من العدو.

واستدلوا بقول ابن عباسٍ – ﵄- لَا حَصْرَ إِلَّا حَصْرُ الْعَدُوِّ[١٢].

وبما رُوِي عَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها– قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ- عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ[١٣] فَقَالَ لَهَا:

---

(١) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: (٣٢/١). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣٧١/٢).

(٢) انظر: موطأ الإمام مالك: (٣٦٠/١)، باب: ما جاء فيمن احصر بعدو، رقم (٨٠١). والاستذكار، لابن عبد البر: (١٦٩/٤).

(٣) انظر: الأم، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: (١٥٩/٢)، دار المعرفة، سنة النشر: ١٣٩٣هـ.

(٤) انظر: المغني، لابن قدامة المقدسي: (٣٨١/٣). والشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين: (٥٢/٧). دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

(٥) انظر: تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني: (١٩٦/١)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، و غنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن – الرياض – السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٦) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي: (٢٣٢/١).

(٧) انظر: تفسير البيضاوي: (٤٧٩/١).

(٨) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣٦٧/٣).

(٩) انظر: روح المعاني، للألوسي: (١٥٦/٢).

(١٠) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد الشنقيطي: (١٢٢/٣).

(١١) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي: (٢٣٢/١).

(١٢) سنن البيهقي الكبرى: (٢١٩/٥)، باب: من لم ير الإحلال بالإحصار بالمرض، رقم الحديث (٩٨٧١).

(١٣) هي: ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم. تزوجها المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة، يعرف بالمقداد بن الأسود لتبنيه له، فولدت له عبد الله وكريمة، فقتل عبد الله يوم الجمل مع عائشة – رضي الله عنها-، لضباعة عن النبي – ﷺ- أحاديث منها الاشتراط في الحج، روى عنها الأعرج، وعروة بن الزبير. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي(٢٧٤/٢)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني(٤٣٢/١٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر. (١٨٧٤/٤).

((أَرَدْتِ الْحَجَّ))، قَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَجِدُنِى إِلاَّ وَجِعَةً، فَقَالَ لَهَا: ((حُجِّى وَاشْتَرِطِى وَقُولِى اللَّهُمَّ مَحِلِّى حَيْثُ حَبَسْتَنِى))[1].

وبما رُوي عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: ((أَحْرِمِي وَقُولِي: إِنَّ مَحِلِّي حَيْثُ تَحْبِسُنِي، فَإِنْ حُبِسْتِ أَوْ مَرِضْتِ، فَقَدْ أَحْلَلْتِ مِنْ ذَلِكَ شَرْطُكِ عَلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ))[2].

ففي حديث ضباعة دليلٌ على أنَّ الإحصار لا يكون إلا بالعدو، ولو كان المرض يبيح التحلل لم يحتج إلى الاشتراط[3].

القول الثالث: إنَّ الإحصار يثبتُ بكلِّ منع من عدو أو مرض أو غيرهما، وهذا قول ابن مسعود، ومجاهد[4]، وقتادة، وأبي حنيفة[5]، والطبري[6]، وأبي منصور الماتريدي الحنفي[7]، وأبي الليث السمرقندي[8]، والبغوي[9]، والزمخشري[10]، والقرطبي[11]، وابن عاشور[12]، وأبي بكر الجزائري[13]، والسعدي[14]، وابن عثيمين[15]، وسيد قطب[16].

---

(١) صحيح البخاري: (١٩٥٧/٥)، كتاب النكاح، باب: الأكفاء في الدين، رقم الحديث (٤٨٠١). وصحيح مسلم: (٢٦/٤)، كتاب الحج، باب: جَوَازِ اشْتِرَاطِ الْمُحْرِمِ التَّحَلُّلَ بِعُذْرِ الْمَرَضِ وَنَحْوِهِ، رقم الحديث (٢٩٦٠).

(٢) مسند أحمد بن حنبل: (٣٤٧/٤٥)، رقم الحديث (٢٧٣٥٨).صححه الألباني في: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني: (١٨٨/٤)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٣) انظر: موطأ الإمام مالك: (٣٦٠/١)، باب: ما جاء فيمن أحصر بعدو، رقم (٨٠١). والأم، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: (١٥٩/٢). والاستذكار، لابن عبد البر: (١٦٩/٤). والمغني، لابن قدامة المقدسي: (٣٨١/٣). والحاوى الكبير، للماوردي: (٩١٠/٤).

(٤) انظر: تفسير مجاهد: (٩٩/١).

(٥) انظر: الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير، لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني: (ص١٥٦)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، سنة النشر ١٤٠٦هـ. وكنز الدقائق، لأبي البركات النَّسَفِي: (ص٢٤٦). والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين ابن نجيم الحنفي: (٥٧/٣)، دار المعرفة – بيروت. اللباب في شرح الكتاب، عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني: (١٠٦/١)، تحقيق: محمود أمين النواوي، دار الكتاب العربي – بيروت، والمبسوط لِلسَّرَخْسِي، لشمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السَّرَخْسِي: (١٩٣/٤)، تحقيق: خليل محي الدين الميس، دار الفكر – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م. والبحر العميق في مناسك الحاج والمعتمر إلى البيت العتيق، لأبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء المكي الحنفي: (ص٢٠٦٥)، تحقيق: عبدالله نذير أحمد عبدالرحمن مزي، مؤسسة الريان، المكتبة المكية - مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٥/٣).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم: (تأويلات أهل السنة)، لأبي منصور الماتريدي: (١٤٥/١ – ١٤٦).

(٨) انظر: بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي: (١٥٧/١).

(٩) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (٢٢١/١).

(١٠) انظر: الكشاف، للزمخشري: (٢٦٦/١).

(١١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣٧١/٢ – ٣٧٢).

(١٢) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٢٢٢/٢).

(١٣) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري: (١٧٦/١).

(١٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (٩٠/١).

(١٥) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين: (٥٢/٧). وتفسير القرآن، لابن العثيمين: (٣٢١/٤).

(١٦) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١٦٩/١).

وحُجَّة من قال أنَّ الإحصار يثبتُ بكلِّ منع من عدو أو مرض أو غيرهما، عموم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾والإحصار: هو المنع مطلقاً من عدوّ أو مرض أو غيره، لأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأنَّ الحكم يتبع اللفظ لا السبب، وعلى قول أكثر أهل اللغة أنَّ الإحصار من المرض والحصر من العدو.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ فالجواب على المتعلق به من وجهين:

أحدهما: أنَّ الأمن كما يكون من العدو، يكون من زوال المرض؛ لأنَّه إذا زال مرض الإنسان أمن الموت منه، أو أمن زيادة المرض، وكذا بعض الأمراض قد يكون أمناً من البعض، كما قال - ﷺ-: ((الزكام أمان مِن الجذام))[1].

وقال - ﷺ-: ((من سبق العاطس بالحمد، أمن من الشَّوْصِ[2]، واللَّوْصِ[3]، والعِلَّوْص[4])) أي: من وجع السِّنّ، ووجع الأذن، ووجع البطن[5].

---

(١) ورد الحديث بلفظ آخر، كما في الحاكم من حديث عائشة - رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله - ﷺ-: ((ما من أحد إلا وفي رأسه عرق من الجذام تنعر فإذا هاج سلط الله عليه الزكام فلا تداووا له)). انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم: (٤/٤٥٦)، كتاب الطب، رقم الحديث (٨٢٦٢). وهو عند ابن الجوزي من الموضوعات. انظر: الموضوعات، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: (٣/٢٠٥)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، جـ ١، ٢: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م، جـ ٣: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.

(٢) الشَّوْسُ في السِّواكِ: لُغَةٌ في الشَّوْصِ، بالصادِ، وقال الفرَّاءُ: شاسَ فاهُ بالسواكِ مثل شاصَهُ قال: وقال مَرَّةً: الشَّوْصُ: الوَجَعُ، والشَّوْصُ: المُسيءُ منه. تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي: (١٦/١٧٩)، مادة الشَّوْص. والشَّوْصُ: نَصْبُ الشيءِ بِيَدِكَ وزَعْزَعْتُهُ عن مكانهِ والدَّلْكُ باليد ومَضْغُ السّواكِ والإسْتِنانُ به أو الإسْتياكُ من سُفْلٍ إلى عُلْوٍ كالا شاصَةِ والتَّشْوِيصِ ووجَعُ الضِّرْسِ. القاموس المحيط، للفيروز آبادي: (ص٨٠٣)، مادة الشَّوْص. وانظر: لسان العرب، لابن منظور: (٦/١١٥)، ومختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي: (١/٣٥٤)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٣/٢٢٧)، مادة: شوص.

(٣) اللَّوْصُ: اللَّمْحُ من خَلَلِ بابٍ ونحوه وكالمُلاوَصَةِ ووجعُ الأُذُنِ أو النَّحْرِ . القاموس المحيط، للفيروز آبادي: (ص٨١٣)، واللَّوصُ من المُلاوَصة وهو في النَّظَر كأنّه يَخْتِلُ ليرومَ أمراً، وفلانٌ يُلاوِصُ الشَّجَرَةَ إذا أراد قَلْعَها بالفأس فتراه يلاوِص في نظره يَمْنَةً ويَسْرَةً كيف يأتي لها وكيف يضربُها. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: (٧/١٥٦)، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال. وانظر: لسان العرب، لابن منظور: (٧/٨٨)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٥/٢٢١)، مادة: لوص.

(٤) العِلَّوْص: وجع في الجوف يلتوى له الإنسان ويقلق منه. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني: (٢/١٤٨)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: عالم الكتب - بيروت. والعِلّوْص: وجعٌ في البطن. الصحاح في اللغة، للجوهري: (١/٤٩٠). وانظر: المخصص، لابن سيده: (١/٤٧٨)، باب: أوجاع البطن. وتاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي: (١٨/٤٣)، مادة: علص.

(٥) ذكر هذا الحديث القرطبي في تفسيره: (٢/٣٧٢)، وأبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط: (٢/٨٥)، وكثير من المفسرين، وعزوه لابن ماجة في سننه، وهذا غير صحيح، إذ لم يخرجه ابن ماجة في سننه، والحديث أورده العجلوني في كشف الخفاء بلفظه، وقال: (ذكره في النهاية وهو ضعيف ، وفي الأوسط للطبراني عن علي رفعه: ((من عطس عنده فسبق بالحمد لم يشتك خاصرته)). كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي: (٢/٢٥٢)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

والثاني: إنَّ هذا يدلُّ على أنَّ الُمحْصَر من العدو مراد من الآية، وهو لا ينفي كون المحصر من المرض مراد منها.

واستدلوا بحديث: ((مَنْ كُسِرَ، أَوْ عُرِجَ، فَقَدَ حَلَّ – أي: جاز له أن يحل– وَعَلَيْهِ اَلْحَجُّ مِنْ قَابِلٍ))[1].

ولو ثبت قول ابن عباس: (لَا حَصْرَ إِلَّا حَصْرُ الْعَدُوِّ)، فالسبيل أن يُؤَوَّل لئلا يخالف حديث النبي – ﷺ– الصحيح: ((مَنْ كُسِرَ، أَوْ عُرِجَ، فَقَدَ حَلَّ...))، والتأويل الجامع أن يقال: (لَا حَصْرَ إِلَّا حَصْرُ الْعَدُوِّ)، بمثابة قول من قال: (لا همَّ إلا همَّ الدين)؛ وذلك لأنَّ الحصر بالعدو من أهم أسباب الحصر؛ لأنَّه متعلق بالعموم، وغيره متعلق بالخصوص والإفراد، كما كان من أمر النبي – ﷺ– حين صُدَّ عن البيت وأحصر بالعدو.

وأمَّا الجواب عن حديث ضباعة بنت الزبير: فالاشتراط في الحج مختلف فيه بين العلماء:

وقد صحَّ عن ابن عمر أنَّه كان ينكر الاشتراط في الحج، ويقول: ((حَسْبُكُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ– ﷺ–))[2].

ففيه اشعار بالتسوية بين حصر العدو والمرض؛ لأنَّ معنى قوله: ((حَسْبُكُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ)) أي: في جواز التحلل بهذا العذر بدون اشتراط[3].

قال ابن نُجيم الحنفي: (وَاخْتُلِفَ في مَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ فَقِيلَ الْإِحْصَارُ لِلْمَرَضِ وَالْحَصْرُ لِلْعَدُوِّ وَعَلَيْهِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ لِبَيَانِ حُكْمِ الْمَرَضِ وَأُلْحِقَ بِهِ الْحَصْرُ بِالْعَدُوِّ دَلَالَةً بِالْأَوْلَى؛ لِأَنَّ مَنْعَ الْعَدُوِّ حِسِّيٌّ لَا يُتَمَكَّنُ معه من الْمُضِيِّ بِخِلَافِهِ مع الْمَرَضِ إذْ يُمْكِنُ بِالْمَحْمَلِ وَالْمَرْكَبِ، وَالْأَكْثَرُ على أَنَّ الْإِحْصَارَ هو الْمَنْعُ سَوَاءٌ كان من خَوْفٍ أو مَرَضٍ أو عَجْزٍ أو عَدُوٍّ وَاخْتَارَهُ في الْكَشَّافِ.

وفي الْمُغْرِبِ الْحَصْرُ الْمَنْعُ من بَابِ طَلَبَ يُقَال: أُحْصِرَ الْحَاجُّ إذَا مَنَعَهُ خَوْفٌ أو مَرَضٌ من الْوُصُولِ لِإِتْمَامِ حَجَّتِهِ أو عُمْرَتِهِ وإذا مَنَعَهُ سُلْطَانٌ أو مَانِعٌ قَاهِرٌ في حَبْسٍ أو مَدِينَةٍ قِيلَ حُصِرَ، هذا هو الْمَشْهُورُ)[4].

وقد ذَكَرَ القرطبي كلاماً جميلاً في الإحصار، حيث ذَكَرَ الأقوال فيها وأورد أدلتهم، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ وذَكَرَ مسائل كثيرة، سأذكر مسألتين منها، لتعلقها بالمسألة التي ندرسها:

(الأولى: قال ابن العربي: هذه آية مشكلة، عُضْلة من العُضل.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سنن الترمذي: (٢٧٩/٣)، كتاب الصوم، باب: منه، رقم الحديث (٩٤٢). سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي: (٢٣٤/٢)، كتاب الحج، رقم الحديث (٨٠)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح مختصراً دون الاشتراط، انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي: (٤٤٢/٢).

(٣) انظر: بدائع الصنائع، لعلاء الدين الكاساني: (١٧٥/٢). والبحر العميق في مناسك الحاج والمعتمر إلى البيت العتيق، لأبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء المكي الحنفي: (ص٢٠٦٩ – ٢٠٧٤).

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين ابن نجيم الحنفي: (٥٧/٣)، دار المعرفة – بيروت.

قلت: لا إشكال فيها، ونحن نبينها غاية البيان فنقول: الإحصار هو المنع من الوجه الذي تقصده بالعوائق جملة، فـــ "جملة" أي: بأي عذر كان، كان حصر عدو أو جور سلطان أو مرض أو ما كان، واختلف العلماء في تعيين المانع هنا على قولين: الأول: قال علقمة وعروة بن الزبير وغيرهما: هو المرض لا العدو، وقيل: العدو خاصة، قاله: ابن عباس وابن عمر وأنس والشافعي، قال ابن العربي: وهو اختيار علمائنا، ورأي أكثر أهل اللغة ومحصليها على أن "أُحْصِرَ" عرض للمرض، و "حُصِرَ" نزل به العدو.

قلت: ما حكاه ابن العربي من أنَّه اختيار علمائنا فلم يقل به إلا أَشْهَب[١] وحده، وخالفه سائر أصحاب مالك في هذا وَقَالُوا الْإِحْصَارُ: إِنَّمَا هُوَ إِحْصَارُ الْمَرَضِ، وَأَمَّا الْعَدُوُّ فَإِنَّمَا يُقَالُ فِيهِ: حُصِرَ حَصْرًا فَهُوَ مَحْصُورٌ، قاله الباجي[٢] في المنتقى[٣]، وحكى أبو إسحاق الزجاج أنَّه كذلك عند جميع أهل اللغة، على ما يأتي، وقال أبو عبيدة[٤] "أُحْصِر" بالمرض، و"حُصِرَ" بالعدو، وفي المجمل لابن فارس[٥] على العكس، فحُصِرَ بالمرض، وأُحْصِر بالعدو، وقالت طائفة: يقال أُحْصِرَ فيهما جميعاً من الرباعي.

---

(١) هو: أَشهب بن عبد الْعَزِيز بن داوود بن إِبْرَاهِيم أَبُو عَمْرو الْقَيْسِي العامري الْمصْرِيّ الْفَقِيه، قيل: اسْمه مِسْكين، ولقبه أَشهب، سَمِعَ اللَّيْث، ومالكاً، وَيحيى بن أَيُّوب، وَسليمَان بن بلاب وَبكر بن مُضر وَداوود الْعَطَّار، قَالَ ابْن عبد الرَّأْي وَلم يُدْرك الشَّافِعِي لَمَّا قَدِمَ مصر أحداً من أَصْحَاب مَالك، إِلَّا أَشهب وَابْن عبد الحكم، وَكَانَت وَفَاته فِي شهر رَجَب سنة ٢٠٤هـــ، بعد الشَّافِعِي بثمَانِيَة عشر يَوْماً. انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي: (١٦٤/٩). وترتيب المدارك وتقريب المسالك، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي: (٢٥٩/١).

(٢) هو: سليمان بن خلف بن سعدون بن أيوب التجيبي القرطبي، القاضي أبو الوليد الباجي، فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث، ولد سنة ٤٠٣هـــ، أصله من بطليوس، ثم انتقل الى باجة بالأندلس، ثم سكن قرطبة، واستقر بشرق الأندلس، فولي القضاء في بعض أنحائها. وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤هـــ، من مؤلفاته: (السراج في علم الحجاج) و (إحكام الفصول، في أحكام الأصول)، و (التسديد إلى معرفة التوحيد) و(اختلاف الموطآت) و (شرح فصول الأحكام، وبيان ما مضى به العمل من الفقهاء والحكام) و (الحدود) و (الاشارة) رسالة في أصول الفقه، و (فرق الفقهاء) و (المنتقى) كبير، في شرح موطأ مالك و (شرح المدونة) و (التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح). انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض اليحصبي: (١١٧/٨). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (المقدمة/٦٣). والأعلام، للزركلي: (١٢٥/٣).

(٣) انظر: المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـــ): (٢٧٣/٢)، الناشر: مطبعة السعادة - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٢ هـــ.

(٤) انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـــ): تحقيق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى — القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـــ. وأبو عبيدة هو: معمر بن المثنى اللغوي البصري أبو عبيدة مولى بني تميم؛ تميم قريش؛ رهط أبو بكر الصديق، أخذ عن يونس وأبي عمرو، وهو أول من صنّف غريب الحديث، ولد سنة ١١٢هـــ، وتوفي سنة ٢٠٩هـــ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: (٢٩٤/٢).

(٥) انظر: مجمل اللغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـــ): (٢٣٨/١)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـــ - ١٩٨٦م. وابن فارس هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي؛ كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة فإنَّه أتقنها، وألَّفَ كتابه المُجْمَل في اللغة، وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً، وله كتاب (حلية الفقهاء)، ومسائل في اللغة، ويعايي بها الفقهاء، توفي بالرَّي سنة ٣٩٠هـــ، ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني. وقيل: إنَّه توفي في صفر سنة ٣٧٥هـــ بالمحمدية. انظر: بغية الوعاة، للسيوطي: (٣٥٢/١).

قلت: وهو يشبه قول مالك حيث ترجم في موطئه "أُحْصِرَ" فيهما[(١)]، فتأمله، وقال الفراء[(٢)]: هما بمعنى واحد في المرض والعدو، قال القشيري أبو نصر[(٣)]: وادعت الشافعية[(٤)] أنَّ الإحْصَار يستعمل في العدو، فأمَّا المرض فيستعمل فيه الحَصْر، والصحيح أنهما يستعملان فيهما.

قلت: ما ادعته الشافعية قد نص الخليل بن أحمد وغيره على خلافه، قال الخليل[(٥)]: حَصَرْت الرجل حَصْراً منعته وحبسته، والإِحْصَارُ: أن يَحْصُرَ الحاجَّ عن بُلوغ المَناسِك مَرَضٌ أو عَدُوٌّ، هكذا قال، جعل الأول ثلاثياً من حصرت، والثاني في المرض رباعياً، وعلى هذا خرج قول ابن عباس: لَا حَصْرَ إِلَّا حَصْرُ الْعَدُوِّ، وقال ابن السِّكِّيت[(٦)]: أَحْصَرَه المرض إذا منعه من السفر، أو من حاجة يريدها، وقد حَصَرَه العدو يحصرونه، إذا ضيقوا عليه فأطافوا به، وحاصَروه مُحَاصَرة وحِصَاراً، قال الأخفش[(٧)]: حَصَرْتُ الرجل، فهو مَحْصور، أي: حبسته، قال: وأحصَرَني بَوْلِي، وأحصرني مَرَضِي، أي: جعلني أحْصُرُ نفسي، قال أبو عمرو الشيباني[(٨)]: حصرني الشيء وأحصرني، أي: حبسني.

---

(١) انظر: موطأ الإمام مالك: (٣٦١/١)، باب: ما جاء فيمن أُحْصِرَ بغير عدو، رقم (٨٠٢).

(٢) انظر: معاني القرآن، للفراء: (١٠٧/١).

(٣) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير، عَلَت له شُهرة كأبيه، زار بغداد في طريقة إلى الحج، ووعظ بها، فوقعت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان (إطفاء للفتنة ببغداد) فذهب إليه ولقي منه إكراماً، وعاد إلى نيسابور، فلازم الوعظ والتدريس إلى أن توفي بها سنة ٥١٤هـ، كان ذكياً حاضر الخاطر، فصيحاً، جريئاً، يحفظ كثيراً من الشعر والحكايات، له (المقامات والآداب) وتصوف ووعظ. انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي: (٢٠٠/١٨)، وطبقات المفسرين، للأدنروي: (ص: ١٥٦). والأعلام، للزركلي: (٣٤٦/٣).

(٤) انظر: الأم، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: (١٦٣/٢).

(٥) انظر: كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: (١١٣/٣)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(٦) انظر: إصلاح المنطق، لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق: (ص٢٣٠)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، و عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٤٩م.

(٧) انظر: معانى القرآن، لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط: (١٧٤/١)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٨) هو: النحوي اللغوي الكوفي نزيل بغداد اسمه: إسحاق بن مِرَار، وليس من شيبان، بل أدَّب اولاداً منهم فنُسِب إليهم؛ كما نُسِب اليزيدي إلى يزيد بن منصور حين أدَّب ولده، كان راوية أهل بغداد، واسع العلم باللغة والشعر، ثقة في الحديث، كثير السماع، نبيلاً فاضلاً، عالماً بكلام العرب، حافظا للغاتها؛ عُمِّرَ طويلاً؛ حتى بلغ مائة سنة وعشرين، ومات سنة ٢٠٦هـ، من مؤلفاته: كتاب الْجيم، والنَّوَادِر، والْخَيل، وغَرِيب الصِّنْف، وغَرِيب الحَدِيث، والْكَبِير، وأشعار الْقَبَائِلَ كَانَ يُعرف بِأبي عَمْرو الْأَحْمَر. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (١٨٢/١٢). وبغية الوعاة، للسيوطي: (٤٣٩/١).

قلت: فالأكثر من أهل اللغة على أن "حُصِرَ" في العدو، و "أُحْصِرَ" في المرض، وقد قيل ذلك في قول الله – تعالى-: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقال ابْنُ مَيَّادَةَ[2]:

وما هَجْرُ ليلى أَنْ تكونَ تباعَدَتْ ... عليكَ ولا أَنْ أَحْصَرَتْكَ شُغُولُ[3]

وقال الزجاج[4]: الإحصار عند جميع أهل اللغة إنما هو من المرض، فأما من العدو فلا يقال فيه إلا حُصِرَ، يقال: حُصِرَ حَصْرًا، وفي الأول أُحْصِرَ إحْصَارًا، فدلَّ على ما ذكرناه، وأصل الكلمة من الحبس، ومنه الحصير للذي يحبس نفسه عن البوح بسره، والحصير: الملك؛ لأنَّه كالمحبوس من وراء الحجاب، والحصير الذي يجلس عليه لانضمام بعض طاقات البردي إلى بعض، كحبس الشيء مع غيره.

الثانية: ولما كان أصل الحصر الحبس قالت الحنفية: المحصر من يصير ممنوعاً من مكة بعد الإحرام بمرض أو عدو أو غير ذلك، واحتجوا بمقتضى الإحصار مطلقاً، قالوا: وذكر الأمن في آخر الآية لا يدل على أنَّه لا يكون من المرض، قال – ﷺ-: ((الزكام أمان من الجذام))، وقال: ((من سبق العاطس بالحمد أمن من الشَّوْصُ واللوص والعلوص))، الشَّوْصُ: وجع السن، واللوص: وجع الأذن، والعلوص: وجع البطن.

وقال ابن عمر وابن الزبير وابن عباس والشافعي وأهل المدينة: المراد بالآية حصر العدو، لأنَّ الآية نزلت في سَنَة ست في عمرة الحديبية حين صد المشركون رسول الله – ﷺ- عن مكة، قال ابن عمر: خرجنا مع رسول الله – ﷺ- فحال كفار قريش دون البيت فنحر النبي – ﷺ- هديه وحلق رأسه، ودلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾[5]، ولم يقل: برأتم، والله أعلم)[6].

(١) البقرة:٢٧٣

(٢) ابن ميادة الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المضري، أبو شرحبيل، ويقال أبو حرملة: شاعر رقيق، هجاء، من مخضرمي الأموية والعباسية، قالوا: (كان متعرضاً للشر طالباً لمهاجاة الناس ومسابة الشعراء)، وفي العلماء من يرى أنه أشعر الغطفانيين في الجاهلية والإسلام، وأنَّه كان خيراً لقومه من النابغة، كان مقامه بنجد، يفد على الخلفاء والأمراء ويعود، اشتهر بنسبته إلى أمه ميادة، وأخباره كثيرة، وقيل: اسم أبيه يزيد، وجده ثريان، وللزبير بن بكار (أخبار ابن ميادة)، توفي سنة ١٤٩هـ. انظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني: (٢/٢٥٦)، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية. وطبقات الشعراء، لابن المعتز: (ص٢٩). وتاريخ دمشق، لابن عساكر: (١٨/٢٠٠)، الأعلام، للزركلي: (٣/٣١).

(٣) شعر ابن ميادة، جمعه وحققه: الدكتور/ جميل حنا حداد: (ص١٨٧)، رقم القصيدة(٦٩)، حرف اللام، في الطويل، راجعه وأشرف على طباعته: قدري الحكيم، من مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

(٤) انظر: إعراب القرآن، للزجاج: (١/٧٣).

(٥) البقرة:١٩٦

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٣٧١ – ٣٧٣).

والذي يترجَّح لدى الباحث هو القول الثالث أنَّ الاحصار يثبتُ بكلِّ منع من عدو أو مرض أو غيرهما، وأوجه الترجيح عندي ما يلي:

١- لظاهر الآية، والقاعدة التفسيرية تقول: (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه)[(١)].

٢- لأنَّ لفظة أحصرتم في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ عامة، وقد تقرر عند علماء الأصول: (أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) [(٢)].

٣- ولقوة أدلة القائلين بهذا القول.

وهو ما رجَّحه الطبري: (وأولى التأويلين بالصواب في قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾، تأويل من تأوله بمعنى: فإن أحْصَرَكم خوفُ عَدٍّو، أو مرضٌ أو علةٌ عن الوصول إلى البيت، أي: صيَّركم خوفكم أو مرضكم تَحصُرون أنفسكم، فتحبسونها عن النفوذ لما أوجبتُموه على أنفسكم من عمل الحج والعمرة. فلذا قيل: "أُحْصِرتم"، لَّما أسقط ذكِر الخوف والمرض، يقال منه: "أحصرني خوفي من فلان عن لقائك، ومَرَضي عن فلان"، يراد به: جعلني أحبس نفسي عن ذلك. فأما إذا كان الحابس الرجلُ والإنسانُ، قيل: "حصرَني فلان عن لقائك"، بمعنى حبسني عنه، فلو كان معنى الآية ما ظنه المتأوِّل من قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ فإن حبسكم حابس من العدوّ عن الوصول إلى البيت- لوجب أن يكون: فإن حُصِرْتم.

ومما يُبَيِّن صحةَ ما قلناه من أن تأويل الآية مرادٌ بها إحصارُ غير العدوّ وأنه إنما يراد بها الخوف من العدو، قولُه: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾[(٣)]، و"الأمنُ" إنما يكون بزوال الخوف، وإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أنَّ الإحصار الذي عنى الله في هذه الآية، هو الخوف الذي يكون بزواله الأمنُ، وإذ كان ذلك كذلك، لم يكن حَبسُ الحابس الذي ليس مع حَبْسه خوف على النفس من حبسه داخلاً في حكم الآية بظاهرها المتْلوّ، وإن كان قد يُلحق حكمه عندنا بحكمه من وجه القياس من أجل أن حَبْس من لا خوف على النفس من حبسه، كالسلطان غير المخوفة عقوبته، والوالدِ، وزوج المرأة، إن كان منهم أو من بعضهم حبس، ومنعٌ عن الشخوص لعمل الحج، أو الوصول إلى البيت بعد إيجاب الممنوع الإحرامَ، غيرُ داخل في ظاهر قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾، لما وصفنا من أن معناه: فإن أحْصَركم خوفُ عدوّ- بدلالة قوله: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ وقد بين الخبر الذي ذكرنا آنفاً عن ابن عباسٍ أنَّه قال: الحَصْرُ: حَصْرُ العدو.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي: (١٢٢/١).

(٢) انظر: المحصول في علم الأصول، للرازي: (٧٧/٤).

(٣) البقرة:١٩٦

وإذا كان ذلك أولى التأويلين بالآية لما وصفنا، وكان ذلك منعاً من الوصول إلى البيت، فكل مانع عرض للمُحْرِم فصَدَّه عن الوصول إلى البيت، فهو له نظير في الحكم)[1].

ورجَّحه ابن عثيمين في الشرح الممتع على زاد المستقنع: (والإحصار هو حصر العدو فقط على المشهور من المذهب.

وقيل: إنَّ المراد بالحصر كل ما يمنع الإنسان من إتمام نسكه من عدو أو غيره، كضياع النفقة، والمرض، والانكسار أي: انكسار الحاج ــ مثلاً ــ وما أشبه ذلك، وهذا القول هو الأصح... والصحيح في هذه المسألة أنَّه إذا حُصِرَ بغير عدو فكما لو حُصِرَ بعدو؛ لعموم قول الله - تعالى-: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾[2] أي: عن إتمامهما، و لم يقيد الله – تعالى- الحصر بعدو)[3].

الثاني: هل الإحصار يختص بالحج فقط، أم يتحقق في العمرة أيضاً؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: إنَّ الإحصار يتحقق في العمرة أيضاً، وهو قول جمهور العلماء، منهم: أبو حنيفة[4]، والشافعي[5]، وأحمد بن حنبل[6]، والرازي[7]، وأبو حيان الأندلسي[8].

قال ابن قدامة المقدسي: (أجمع أهل العلم على أن المحرم إذا حَصَرَه عدو من المشركين أو غيرهم فمنعوه الوصول إلى البيت، و لم يجد طريقاً آمناً فله التحلل، وقد نص الله – تعالى- عليه بقوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ وثبت أن النبي – ﷺ- أمر أصحابه يوم حُصِرُوا في الحديبية أن ينحروا ويحلقوا ويحلوا، وسواء كان الإحرام بحج أو بعمرة أو بهما في قول إمامنا- أحمد بن حنبل- و أبي حنيفة، و الشافعي، وحكي عن مالك أن المعتمر لا يتحلل؛ لأنَّه لا يخاف الفوات، وليس بصحيح؛ لأنَّ الآية إنما أنزلت في حصر الحديبية وكان النبي – ﷺ- وأصحابه محرمين بعمرة فحلوا جميعاً)[9].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣/٢٥ – ٢٦).

(٢) البقرة:١٩٦

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين: (٧/٥٢، ١٠٩).

(٤) انظر: البحر الرائق شرح كتر الدقائق، لزين الدين ابن نجيم الحنفي: (٣/٥٧). والمبسوط، لِلسَّرَخْسِي: (٤/١٩٤).

(٥) انظر: الأم، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: (٢/١٦٣).

(٦) انظر: المغني، لابن قدامة: (٣/٣٧٣). والمبدع شرح المقنع، لأبي إسحاق، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح: (٣/١٩٤)، دار عالم الكتب – الرياض، ١٤٢٣هـــ - ٢٠٠٣م.

(٧) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/١٢٧).

(٨) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٢/٨٢).

(٩) المغني، لابن قدامة: (٣/٣٧٣).

قال ابن مفلح الحنبلي[1]: (ولا فرق في الإحصار بين الحج والعمرة، أو بهما، صرح به جماعة، منهم: صاحب "الشرح" لأنَّ الصحابة حلوا في الحديبية وكانت عمرة)[2].

قال الرازي: (اختلفوا في العمرة، فأكثر الفقهاء قالوا حكمها في الإحصار كحكم الحج، وعن ابن سيرين[3] أنَّه لا إحصار فيه، لأنَّه غير مؤقت، وهذا باطل؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ مذكور عقيب الحج والعمرة، فكان عائداً إليهما)[4].

قال أبو حيان الأندلسي: (والظاهر أنَّ العمرة كالحج في حكم الإحصار، وبه قال أكثر الفقهاء)[5].

القول الثاني: إنَّ الإحصار يختص بالحج فقط، قاله مالك[6]، وابن سيرين.

وحُجَّة من قال بهذا: قالوا: إن التحلل بالإحصار يختص بالحاج بخلاف المعتمر، فإنَّه لا يتحلل بذلك، بل يستمر على إحرامه حتى يطوف بالبيت؛ لأنَّ السَنَّة كلها وقت للعمرة، فلا يخشى فواتها بخلاف الحج.
واستدلوا بما روي عن أبي قلابة قال: خرجت معتمراً فوقعت عن راحلتي فانكسرت، فأرسلت إلى ابن عباس وابن عمر فقالا: ((ليس لها وقت كالحج يكون على إحرامه حتى يصل إلى البيت))، قال: فبقيت على ذلك الماء ستة أشهر أو سبعة محرماً حتى وصلت إلى البيت [7].

---

(١) هو: إبراهيم بن محمد بن مفلح الراميني الأصل، الدمشقي، أبو إسحاق، برهان الدين: شيخ الحنابلة في عصره، ولد سنة ٧٤٩هـ، وتوفي يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ٨٠٣هـ، من كتبه: (طبقات أصحاب الامام أحمد) و (كتاب الملائكة) و (شرح المقنع) وتلف أكثر كتبه في فتنة تيمور بدمشق. انظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح: (٢٣٨/١)، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض – السعودية، سنة النشر ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م. والأعلام، للزركلي: (٦٤/١).

(٢) المبدع شرح المقنع، لابن مفلح: (١٩٤/٣).

(٣) هو: أبو بكر محمد بن سيرين البصري، كان أبوه عبداً لأنس بن مالك، – رحمه الله–، كاتَبَهُ على أربعين ألف درهم، وقيل عشرين ألفاً، وأدّى المكاتبة، وكان من سبي ميسان، ويقال من سبي عين التمر، وكان أبوه سيرين من أهل جرجرايا، وكنيته أبو عمرة، وكان يعمل قدور النحاس، فجاء إلى عين التمر يعمل بها، فسباه خالد بن الوليد – ﷺ– في أربعين غلاماً مختتنين، فأنكرهم، فقالوا: إنَّا كنا أهل مملكة، ففرقهم في الناس، وكانت أمه صفية مولاة أبي بكر الصديق – ﷺ–، وهو ثقة ثَبْت، عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرِّواية بالمعنى، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان (٢٤–٣٥هـ) توفي سنة ١١٠هـ. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: (١٨١/٤)، وطبقات ابن سعد: (١٩٣/٧)، وتقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٨٥/٢).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي: (١٢٧/٥).

(٥) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٨٢/٢).

(٦) انظر: موطأ الإمام مالك: (٣٦١/١)، باب: ما جاء فيمن أُحْصِرَ بغير عدو، رقم (٨٠٢).

(٧) انظر: موطأ الإمام مالك: (٣٦١/١)، باب: ما جاء فيمن أُحْصِرَ بغير عدو، رقم (٨٠٤). والاستذكار، لابن عبد البر: (١٧٧/٤). فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي: (٥/٤)، باب: إذا أحصر المعتمر، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ. وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني الحنفي: (٤٥٦/١٥)، والمبسوط، للسِّرخسي: (١٩٤/٤).

ومن خلال ما سبق يترجَّح لدى الباحث القول الأول، قول جمهور العلماء، أنَّ الإحصار يتحقق في الحج والعمرة، وهو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي، وذلك لما أوردو أصحاب القول الأول من حديث صلح الحديبية، وأيضاً فإنَّ سياق الآية ذكر الإحصار عقب الحج والعمرة، فهو عائداً إليهما معاً، كما أنَّ أحكام الإحرام للعمرة لا تختلف عن أحكام الإحرام للحج، فهي تسمى الحج الأصغر.

المسألة الثانية: الهدي على المتمتع

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1]، رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ لفظ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في الآية إشارة إلى التمتع، إذ لا تمتع ولا قِران لحاضري المسجد الحرام، حيث قال: «﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التمتع **عندنا**، إذ لا تمتع ولا قران لحاضري المسجد الحرام **عندنا**، وعند الشافعي – رحمه الله- إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي أو الصيام، و لم يوجب عليهم شيئاً»[2].

الدراسة والترجيح: ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي في هذه المسألة قولين، هما:

القول الأول: إنَّ لفظ ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائدٌ إلى الأبعد، وإلى كل ما تقدم، أي: إشارة إلى التمتع، إذ لا تمتع ولا قران لحاضري المسجد الحرام، وهذا قول أبي حنيفة[3]، وأبي منصور الماتريدي الحنفي[4]، والمراغي[5] في تفسيره[6]، ومحمد رشيد رضا[7] في تفسيره[8].

---

(١) البقرة:١٩٦

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٦٨ – ١٦٩).

(٣) انظر: العناية شرح الهداية، محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي: (٣/١١)، دار الفكر – بيروت. والبناية شرح الهداية، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى: (٤/٣١٣)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م. وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي: (٢/٤٨).

(٤) انظر: تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي: (١/١٥٠).

(٥) هو: أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م، له مؤلفات، منها (الحسبة في الإسلام) رسالة، و (الوجيز في أصول الفقه)، و (تفسير المراغي)، و (علوم البلاغة). انظر: الأعلام، للزركلي: (١/٢٥٨).

(٦) انظر: تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي: (٢/٩٨)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

(٧) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الاصلاح الاسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد سنة ١٢٨٢هـ – ١٨٦٥م، ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس، وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت، ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الاصلاح الديني والاجتماعي، وأصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، توفي فجأة في (سيارة) كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة سنة ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م، ودفن بالقاهرة، أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلداً، و (تفسير القرآن الكريم). الأعلام، للزركلي: (٦/١٢٦).

(٨) انظر: تفسير القرآن الحكيم، المشهور باسم: بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: (٢/٩٨)، مطبعة المنار – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٥٠هـ.

حجَّة أبي حنيفة: أنَّ قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ كنايةٌ؛ فوجب عودها إلى كلِّ ما تقدم؛ لأنَّه ليس البعض أولى من البعض[1].

وقد ردَّ هذا القول كثير من العلماء، فقد ذكر ابن عادل الحنبلي أنَّ عوده إلى الأقرب أولى؛ لأنَّ القرب سببٌ للرُّجحان، ومذهبكم أنَّ الاستثناء المذكور عقيب الجمل مختصٌّ بالجملة الأخيرة، وإنَّما تميزت تلك الجملة عن سائر الجمل بسبب القرب، فكذا ها هنا[2].

قال أبي منصور الماتريدي الحنفي: (قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ جعل الحكم الذي ذكره في المتمِّع والمُحْصَرِ لمن لا يحضر أهله المسجد الحرام)[3].

القول الثاني: إنَّ لفظ ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائدٌ إلى الأقرب، أي: إشارة إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي أو الصيام على المتمتع، إذا لم يكن من حاضري المسجد الحرام، فإذا كان من حاضري المسجد الحرام لم يوجب عليه شيئاً، وهذا قول الشافعي[4]، والرازي[5]، وابن عادل الحنبلي[6]، والشربيني[7]، والقاسمي[8] في تفسيره[9]، والسعدي[10].

---

(١) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي: (٤٨/٢). والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نُجيم: (٣٩٢/٢).واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣٨٧/٣). ومفاتيح الغيب، للرازي: (١٣٥/٥).

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣٨٧/٣).

(٣) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي: (١٥٠/١).

(٤) انظر: أحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: (١١٥/١)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٠هـ.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١٣٥/٥).

(٦) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣٨٦/٣).

(٧) انظر: تفسير السراج المنير، لشمس الدين الشربيني: (١١٢/١).

(٨) هو: هو جمال الدين، أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعاً من فنون الأدب، مولده سنة ١٢٨٣هـ، ووفاته في دمشق سنة ١٣٣٢هـ، انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات، من مؤلفاته: (موعظة المؤمنين) اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي، و(تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب) و(محاسن التأويل) في تفسير القرآن الكريم. انظر: الأعلام، للزركلي: (١٣٥/٢)، (١٤٧/٣).

(٩) انظر: تفسير القاسمي، المسمى: محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي: (٣٨٦/٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

(١٠) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (٩٠/١).

حُجَّة القول الثاني من وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ عامٌّ يدخل فيه الحَرَمِي، وغيره.

وثانيهما: أنَّ الإشارة يجب عودها إلى أقرب مذكور، وهو وجوب الهدي، فإذا خصَّ وجوب الهدي بالمتمتع الآفاقي؛ لزم القطع بأنَّ غير الآفاقي قد يكون أيضاً متمتعاً.

وثالثها: أنَّ الله – تعالى- شرع القِران والمتعة تبييناً لنسخ ما كان عليه أهل الجاهلية في تحريمهم العمرة في أشهر الحجِّ، والنَّسخ ثبت في حقّ النَّاس كافَّةً[1].

قال ابن عادل الحنبلي: (قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى أمرٍ تقدَّم، وأقرب الأمور المذكورة، ذكر ما يلزم المتمتع من الهدي وبدله)[2].

وقد ردَّ الإمام الفخر الرازي عن أبي حنيفة فقال: (وجوابه: لِمَ لا يجوز أنْ يُقال عوده إلى الأقرب أولى؛ لأنَّ القرب سبب للرجحان، أليس أنَّ مذهبه أنَّ الاستثناء المذكور عقيب الجمل مختص بالجملة الأخيرة، وإنَّما تميزت تلك الجملة عن سائر الجمل بسبب القرب، فكذا ها هنا)[3].

قال الشربيني: (﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع)[4].

قال السعدي: (﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من وجوب الهدي على المتمتع)[5].

والذي يترجَّح للباحث: هو القول الثاني قول الجمهور – وهو غير ما رجَّحه الإمام النَّسفي- وذلك:

- لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾[6].
- ولأنَّ الأصل في الاشارة التي في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[7] يجب عودها إلى أقرب مذكور.

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣/٣٨٧).

(٢) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣/٣٨٦).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/١٣٥).

(٤) تفسير السراج المنير، لشمس الدين الشربيني: (١/١١٢).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (١/٩٠).

(٦) البقرة:١٩٦

(٧) البقرة:١٩٦

المسألة الثالثة: المواقيت الزمانية للحج

يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾[1] يقول الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– «﴿ٱلۡحَجُّ﴾ أي: وقت الحج، كقولك: "البرد شهران" ﴿أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم، وهي: شوال وذو القعدة وعشر ذو الحجة.

وفائدة توقيت الحج بهذه الأشهر أنَّ شيئاً من أفعال الحج لا يصح إلا فيها، وكذا الإحرام عند الشافعي – رحمه الله–، **وعندنا** وإن انعقد لكنه مكروه، وجمعت، أي: الأشهر لبعض الثالث، أو: لأنَّ اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[2]».

الدراسة والترجيح:

ذهب الفقهاء على أنَّ استحباب الإحرام في أشهر الحج لقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ إلا أنهم اختلفوا في صحة احرامه قبل أشهر الحج على قولين:

القول الأول: أنَّه يستحب الإحرام في أشهر الحج ويكره في غيرها، فإن أحرم بالحج قبل أشهر الحج فإنَّه مكروه، وانعقد احرامه، وبه قال الحنفية[3]، والمالكية[4]، والحنابلة[5]،

واستدلوا :

---

(١) البقرة:١٩٧

(٢) التحريم:٤

(٣) انظر: الهداية في شرح بداية المبتدي، لأبي الحسن برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني: (١/١٥٥)، تحقيق: طلال يوسف، دار احياء التراث العربي - بيروت – لبنان. وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني: (٢/١٦١)، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي: (٢/٤٩)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم: (٢/٣٩٦).

(٤) انظر: الذخيرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي: (٣/٢٠٤)، تحقيق: محمد حجي – و سعيد أعراب – و محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م. ومختصر خليل، لخليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري: (ص: ٦٧)، تحقيق: أحمد جاد، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م. ومواهب الجليل في شرح مختصر خليل، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي: (٣/١٨)، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م. و منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي: (٢/٢٢٣)، دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد: (٢/٩٠)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.

(٥) انظر: الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة: (١/٤٧٥)، و المغني، لابن قدامة: (٣/٢٥٦)، و شرح منتهى الإرادات، (١/٥٢٧).

١- بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[١] فظاهر الآية يقتضي أن تكون الأشهر كلها وقتاً للحج، فيقتضي جواز الإحرام بأداء أفعال الحج في الأوقات[٢].

٢- ولأنَّ الحج يختص بالمكان والزمان، ثم يجوز الإحرام من غير مكان الحج بالإجماع، فيجوز في غير زمان الحج إلا أنه يكره لما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: من سنة الحج أن لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج، ومخالفة السنة مكروهة[٣].

٣- ولأنَّ الإحرام تحريم أشياء وإيجاب أشياء وذلك يصح في كل زمان فصار كالتقديم على المكان[٤].

٤- ولأنَّه شرط، وذلك أنَّه يستمر إلى أن يحلق وينتقل من ركن إلى ركن، ولا ينتقل عنه ويجامع كل ركن من أركان الحج، ولو كان ركناً لما كان كذلك، فجاز تقديمه مثل الطهارة في الصلاة[٥].

القول الثاني: لا يجوز الإحرام بالحج إلا في أشهر الحج، وإذا أحرم فينعقد إحرامه إحرام عمرة، وبه قال الشافعية[٦].

واستدلوا : بقوله عز وجل: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[٧] والمراد به وقت إحرام الحج؛ لأنَّ الحج لا يحتاج إلى أشهر، فدل على أنَّه أراد به وقت الإحرام، ولأنَّ الإحرام نسك من مناسك الحج فكان مؤقتاً كالوقوف والطواف[٨].

---

(١) البقرة:١٨٩

(٢) انظر: الذخيرة، للقرافي: (٢٠٤/٣)، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني: (١٦٠/٢)، و الكافي في فقه الإمام أحمد، (٤٧٥/١).

(٣) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني: (١٦١/٢)، و الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة: (٤٧٥/١)، والمغني، لابن قدامة: (٢٥٦/٣).

(٤) انظر: الهداية في شرح بداية المبتدي، للمرغيناني: (١٥٥/١)، و الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة: (٤٧٥/١)، والمغني، لابن قدامة: (٢٥٦/٣).

(٥) انظر: الذخيرة، للقرافي: (٢٠٤/٣)، وتبيين الحقائق شرح كتر الدقائق، للزيلعي: (٤٩/٢)، و البحر الرائق شرح كتر الدقائق، لابن نجيم: (٣٩٦/٢)، و الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة: (٤٧٥/١)، والمغني، لابن قدامة: (٢٥٦/٣).

(٦) انظر: الأم، للشافعي: (١٦٨/٢)، ومختصر المزني، لإسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني: (١٥٩/٨)، دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (١٤٠/٧)، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد الحفيد: (٩٠/٢).

(٧) البقرة:١٩٧

(٨) انظر: المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (١٤٠/٧).

القول الراجح:

ويرى الباحث أنَّ القول الأول هو القول الراجح؛ وذلك لما استدلوا به، وما ذكره الشافعية من استدلالهم بآية الحج فالآية محمولة على أنَّ الإحرام في أشهر الحج إنما يستحب فيها[١].

كما يجاب أيضاً على الشافعية بما ذكره القرافي[٢] أنَّ الإحرام شرط؛ لأنَّه نية الحج المميز له، والمميز يجب أن يكون خارجاً عن حقيقة المميز، فيكون شرطاً، فيجوز تقديمه؛ لأنَّ الشروط يجب تقديمها على أوقات المشروطات، كالطهارات، وستر العورات مع الصلوات[٣].

ولأنَّ الأولى هو الإحرام في أشهر الحج لقوله ــ ﷺــ: ((خذوا عني مَنَاسِكَكُمْ))[٤]، إحرامه ــ ﷺــ كان في أشهر الحج، و لم يرد عن أحد من الصحابة أنَّه كان يحرم في غير أشهر الحج.

كذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾[٥] فقد قرنهما؛ لأنَّ أحكامهم واحدة، فقد سميت العمرة بالحج الأصغر.

(١) انظر: المغني: لابن قدامة: (٢٥٦/٣).

(٢) هو: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي: من علماء المالكية، نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب)، وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة، توفي سنة ٦٨٤هـــ، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها: (أنوار البروق في أنواء الفروق)، و (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام)، و (الذخيرة) في فقه المالكية، و (اليواقيت في أحكام المواقيت)، و (شرح تنقيح الفصول) في الأصول، و (مختصر تنقيح الفصول)، و (الخصائص) في قواعد العربية، و (الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة). انظر: معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: (١٥٨/١). والأعلام، للزركلي: (٩٤/١).

(٣) الذخيرة، للقرافي: (٢٠٤/٣).

(٤) صحيح مسلم: (٧٩/٤)، كتاب، باب: استحباب رمى جمرة العقبة يوم النحر راكباً، وبيان قوله ــ ﷺــ :((لتأخذوا مناسككم))، رقم الحديث (٣١٩٧).

(٥) البقرة:١٨٩

المسألة الرابعة: في تسمية عرفات

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾[1] رجّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ لفظ ﴿عَرَفَٰتٖ﴾ سميت بذلك لأنَّها وصفت لإبراهيم – عليه السلام- فلما رآها عرفها، حيث قال: «﴿مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ هي: علم للموقف سمي بجمع كأذرعات، وإنما صرفت لأنَّ التاء فيها ليست للتأنيث، بل هي مع الألف قبلها علامة جمع المؤنث، وسميت بذلك؛ لأنها وصفت لإبراهيم – عليه السلام- فلما رآها عرفها.

وقيل: التقى فيها آدم وحواء فتعارفا، **وفيه دليل** على وجوب الوقوف بعرفة؛ لأنَّ الإفاضة لا تكون إلا بعده»[2].

الدراسة والترجيح:

للعلماء في تسمية ﴿عَرَفَٰتٖ﴾ بهذا الاسم أقوال:

القول الأول: سميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم – عليه السلام- فلما رآها عرفها، وهذا قول علي وابن عباس وعطاء والسَّدي[3].

القول الثاني: سميت بذلك لأن آدم وحواء التقيا فيها فتعارفا، وهذا قول ابن عباس، والضحاك[4].

القول الثالث: سميت تلك البقعة "عرفات"؛ لأنَّ الناس يتعارفون بها[5].

القول الرابع: أنَّ "عرفات" اسْمٌ مُرْتَجَلٌ كَسَائِرِ أَسْمَاءِ الْبِقَاعِ، وهذا القول رجَّحه الطبري[6]، وابن عطية[7]، والثعالبي[8]، والشوكاني[9].

---

(١) البقرة:١٩٨

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٤٣).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٤/١٧٢). ومفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٣٢٥). وتفسير البيضاوي: (١/١٣١). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (١/٢٧٤). والنكت والعيون، للماوردي: (١/٢٦١). والدر المنثور، للسيوطي: (١/٥٣٦). وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: (١٠/٤).

(٤) انظر: النكت والعيون، للماوردي: (١/٢٦١). والكشاف، للزمخشري: (١/٢٤٦). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (١/٢٧٤). ومفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٣٢٥). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٤١٥). وتفسير البيضاوي: (١/١٣١). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (/٤١٤). وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: (١٠/٤).

(٥) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/٢٤٦). ومفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٣٢٥). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٤١٥). وتفسير البيضاوي: (١/١٣١).

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٤/١٧٢). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (١/٢٧٤).

(٧) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (١/٢٧٤).

(٨) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي: (١/٤١٨).

(٩) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/٢٣٢).

القول الخامس: سميت بذلك لأنَّ الله – تعالى- يَتَعَرَّف فيه إلى الحاج بالمغفرة والرحمة(١).

القول السادس: سميت بذلك لأنَّ إبراهيم – عليه السلام- وضع ابنه إسماعيل وأمه هاجر بمكة ورجع إلى الشام ولم يلتقيا سنين، ثم التقيا يوم عرفة بعرفات(٢).

القول السابع: إنَّ آدم عَلَّمه جبريل مناسك الحج، فلما وقف بعرفات قال له: أعرفت؟(٣).

القول الثامن: إنَّ جبريل كان علم إبراهيم – عليه السلام- المناسك، وأوصله إلى عرفات، وقال له: أعرفت كيف تطوف وفي أي موضع تقف؟ قال: نعم، وهذا قول ابن عباس، وعطاء، والحسن(٤).

القول التاسع: سميت بذلك لأنَّ الناس يعترفون هناك بذنوبهم، ويسألون الله أنْ يغفرها لهم(٥).

القول العاشر: لأنَّها مرتفعة على غيرها؛ والشيء المرتفع يسمى عُرْفاً؛ ومنه: أهل الأعراف، كما قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا﴾(٦)، ومنه: عُرْف الديك؛ لأنَّه مرتفع؛ وكل شيء مرتفع يسمى بهذا الاسم(٧).

القول الحادي عشر: سميت بذلك لأنَّها من العرف، وهو الرائحة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦﴾(٨) أي: طيبها لهم(٩).

ومن خلال ما سبق: يتضح للباحث بعد استعراض الأقوال في تسمية ﴿عَرَفَٰتٖ﴾ أنَّ القول العاشر أقرب الأقوال؛ – والله أعلم –، وكذلك التاسع: أنَّه سمي عرفات؛ لأنَّ الناس يعترفون فيه لله – تعالى- بالذنوب؛ مع ملاحظة أنَّ جميع هذه الأقوال قد تكون صواباً؛ فهي قريبة من اختلاف التنوع.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٣٢٥). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (/٤١٤).

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (/٤١٤).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٣٢٥). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (/٤١٤).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٤/١٧٢). وبحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي: (١/١٣٣). وتفسير ابن أبي زمنين: (١/٢١٠). والنكت والعيون، للماوردي: (١/٢٦١). والوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي: (١/٣٠٤). والكشاف، للزمخشري: (١/٢٤٦). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (١/٢٧٤). ومفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٣٢٥). وتفسير البيضاوي: (١/١٣١). وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٥٥٢). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (/٤١٤). والدر المنثور، للسيوطي: (١/٥٣٦). وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: (١٠/٤).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٣٢٥). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (/٤١٤).

(٦) الأعراف:٤٨

(٧) انظر: النكت والعيون، للماوردي: (١/٢٦١). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (/٤١٤).

(٨) محمد:٦

(٩) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٣٢٥). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٤١٥). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (/٤١٤).

المسألة الخامسة: في المراد بالطائفين والعاكفين

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾[1] رجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– أنَّ الطائفين هم الذين يطوفون بالبيت، وأنَّ العاكفين هم المجاورين الذين عكفوا عنده، أي: أقاموا لا يبرحون، حيث قال: «﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ للدائرين حوله، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المجاورين الذين عكفوا عنده، أي: أقاموا لا يبرحون، أو المعتكفين، وقيل: للطائفين للنزّاع إليه من البلاد، والعاكفين والمقيمين من أهل مكة»[2].

الدراسة والترجيح: ذكر الإمام النَّسَفِي ترجيحين في هذه الآية:

الأول: عند قوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾

ذكر اختلاف المفسرين في المراد بالطائفين على قولين:

القول الأول: قال عطاء، الطائفين الذين يطوفون به، أي: بالبيت الحرام، وبه قال الطبري[3]، والزجاج[4]، والقرطبي[5]، وابن جزي[6]، والسمعاني[7]، وأبي حيان الأندلسي[8]، وابن كثير[9]، والشوكاني[10].

قال ابن جزي: (﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة، وقيل: الغرباء القادمون على مكة، والأوّل أظهر)[11].

القول الثاني: قال سعيد بن جبير: معناه للغرباء الطارئين على مكة، وهذا قول الثعلبي[12]، والواحدي[13]، ابن عطية[14]، وأبي الليث السمرقندي[1].

---

(١) البقرة:١٢٥

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٠٥).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢/٤٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (١/٢٠٧).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي: (٢/١١٤).

(٦) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (١/٩٧).

(٧) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني: (١/١٣٨).

(٨) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/٥٥٣).

(٩) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٢٩٥).

(١٠) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/١٦٤).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (١/٩٧).

(١٢) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١/٢٧٢).

(١٣) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي: (١/١٣٠)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي: (١/٢٠٨).

(١٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (١/٢٠٨).

(١) انظر: بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي: (١/٩٢).

قال الثعلبي: (لِلطَّائِفِينَ حوله، وهم النُزَّاح إليه من آفاق الأرض)[1].

قال أبي الليث السمرقندي: (الطائفين الذين يطوفون بالبيت، وهم الغرباء، وَالْعاكِفِينَ: وهم أهل الحرم المقيمون بمكة من أهله وغيرهم)[2].

وقد ردَّ هذا القول القرطبي، بقوله: (وفيه بعد)، حيث قال: (قوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ ظاهره: الذين يطوفون بِهِ، وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مَعْنَاهُ لِلْغُرَبَاءِ الطَّارِئِينَ عَلَى مَكَّةَ، وَفِيهِ بُعْدٌ)[3].

والذي يترجَّح للباحث هو القول الأول، وهو ما رجَّحَه الإمام النَّسَفِي، وذلك لظاهر الآية.

قال الطبري: (وأولى التأويلين بالآية ما قاله عطاء؛ لأنَّ "الطائف" هو الذي يطوف بالشيء دون غيره، والطارئ من غَرْبةٍ لا يستحق اسم "طائف بالبيت"، إنْ لم يطف به)[4].

الثاني: عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾.

اختلف المفسرون في المراد بالعاكفين على أربعة أقوال:

القول الأول: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المجاور للبيت الحرام بغير طواف، وغير اعتكاف، ولا صلاة، وهذا قول عطاء، إذ يقول: ((إذا كان طائفاً بالبيت فهو من الطائفين، وإذا كان جالساً فهو من العاكفين))[5]، ورجَّحه الزجاج[6].

القول الثاني: وقال بعضهم: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ هم المعتكفون المجاورون، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، إذ يقولا: ((الْعَاكِفُونَ الْمُجَاوِرُونَ))[7].

---

(١) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١/٢٧٢).

(٢) بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي: (١/٩٢).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي: (٢/١١٤).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢/٤٢).

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢/٤٢). والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي: (٢/١١٤).والنكت والعيون، للماوردي: (١/١٨٨). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (١/٢٠٨)، وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/٥٥٣).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (١/٢٠٧).

(٧) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢/٤٢). والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي: (٢/١١٤).والنكت والعيون، للماوردي: (١/١٨٨). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (١/٢٠٨). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (١/٢٠٨). وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١/٥٥٣).

القول الثالث: وقال بعضهم: ﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ هم أهل البلد الحرام، وهذا قول سعيد بن جبير، إذ يقول في قوله: ﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ ((قال: أهل البلد))، وقَتَادَةُ، إذ يقول: ﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ قَالَ: ((الْعَاكِفُونَ هُمْ أَهْلُهُ))[1]. ورجَّحه من المفسرين: والواحدي[2]، ابن عطية[3]، وابن كثير[4]، والشوكاني[5].

القول الرابع: وقال آخرون: ﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ هم المصلون، وهذا قول ابن عباس – رضي الله عنه- إذ يقول في قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ قال: ((العاكفون: المصلون))، [6].

والذي يترجّح للباحث: هو القول الأول، وذلك لأنَّ الله – تعالى- قد ذكر في الآية حال الطائفين الذين يطوفون بالبيت، وذكر حال المصلين الركع السجود، علم أنَّ العاكفين غير حال المصلي والطائف.

وهو ما رجَّحه الطبري حيث قال: (وأولى هذه التأويلات بالصواب ما قاله عطاء، وهو أنَّ "العاكف" في هذا الموضع، المقيم في البيت مجاوراً فيه بغير طواف ولا صلاة؛ لأنَّ صفة "العكوف" ما وصفنا: من الإقامة بالمكان، والمقيم بالمكان قد يكون مقيماً به وهو جالس، ومصلٍّ وطائفٍ وقائم، وعلى غير ذلك من الأحوال، فلما كان تعالى ذكره قد ذكر – في قوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[7] – المصلين والطائفين، علم بذلك أنَّ الحال التي عنى الله – تعالى- ذكره من "العاكف"، غير حال المصلي والطائف، وأنَّ التي عنى من أحواله، هو العكوف بالبيت، على سبيل الجوار فيه، وإنْ لم يكن مصلياً فيه ولا راكعاً ولا ساجداً)[8].

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٤٣/٢). والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي: (١١٤/٢).والنكت والعيون، للماوردي: (١٨٨/١). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (٢٠٨/١). وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٥٥٣/١).

(٢) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي: (١٣٠/١)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي: (٢٠٨/١).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (٢٠٨/١).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٢٩٥/١).

(٥) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١٦٤/١).

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٤٣/٢). والنكت والعيون، للماوردي: (١٨٨/١). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (٢٠٨/١). وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٥٥٣/١).

(٧) البقرة:١٢٥

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٤٣/٢).

المسألة السادسة: حكم القتال عند المسجد الحرام

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾[1]

رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الآية محكمة، فعنده يقتلون في الأشهر الحُرُم لا في الحَرَم، إلا أن يبدأوا بالقتال معنا، حيث قال: «﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ في الحرم، **فعندنا** يُقْتَلُون في الأشهر الحُرُم لا في الحَرَم، إلا أن يبدأوا بالقتال معنا، فحينئذ نقتلهم، وإن كان ظاهر قوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[2] يبيحُ القتلَ في الأمكنة كلها، لكن لقوله: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ خصَّ الحرم إلا عند البداءة منهم»[3].

الدراسة والترجيح:

للعلماء في هذه الآية قولان:

القول الأول: إنَّها مُحْكَمة، وعليه: لا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أنْ يقاتل، قاله مجاهد[4]، وطاوُس[5]، وإليه ذهب أبو حنيفة[6]، ورجَّحَه من المفسرين: القرطبي[7]، وأبي منصور الماتريدي الحنفي[8]،

---

(١) البقرة:١٩١

(٢) البقرة:١٩١

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١٦٦/١).

(٤) انظر: تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج: (٩٨/١)، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، الناشر: المنشورات العلمية – بيروت.

(٥) طاووس بن كيسان الخولاني الحميري، وقيل: الهمداني، أبو عبد الرحمن اليماني: يقال: اسمه ذكوان، وطاووس لقب، من أكابر التابعين، تفقهاً في الدين ورواية للحديث، وتقشفاً في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك، وكان كاملاً في الفقه والتفسير، أصله من الفرس، ومولده ومنشأه في اليمن، ولد سنة ٣٣هـ، وتوفي حاجاً بالمزدلفة، أو بمنى، سنة ١٠٦هـ، وكان هشام بن عبد الملك حاجاً تلك السنة، فصلى عليه. انظر: تهذيب الكمال، للحافظ البزي: (٨/٥). تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٤٤٨/١). وطبقات المفسرين، للأدنروي: (١٢/١). وشذرات الذهب، لابن العماد: (١٢٧/١). والأعلام، للزركلي: (٢٢٤/٣).

(٦) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني: (١١٤/٧).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣٥١/٢).

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم: المسمى: تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي: (١٤٢/١-١٤٣)، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة – بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

وابن العربي من المالكية[١]، والجصاص[٢]، والبيضاوي[٣]، وأبي حيان الأندلسي[٤]، وابن عثيمين[٥].

القول الثاني: إنَّها منسوخة، قال قتادة: الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[٦]،وقال مقاتل: نسخها قوله تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ثم نسخ هذا قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، وعليه: فيجوز الابتداء بالقتال في الحرم، وهذا قول قتادة، ومقاتل، وإليه ذهب مالك، والشافعي[٧]، وعماد الدين الطبري، المعروف بالكيا الهراسي[٨]، ورَجَّحه من المفسرين: ابن عطية[٩]، ابن عادل الحنبلي[١٠]، وابن جزي[١١]، والسعدي[١٢].

ومن خلال القولين يتضح لنا أنَّ من قال أنَّ الآية محكمة، فإنهم يقولون، لا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أنْ يقاتل، فقد جاء في كتاب (بدائع الصنائع): (وَأَمَّا الِالْتِجَاءُ إلَى الْحَرَمِ فإن الْحَرْبِيَّ إذَا الْتَجَأَ إلَى الْحَرَمِ لَا يُبَاحُ قَتْلُهُ فِي الْحَرَمِ، وَلَكِنْ لَا يُطْعَمُ وَلَا يُسْقَى وَلَا يُؤْوَى وَلَا يُبَايَعُ، حتى يَخْرُجَ من الْحَرَمِ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ- يُقْتَلُ فِي الْحَرَمِ، واختلف أَصْحَابُنَا فِيمَا بَيْنَهُمْ، قال أبو حَنِيفَةَ وَمُحَمَّدٌ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ-: لَا يُقْتَلُ فِي الْحَرَمِ وَلَا يُخْرَجُ منه أَيْضًا، وقال أبو يُوسُفَ - رَحِمَهُ اللَّهُ- لَا يُبَاحُ قَتْلُهُ فِي الْحُرُمِ، وَلَكِنْ يُبَاحُ إخْرَاجُهُ من الْحَرَمِ، لِلشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ- قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وَحَيْثُ يُعَبَّرُ بِهِ عن الْمَكَانِ فَكَانَ هذا إبَاحَةً لِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْأَمَاكِنِ كُلِّهَا.

وَلَنَا قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[١٣] هذا إذَا دخل مُلْتَجِئًا.

---

(١) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي: (١/٢٠٧ - ٢٠٨).

(٢) أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص: (١/٣٢١ - ٣٢٢).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي: (١/٤٧٦).

(٤) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٢/٧٣).

(٥) انظر: تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٤/٣٠٣).

(٦) التوبة:٥

(٧) انظر: الحاوى الكبير لأبي الحسن الماوردى: (١٤/٢٣٣)، دار الفكر ـــ بيروت.

(٨) انظر: أحكام القرآن للكيا الهراسى، عماد الدين بن محمد الطبري، المعروف بالكيا الهراسي: (١/٦٧).

(٩) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي: (١/٢٤٩).

(١٠) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٢/٤٦٢).

(١١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (١/٩٤).

(١٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (١/٨٩).

(١٣) العنكبوت:٦٧

أَمَّا إِذَا دخل مُكَابِرًا أو مُقَاتِلاً يُقْتَلُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ﴾؛ وَلِأَنَّهُ لَمَّا دخل مُقَاتِلاً فَقَدْ هَتَكَ حُرْمَةَ الْحَرَمِ، فَيُقْتَلُ تَلَافِياً لِلْهَتْكِ زَجْرًا لِغَيْرِهِ عن الْهَتْكِ، وَكَذَلِكَ لو دخل قَوْمٌ من أَهْلِ الْحَرْبِ لِلْقِتَالِ، فَإِنَّهُمْ يُقْتَلُونَ وَلَوْ انْهَزَمُوا من الْمُسْلِمِينَ فَلَا شَيْءَ على الْمُسْلِمِينَ في قَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ [1].

ويلاحظ من الكلام السابق: أنَّ مذهب الحنفية يُقتل في الحُرُم لا في الحَرَم إلا إذا بدأ، وبما أنَّ الإمام النَّسَفِي حنفيٌّ المذهب، فقد قال به، وأشار إلى ذلك بقوله: «... كذا في شرح التأويلات»[2]، وقال أبي منصور الماتريدي: (قال أصحابنا -رحمهم الله-: نُقاتِلُ في الأشهر الحُرُم، ولا نُقاتلُ في الحَرَم، إلا أنْ يبدأ العدو بالقتال، فحينئذٍ نُقاتِلُ، وكذلك يقولون في مَنْ قَتَلَ آخر، ثم التجأ إلى الحَرم: لم يُقْتَلْ فيه، ولكن لا يُؤاكل، ولا يُشارب، ولا يُجالس، حتى يضطر فيخرج فيُقتل، وإذا قَتَلَ في الحَرَمِ يُقتلُ، فعلى ذلك لا يُقاتَلُ في الحَرَم إلا أن يبدأ العدو بالقتال، فعند ذلك يَحِّلُّ القتال، وإنما لم يحلُّ القتالُ في الحَرَم إلا أن يبدأ العدُوُّ به، وإن كان ظاهر قوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ يُبيحُ القتل في الأمكنة كلها، بقوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ﴾ استثنى الحَرَمَ دونَ غيره من الأماكن)[3].

ومن قال بأنَّ الآية منسوخة، فإنهم يقولون: بجواز الابتداء بالقتال في الحرم، فقد جاء في كتاب الحاوي الكبير في فقه الشافعي: (وَأَمَّا الْحَرَمُ فَقَدْ كَانَ الْقِتَالُ فِيهِ حَرَامًا عَلَى عُمُومِ الْأَحْوَالِ ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ – تَعَالَى-: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[4]، ثُمَّ أَبَاحَ اللَّهُ – تَعَالَى- فِيهِ قِتَالَ مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْ فَقَالَ: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ﴾.

ثُمَّ أَبَاحَ اللَّهُ – تَعَالَى- فِيهِ قِتَالَ مَنْ قَاتَلَ وَمَنْ لَمْ يُقَاتِلْ؛ بقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [5] وبقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾، وَقَالَ: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ [6]، فَصَارَ لِتَحْرِيمِ الْقِتَالِ فِي الْحَرَامِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ:

الْأُولَى: تَحْرِيمُهُ فِيهِ لِمَنْ قَاتَلَ وَمَنْ لَمْ يُقَاتِلْ.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني: (١١٤/٧).

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١٦٦/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم: (تأويلات أهل السنة)، لأبي منصور الماتريدي: (١٤٣/١).

(٤) آل عمران:٩٧

(٥) البقرة:١٩٣

(٦) البقرة:١٩١

الثَّانيَةُ: إِبَاحَتُهُ لِمَنْ قَاتَلَ دُونَ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْ.

وَالثَّالِثَةُ: إِبَاحَتُهُ لِمَنْ قَاتَلَ وَمَنْ لَمْ يُقَاتِلْ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ الْحَالةُ الثَّالِثَةُ غَيْرُ مُبَاحَةٍ، وَلَا يَسْتَبِيحُ فِيهِ إِلَّا قِتَالَ مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْ، وَهَذَا خَطَأٌ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَاتَلَ أَهْلَ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ مُبْتَدِئًا.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ قَاتَلَ فِيهِ أَهْلَ الْمَعَاصِي فَكَانَ تَطْهِيرُ الْحَرَمِ مِنْهُمْ أَوْلَى)(١).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا: أنَّ كلا القولين مجمعين على قِتال من ابتدأ بالقتال عند المسجد الحرام، بنص القرآن ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ واختلفوا في إذا لم يبدأ بالقتال، وقد ذكرنا ذلك، **والذي يترجَّح** لدى الباحث، بعد استعراض القولين، وحججهم، هو القول الأول، وهو ما رجَّحَه الإمام النَّسَفي، أنَّ الآية مُحْكمة، ولا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن يُقَاتِل، وعملاً بالقاعدة الأصولية المعروفة في أصول وقواعد الفقه: (إِعْمَالُ الْكَلَامِ أَوْلَى مِنْ إِهْمَالِهِ) (٢).

وهو ما رجَّحه ابن جزي حيث قال: (فهذه الآية منسوخة، وقيل: إنها محكمة، وأنّ المعنى: قالوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم، دون النساء والصبيان الذي لا يقاتلونكم، والأوّل أرجح وأشهر)(٣).

وقد رجَّح القرطبي أنَّ الآية محكمة، بعد أن ذَكَرَ القولين، فقال: (قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ للعلماء في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها منسوخة، والثاني: أنها محكمة، قال مجاهد: الآية محكمة، ولا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن يقاتل، وبه قال طاوس، وهو الذي يقتضيه نص الآية، وهو الصحيح من القولين، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه. وفي الصحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله - ﷺ- يوم فتح مكة: ((إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِى وَلَمْ يَحِلَّ لِى إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))(٤)، وقال قتادة: الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ

---

(١) انظر: الحاوى الكبير في فقه الشافعي، لأبي الحسن الماوردى: (٢٣٣/١٤)، دار الفكر ـــ بيروت.

(٢) انظر: الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ، لزَيْنُ الْعَابِدِيْنَ بْنِ إِبْرَاهِيْم بْنِ نُجَيْم: (ص١٣٥)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤٠٠هـــ – ١٩٨٠م. والأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي: (١٨٩/١)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـــ – ١٩٩١م. وقواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: (ص٦٠)، الناشر: الصدف ببلشرز – كراتشي، ١٤٠٧هـــ – ١٩٨٦م.

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (٩٤/١).

(٤) صحيح البخاري: (١١٦٤/٣)، كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب: إثم الغادر للبر والفاجر، رقم الحديث (٣٠١٧)، ومسلم: (١٠٩/٤)، كتاب الحج، باب: تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلاَهَا وَشَجَرِهَا وَلُقَطَتِهَا إِلاَّ لِمُنْشِدٍ عَلَى الدَّوَامِ، رقم الحديث (٣٣٦٨).

﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ وقال مقاتل: نسخها قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ ثم نسخ هذا قوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ فيجوز الابتداء بالقتال في الحرم ومما احتجوا به أن "براءة" نزلت بعد سورة "البقرة" بسنتين، وأن النبي - ﷺ- دخل مكة وعليه المغفر، فقيل: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: "اقتلوه".

وقال ابن خويز منداد[1]: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِ﴾ منسوخة؛ لأنَّ الإجماع قد تقرر بأنَّ عدواً لو استولى على مكة وقال: لأقاتلكم، وأمنعكم من الحج ولا أبرح من مكة لوجب قتاله وإن لم يبدأ بالقتال، فمكة وغيرها من البلاد سواء، وإنما قيل فيها: هي حرام تعظيماً لها، ألا ترى أن رسول الله - ﷺ- بعث خالد بن الوليد يوم الفتح وقال: ((احصدهم بالسيف حتى تلقاني على الصفا))[2] حتى جاء العباس فقال: يا رسول الله، ذهبت قريش، فلا قريش بعد اليوم، ألا ترى أنه قال في تعظيمها: ((ولا يلتقط لقطتها إلا منشد)) واللقطة بها وبغيرها سواء، ويجوز أن تكون منسوخة بقوله : ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾[3].

قلت : وأما ما احتجوا به من قتل ابن خطل وأصحابه فلا حجة فيه، فإن ذلك كان في الوقت الذي أحلت له مكة وهي دار حرب وكفر، وكان له أن يريق دماء من شاء من أهلها في الساعة التي أحل له فيها القتال، فثبت وصح أنَّ القول الأول – أنها محكمة- أصح، والله أعلم)[4].

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن عبد الله خويز منداد المالكي، العراقي، فقيه، يكنى أبا عبد الله، وأصولي صاحب أبي بكر الأبهري، قال القاضي عياض: وقد تكلم فيه أبو الوليد الباجي، وقال: لم أسمع له من علماء العراقيين ذكراً، توفي سنة ٣٩٠هـــ، من تصانيفه: (كتاب كبير في الخلاف)، و(كتاب في أصول الفقه)، و(اختيارات في الفقه)، و (في أحكام القرآن)، وعنده شواذ عن مالك، وله اختيارات وتأويلات على المذهب في الفقه. انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: (٤٩٠/١). ولسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: (٢٩١/٥)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـــ - ١٩٨٦م.

(٢) انظر: سنن الدارقطني: لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي: (٦٠/٣)، كتاب البيوع، رقم الحديث (٢٣٣)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦هـــ - ١٩٦٦م.

(٣) البقرة:١٩٣

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣٥١/٢).

الفصل الثالث

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في أحكام الأسرة والمعاملات.

المبحث الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في أحكام الأسرة

المبحث الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في المعاملات

المبحث الأول

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في أحكام الأسرة

المطلب الأول: ترجيحاته في أحكام النكاح

المسألة الأولى: الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ

المسألة الثانية: تحديد الوارث الذي يقوم مقام الوالد في نفقة الرضاع

المسألة الثالثة: طهارة الحائض

المطلب الثاني: ترجيحاته في أحكام الطلاق والرجعة

المسألة الأولى: في معنى قُرُوء

المسألة الثانية: في الخلع

الفصل الثالث

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في أحكام الأسرة والمعاملات

المبحث الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في أحكام الأسرة

المطلب الأول: ترجيحاته في أحكام النكاح

المسألة الأولى: من الذي بيده عقدة النكاح

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾[1]، رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج، حيث قال: «﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ هو الزوج كذا فسره علي – ﷺ- وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وأبي حنيفة والشافعي على الجديد، وهذا لأنَّ الطلاق بيده فكان إبقاء العقد بيده، والمعنى: أنَّ الواجب شرعاً هو النصف، إلا أن تسقط هي الكل أو يعطي هو الكل تفضلاً، وعند مالك والشافعي في القديم هو الولي، **قلنا**: هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه؟»[2].

الدراسة والترجيح: ذكر الإمام النَّسَفِي في هذه المسألة قولان:

القول الأول: إنَّ الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج، وهذا قول علي بن أبي طالب – ﷺ-، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وشريح[3]، ومجاهد[4]، وطاووس، ومقاتل[5]، وابن وهب[6] في تفسيره[7]، ومذهب أبي

---

(١) البقرة:٢٣٧

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٢٨).

(٣) هو: القاضي شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية: من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية، واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة ٧٧ هـ، وكان ثقة في الحديث، مأموناً في القضاء، له باع في الأدب والشعر، وعمر طويلاً، ومات بالكوفة سنة ٧٨هـ. انظر: الأعلام، للزركلي: (٣/١٦١).

(٤) انظر: تفسير مجاهد: (١/٢٣٨).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٢٠٠).

(٦) هو: عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري، أبو محمد: فقيه من الأئمة، من أصحاب الإمام مالك، جمع بين الفقه والحديث والعبادة، له مؤلفات، منها: (الجامع) في الحديث، و (الموطأ) في الحديث، كتابان كبير وصغير، وكان حافظاً ثقة مجتهداً، عُرض عليه القضاء فخبأ نفسه ولزم مترله، مولده ووفاته بمصر، ولد سنة ١٢٥هـ، وتوفي سنة ١٩٧هـ. انظر: الأعلام، للزركلي: (٤/١٤٤).

(٧) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي: (١/٨٠)، تحقيق: ميكلوش موراني، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

حنيفة[1]، والشافعي في الجديد[2]، وهو ظاهر مذهب أحمد بن حنبل[3]، ورجَّحه من المفسرين: الطبري[4]، وأبي الليث السمرقندي[5]، والواحدي[6]، والبيضاوي[7]، والخازن[8]، وأبي حيان الأندلسي[9]، وابن كثير[10]، والشوكاني[11]، ومحمد رشيد رضا[12]، والسعدي[13]، والشعراوي[14].

وحُجتهم:

١- عن شريح، قال: سألني علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عن الذي بيده عقدة النكاح، فقلت: هو ولي المرأة، فقال علي: ((لا بل هو الزوج)) [15].

٢- أنَّه ليس للولِيّ أَنْ يهب مهرَ وليَّته، صغيرةً كانت، أو كبيرةً.

٣- أنَّ الَّذي بيد الولِيّ هو عقدُ النكاحِ، فإذا عقد، فقد حصل النكاحُ، والعقدةُ الحاصلةُ بعد العقدِ في يدِ الزَّوج، لا في يدِ الولي.

---

(١) انظر: المبسوط: للسَّرخسي: (١١٥/٦). وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لعلاء الدين الكاساني: (٢٩٠/٢).

(٢) انظر: الأم، للشافعي: (٧٤/٥). وأسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا الأنصاري: (٢١٨/٣)، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ – ٢٠٠٠م. والمهذب في فقه الشافعي، لأبي اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي: (٥٩/٢)، دار الكتب العلمية – بيروت. والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا النووي: (٣٦٨/١٦). والحاوي في فقه الشافعي، للماوردي: (٣٤٥/٩).

(٣) انظر: المغني، لابن قدامة المقدسي: (٧٠/٨).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (١٥٨/٥).

(٥) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي: (١٥٦/١).

(٦) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي: (٣٤٨/١). والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (ص: ١٧٥).

(٧) انظر: تفسير البيضاوي: (١٤٧/١).

(٨) انظر: تفسير الخازن: (١٧٢/١).

(٩) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٥٣٨/٢).

(١٠) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٦٤٤/١).

(١١) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (٢٩٢/١).

(١٢) انظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: (٣٤٣/٢).

(١٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (١٠٥/١).

(١٤) انظر: تفسير الشعراوي: (١٠٢٠/٢).

(١٥) سنن البيهقي الكبرى: (٢٥١/٧)، باب: من قال الذي بيده عقدة النكاح الزوج من باب عفو المهر، رقم الحديث (١٤٢٢٣). وسنن الدارقطني: (٢٧٨/٣)، باب: المهر، رقم الحديث (١٢٣). قال الألباني: إسناده صحيح. انظر: إرواء الغليل، للألباني: (٣٥٥/٦).

٤- روي عن جُبير بن مطعم[١]: أَنَّهُ تزوج امرأةً وطلَّقها قبل أن يدخل بها، فأكمل الصداق، وقال: أنا أحَقُّ بالعفوِ، وهذا يدل على أنّ الصحابةَ فهموا من الآية العفو الصادر من الزوج[٢].

قال الشعراوي: (﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ والمقصود به الزوج وليس الولي؛ لأنَّ سياق الآية يفهم منه أنَّ المقصود به هو الزوج، مع أنَّ بعض المفسرين قالوا: إنَّه ولي الزوجة، ولنا أن نعرف أنَّ الولي ليس له أن يعفو في مسألة مهر المرأة؛ لأنَّ المهر من حق الزوجة، فهو أصل مال، وأصل رزق في حياة الناس؛ لأنَّه نظير التمتع بالبضع،...وأراد المفسرين الذين نادوا بأنَّ ولي الزوجة هو الذي يعفو، وأقول: لماذا يأتي الله بحكم تتنازل فيه المرأة عن حقها وأن تعفو عن النصف، والرجل لا يكون أريحياً ليعفو عن النصف؟ لماذا تجعل السماء الغرم كله على المرأة؟ هل من المنطقي أن تعفو النساء، أو يعفو الذي بيده عقد النكاح يعني أولياء الزوجة، فنجعل العفو يأتي من الزوجة ومن أوليائها؛ أي من جهة واحدة؟

إنَّ علينا أن نحسن الفهم لسياق الفضل الذي قال الله فيه: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾[٣]، إن التقابل في العفو يكون بين الاثنين، بين الرجل والمرأة، ونفهم منه المقصود بقوله تعالى: ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ أنَّه هو الزوج، فكما أنَّ للمرأة أن تعفو عن النصف المستحق لها، فللزوج أن يعفو أيضاً عن النصف المستحق له).

القول الثاني: إنَّ الذي بيده عقدة النكاح هو الولي، وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد[٤]، ومالك، والشافعي في القديم[٥]، ورجَّحه من المفسرين: الزمخشري[٦]، والرازي[٧]، وابن عاشور[٨].

(١) هو: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي يكنى أبا محمد، وقيل: أبا عدي، أمه أم حبيب، صحابي، كان من علماء قريش وسادتهم، من كبار النسابين، كان أنسب قرشي لقريش والعرب قاطبة، أسلم بعد الحديبية وقبل الفتح، وقيل: أسلم في الفتح، له ٦٠ حديثاً، وتوفي بالمدينة سنة ٥٩هـ، وقيل : سنة ٥٨هـ، وقيل : سنة ٥٧هـ. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: (٥١٥/١). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: (٤٦٢/١). والأعلام، للزركلي: (١١٢/٢).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (١٥٨/٥). وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٦٤٤/١). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٢٢٢/٤).

(٣) البقرة:٢٣٧

(٤) انظر: تفسير مجاهد: (٢٣٨/١).

(٥) انظر: الأم، للشافعي: (٧٤/٥). وأسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا الأنصاري: (٢١٨/٣). والمهذب في فقه الشافعي، للشيرازي: (٥٩/٢). والحاوي في فقه الشافعي، للماوردي: (٣٤٥/٩).

(٦) انظر: الكشاف، للزمخشري: (٢٨٦/١).

(٧) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١٢٣/١).

(٨) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٤٦٣/٢-٤٦٤).

حُجتهم:

١- أنَّ عفو الزوج هو أن يعطيها المهرَ كُلَّهُ، وذلك يكون هبةً، والهبةُ لا تُسمَّى عفواً[(١)].

وأُجيبوا بأنَّه كان الغالب عندهم، أَنْ يسوق المهرَ كُلَّه إليها، عند التزوج، فإذا طلّق، فقد استحقَّ المُطَالبة بنصفِ ما ساقَهُ إليها، فإذا ترك المطالبة، فقد عفا عنها، وأيضاً، فالعفو قد يُراد به التسهيلُ، يقال: فلانٌ وجد المالَ عفواً صَفْواً، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾[(٢)] فعلى هذا عفو الرجل: أَنْ يبعث إليها كُلَّ الصداقِ على وجهِ السهُولةِ[(٣)].

٢- أَنَّ ذكر الزَّوج، قد تقدَّم في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[(٤)] فلو كان المرادُ بـــ ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ هو الزوج، لقال: أَوْ تَعْفُو على سبيل المخاطبةِ فلمَّا عبّر عنه بلفظ الغائب، علِمْنا الغائب، علِمْنا أَنَّ المرادَ منه غيرُ الأَزواج[(٥)].

وأجيبوا بأَنَّ سبب العُدُولِ عن الخطاب إلى الغيبة؛ التنبيه على المعنى الذي لأجله رغب الزوج في العقد، والمعنى: أَوْ يَعْفُو الزوج الذي حبسها مالك عقد نكاحها عن الأزواج، ولم يكن منها سبب في الفراق وَإِنَّما فارقها الزوج، فلا جرم كان حقيقاً بأَلاَّ ينقصها من مهرِها شيئاً[(٦)].

٣- أَنَّ الزوج ليس بيده عَقْدُ عُقْدة النكاح أَلْبَتَّةَ؛ لأَنَّه قبل النكاح كان أَجْنبيّاً عن المرأة، ولا قُدْرة له على التصرف فيها بوجهٍ من الوجوهِ، وأَمَّا بعد النكاح، فقد حصل النكاحُ، ولا قُدْرة له على إيجاد الموجودِ، بل له قدرةٌ على إِزالة النكاح، والله - تعالى - أثبت العفو لمن في يدِه، وفي قُدرته عقد النكاح[(٧)].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١/١٢٣). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٤/٢٢٢).

(٢) البقرة:١٧٨

(٣) انظر: المبسوط: للسِّرخسي: (٦/١١٥). وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لعلاء الدين الكاساني: (٢/٢٩٠). وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٥/١٥٨). وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٦٤٤). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٤/٢٢٢). وفتح القدير، للشوكاني: (١/٢٩٢).

(٤) البقرة:٢٣٧

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١/١٢٣). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٤/٢٢٢).

(٦) انظر: المبسوط: للسِّرخسي: (٦/١١٥). وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لعلاء الدين الكاساني: (٢/٢٩٠). وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٥/١٥٨). وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٦٤٤). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٤/٢٢٢). وفتح القدير، للشوكاني: (١/٢٩٢).

(٧) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (١/١٢٣). واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٤/٢٢٢).

والذي يترجَّح للباحث هو القول الأول، وهو ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي، لأنَّ الزوج هو الذي بيده عقدة النكاح حقيقة، ولأنَّ العقد بيد الزوج أقرب من كونه للولي، ولأنَّ حق المهر أقرب إلى الزوج؛ لأنَّ بيده التصرف منفرداً، وبالمقابل فإنَّه في حق الولي مشترك مع وليته، فإنَّها قد تعفي أو لا تعفي.

وهو ما رجّحه الطبري حيث قال: (وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: المعني بقوله: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾، الزوج، وذلك لإجماع الجميع على أنَّ ولي جارية بكر أو ثيب، صبية صغيرة كانت أو مدركة كبيرة، لو أبرأ زوجها من مهرها قبل طلاقه إياها، أو وهبه له أو عفا له عنه- أن إبراءه ذلك وعفوه له عنه باطل، وأن صداقها عليه ثابت ثبوته قبل إبرائه إياه منه، فكان سبيل ما أبرأه من ذلك بعد طلاقه إياها، سبيل ما أبرأه منه قبل طلاقه إياها)(1).

ورجَّحه الشوكاني حيث قال: (ومعنى قوله: ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ قيل: هو الزوج، وبه قال شريح، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي، وعكرمة، وابن سيرين، والضحاك، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، ومقاتل، وهو الجديد من قولي الشافعي، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، والثوري، والأوزاعي، ورجحه ابن جرير، وفي هذا القول قوة وضعف، أما قوته: فلكون الذي بيده عقدة النكاح حقيقة هو الزوج؛ لأنَّه هو الذي إليه رفعه بالطلاق، وأما ضعفه فلكون العفو منه غير معقول، وما قالوا به من أنَّ المراد بعفوه أن يعطيها المهر كاملاً غير ظاهر، لأنَّ العفو لا يطلق على الزيادة.

وقيل: المراد بقوله: أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح هو الولي، وبه قال النخعي، وعلقمة، والحسن، وطاووس، وعطاء، والزهري، والشعبي، وقتادة، ومالك، والشافعي في قوله القديم، وفيه قوة وضعف، أما قوته فلكون معنى العفو فيه معقولاً، وأما ضعفه فلكون عقدة النكاح بيد الزوج لا بيده، ومما يزيد هذا القول ضعفاً: أنَّه ليس للولي أن يعفو عن الزوج مما لا يملكه، وقد حكى القرطبي الإجماع على أنَّ الولي لا يملك شيئاً من مالها، والمهر مالها.

فالراجح ما قاله الأولون لوجهين:

الأول: أنَّ الزوج هو الذي بيده عقدة النكاح حقيقة.

الثاني: أنَّ عفوه بإكمال المهر هو صادر عن المالك مطلق التصرف، بخلاف الولي، وتسمية الزيادة عفواً، وإن كان خلاف الظاهر، لكن لما كان الغالب أنهم يسوقون المهر كاملاً عند العقد، كان العفو معقولاً؛ لأنَّه تركه لها و لم يسترجع النصف منه، ولا يحتاج في هذا إلى أن يقال: إنَّه من باب المشاكلة كما في الكشاف؛ لأنَّه عفو حقيقي، أي: ترك لما يستحق المطالبة به، إلا أن يقال: إنَّه مشاكلة، أو يطيب في توفية المهر قبل أن يسوقه الزوج)(2).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (١٥٨/٥).

(٢) فتح القدير، للشوكاني: (٢٩٢/١).

المسألة الثانية: تحديد الوارث الذي يقوم مقام الوالد في نفقة الرضاع

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾[1]، رجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الوارث المقصود من الآية هو من كان ذا رحم محرم منه، حيث قال: «﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾عطف على قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾[2] وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه، أي: وعلى وارث الصبي عند عدم الأب مثل ذلك، أي: مثل الذي كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة.

واختلف فيه؛ فعند ابن أبي ليلى: كل من ورثه، **وعندنا:** من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود – ﷺ- وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك، وعند الشافعي – رحمه الله-: لا نفقة فيما عدا الولاد»[3].

الدراسة والترجيح:

وعلى الوارث مثل ذلك، أي على وارث الطفل إذا عدم الأب وكان الطفل ليس له مال وجوب نفقة المعسرين على القريب الوارث الميسر.

إلا أنَّ العلماء اختلفوا في تحديد المراد بالوارث الذي تجب علية النفقة والكسوة بعد أبية، إلى عدة أقول:

القول الأول: إنَّ المراد بالوارث هم جميع الورثة من الرجال والنساء على قدر ما يرثون[4]، وهذا القول مروي عن زيد بن ثابت، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الله بن معقل، ومجاهد، وإبراهيم النخعي، وعطاء الخراساني، وسعيد بن جبير، والزهري، وقتادة، وحارث العكلي، والسدي، وابن أبي ليلى، والثوري[5] ومذهب أحمد، وأبي ثور[6].

---

(١) البقرة:٢٣٣

(٢) البقرة:٢٣٣

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١٢٦/١).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٥٤/٥ – ٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم: (٤٣٢/٢-٤٣٣)، والكشف والبيان، للثعلبي: (١٨٣/٢)، والكافي في فقه الإمام أحمد، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي: (٢٣٩/٣)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م. والمغني، لابن قدامة: (٢١٨/٨)، والشرح الكبير على متن المقنع، لأبي الفرج، شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، (المتوفى: ٦٨٢هـ): (٢٧٧/٩)، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار.

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٢٥/٤ – ٢٣١)، وتفسير ابن أبي حاتم: (٤٣٢/٢-٤٣٣)، والكشف والبيان، للثعلبي: (١٨٣/٢)، والكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة: (٢٣٩/٣)، والمغني، لابن قدامة: (٢١٨/٨)، والشرح الكبير على متن المقنع، لأبي الفرج، شمس الدين عبد الرحمن ابن قدامة: (٢٧٧/٩).

(٦) انظر: الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة: (٢٣٩/٣)، والمغني: لابن قدامة: (٢١٨/٨ – ٢١٩)، والشرح الكبير على متن المقنع، لأبي الفرج، شمس الدين عبد الرحمن ابن قدامة: (٢٧٧/٩).

واستدلوا بظاهر السياق القرآني: وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾، وأنَّ المراد بالآية كل وارث من ذكر وأنثى، فإنْ مات المولود له لزم وارثه أنْ يقوم مقامه في أنْ يرزقها ويكسوها[١].

قال الرازي: (واعلم أنَّ ظاهر الكلام يقتضي أن لا فضل بين وارث ووارث؛ لأنَّه تعالى أطلق اللفظ فغير ذي الرحم بمترلة ذي الرحم، كما أنَّ البعيد كالقريب، والنساء كالرجال، ولولا أنَّ الأم خرجت من ذلك من حيث مر ذكرها بإيجاب الحق لها، لصح أيضا دخولها تحت الكلام؛ لأنها قد تكون وارث كغيرها)[٢].

القول الثاني: إنَّ المراد بالوارث هو وارثه من عصبته إذا كان أبوه ميتاً سواء كان عماً أو أخاً أو ابن أخ أو ابن عم دون النساء من الورثة[٣]، وهذا قول عمر بن الخطاب، وبه قال سعيد ابن المسيب، والزهري، وقتادة، والحسن، ومجاهد، وعطاء، وسفيان، وإبراهيم[٤].

واستدلوا بتأول قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ على الرجال دون النساء، بأنَّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– أجبر عصبة غلام على رضاعه، الرجال دون النساء.

القول الثالث: إنَّ المراد بالوارث الذي تجب عليه النفقة هم مِنْ ورثته من كان منهم ذا رحم محرم[٥]، وهذا قول أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد[٦].

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ وجه الدلالة: جعل الله على الْوَارِث مثل مَا جعل على الوالد[٧].

---

(١) انظر: الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة: (٢٣٩/٣)، والمغني: لابن قدامة: (٢١٨/٨ – ٢١٩)، والشرح الكبير على متن المقنع، لأبي الفرج، شمس الدين عبد الرحمن ابن قدامة: (٢٧٧/٩).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي: (٤٦٣/٦).

(٣) انظر: النكت والعيون، للماوردي: (٣٠٠/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٥٠٦/٢)، ومفاتيح الغيب، للرازي: (٤٦٣/٦).

(٤) انظر: النكت والعيون، للماوردي: (٣٠٠/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٥٠٦/٢)، ومفاتيح الغيب، للرازي: (٤٦٣/٦).

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٢٥/٤)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٤٧٩/١)، والاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي: (١١/٤)، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة، (من علماء الحنفية)، الناشر: مطبعة الحلبي – القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م. و الهداية في شرح بداية المبتدي، لأبي الحسن برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغياني، (المتوفى: ٥٩٣هـ): (٢٩٣/٢)، تحقيق: طلال يوسف، الناشر: دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان. والعناية شرح الهداية، (٤١٩/٤)، والبحر الرائق شرح كتر الدقائق، لابن نجيم: (٢٢٨/٤).

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٢٥/٤)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٤٧٩/١)، والاختيار لتعليل المختار، مجد الدين أبو الفضل الحنفي: (١١/٤)، والهداية في شرح بداية المبتدي، لأبي الحسن برهان الدين المرغياني: (٢٩٣/٢)، والعناية شرح الهداية، محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ)، (٤١٩/٤)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ. والبحر الرائق شرح كتر الدقائق، لابن نجيم: (٢٢٨/٤).

(٧) انظر: الحجة على أهل المدينة، لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ): (١٥٥/٣)، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني القادري، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

وبقراءة ابن مسعود: وعلى الوارث ذي الرحم المحرم، فيقيد به مطلق النص إن كان ذو الرحم[1].

القول الرابع: أحدها: أن المراد بالوارث هو المولود نفسه ، الذي هو وارث أبيه المتوفى فإنّ عليه أجر رضاعه في ماله إن كان له مال، فإن لم يكن له مال أجبر أمّه على رضاعه، ولا يجبر على نفقة الصبي إلّا الوالدان[2]، وهو مروي عن ابن عباس[3]، وبه قال الشافعي[4]، ومالك[5]، وقبيصة بن ذؤيب[6].

واستدلوا:

بما روي عن عباس – رضي الله تعالى عنهما – فكان يقول: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ على الوارث أن ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾[7]

قال الإمام الشافعي: (وابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أعلم بمعنى كتاب الله – ﷻ– منا والآية محتملة على ما قال ابن عباس، وذلك أنَّ في فرضها على الوارث والأم حية دلالة على أنَّ النفقة ليست على الميراث؛ لأنها لو كانت على الميراث كان على الأب ثلثاها، وسقط عنه ثلثها؛ لأنَّه حظ الأم)[8].

وبحديث: «مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ، عُتِقَ عَلَيْهِ»[9].

القول الراجح: وبعد عرض الأقوال في المسألة تبين للباحث أنَّ الراجح – والله أعلم– هو القول الأول؛ وذلك حسب ظاهر السياق القرآني وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ معطوف على قوله: وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن فظاهر الكلام يقتضي أنْ لا فضل بين وارث ووارث، وأنَّ اللفظ مطلق لكل وارث ولا يوجد مخصص له.

---

(١) انظر: روح المعاني، للألوسي: (٥٤٠/١). و المبسوط، للسِّرخسي: (٢٠٩/٥).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٢٥/٤)، و الكشف والبيان، للثعلبي: (١٨٣/٢)، والتفسير الوسيط، للواحدي: (٣٤٢/١)، وفتح القدير، للشوكاني: (٢٨٤/١)، وروح المعاني، الألوسي: (٥٤١/١)، والأم، للشافعي: (١١٣/٥)، والحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي: (٤٧٨/١١)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م. ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي: (٢١٨/٧)، دار الفكر – بيروت، الطبعة: طبعة أخيرة – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٢٦/٤)، و الكشف والبيان، للثعلبي: (١٨٣/٢)، والتفسير الوسيط، للواحدي: (٣٤٢/١)، وفتح القدير، للشوكاني: (٢٨٤/١)، وروح المعاني، الألوسي: (٥٤١/١).

(٤) انظر: الأم، للشافعي: (١١٣/٥)، والحاوي الكبير، للماوردي: (٤٧٨/١١)، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشهاب الدين الرملي: (٢١٨/٧).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب الرازي (٦ / ٤٦٣).

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٢٦/٤)، و الكشف والبيان، للثعلبي: (١٨٣/٢)، والتفسير الوسيط، للواحدي: (٣٤٢/١)،

(٧) البقرة:٢٣٣

(٨) الأم، للشافعي: (١١٣/٥).

(٩) سنن أبي داوود: (٤٥/٤)، كتاب العتق، باب: فِيمَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ، رقم الحديث (٣٩٥١). سنن ابن ماجة: (٨٤٣/٢)، كتاب العتق، باب: من ملك ذا رحم محرم فهو حر، رقم الحديث (٢٥٢٤). (٦٤٦/٣)، كتاب الأحكام، باب: فمن ملك ذا رحم محرم، رقم الحديث (١٣٦٥). وسنن النسائي: (١٧٣/٣)، كتاب ما قذفه البحر، باب: من ملك ذا رحم محرم، رقم الحديث (٤٨٩٧). ومسند الإمام أحمد: (١٨/٥)، رقم الحديث (٢٠٢١٧). قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح.

المسألة الثالثة: طهارة الحائض

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾[1]، رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- العمل بالقراءتين، على أنَّه إذا انقطع دم الحائض لأكثر مدة الحيض جاز وطؤها قبل أن تغتسل عملاً بقراءة التخفيف، وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت الصلاة عملاً بقراءة التشديد، حيث قال: «﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ مجامعين، أو ولا تقربوا مجامعتهن ﴿حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾بالتشديد كوفي غير حفص، أي: يغتسلن، وأصله "يتطهرون" فأدغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما.

غيرهم يطهرن، أي: ينقطع دمهن، والقراءتان كآيتين فعملنا بهما، **وقلنا** له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملاً بقراءة التخفيف، وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت الصلاة عملاً بقراءة التشديد، والحمل على هذا أولى من العكس؛ لأنَّه حينئذ يجب ترك العمل بإحداهما لما عرف، وعند الشافعي – رحمه الله- لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ فجامعوهن فجمع بينهما»[2].

الدراسة والترجيح:

اتفق الفقهاء على حرمة اتيان الرجل زوجته أثناء الحيض وعلى وجوب اغتسال المرأة من الحيض إلا انهم اختلفوا على جواز اتيانها بعد انقطاع الدم وقبل اغتسالها، وذلك للقراءتين الواردة في آية اعتزال المرأة في الحيض:

القول الأول: إنَّه لا يجوز اتيان المرأة بعد انقطاع الدم حتى تغتسل، وبه قال الجمهور[3]، ورجَّحه من المفسرين: الطبري[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، والرازي[7]، والقرطبي[8]، والبيضاوي[9]، والقاسمي[10].

---

(١) البقرة:٢٢٢

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١١٩/١).

(٣) انظر: مختصر المزني، (١٠٣/٨). والحاوي الكبير، (٣٨٦/١).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣٨٤/٤).

(٥) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (٢٨٩/١).

(٦) انظر: الكشاف، للزمخشري: (٢٦٦/١).

(٧) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٤١٩/٦).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٨٩/٣).

(٩) انظر: تفسير البيضاوي: (١٣٩/).

(١٠) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي: (١١٩/٢).

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾(١)، ووجه الاستدلال بهذه الآية من وجهين(٢):

أحدهما: أنَّ في الآية قراءتين إحداهما: بالتخفيف وضم الهاء، ومعناها: انقطاع الدم، والأخرى: بالتشديد وفتح الهاء معناها الغسل، واختلاف القراءتين كالآيتين فيستعملان معاً، ويكون تقدير ذلك: فلا تقربوهن حتى ينقطع دمهن ويغتسلن.

والوجه الثاني: أنَّه قال تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ فجعل بعد الغاية شرطاً هو الغسل، لأمرين:

أحدهما: إضافة الفعل إليهن وليس انقطاع الدم من فعلهن وإنما يفعلن الطهارة.

والثاني: أنَّه أثنى عليهن بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٣) والثناء يستحق بالأفعال الصادرة من جهة، من توجه الثناء إليه، فأما فعل غيره فلا يستحق عليه مدحاً ولا ذماً، وإذا كان كذلك فكل حكم تعلق بغاية وشرط لم يجز أن يستباح بوجود الغاية مع عدم الشرط(٤).

القول الثاني: إذا انقطع دم الحائض لأكثر مدة الحيض جاز وطؤها قبل أن تغتسل وبه قال مجاهد، وعكرمة، والحنفية(٥)، ورجَّحه من المفسرين: ابن كثير(٦).

واستدلوا: أنَّ المانع من الوطء هو الحيض لوجوب الاغتسال فقد جعل الطهر غاية للحرمة وما بعد الغاية يخالف ما قبلها؛ ولأنَّ الحيض لا يزيد على العشرة فيحكم بطهارتها لمضي العشرة انقطع الدم، أو لم ينقطع(٧).

أنَّ المرأة الطاهرة إذا كانت جنباً فللزوج أن يقربها، فكذلك هنا بعد التيقن بالخروج من الحيض للزوج أن يقربها، ولو كانت أيامها دون العشرة فانقطع دمها لم يكن للزوج أن يقربها ما لم تغتسل؛ لأنَّ مدة الاغتسال من حيضها فإن مضى عليها وقت صلاة فللزوج أن يقربها(٨).

---

(١) البقرة:٢٢٢

(٢) انظر: الحاوي الكبير، (٣٨٦/١).

(٣) البقرة:٢٢٢

(٤) انظر: الحاوي الكبير، (٣٨٦/١).

(٥) انظر: المبسوط، للسرخسي: (١٦/٢)، و تبيين الحقائق شرح كتز الدقائق، للزيلعي: (٥٨/١).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٥٨٧/١).

(٧) انظر: المبسوط، للسرخسي: (١٦/٢)، و تبيين الحقائق شرح كتز الدقائق، للزيلعي: (٥٨/١).

(٨) المبسوط، للسرخسي: (١٦/٢).

والقراءتان تدل على هذا، والقراءتان كآيتين فعملنا بهما، وقلنا له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملاً بقراءة التخفيف، وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت الصلاة عملاً بقراءة التشديد(١).

القول الراجح:

ويرى الباحث أنَّ القول الأول هو القول الراجح ـ وهو غير ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي- وذلك لما استدلوا به؛ ولأنَّ الله – تعالى- جعل للحل غايتين كما تقتضيه القراءتان: إحداهما: انقطاع الدم، والأخرى: التطهر منه، والغاية الأخرى مشتملة على زيادة على الغاية الأولى، فيجب المصير إليها.

قال الطبري: (وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: (حَتَّى يَطَّهَّرْنَ) بتشديدها وفتحها، بمعنى: حتى يغتسلن – لإجماع الجميع على أن حرامًا على الرجل أن يقرَب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر)(٢).

قال الشوكاني: والأولى أن يقال: إن الله — سبحانه- جعل للحل غايتين كما تقتضيه القراءتان: إحداهما انقطاع الدم، والأخرى التطهر منه، والغاية الأخرى مشتملة على زيادة على الغاية الأولى، فيجب المصير إليها، وقد دل أنَّ الغاية الأخرى هي المعتبرة، لقوله تعالى بعد ذلك: فإذا تطهرن فإن ذلك يفيد أنَّ المعتبر التطهر، لا مجرد انقطاع الدم، وقد تقرر أنَّ القراءتين بمنزلة الآيتين، فكما أنَّه يجب الجمع بين الآيتين المشتملة إحداهما على زيادة بالعمل بتلك الزيادة، كذلك يجب الجمع بين القراءتين(٣).

---

(١) تفسير النسفي: (١/١٨٥).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٤/٣٨٤).

(٣) فتح القدير، للشوكاني: (١/٢٥٩).

المطلب الثاني: ترجيحاته في أحكام الطلاق والرجعة

المسألة الأولى: في معنى (قُرُوءٍ)

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[1] رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– أنَّ القرء هو الحيض، حيث قال: «﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ جمع قَرء أو قُرء، وهو الحيض؛ لقوله – ﷺ-: ((دعي الصلاة أيام أقرائك[2]))، وقوله: ((طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان[3])) ولم يقل طهران، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ ﴾[4]، فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار، ولأنَّ المطلوب من العدة استبراء الرحم، والحيض هو الذي يستبرأ به الأرحام دون الطهر، ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة، ولأنَّه لو كان طهراً كما قال الشافعي، لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث، فانتقص العدد عن الثلاثة؛ لأنَّه إذا طلقها لآخر الطهر، فذا محسوب من العدة عنده، وإذا طلقها في آخر الحيض، فذا غير محسوب من العدة **عندنا**، والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه.

ويقال: أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ، وانتصاب ثلاثة على أنه مفعول به، أي: يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على الظرف، أي: يتربصن مدة ثلاثة قروء، وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء لاشتراكهما في الجمعية اتساعاً، ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل»[5].

---

(١) البقرة:٢٢٨

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الطلاق:٤

(٥) تفسير النَّسَفِي: (١/١٨٩).

الدراسة والترجيح:

اختلف الفقهاء في تفسير القروء الوارد في العدة بالأطهار أم بالحيض وذلك على قولين:

القول الأول: إنَّ القرء هو الحيض، وهو قول أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي موسى الأشعري[1]، ومجاهد[2]، ومقاتل[3]، وقتادة، والضحاك، والسدي، والحنفية[4]، والحنابلة[5]، ورجَّحه من المفسرين: أبي الليث السمرقندي[6]، والزمخشري[7]، والقرطبي[8]، والسعدي[9].

واستدلوا أنَّ الحمل على الحيض أولى لمعان: أحدهما العمل بلفظ الجمع : يعني القروء فإنه جمع قرء بالفتح والضم ، ووجهه أن أقل الجمع ثلاثة ، وذلك إنما يتحقق عند الحمل على الحيض لا على الطهر لما أن الطلاق يوقع في طهر وهو السنة، ثم هو محسوب عن الأقراء عند من يقول بالأطهار فيكون حينئذ مدة عدمًا قرأين وبعض الثالث، ولفظ الثلاثة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[10] خاص لكونه وضع لمعنى معلوم على الانفراد، وهو لا يحتمل النقصان، بخلاف ما لو أريد بالقروء الحيض فإنه يكمل ثلاثاً، والثاني: أنَّ الحيض معرف لبراءة الرحم؛ لأنَّ براءتها إنما تظهر بالحيض لا بالطهر، لما أنَّ الحمل طهر ممتد فيجتمعان، فلا يحصل التعرف بأنها حامل أو حائل وهو أي التعرف هو المقصود. والثالث قوله - ﷺ- ((وعدة الأمة حيضتان))[11]، والرق إنما يؤثر في التنصيف لا في النقل من الطهر إلى الحيض فيلحق بياناً به، أي: فيلحق هذا الخبر بالمشترك من الكتاب بياناً[12].

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٤/٥٠٠-٥٠٣). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (١/٣٠٥). وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٢/٤٥٤).

(٢) انظر: تفسير مجاهد: (ص: ٢٣٦).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/١٩٤).

(٤) انظر: المبسوط، للسرخسي: (٦/٢٢)، والعناية شرح الهداية: محمد بن محمود البابرتي: (٤/٣٠٩)، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني: (٧/٣٩٣)، والهداية شرح البداية، للمرغياني: (٢/٢٨)، و البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم: (٤/١٤٠).

(٥) انظر: الشرح الكبير، لابن قدامة (٩/٩٦)، و المغني، لابن قدامة: (٩/٨١). والمحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين: (٢/١٠٤)، الناشر: مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م. ودقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى: (٣/١٩٥)، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٦) انظر: بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي: (١/١٥٠).

(٧) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/٢٧١).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣/١١٤).

(٩) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (١/١٠١).

(١٠) البقرة:٢٢٨

(١١) سبق تخريجه.

(١٢) انظر: العناية شرح الهداية، محمد بن محمود البابرتي: (٤/٣٠٩)، و المغني، لابن قدامة: (٩/٨١).

القول الثاني: إنَّ المراد بالقرء هو الطهر، وهو قول عائشة، وابن عمر، وزيد بن ثابت، والزهري[1]، والمالكية[2]، والشافعية[3]، ورجَّحه من المفسرين: الثعلبي[4]، والبغوي[5]، والرازي[6]، والبيضاوي[7]،

واستدلوا: بقراءة ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما: (فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ)[8]، وقُبُل كل شيء أوله، فدل على أنَّ عدة المرأة هو الطهر[9].

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[10]، المراد به في وقت عدتهن كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[11]، والمراد به في يوم القيامة، والطلاق المأمور به في الطهر، فدل على أنَّ الطهر هو وقت العدة؛ لأنَّ الحيض لا يجوز إيقاع الطلاق فيه[12].

ويؤيد ذلك حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض فأمره رسول الله – ﷺ- أن يراجعها حتى تطهر ثم يطلقها طاهراً من غير جماع، ثم قال: ((فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِى أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ))[13].

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٤/٥٠٠-٥٠٣). والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: (١/٣٠٥). وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٢/٤٥٤).

(٢) انظر: الذخيرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي: (١/٧٥)، تحقيق: محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م. ومواهب الجليل في شرح مختصر خليل، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي: (١/٥٤٩)، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. والتاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي: ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م. (٦/٢٠٧).

(٣) انظر: الأم، للشافعي: (٥/٢٠٩)، والحاوي الكبير، للماوردي: (١١/١٦٤)، والمهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي: (٢/١٤٣)، والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (١٨/١٣٢).

(٤) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (٢/١٧١).

(٥) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (١/٣٠٠).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٦/٧٧).

(٧) انظر: تفسير البيضاوي: (١/١٤١).

(٨) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي: (٢/٣٢٣).

(٩) انظر: المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (١٧/٧٥).

(١٠) الطلاق:١

(١١) الأنبياء:٤٧

(١٢) انظر: الرسالة، للشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي: (١/٥٦٧)،تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي – مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م. والمهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي: (٢/١٤٣)، والاستذكار، لابن عبد البر: (٦/٢٠٣).

(١٣) صحيح مسلم: (٤/١٧٩)، كتاب الطلاق، باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعتها، رقم الحديث (٣٧٢٦).

القول الراجح:

و الذي يظهر للباحث ـــ والله أعلمـ أنَّ الراجح هو القول الأول، وذلك لما يلي:

- لما استدل به أصحاب القول الأول.

- ولأنَّا إذا حملنا القروء على الأطهار انتقص العدد عن الثلاثة، فصارت العدة قرئين وبعض الثالث، وإذا حملنا القرء على الحيض كانت ثلاثة كاملة، والثلاثة اسم خاص لعدد معلوم لا يحتمل غيره كالفرد لا يحتمل العدد والواحد لا يحتمل الاثنين، ففي حمله على الأطهار ترك العمل بلفظ الثلاث فيما هو موضوع له لغة.

- وأما القراءة الشاذة وإن صحت إلا أنها لا تثبت حكماً زائداً، وتحمل على أنها تفسيراً من ابن عمر أنَّ القرء هو الطهر، لقوله – ﷺ-: ((فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِى أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ))، كما يحتمل أنها بمعنى طلقوهن في استقبال عدتهن، و ذلك لورود الأمر أن يكون طلاق المرأة في طهرٍ لم يمسها فيه، وأبان أن هذا هو الطلاق الذي أذن الله بإيقاعه، وأن ذلك هو العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء فلا تكون العدة الطهر أبداً ، فلا تكون إلا الحيض لأنَّه أمر بالطلاق لتستقبل المرأة عدتها؛ لأنَّ الطهر الذي أوقع الطلاق فيه لا تستقبله المرأة إنما تستقبل ما بعده، والذي بعده هو الحيض فيكون الحيض هو العدة.

- وأما قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، فمعناه: أي: لاستقبال عدتهن، واللام للتوقيت، نحو: كتبته لأربع ليال بقين من جمادى الأولى، أو مستقبلات لها.

- ومما يؤيد القول بأنَّ المراد بالعدة والقرء أنَّه الحيض قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾[(١)]، أي: اضبطوها وأكملوها ثلاثة قروء كوامل بخلاف القول بأنَّ العدة هو الطهر.

- أما حديث ابن عمر فإنما هو رأيه أنَّ القرء هو الطهر، وقد خالفه كثير من الصحابة فلا حجة فيه.

- ويرى الباحث أنَّ الآية تدل على أنَّ العدة تعتبر بالحيض لا بالطهر، وهذا من أقوى أدلة الحنفية، ومما أجمع العلماء عليه: أنَّ الاستبراء في شراء الجواري يكون بالحيض، فكذا العدة ينبغي أنْ تكون بالحيض؛ لأنَّ الغرض واحد وهو براءة الرحم، ومما يدلّ على أنَّ المراد القُرء: الحيض قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾[(٢)] وهذا هو الحيض والحمل عند عامة المفسرين.

---

(١) الطلاق:١

(٢) البقرة:٢٢٨

المسألة الثانية: في الخلع

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾[1]

رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– أنَّ الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة، حيث قال: «﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ مرة ثالثة بعد المرتين، فإن قلت الخلع طلاق **عندنا**، وكذا عند الشافعي – رحمه الله– في قول، فكأنَّ هذه تطليقة رابعة.

قلت: الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة، وهذه بيان لتلك، أي: فإن طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾ من بعد التطليقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ حتى تتزوج غيره»[2].

الدراسة والترجيح:

اختلف الفقهاء هل الخلع فسخ أم طلاق؟

القول الأول: فجمهور العلماء على أنَّه طلاق، وبه قال مالك[3]، وأبو حنيفة[4] سوى بين الطلاق والفسخ، وهو ما رجحه الإمام النّسَفِي في تفسير هذه الآية وسماه طلاق ببدل.

القول الثاني: هو فسخ، وبه قال الشافعي[5]، وأحمد[6]، ومن الصحابة ابن عباس، وبهذا قال عكرمة، وطاووس، وهو رواية عن عثمان بن عفان، وابن عمر، وأبي ثور، وقد روي عن الشافعي أنَّه كناية، فإن أراد به الطلاق كان طلاقاً وإلا كان فسخاً، وقد قيل عنه في قوله الجديد: إنَّه طلاق[7].

فجمهور من رأى أنَّه طلاق يجعله بائناً؛ لأنَّه لو كان للزوج في العدة منه الرجعة عليها لم يكن لافتدائها معنى، وقال أبو ثور: إن لم يكن بلفظ الطلاق لم يكن له عليها رجعة، وإن كان بلفظ الطلاق كان له عليها الرجعة، واحتج من جعله طلاقاً بحديث ابن عباس – رضي الله عنه– قال: جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله – ﷺ– فقالت: يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولادين ولكني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله – ﷺ–: ((أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم))، فقال: رسول الله – ﷺ–: ((اقبل

(١) البقرة:٢٣٠

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١٩١/١ – ١٩٢).

(٣) انظر: الاستذكار، لابن عبد البر: (٨٠/٦).

(٤) انظر: المبسوط، للسرخسي: (٣٠٨/٦).

(٥) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (١٩/١٠).

(٦) انظر: المغني، لابن قدامة: (١٨١/٨).

(٧) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (١٩/١٠).

الحديقة وطلقها تطليقة))[١]، واحتجوا بأنَّ الفسوخ إنما هي التي تقتضي الفرقة الغالبة للزوج في الفراق مما ليس يرجع إلى اختياره، وهذا راجع إلى الاختيار فليس بفسخ.

واحتج من لم يره طلاقاً بأنَّ الله – تبارك وتعالى– ذكر في كتابه الطلاق فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾[٢] ثم ذكر الافتداء، ثم قال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ فلو كان الافتداء طلاقاً لكان الطلاق الذي لا تحل له فيه إلا بعد زوج هو الطلاق الرابع.

وعند هؤلاء أنَّ الفسوخ تقع بالتراضي، قياسا على فسوخ البيع – أعني: الإقالة –، وعند المخالف أنَّ الآية إنما تضمنت حكم الاقتداء على أنه شيء يلحق جميع أنواع الطلاق لا أنَّه شيء غير الطلاق[٣].

قال ابن القيم: والذي يدل على أنَّه ليس بطلاق أنَّه سبحانه وتعالى رتب الطلاق بعد الدخول الذي لا يستوف عدده ثلاثة أحكام، كلها منتفية عن الخلع: (الأول) أنَّ الزوج أحق بالرجعة فيه، (الثاني) أنَّه محسوب من الثلاث، فلا تحل بعد استيفاء العدد، إلا بعد دخول زوج وإصابته، (الثالث) أنَّ العدة فيه ثلاثة قروء، وقد ثبت بالنص والاجماع أنَّه لا رجعة في الخلع، وثبت بالسنة وأقوال الصحابة أنَّ العدة فيه حيضة واحدة، وثبت بالنص جوازه بعد طلقتين، ووقوع ثالثة بعدها، وهذا ظاهر جداً في كونه ليس بطلاق[٤].

القول الراجح:

من خلال ما سبق يظهر للباحث – والله أعلم– أنَّ الخلع فسخ وليس بطلاق، أما بالنسبة لاحتجاج من قال أنَّه طلاق بحديث ابن عباس، فالحديث حجة عليهم وليس حجة لهم؛ وذلك لأنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم– أمر ثابت بن قيس أن يطلق امرأته في الخلع تطليقة، ومع هذا أمرها أن تعتد بحيضة وهذا صريح في أنَّه فسخ، ولو وقع بلفظ الطلاق، ولأنَّه ثبت بالنص جوازه بعد طلقتين ووقوع ثالثة بعدها، وثبت بالنص أيضاً أنَّه لا رجعة فيه بخلاف الطلاق، ومن قال أنَّه طلاق بائن قلنا له: ولماذا جعلت عدته حيضة فقط.

---

(١) صحيح البخاري: (٤٦/٧)، باب: الخلع وكيف الطلاق فيه، حديث رقم (٥٢٧٣).

(٢) البقرة:٢٢٩

(٣) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد الحفيد: (٩١/٣)، وأضواء البيان، للشنقيطي: (١٤٢/١)، اختلاف الأئمة العلماء، الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني: (١٦٣/٢)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م.

(٤) فقه السنة، لسيد سابق: (٣٠٤/٢)، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧م.

المبحث الثاني

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في المعاملات

المطلب الأول: بيع المعاطاة

المطلب الثاني: شهادة غير المسلم

المبحث الثاني

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في المعاملات

المطلب الأول: بيع المعاطاة

عند تفسيره لقزله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾[1]، رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- «﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾أي: استبدلوها به واختاروها عليه، وإنما قال: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ولم يكونوا على هدى؛ لأنها في قوم آمنوا ثم كفروا، أو في اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد – ﷺ- فلما جاءهم كفروا به، أو جعلوا لتمكنهم منه كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة، **وفيه دليل على جواز** البيع تعاطياً؛ لأنهم لم يتلفظوا الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم، وسمي ذلك شراء، فصار **دليلاً لنا** على أنَّ من أخذ شيئاً من غيره ترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وإن لم يتكلم به».

الدراسة والترجيح: اختلف العلماء في بيع المعاطاة إلى قولين:

القول الأول: لا يصح بيع المعاطاة مطلقاً، وبه قالت الشافعية[2].

واستدلوا: بأنَّ البيع لابد فيه من الايجاب والقبول وذلك لا يكون الا بالقول، أما الفعل فلا يدل بوضعه على ايجاب أو قبول[3].

القول الثاني: إنَّه يصح بيع المعاطاة مطلقاً سواءً كان الشيء حقيراً أو نفيساً، وبه قال الحنفية[4]، والمالكية[5]، و الحنابلة[6].

---

(١) البقرة:١٦

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (١٦٢/٩)، وأسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري: (٣/٢)، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي: (٣٢٦/٢)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م. وروضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٣٣٨/٣)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت- دمشق- عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ -١٩٩١م.

(٣) انظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري: (٣/٢)، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني: (٣٢٦/٢).

(٤) انظر: البناية شرح الهداية، بدر الدين العيني: (٦/٨)، والعناية شرح الهداية، للبابرتي: (٢٥٢/٦)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم: (٢٩٢/٥)، والدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار)، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي: (٥١٣/٤)، دار الفكر-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٥) انظر: جامع الأمهات، لابن الحاجب الكردي المالكي: (ص: ٣٣٧)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد عرفه الدسوقي: (٣/٣)، تحقيق: محمد عليش، دار الفكر – بيروت. وشرح مختصر خليل، للخرشي: (٦/٥).

(٦) انظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي: (٢٠١/٥)، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي: (١٤٨/٣)، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر – بيروت، سنة النشر ١٤٠٢هـ. والفروع وتصحيح الفروع، محمد بن مفلح: (١٢٢/٦)، والمغني، لابن قدامة: (٤٨١/٣).

واستدلوا:

بأنَّ الله أحل البيع، ولم يبين كيفيته، فوجب الرجوع فيه إلى العرف، كما رجع إليه في القبض والإحراز والتفرق، والمسلمون في أسواقهم وبياعاتهم على ذلك؛ ولأنَّ البيع كان موجودا بينهم، معلوما عندهم، وإنما علق الشرع عليه أحكاما، وأبقاه على ما كان، فلا يجوز تغييره بالرأي والتحكم، ولم ينقل عن النبي - ﷺ- ولا عن أصحابه، مع كثرة وقوع البيع بينهم، استعمال الإيجاب والقبول، ولو استعملوا ذلك في بياعاتهم لنقل نقلاً شائعاً، ولو كان ذلك شرطاً، لوجب نقله، ولم يتصور منهم إهماله والغفلة عن نقله، ولأنَّ البيع مما تعم به البلوى، فلو اشترط له الإيجاب والقبول لبينه - ﷺ- بياناً عاماً، ولم يخف حكمه؛ لأنَّه يفضي إلى وقوع العقود الفاسدة كثيراً، وأكلهم المال بالباطل، ولم ينقل ذلك عن النبي - ﷺ- ولا عن أحد من أصحابه فيما علمناه، ولأنَّ الناس يتبايعون في أسواقهم بالمعاطاة في كل عصر، ولم ينقل إنكاره من قبل مخالفينا، فكان ذلك إجماعاً[(١)]؛ ولأنَّ جواز البيع باعتبار الرضا، وقد تحقق في المعاطاة[(٢)].

القول الثالث: يصح بيع المعاطاة في الاشياء الحقيرة دون النفيسة، وبه قال بعض الحنفية[(٣)]، وبعض الشافعية[(٤)].

واستدلوا: أنَّ المعاطاة بالمحقرات جرت العادة فيها بالمعاطاة بخلاف النفيسة[(٥)].

القول الراجح:

ويرى الباحث أنَّ القول الثاني هو القول الراجح لما استدلوا به؛ ولأنَّ العبرة بالمعاني لا بالألفاظ، وأخذ الشي يدل على الرضا بين الطرفين، وأمَّا قول الشافعية ففيه مشقة وتعسير على مصالح الناس، والشريعة مبينة على اليسر لا سيما وقد تحقق الرضا بين الطرفين، فالظاهر والله أعلم أنَّ ماجرت فيه العادة والعرف بين الناس بما يدل على الرضا بين الطرفين يكون بيعاً صحيحاً، وقد جرت العادة هذه الأيام أنَّ الشي النفيس الكبير ثمناً لا يكون إلا بكتابة العقد، فلا يعتبر إلا بالأقوال مكتوبة، وهذا لا يخالف ما قلناه بترجيح القول الثاني؛ لأنَّ المسالة مبينة على عرف الناس. والله اعلم.

وتقدير النفيس والحقير راجع أيضاً إلى العرف والعادة.

---

(١) انظر: المغني، لابن قدامة: (٤٨١/٣).

(٢) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم: (٢٩١/٥).

(٣) انظر: البناية شرح الهداية، بدر الدين العيني: (٦/٨)، والعناية شرح الهداية، للبابرتي: (٢٥٢/٦)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم: (٢٩٢/٥)، والدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار)، لابن عابدين: (٥١٣/٤).

(٤) انظر: المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (١٦٢/٩)، وأسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري: (٣/٢)، و مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ، للخطيب الشربيني: (٣٢٦/٢)، وروضة الطالبين وعمدة المفتين (٣٣٨/٣).

(٥) انظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري: (٣/٢)، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ، للخطيب الشربيني: (٣٢٦/٢).

المطلب الثاني: شهادة غير المسلم

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾[1] رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- بقبول شهادة الكفار بعضهم على بعض، حيث قال: «﴿مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين﴿مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾من رجال المؤمنين، والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام، وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة **عندنا**»[2].

الدراسة والترجيح:

اختلف العلماء في هذه المسألة إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا تقبل شهادة الكفار مطلقاً سواءً على المسلم أو على بعضهم البعض، وبه قال المالكية[3] والشافعية[4]، ورجحه من المفسرين: البيضاوي[5]، وابن جزي[6]، والخازن[7]، واستدلوا:

- بقول الله تعالى: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾[8]، فمنعت هذه الآية من قبول شهادتهم من وجهين:

---

(١) البقرة:٢٨٢

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٤٣).

(٣) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (١٧/٦٣). والمدونة، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني: (٤/٢١)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م. والذخيرة، للقرافي: (١٠/٢٢٤)، ومنح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي: ، دار الفكر – بيروت، بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م. (٨/٣٨٩).

(٤) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (١٧/٦٣). والمهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي: (٣/٤٣٧)، والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٢٠/٢٢٦)، والبيان في مذهب الإمام الشافعي، لابن أبي الخير العمراني: (١٣/٢٧٨)، والسراج الوهاج على متن المنهاج، محمد الزهري الغمراوي: (ص: ٦٠٣)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت. تفسير الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: (١/٤٤٥)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(٥) انظر: تفسير البيضاوي: (١/١٦٤). التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (١/١٣٩).

(٦) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي: (١/١٣٩). تفسير الخازن: (١/٢١٥).

(٧) انظر: تفسير الخازن: (١/٢١٥).

(٨) الطلاق:٢

أحدهما: أنَّهم غير عدول، والثاني: أنَّهم ليسوا منا[1]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[2] فأمر بالتبين في نبأ الفاسق، وهو خبره، والكافر فاسق، فاقتضى وجوب التبين في خبره، والشهادة خبر[3].

- وروى معاذ: أنَّ النبي - ﷺ- قال: ((لا تقبل شهادة أهل دين على غير أهل دينهم إلا المسلمين؛ فإنهم عدول على أنفسهم وعلى غيرهم))[4].

- ولأنَّ من عرف بالكذب وأكل السحت لا تقبل شهادته، وقد أخبر الله تعالى: أنَّ الكفار يفعلون ذلك، قال الله تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [5] فلم تقبل شهادتهم[6].

القول الثاني: تقبل شهادة الكفار بعضهم على البعض، وبه قالت الحنفية[7]، وحكاه من المفسرين: أبي حيان الأندلسي[8]، والنيسابوري[9].

واستدلوا:

- بحديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه- ((أنَّ رسول الله - ﷺ- أجاز شهادة أهل الكتاب بعضهم على بعض)) [10].

---

(١) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (٦٢/١٧)، والمهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي: (٤٣٧/٣)، والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٢٢٦/٢٠)، والسراج الوهاج على متن المنهاج، محمد الزهري الغمراوي: (ص: ٦٠٣).

(٢) الحُجُرات:٦

(٣) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (٦٣/١٧). والمهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي: (٤٣٧/٣)، والمجموع شرح المهذب لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٢٢٦/٢٠)، والبيان في مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي: (٢٧٨/١٣)، تحقيق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م. والذخيرة، للقرافي: (٢٢٥/١٠).

(٤) سنن البيهقي الكبرى: (١٦٣/١٠)، باب: من رد شهادة أهل الذمة ، رقم الحديث (٢٠٤٠٣). مصنف عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني: (٣٥٧/٨)، باب: شهادة أهل الملل بعضهم على بعض وشهادة المسلم عليهم، رقم الحديث (١٥٥٣٠)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ. ومسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي: (٦١/١)، باب: الحكم عن من يسم، رقم الحديث (٣١٠)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٥) المائدة:٤٢

(٦) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (٦٤/١٧)، والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٢٢٦/٢٠)، والبيان في مذهب الإمام الشافعي، لابن أبي الخير العمراني: (٢٧٨/١٣).

(٧) انظر: البناية شرح الهداية، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى: (١٥٢/٩)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٨) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٧٢٧/٢).

(٩) انظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: (٧٥/٢).

(١٠) سنن ابن ماجة: (٧٤٩/٢)، باب: شهادة أهل الكتاب بعضهم على بعض، رقم الحديث (٢٣٧٤).

- ولأنَّه من أهل الولاية على نفسه وعلى أولاده الصغار، فيكون من أهل الشهادة على جنسه[1].

القول الثالث: إنَّه لا تقبل شهادة الكافر في غير الوصية في السفر، وبه قال الحنابلة[2].

واستدلوا: بالأدلة التي استدل بها أصحاب القول الأول، إلا أنهم استثنوا في حالة السفر لقوله تعالى: ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[3].

القول الراجح:

ويرى الباحث أنَّ قول الحنفية هو الراجح، وذلك من وجوه:

- لئلا تضيع حقوق الناس، والشريعة جاءت لحفظ حقوق الناس حتى ولو لم يكونوا مسلمين، وأما الأدلة التي أوردها الشافعية والمالكية

- ويجاب على هذا الدليل بأنَّ الخطاب موجه الى المسلمين وليس الى الكفار، بأن يجعلوا الشهادة فيما بينهم من المسلمين، ونحن نقول لا شهادة لكافر على مسلم، بل الكفار فيما بينهم.

- وأيضاً فإنَّ الفسق من حيث الاعتقاد غير مانع؛ لأنَّه يجتنب ما يعتقده محرم دينه، والكذب محظور الأديان كلها بخلاف المرتد؛ لأنَّه لا ولاية له، وبخلاف شهادة الذمي على المسلم[4].

- ولأنَّ اهل الكتاب اذا احتكموا إلينا حكمنا بينهم بكتابهم كما فعل الرسول - ﷺ- في رجم اليهوديان اللذين زنيا، وكتابهم يعمل بشهادة بعضهم البعض، فقلنا بجواز شهادة بعضهم على بعض.

- وأما الحديث الذي استدلوا به فقد ضعفه أهل الحديث[5].

- وما استدل به الحنابلة فهو أيضاً يدل أنَّ الشريعة جاءت لحفظ مصالح الناس وحقوقهم، فقد أجازوا شهادة الكافر على المسلم في السفر والضرورة.

---

(١) البناية شرح الهداية، بدر الدين العينى: (١٥٢/٩).

(٢) الفروع ومعه تصحيح الفروع، لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي: (٣٥٤/١١)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. و الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي: (٤١/١٢)، دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٣) المائدة:١٠٦

(٤) البناية شرح الهداية، لبدر الدين العيني: (١٥٣/٩).

(٥) انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري: (٦٢٣/٩)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط - وعبد الله بن سليمان - وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. وخلاصة البدر المنير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري: (٤٣٩/٢)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

الفصل الرابع

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقوبات ومسائل أخرى متفرقة.

المبحث الأول: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقوبات.

المبحث الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في مسائل أخرى متفرقة.

المبحث الأول

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العقوبات

المطلب الأول : ترجيحات الإمام النَّسَفِي في القصاص.

المطلب الثاني: ترجيحات الإمام النَّسَفِي في العفو من القصاص.

المطلب الأول

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في القصاص

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ﴾ (١)

رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله– أنَّ القصاص يجري بين الحر والعبد، وبين الذكر والأنثى، مُستدلاً بآية المائدة ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾(٢)، حيث قال: «﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ﴾ مبتدأ وخبر، أي: الحر مأخوذ أو مقتول بالحر ﴿وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ﴾، وقال الشافعي ــ رحمه الله ــ: لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص، وعندنا يجري القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾، كما بين الذكر والأنثى، وبقوله ــ ﷺ ــ: ((الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ))(٣) وبأنَّ التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل: أنَّ جماعة لو قتلوا واحداً قتلوا به، وبأنَّ تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر، بل يبقى الحكم فيه موقوفاً على ورود دليل آخر، وقد ورد كما بينا»(٤).

---

(١) البقرة:١٧٨

(٢) المائدة:٤٥

(٣) سنن أبي داوود: (٣٤/٣)، كتاب الجهاد، باب: فِي السَّرِيَّةِ تَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْعَسْكَرِ، رقم الحديث (٢٧٥٣). وسنن ابن ماجة: (٨٩٥/٢)، كتاب الديات، باب: المسلمون تتكافأ دماؤهم، رقم الحديث (٢٦٨٣). وسنن النسائي: (٢٠٨/٥)، كتاب السير، باب: إعطاء العبد الأمان، رقم الحديث (٨٦٨١). والسنن الكبرى للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: (٢٨/٨)، باب: ، رقم الحديث (١٦٣٢٨)، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية – الهند –حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٤٤ هــ. والمستدرك على الصحيحين، للحاكم: (١٥٣/٢)، رقم الحديث (٢٦٢٥)، كتاب قسم الفيء. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح ابن ماجة: (١٠٥/٢)، رقم الحديث (٢١٧٢). وصحيح وضعيف سنن النسائي: (٣١٨/١٠)، رقم الحديث (٤٧٤٦).

(٤) تفسير النَّسَفِي: (١٥٥/١).

الدراسة والترجيح:

اتفق الفقهاء على قتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والأنثى بالذكر؛ لأنَّه إذا قتل كل واحد منهم بمن هو مثله، فلأن يقتل بمن هو أفضل منه أولى، ويقتل الذكر بالأنثى، وأما قتل الذكر بالأنثى فليس فيه إلا الإجماع[1].

وقال النيسابوري وغيره من المفسرين في تعليلهم بقتل الرجل بالمرأة: وكأن الذكورة والأنوثة فضيلتان كالعلم والجهل والشرف والخسة، فكما أنَّه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والأنثى[2].

واختلفوا في قتل المسلم بالكافر، والحر بالعبد، و وسنذكر في هذه المسألة قتل الحر بالعبد:

---

(١) انظر: تحفة الفقهاء، محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي: (٩٩/٣)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م. والعناية شرح الهداية، محمد بن محمود البابرتي: (٢١٥/١٠). وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين الزيلعي الحنفي، عثمان بن علي بن محجن البارعي: (١٠٢/٦)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٣هـ. ودرر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا، أو منلا أو المولى – خسرو:(٩١/٢)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون طبعة، وبدون تاريخ. والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم: (٣٣٦/٨). ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده: (٦١٨/٢)، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، سنة النشر ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. والدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار)، لابن عابدين: (٥٣٣/٦). والكافي في فقه أهل المدينة، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: (١٠٩٤/٢)، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ –١٩٨٠م. والبيان والتحصيل لابن رشد الحفيد: (٥٠٠/١٥). والمقدمات الممهدات، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي: (٢٨٠/٣)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. والذخيرة، للقرافي: (٣٢٠/١٢). وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد الحفيد: (١٨٠/٤). والمهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي: (١٧١/٣)، والأم، للشافعي: (١٠/٦)، والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٣٥٠/١٨). والكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة المقدسي: (٢٥٣/٣)، والشرح الكبير على متن المقنع، لأبي الفرج، شمس الدين بن قدامة: (٣٥٧/٩)، والمبدع في شرح المقنع، لابن مفلح الحنبلي: (٢١٦/٧).

(٢) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: (٤٨٢/١)، واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٢٢٠/٣).

اختلف الفقهاء والمفسرون إلى قولين:

القول الأول: إنَّ القصاص يجري بين الحر والعبد، وهو قول الحنفية[(١)]، والثوري، وابن أبي ليلى، وسعيد بن المسيب[(٢)]، والشعبي، والنخعي، وقتادة[(٣)]، ورجَّحه من المفسرين: أبي السعود[(٤)]، والألوسي[(٥)]، وابن عاشور[(٦)]، وابن عثيمين[(٧)].

وحجتهم:

- قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾.
- وقول اللّه ــ ﷻ ــ: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ﴾[(٨)] والسُّلْطَانُ الْقَتْلُ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ﴾
- وحديث النبي ــ ﷺ ــ: ((من قتل عبده قتلناه))[(٩)].

---

(١) انظر: تحفة الفقهاء، لأبي بكر علاء الدين السمرقندي: (٣/٩٩)، والعناية شرح الهداية، (١٠/٢١٥). وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، (٦/١٠٢)، ودرر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز: (٢/٩١)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم: (٨/٣٣٦)، ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان، المدعو بشيخي زاده: (٢/٦١٨)، والدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار)، لابن عابدين: (٦/٥٣٣).

(٢) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ولد سنة ١٣هــ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءاً، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر، توفي بالمدينة سنة ٩٤هــ. انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد: (٥/١١٩). وصفة الصفوة، لابن الجوزي: (٢/٤٤). وحلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني: (٢/١٦١). وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٤/٢١٧). وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (٤/٧٤). والأعلام، للزركلي: (٣/١٠٢).

(٣) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: (١/٤٨٢)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٢٤٦)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢/١٣٨)، والكشاف، للزمخشري: (١/٢٢٠)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي: (١/٣٨٢).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود: (١/١٩٥).

(٥) انظر: روح المعاني، للألوسي: (٢/١١٠).

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور: (٢/١٣٨).

(٧) انظر: تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٤/٢٤٦).

(٨) الإسراء:٣٣

(٩) سنن أبي داوود: (٤/٢٩٧)، كتاب الديات، باب: من قتل عبده أو مثل به أيقاد منه، رقم الحديث (٤٥١٧). وسنن ابن ماجة: (٢/٨٨٨)، كتاب الديات، باب: هل يقتل الحر بالعبد، رقم الحديث (٢٦٦٣). وسنن الترمذي: (٤/٢٦)، باب: الرجل يقتل عبده، رقم الحديث (١٤١٤). قال الألباني: ضعيف. انظر: ضعيف سنن أبي داوود: (١/٤٥٢)، رقم الحديث (٩٧٤). وسنن البيهقي الكبرى: (٨/٣٥)، باب: ما روي فيمن قتل عبده أو مثل به، رقم الحديث (١٥٧٢٣). والمستدرك على الصحيحين، للحاكم: (٤/٤٠٨)، رقم الحديث (٨٠٩٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه.

- ولم يشترط الحنفية[1] التكافؤ في الحرية والدين، وإنَّما يكفي التساوي في الإنسانية، لعموم آيات القصاص بدون تفرقة بين نفس ونفس، مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[2].

ويلاحظ مما سبق: أنَّ الأحناف اعتمدوا في قراءتهم للآية على العموم ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ متوقفين عند هذه اللفظ، على أنَّه كلام عام مستقل بذاته، فهي تثبت عمومية القصاص في حق المجني عليه سواءً كان كافراً أو مسلماً، حراً أو عبداً، ذكراً أو أنثى.

- واستدلوا بعموم حديث النبي ـ ﷺ ـ: «العمد قَوَد»[3].

- ولحديث النبي ـ ﷺ ـ: ((الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ)).

- ولحديث النبي ـ ﷺ ـ: ((لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ، إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ))[4].

- وصوناً لحق الحياة، لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[5].

- ولأنَّ العبد آدمي معصوم الدم فأشبه الحر، والقصاص يتطلب فقط المساواة في العصمة.

- وأما قوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ فهو ذكر بعض ما شمله العموم على موافقة حكمه فلا يجب تخصيص ما بقي، ألا ترى أنَّه كما قابل العبد بالعبد، قابل الأنثى بالأنثى، ثم لا يمنع ذلك مقابلة الذكر بالأنثى، وفي مقابلة الأنثى بالأنثى دليل على وجوب القصاص على الحرة بقتل الأمة[6].

---

(١) انظر: المبسوط، للسِّرخسي: (١٣٠/٢٦). وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني الحنفي: (٢٣٧/٧)، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين الزيلعي الحنفي: (١٠٢/٦)، الفقه الإسلامي وأدلته، أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ: (٥٨٤/٧)، دار الفكر – دمشق – سوريَّا، الطَّبعة الرَّابعة المنقَّحة المعدَّلة.

(٢) المائدة:٤٥

(٣) سنن الدارقطني: (٩٤/٣)، كتاب الحدود والديات وغيره، رقم الحديث(٤٥). ومُصنف ابن أبي شيبة: (٣٦٥/٩)، باب: من قال العمد قود، رقم الحديث (٢٨٣٤١). وقال الألباني صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة: (٦٤٠/٤)، رقم الحديث (١٩٨٦).

(٤) صحيح البخاري: (٢٥٢١/٦)، كتاب الديات، باب: قول الله تعالى: (أن النفس بالنفس)، رقم الحديث (٦٤٨٤). وصحيح مسلم: (١٠٦/٥)، كتاب القسامة، باب: ما يباح به دم المسلم، رقم الحديث (٤٤٦٨)، من حديث عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه –.

(٥) البقرة:١٧٩

(٦) انظر: المبسوط، للسِّرخسي: (١٣٠/٢٦). وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني الحنفي: (٢٣٧/٧)، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين الزيلعي الحنفي: (١٠٢/٦)، الفقه الإسلامي وأدلته، أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ: (٥٨٤/٧).

القول الثاني: إنَّ القصاص لا يجري بين الحر والعبد، وبين الذكر والأنثى، وبه قالت المالكية[١]، والشافعية[٢]، وأحمد[٣]، ومقاتل[٤]، والحسن البصري، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة[٥]، وأبو ثور[٦]، ورجَّحه من المفسرين: القرطبي[٧]، والثعلبي[٨]، وابن عادل الحنبلي[٩]، والبغوي[١٠]، والرازي[١١].

قال الإمام الشافعي: ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والأنثى بالذكر؛ لأنَّه إذا قتل كل واحد منهم بمن هو مثله فلأن يقتل بمن هو أفضل منه أولى ويقتل الذكر بالأنثى[١٢]

- واستدلوا بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾[١٣].

---

(١) انظر: الكافي في فقه أهل المدينة، لابن عبد البر: (١٠٩٤/٢)، والبيان والتحصيل، لابن رشد: (٥٠٠/١٥)، والمقدمات الممهدات، لابن رشد: (٢٨٠/٣)، والذخيرة: للقرافي: (٣٢٠/١٢)، و بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد:(١٨٠/٤).

(٢) انظر: الأم، للشافعي: (١٠/٦)، والحاوي الكبير، للماوردي: (٦/١٢)، والبيان في مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي: (٣٠٤/١١)، تحقيق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م. والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين النووي: (٣٥٠/١٨).

(٣) انظر: الكافي في فقه الإمام أحمد، (٢٥٣/٣)، والشرح الكبير على متن المقنع، (٣٥٧/٩)، والمبدع في شرح المقنع، لابن مفلح الحنبلي: (٢١٦/٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١٧٣/٥).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢٥٠/٢). والكشاف، للزمخشري: (٢٢٠/١)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١٢١/٣). وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي: (٣٨٢/١).

(٦) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد: (١٨٠/٤). وأبو ثور هو: إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور الكلبي: الفقيه صاحب الإمام الشافعي، ولد في حدود سنة ١٧٠هـ، قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً، صنف الكتب وفرع على السنن، وذب عنها، توفي ببغداد سنة ٢٤٠هـ، له مصنفات كثيرة منها كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعي وذكر مذهبه في ذلك، وهو أكثر ميلاً إلى الشافعي في هذا الكتاب وفي كتبه كلها. انظر: تهذيب الكمال، للحافظ المزي: (٨٠/٢). سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٧٢/١٢). وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: (١٠٢/١). والأعلام، للزركلي: (٣٧/١).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢٥٠/٢).

(٨) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (٥٤/٢).

(٩) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٢١٩/٣).

(١٠) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (١٨٩/١).

(١١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٧٥٠/١).

(١٢) الأم، للشافعي: (١٠/٦)، والمهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي: (١٧١/٣)، والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٣٥٠/١٨).

(١٣) البقرة:١٧٨

- وقوله تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ فإنَّه يمنع من جواز قتل الحر بالعبد؛ لأنَّ هذا خاص، وما قبله عام، والخاص مقدم على العام، ولا سيما إذا كان الخاص متصلا بالعام في اللفظ، فإنه يكون بمنزلة الاستثناء، ولا شك في وجوب تقديمة على العام[1].
- ويمنع أيضاً قتل الحر بالعبد، لأنَّ القصاص عبارة عن المساواة، وقتل الحر بالعبد لم يحصل فيه رعاية المساواة[2].
- وقوله ـ ﷺ ـ: (لاَ يُقْتَلُ حُرٌّ بِعَبْدٍ)[3].
- ولأنَّ أبا بكر وعمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ، كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير[4].

ويلاحظ مما سبق: أنَّ الجمهور معتمدين على نص الآية كاملة، حيث بدأ بالعموم ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ ثم خصص ذلك العموم بقوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾.

القول الراجح:

ومن خلال ما تقدم تبين للباحث أنَّ الراجح هو القول الأول؛ وذلك لما أوردوه من الأدلة الصحيحة والصريحة، وأنَّ المصلحة والسياسة الشرعية تقتضيان في الوقت الحاضر إيجاب القتل على قاتل العبد حتى ولو كان القاتل حراً، وأنَّ هذا النهج يسد كثير من الذرائع التي تؤدي إلى الاعتداء على العبيد وقتلهم، وكما أنَّه أدعى إلى الأمن والاستقرار، وأيضاً يتوافق مع العلة التي شرع الله من أجلها القصاص وهي تحقيق الحياة للآخرين، والردع والزجر ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[5].

---

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: (٣٤٧/٤)، واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٢٢٠/٣).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٢٢٤/٥)، واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٢٢٠/٣).
(٣) سنن أبي داوود: (٢٩٧/٤)، كتاب، باب: من قتل عبده أو مثل به أيقاد منه، رقم الحديث (٤٥١٩). قال الألباني: صحيح مقطوع. انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داوود: (١٧/١٠)، رقم الحديث (٤٥١٧). وسنن البيهقي الكبرى: (٣٤/٨)، باب: لا يقتل حر بعبد، رقم الحديث (١٥٧١٦)، وقال: في إسناده ضعف.
(٤) تفسير البيضاوي: (١٢٢/١).
(٥) البقرة:١٧٩

المطلب الثاني: في العفو من القصاص

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾[1]

يقول الإمام النَّسَفِي – رحمه الله-: «﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ قالوا: العفو ضد العقوبة، يقال: عفوت عن فلان إذا صفحت عنه وأعرضت عن أن تعاقبه، وهو يتعدى بـــ "عن" إلى الجاني وإلى الجناية ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾[2] ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[3] وإذا اجتمعا عدي إلى الأول باللام فتقول "عفوت له عن ذنبه" ومنه الحديث: ((عفوت لكم عن صدقه الخيل والرقيق)) وقال الزجاج: من عفي له، أي: من ترك له القتل بالدية.

وقال الأزهري: العفو في اللغة الفضل ومنه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[4].

ويقال: عفوت لفلان بمال إذا أفضلت له وأعطيته، وعفوت له عما لي عليه إذا تركته.

ومعنى الآية عند الجمهور: فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على أن الفعل مسند إلى المصدر كما في سير بزيد بعض السير والأخ ولي المقتول.

وذكر بلفظ الأخوّة بعثاً له على العطف لما بينهما من الجنسية والإسلام، ومن هو القاتل المعفو له عما جنى وترك المفعول الآخر استغناء عنه.

وقيل: أقيم "له" مقام "عنه" والضمير في له وأخيه لـــ من، وفي إليه للأخ، أو للمتبع الدال عليه فاتباع لأن المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بأن يطالبه مطالبة جميلة، وليؤد إليه المطلوب، أي القاتل بدل الدم، أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه.

وإنما قيل شيء من العفو ليعلم أنَّه إذا عفا عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص.

ومن فسر عفى بترك جعل شيء مفعولاً به، وكذا من فسره بـــ "أعطى" يعني أنَّ الولي إذا أعطى له شيء من مال أخيه يعني القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف، وليؤده القاتل إليه بلا تسويف.

---

(١) البقرة:١٧٨

(٢) البقرة:٥٢

(٣) الشورى:٢٥

(٤) البقرة:٢١٩

وارتفاع اتباع بأنه خبر مبتدأ مضمر، أي: فالواجب اتباع ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾[1] فإنه كان في التوراة القتل لا غير، وفي الإنجيل العفو بغير بدل لا غير، وأبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيراً»[2].

الدراسة والترجيح:

العفو في القصاص مرغب فيه شرعاً، ومجمع على إجازته بين أهل العلم.

قال ابن قدامة: (أجمع أهل العلم على إجازة العفو عن القصاص وأنه أفضل، والأصل فيه الكتاب والسنة: أما الكتاب فقول الله تعالى في سياق قوله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [3]﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ..... وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [4] قيل في تفسيره: فهو كفارة للجاني يعفو صاحب الحق عنه، وقيل: فهو كفارة للعافي بصدقته، وأما السنة فحديث أنس بن مالك قال: ((ما رأيت رسول الله – ﷺ– رفع إليه شيء فيه قصاص إلا أمر فيه بالعفو))[5])[6].

وقد اختلف أهل العلم في حق العفو هل هو لجميع الورثة من ذوي الأنساب والأسباب والرجال والنساء والصغار والكبار، فمن عفا منهم صح عفوه وسقط القصاص ولم يبق لأحد إليه سبيل، أم أنه مقصور على بعضهم.

القول الأول: حق العفو هو لجميع الورثة من ذوي الأنساب والأسباب والرجال والنساء والصغار والكبار فمن عفا منهم صح عفوه وسقط القصاص ، وهذا قول أكثر أهل العلم منهم: عطاء، والنخعي، والثوري،

---

(١) البقرة:١٧٨

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٥٥).

(٣) البقرة:١٧٨

(٤) المائدة:٤٥

(٥) سنن النسائي: (٨/٣٧) كتاب القسامة، باب الأمر بالعفو عن القصاص، رقم الحديث (٤٧٨٤). وسنن أبي داوود: (٤/١٦٩) كتاب الديات، باب: الإمام يأمر بالعفو في الدم ، حديث رقم (٤٤٩٧) .

(٦) المغني، لابن قدامة: (٨/٢٧٨) .

وأبوحنيفة، والشافعي، والحنابلة، وروي معنى ذلك عن عمر وطاووس، والشعبي، وقال به الحسن، وقتادة، والزهري، والأوزاعي[1].

القول الثاني: ليس للبنات والأخوات من القصاص شيء، وإنما هو للرجال البنين والإخوة، وهو وجه عند الشافعية، والحنابلة[2]، ويجوز عفو الرجال على النساء ولا يجوز عفو النساء [3]، وليس للإخوة من الأم عفو عن القصاص وبه قال مالك [4].

الأدلة:

أدلة القول الأول:

١- استدلوا من السنة بحديث عائشة - رضي الله عنها - عن رسول الله - ﷺ-، أنه قال: على المقتتلين أن ينحجزوا الأول فالأول، وإن كانت امرأة[5].

٢- ما ورد أنَّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- رفع إليه رجلٌ قتل رجلاً فأراد أولياء المقتول قتله، فقالت: أخت المقتول وهي امرأة القاتل: قد عفوت عن حصتي من زوجي، فقال عمر: ((عتق الرجل من القتل، وأمر لسائرهم بالدية)).

وعن زيد بن وهب[6]: أنَّ امرأة قتلت زوجها وله إخوة، فعفا بعضهم، فأمر عمر لسائرهم بالدية [7].

---

(١) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي: (١٢٢/٣)، ومختصر إختلاف العلماء، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي: (١٣١/٥)، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، الناشر: دار البشائر الإسلامية — بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ. والإستذكار، لابن عبد البر: (١٨٢/٨) والمجموع شرح المهذب، للنووي: (٤٤٦/١٨)، والمغني، لابن قدامة: (٢٧٨/٨)، والمبدع في شرح المقنع، لابن مفلح: (٢٨٢/٨)، والمحلى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري: (٤٧٧/١٠)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة — بيروت.

(٢) انظر: الإستذكار، لابن عبد البر: (١٨٢/٨)، المجموع شرح المهذب، للنووي: (٤٤٦/١٨) ، والمبدع في شرح المقنع، لابن مفلح: (٢٨٢/٨).

(٣) وبه قال الحسن وقتادة والزهري وابن شبرمة والليث والأوزاعي وعمر ابن عبد العزيز . انظر: المراجع السابقة.

(٤) انظر: مختصر اختلاف العلماء، للطحاوي: (١٣١/٥)، والإستذكار، لابن عبد البر: (١٨٢/٨)، والمجموع شرح المهذب، للنووي: (٤٤٦/١٨)، والمبدع في شرح المقنع، لابن مفلح: (٢٨٢/٨).

(٥) سنن أبي داوود: (١٨٣/٤) كتاب الديات، باب: عفو النساء عن الدم، رقم الحديث (٤٥٣٨) . وسنن النسائي: (٣٨/٨) كتاب القسامة، عفو النساء عن الدم، رقم الحديث (٤٧٨٨) . قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للألباني: (٣٣٣/٨).

(٦) هو: زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي: إمام مخضرم، قدم المدينة بعد وفاة النبي - ﷺ- بأيام، سمع عمر وعثمان وعلياً وابن مسعود وأبا ذر وحذيفة - رضي الله عنهم- وجماعة وعنه حصين وعبد العزيز بن رفيع والأعمش وإسماعيل بن أبي خالد، وغيرهم، وكان ثقة، كثير العلم، توفي قريباً من سنة ٨٤هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي: (٥٣/١).

(٧) مصنف عبدالرزاق: (١٣/١٠) كتاب العقول، باب: العفو، رقم الحديث (١٨١٨٨-١٨١٨٩-١٨١٩٠).

أدلة القول الثاني: استدل من قال باستثناء النساء والزوجة أنهما لا يعقلان من العاقلة.

وهذا مردود: بأنَّ إدخال حكم العاقلة في حكم العفو غير سليم، فالعاقلة إنما هي في القتل الخطأ، والعفو إنما هو في القتل العمد.

وقالوا أنَّ العفو للرجال دون النساء.

وهذا مردود: بأنه مبنى ذلك على قياس لا دليل عليه(١).

القول الراجح:

والراجح – والله أعلم – هو القول الأول القائل بأنَّ حق العفو قائم للجميع، وذلك لما يلي:

١– أنَّ القول الثاني لا دليل عليه يؤيده.

٢– قول من قال أنَّ الفرق بين الزوجين وبين سائر الورثة أنَّ الزوجين ليسا من العصبة، أو أنَّ حق العفو مقصور على العصبة، فأين الدليل الذي يؤيد هذا القول.

٣– أنَّ الذين ثبت لهم حق الميراث يثبت لهم كذلك حق القود والعفو من غير فرق بينهما (٢).

---

(١) المحلى، لابن حزم: (١٠/٤٧٩) .

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

المبحث الثاني

ترجيحات الإمام النَّسَفِي في مسائل أخرى متفرقة

المطلب الأولى : في الرِّدة لا تحبط العمل

المطلب الثاني : في المراد بـ (غير باغ ولا عاد)

المطلب الثالث : في تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ

المطلب الرابع : من المراد بقوله : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

المطلب الخامس : في معنى الفتنة

المطلب الأولى: في الرِّدة لا تحبط العمل

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]، رجَّح الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الردة تحبط العمل، حتى ولو لم يمت عليها، حيث قال: «﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ أي: يمت على الردة ﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ﴾ لما يفوهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام، وفي الآخرة من الثواب، وحسن المآب ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وبها احتج الشافعي – رحمه الله- على أنَّ الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها.

وقلنا: قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾[2]، **والأصل عندنا** أنَّ المطلق لا يحمل على المقيد، وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا»[3].

الدراسة والترجيح: ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي في هذه المسألة قولين:

القول الأول: إنَّ الردة لا تحبط العمل حتى يموت المرء عليها، وبه قالت الشافعية[4]، والمالكية[5]،

---

(١) البقرة:٢١٧

(٢) المائدة:٥

(٣) تفسير النَّسَفِي: (١/١١٧).

(٤) الحاوي الكبير، للماوردي: (٤/٢٤٨)، والمجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: (٣/٥)، والذخيرة، للقرافي: (١/٢١٧)، والبيان والتحصيل، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي: (١/١٩١)،تحقيق: د. محمد حجي، وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م. والبيان في مذهب الإمام الشافعي، لابن أبي الخير العمراني: (٤/٤٠٩)، وأسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكرياء الأنصاري: (١/٤٤٣)، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي: (١/١٥٢)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر – بيروت.

(٥) الحاوي الكبير، للماوردي: (٤/٢٤٨)، والذخيرة، للقرافي: (١/ ٢١٧)، والبيان والتحصيل، لابن رشد الحفيد: (١/١٩١).

والحنابلة[1]، ورجَّحه من المفسرين: الطبري[2]، والواحدي[3]، والزمخشري[4]، والرازي[5]، والخازن[6]، وأبي حيان الأندلسي[7]، والشربيني[8]، والشوكاني[9].

واستدلوا : بقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا﴾ [10] وهذا المرتد إذا أسلم بعد ردته فقد انتهى بموعظة من ربه فوجب أن يكون له ما سلف من عمله، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ وهذا نص في أنَّ حبط العمل لا يكون بنفس الردة حتى يقترن بالموت وفيها انفصال عن الاثنين، ولأنَّ كل من لزمه حجة الإسلام لم تلزمه حجة أخرى بأصل الشرع كالمسلم غير المرتد[11].

قال أبو حيان الأندلسي: (وظاهر هذا الشرط والجزاء ترتب حبوط العمل على الموافاة على الكفر، لا على مجرد الارتداد، وهذا مذهب جماعة من العلماء، منهم: الشافعي)[12].

القول الثاني: إنَّ الردة نفسها تحبط العمل حتى ولو لم يموت عليها، وبه قالت الحنفية[13].

واستدلوا:

بقوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [14] وبقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾

---

(١) انظر: شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي: (٤٠٢/٣)، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولداً، ثم الدمشقي الحنبلي: (٣٠٠/٦)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م. والمبدع في شرح المقنع، لابن مفلح: (١٤٥/١).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣١٧/٤).

(٣) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي: (٣٢٢/١).

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري: (٢٥٩/١).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٣٩٣/٦).

(٦) انظر: تفسير الخازن: (١٤٧/١). تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٣٩٢/٢).

(٧) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٣٩٢/٢).

(٨) انظر: السراج المنير، لشمس الدين الشربين: (١٤١/١).

(٩) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (٢٥٠/١).

(١٠) البقرة:٢٧٥

(١١) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (٢٤٨/٤).

(١٢) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٣٩٢/٢).

(١٣) انظر: المبسوط، للسرخسي: (٩٦/٢)، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني: (٩٥/١)، والدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار)، لابن عابدين: (٧٥/٢).

(١٤) الزُّمَر:٦٥

فأحبط عمله في هذين الآيتين بنفس الكفر دون الموت عليه[1]؛ ولأنَّه إذا مات مرتداً فقد حبط عمله إجماعاً، ولا يخلو أن يحبط عمله بالشرك أو بالموت، فلم يجز أن يحبط عمله بالموت؛ لأنَّ المسلم يموت ولا يحبط عمله، فثبت أنَّه قد أحبط عمله بالردة[2].

القول الراجح:

ويرى الباحث أنَّ القول الأول هو الراجح - وهو غير ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي- وذلك لما استدلوا به، وأيضاً فإنَّ النصوص التي أوردها الحنفية مطلقة والنصوص التي أوردها الشافعية مقيده والمطلق يحمل على المقيد.

وأما ما استدل به الحنفية فالجواب عن الآيتين فهما محمولتان على من مات مرتداً[3].

وأما قولهم إنَّ عمله إما أن يحبط بالموت أو بالردة.

نقول: لا، بل عمله يحبط بهما، فأما بأحدهما فلا [4]. والله أعلم.

---

(١) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (٢٤٧/٤)، والمبسوط، للسرخسي: (٩٦/٢)، و بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني: (٩٥/١).

(٢) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (٢٤٧/٤)، والمبسوط، للسرخسي: (٩٦/٢)، و بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني: (٩٥/١).

(٣) الحاوي الكبير، للماوردي: (٢٤٧/٤).

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

المطلب الثاني: المراد بـ (غير باغ ولا عاد)

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[1]

رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ غير باغٍ في أكلها شهوةً وتلذذاً، ولا عاد متعد بمقدار الحاجة، أي: في الأكل إلى حد الشبع، وضَعَّفَ قول من قال غير باغ على الإمام، ولا عادٍ في سفر حرام، حيث قال: «{غَيْرَ} حال، أي: أكل غير {بَاغٍ} للذة وشهوة {وَلا عَادٍ} متعد مقدار الحاجة.

وقول من قال غير باغ على الإمام ولا عادٍ في سفر حرام، **ضعيف**؛ لأنَّ سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة، والحبس بالحضر يبيح بلا سفر؛ ولأنَّ بغيه لا يخرج عن الإيمان، فلا يستحق الحرمان، والمضطر يباح له قدر ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه حصول الشبع؛ لأنَّ الإباحة للاضطرار، فَتُقَدَّر بقدر ما تندفع الضرورة»[2].

الدراسة والترجيح:

ذكر الاختلاف في المراد بغير باغ ولا عاد، على الأقوال التالية:

القول الأول: المراد بـــ {غير باغ} في أكله فوق حاجته، "ولا عاد" بأن يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها، وهذا قول قتادة، والحسن، والربيع، وابن زيد، وعكرمة، ورجَّحه من المفسرين: الزمخشري[3]، ومحمد رشيد رضا[4].

القول الثاني: المراد بـــ {غير باغ} غير باغ في الميتة في الأكل، ولا عاد بأكلها، وهو يجد غيرها، وهو يرجع لمعنى القول قبله، وهو قول ابن عباس والحسن، وبه قال أبو حنيفة[5]، ومالك[6]،

القول الثالث: المراد بـــ {غير باغ} في أكلها شهوةً وتلذذاً، "ولا عاد" باستيفاء الأكل إلى حدِّ الشبع، وهذا قول السدي، وحكاه من المفسرين: ابن عطية[7]، ووهبة الزحيلي[8].

القول الرابع: المراد بـــ {غير باغ} على المسلمين، "ولا عاد" عليهم، فيدخل في الباغي والعادي قطاع الطريق، والخارج على السلطان، والمسافر في قطع الرحم، والغارة على المسلمين، وهذا قول مجاهد بن جبر،

---

(١) البقرة:١٧٣

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٥١).

(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/٢٤٠).

(٤) انظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: (٢/٩٨).

(٥) انظر: الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة، عمر بن إسحق بن أحمد الهندي الغزنوي، سراج الدين، أبو حفص الحنفي: (ص٤٥)، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـــ – ١٩٨٦م.

(٦) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد الحفيد: (٣/٢٩). والذخيرة، للقرافي: (٤/١١٠).

(٧) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (١/٢٢٦).

(٨) انظر: التفسير المنير، لوهبة الزحيلي: (١/٤٥١).

وسعيد بن جبير، وإلى هذا ذهب الشافعي[١]، وأحمد[٢]، وبعض المفسرين: القرطبي[٣]، وابن كثير[٤]، وأبو حيان الأندلسي[٥]، والشوكاني[٦]، ومحمد رشيد رضا[٧].

ويتضح للباحث مما سبق: أنَّ على قولهم هذا، فلا يجوز لقاطع الطريق والخارج على الإمام الأكل من الميتة وإن خافا الهلاك/ ما لم يتوبا.

وعلى الأقوال الأولى: يجوز لهم أكل الميتة إن خافا الهلاك، وإن لم يتوبا.

القول الراجح:

والذي يراه الباحث بعد استعراض الأقوال، أنَّ الأقوال الثالثة الأولى كلها متقاربة، وهي من باب التنوع، أما القول الرابع فإنَّه من باب التضاد، والباحث يُرجِّح ما رجَّحه الإمام النَّسَفِي وغيره، وذلك:

- لأنَّ الباغي والعادي وصفان للتناول، أي: غير باغٍ في تناوله، أي: لا يريد بذلك أن يتناول المحرم، ولا عادٍ أي: متجاوزٍ قدرَ الضرورة؛ لتُفسَّر هذه الآية التي في سورة «البقرة» ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾، بالآية التي في سورة «المائدة» ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾[٨].

- ولأنَّ القول الرابع لا تحتمله الآية، فظاهر الآية وسياقها لا يدل عليه.

---

(١) انظر: الحاوي الكبير، للماوردي: (٣٨٨/٢). والبيان في مذهب الإمام الشافعي، لابن أبي الخير العمراني: (٤٥١/٢).

(٢) انظر: المغني، لابن قدامة: (١٩٤/٢). شرح الزركشي على مختصر الخرقي، شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي: (١٤٢/٢)، الناشر: دار العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢٣٣/٢). المغني لابن قدامة (٢ / ١٩٤).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٤٨٢/١).

(٥) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (٦٦٤/١).

(٦) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (٢٦١/١).

(٧) انظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: (٩٩/٢).

(٨) المائدة:٣

المطلب الثالث: في تصريف الرياح

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾[1] يقول: «الريح: حمزة وعلي، أي: وتقليبها في مهابها قبولاً ودبوراً وجنوباً وشمالاً، وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقماً ولواقح.

وقيل: تارة بالرحمة وطوراً بالعذاب»[2].

الدراسة والترجيح:

ذكر الإمام النَّسَفِي في هذه المسألة قولين:

القول الأول: إنَّ المراد بتصريف الرياح، أي: وتقليبها في مهابها قبولاً ودبوراً وجنوباً وشمالاً، وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقماً ولواقح، وقد ذهب إلى هذا القول جمهور العلماء، منهم: البغوي[3]، والزمخشري[4]، والرازي[5]، والبيضاوي[6]، وابن كثير[7]، والثعالبي[8]، وأبو بكر الجزائري[9]، والسعدي[10].

يقول ابن كثير: (﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أي: تارة تأتي بالرحمة، وتارة تأتي بالعذاب، وتارة تأتي مسيرة بين يدي السحاب، وتارة تسوقه، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمن وهي صبا، وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة، وتارة دبور وهي غربية تفد من ناحية دبر الكعبة)[11].

ويقول السعدي: (وفي ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ باردة وحارة، وجنوباً وشمالاً وشرقاً ودبوراً وبين ذلك، وتارة تثير السحاب، وتارة تؤلف بينه، وتارة تلقحه، وتارة تدره، وتارة تمزقه وتزيل ضرره، وتارة تكون رحمة، وتارة ترسل بالعذاب)[1].

---

(١) البقرة:١٦٤

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٢٢).

(٣) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (١/١٧٨).

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/٢٣٦).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٤/١٨٢).

(٦) انظر تفسير البيضاوي: (١/٤٣٥).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٤٧٥).

(٨) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي: (١/١٢٦).

(٩) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري: (١/١٤١).

(١٠) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (١/٧٨).

(١١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٤٧٥).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (١/٧٨).

القول الثاني: إنَّ المراد بتصريف الرياح، أي: وتقليبها في مهابها قبولاً ودبوراً وجنوباً وشمالاً، وهذا قول الفراء[1]، والثعلبي[2]، والخازن[3]، وابن عادل الحنبلي[4]، وشمس الدين الشربين[5].

يقول الفراء: (وقوله: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تأتى مرّة جَنُوباً، ومرّة شَمَالاً، وقَبُولاً، ودَبُوراً، فذلك تصريفها)[6].

وقد ردَّ هذا القول الطبري فقال: (وزعم بعض أهل العربية أنّ معنى قوله: "وتصريف الرياح"، أنها تأتي مَرّة جنوبًا وشمالاً وقبولاً ودَبورًا، ثم قال: وذلك تصريفها، وهذه الصفة التي وَصَفَ الرياح بها، صفة تصرُّفها لا صفة تصريفها؛ لأنَّ "تصريفها" تصريفُ الله لها، "وتصرُّفِها" اختلافُ هُبوبها)[7].

القول الثالث: إنَّ المراد بتصريف الرياح، أي: تارة بالرحمة وطوراً بالعذاب، وقد ذهب إلى هذا القول الطبري[8]، والقرطبي[9]، والشوكاني[10].

يقول الطبري: ("وتصريف" الله إياها، أنْ يُرسلها مَرَّة لَواقحَ، ومرة يجعلها عَقيما، ويبعثها عذابًا تُدمِّر كل شيء بأمر ربها، كما عن قتادة قوله: "وتصريف الرياح والسحاب المسخر" قال: قادرٌ واللهِ ربُّنا على ذلك، إذا شَاء جعلها رَحمةً لواقح للسحاب ونشرًا بين يدي رحمته، وإذا شاء جَعلها عذابًا ريحًا عقيمًا لا تُلقح، إنما هي عَذابٌ على من أرسِلتْ عليه، وزعم بعض أهل العربية أنّ معنى قوله: "وتصريف الرياح"، أنها تأتي مَرّة جنوبًا وشمالا وقبولا ودَبورًا، ثم قال: وذلك تصريفها، وهذه الصفة التي وَصَفَ الرياح بها، صفة تصرُّفها لا صفة تصريفها، لأن "تصريفها" تصريفُ الله لها، "وتصرُّفِها" اختلافُ هُبوبها.

وقد يجوز أنْ يكون معنى قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾، تصريفُ الله – تعالى- ذكره هبوب الريح باختلاف مَهابِّها.)[1].

---

(١) انظر: معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ: (٨٧/١)، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٢) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (٣٢/٢ – ٣٣).

(٣) انظر: تفسير الخازن: (١٣٥/١).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (١٣١/٣).

(٥) انظر: تفسير السراج المنير، لشمس الدين الشربيني: (٩٦/١).

(٦) معاني القرآن، للفراء: (٨٧/١).

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٧٦/٣).

(٨) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٧٦/٣).

(٩) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١٩٧/٢).

(١٠) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (٢٥٥/١).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٢٧٥/٣ – ٢٧٦).

والذي يترجَّح للباحث هو القول الأول، قول جمهور العلماء، - وهو ما رجَّحه النَّسَفِي- لشموله؛ لأنَّهم جمعوا القولين، في تقليبها ومهابها، وكذلك في أحوالها.

وقد ذكَرَ ابن عثيمين كلاماً جميلاً في هذه المسألة، يؤيد ما رجحناه، حيث قال: (قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أي: تنويعها في اتجاهها، وشدتها، ومنافعها؛ و﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ جمع ريح؛ وهي الهواء؛ وفي قراءة: ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ بالإفراد؛ والمراد به الجنس؛ والتصريف يشمل تصريفها من حيث الاتجاه؛ تصريفها من حيث الشدة، وعدمها؛ تصريفها من حيث المنافع، وعدمها؛ فمن حيث الاتجاه جعلها الله - ﷻ- متجهة جنوباً، وشمالاً، وغرباً، وشرقاً؛ وهذه هي أصول الجهات؛ وهناك جهات أخرى تكون بينها؛ وتسمى النكبة؛ لأنها ليست في الاستقامة في الشرق، أو الغرب، أو الشمال، أو الجنوب؛ فهي نكباء - ناكبة عن الاتجاه الأصلي، وفي تصريف هذه الرياح آيات: لو بقيت الريح في اتجاه واحد لأضرت بالعالم؛ لكنها تتقابل، فيكسر بعضها حدةَ بعض، ويذهب بعضها بما جاء به البعض الآخر من الأذى، والجراثيم، وغيرها؛ كذلك أيضاً في تصريفها آيات بالنسبة للسحاب فبعضها يجمع السحاب؛ وبعضها يفرقه؛ وبعضها يلقحه؛ وبعضه يدره، فيمطر، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[2]؛ قال المفسرون: تلقح في السحاب؛ وفي تصريف الرياح أيضاً آيات للسفن الشراعية؛ وفيه أيضاً آيات في إهلاك الناس، وإنجاء آخرين: أهلك الله به عاداً، وطرد به الأحزاب عن رسول الله - ﷺ-؛ وأنجى الله رسول الله - ﷺ- بهذه الريح من شر الأحزاب؛ ومن تدبَّر هذا عرف ما فيها من قدرة الله، ورحمته، وعزته، وحكمته؛ لو أنَّ جميع مكائن الدنيا كلها اجتمعت، وصارت على أقوى ما يكون من نَفْث هواء لا يمكن أنْ تحرك ساكناً إلا فيما حولها فقط؛ لكن أنْ تصل من أقصى الشمال إلى الجنوب، أو بالعكس فلا؛ والله - جل وعلا - يقول للشيء إذا أراده: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[3]؛ فتجد الرياح شديدة شمالية؛ وفي لحظة تنعكس، وتكون جنوبية شديدة؛ هذه تمام القدرة العظيمة، حيث يدبر الله هذه الرياح بأمر لا يستطيعه البشر؛ ولهذا صار تصريف الرياح آية من آيات الله العظيمة الدالة على قدرته؛ ثم إنَّ في تصريفها أيضاً مصالح للسفن الجوية؛ لأنَّ لها تأثيراً على الطائرات - كما يقولون؛ وكذلك بالنسبة للسيارات لها تأثير)[1].

---

(١) الروم:٤٨

(٢) الحِجر:٢٢

(٣) البقرة:١١٧

(١) تفسير القرآن، لابن عثيمين: (٤/١٧٥ - ١٧٦).

المطلب الرابع: من المراد بقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾[1] رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي — رحمه الله- أنَّ المراد من يحبونهم، أي: يحبون الأصنام كما يحبون الله، حيث قال: «﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: ومع هذا البرهان النير من الناس ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾ أمثالاً من الأصنام، ﴿يُحِبُّونَهُمۡ﴾ يعظموهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب، ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ كتعظيم الله والخضوع له، أي: يحبون الأصنام كما يحبون الله، يعني: يسوون بينهم وبينه في محبتهم؛ لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه.

وقيل: يحبونهم كحب المؤمنين الله»[2].

الدراسة والترجيح:

ذَكَرَ الإمام النَّسَفِي في هذه المسألة قولين:

القول الأول: إنَّ المراد من يحبونهم، أي: يحبون الأصنام كما يحبون الله، أي: في الطاعة لها، والتعظيم لها، وبه قال مجاهد[3]، وطاووس ابن كيسان[4]، والسدي[5]، والزجاج[6]، ورجحه الرازي[7]، والسمرقندي[8]، والقاسمي[9]، والسعدي[10]، وسيد قطب[11]، والشنقيطي[12].

قال محمد رشيد صاحب كتاب المنار: (جعلوا من بعض خلق الله نظراء له فيما هو خاص به يحبونهم كحبه؛ ذلك أنَّ الحب ضروب شتى تختلف باختلاف أسبابها وعللها، وكلها ترجع إلى الأنس بالمحبوب أو الركون

(١) البقرة:١٦٥

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٢٣).

(٣) تفسير مجاهد: (ص: ٢١٨)

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٢٠٤)، وفتح القدير، للشوكاني: (١/١٩٠).

(٥) انظر: الدر المنثور، للسيوطي: (١/٤٠١).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (١/٢٣٧).

(٧) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٤/١٧٥).

(٨) انظر: بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي: (١/١١٠).

(٩) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي: (١/٤٦١).

(١٠)انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: (ص: ٧٩)

(١١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/١٥٣).

(١٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي: (١/٤٦٩).

والالتجاء إليه عند الحاجة، فقد يحب الإنسان شخصاً لأنَّه يأنس به ويرتاح إلى لقائه لمشاكلة بينهما، ولا مشاكلة بين الله – تعالى– وبين الناس فيظهر فيهم هذا النوع من الحب)[1].

القول الثاني: إنَّ المراد من يحبونهم، أي: يحبونهم كحب المؤمنين الله، وبه قال عكرمة[2] وقتادة[3] والنيسابوري، والواحدي[4]، والبغوي[5]، ورجحه الخازن[6]، والشوكاني[7].

قال الخازن: (كَحُبِّ اللَّهِ، أي: كحب المؤمنين لله، والمعنى: يحبون الأصنام كما يحب المؤمنون ربهم - ﷻ- وقيل: معناه يحبونهم كحب الله، فيكون المعنى: أنهم يسوون بين الأصنام وبين الله في المحبة، فمن قال بالقول الأول لم يثبت للكفار محبة الله – تعالى–، ومن قال بالقول الثاني أثبت للكفار محبة الله – تعالى–، لكن جعلوا الأصنام شركاء له في الحب)[8].

قال الشوكاني: (إنَّ هؤلاء الكفار لم يقتصروا على مجرد الأنداد بل أحبوها حبا عظيما، وأفرطوا في ذلك إفراطا بالغا، حتى صار حبهم لهذه الأوثان ونحوها متمكنا في صدورهم كتمكن حب المؤمنين لله سبحانه، فالمصدر في قوله: كحب الله مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف وهو المؤمنون)[9].

وقد ردَّ هذا القول بعض العلماء، قال الزجاج: (وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾.
أي يُسَوُّون بين هذه الأوثان وبين اللَّه - عزَّ وجلَّ - في المحبة.

وقال بعض النحويين، يحبونهم كحبكم أنتم للَّهِ - وهذا قول ليس بشيء - ودليل نقضه قوله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) والمعنى: أنَّ المخلصين الذين لا يشركون مع اللَّه غيره هم المحبُّون حقاً)[10].

---

(١) انظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: (٥٥/٢).
(٢) الدر المنثور، للسيوطي: (٤٠١/١).
(٣) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (١٩٦/١).
(٤) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي: (٢٤٩/١).
(٥) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (١٩٦/١).
(٦) انظر: تفسير الخازن: (١٠٠/١).
(٧) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١٩٠/١).
(٨) تفسير الخازن: (١٠٠/١).
(٩) فتح القدير، للشوكاني: (١٩٠/١).
(١٠) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: (٢٣٧/١).

والذي يترجح بعد استعراض أقوال المفسرين في الآية الكريمة تبين للباحث أنَّ الراجح - والله أعلم بالصواب- هو القول الأول، وهو ما رجحه الإمام النَّسَفِي، لظاهر سياق الآية، حيث أنَّ هؤلاء جعلوا هذه الأصنام مساوية لله في المحبة فيحبونهم كحب الله.

قال الرازي: في ترجيحه لهذا القول والرد على الآخر:

(فإن قيل: العاقل يستحيل أن يكون حبه للأوثان كحبه لله، وذلك لأنه بضرورة العقل يعلم أن هذه الأوثان أحجار لا تنفع، ولا تضر، ولا تسمع، ولا تبصر ولا تعقل، وكانوا مقرين بأن لهذا العالم صانعا مدبرا حكيما ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[1] ومع هذا الاعتقاد كيف يعقل أنْ يكون حبهم لتلك الأوثان كحبهم لله – تعالى-، وأيضاً فإنَّ الله – تعالى- حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[2] وإذا كان كذلك، كان المقصود الأصلي طلب مرضات الله تعالى، فكيف يعقل الاستواء في الحب مع هذا القول، قلنا قوله: يحبونهم كحب الله أي في الطاعة لها، والتعظيم لها، فالاستواء على هذا القول في المحبة لا ينافي ما ذكرتموه)[3].

---

(١) الزُّمَر:٣٨

(٢) الزُّمَر:٣

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي: (١٧٥/٤).

المطلب الخامس: في معنى الفتنة

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ﴾[١] رَجَّحَ الإمام النَّسَفِي – رحمه الله- أنَّ الفتنة هي الشرك بالله، حيث قال: «أي: شركهم بالله أعظم من القتل الذي يحل بهم منكم.

وقيل: الفتنة عذاب الآخرة.

وقيل: المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان فيعذب به أشد عليه من القتل.

وقيل لحكيم: ما أشد من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت، فقد جعل الإخراج من الوطن من الفتن التي يتمنى عندها الموت»[٢].

الدراسة والترجيح:

ذكر الإمام النَّسَفِي أربعة أقوال في هذه المسألة:

القول الأول: إنَّ الفتنة هي الشرك بالله، وهو مروي عن ابن عباس[٣] وبه قال مجاهد،[٤] وأبو العالية ومقاتل بن سليمان[٥] وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والربيع ابن أنس[٦]، وعبد الرزاق الصنعاني[٧] وقتادة[٨] والطبري[٩] والخازن[١٠] والشوكاني[١١] والسعدي[١٢].

قال الطبري: (وابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجعَ عنه فيصير مشركاً بالله من بعد إسلامه، أشدُّ عليه وأضرُّ من أنْ يُقتل مقيماً على دينه متمسكاً عليه، مُحقاً فيه)[١٣].

---

(١) البقرة:١٩١

(٢) تفسير النَّسَفِي: (١/١٣٩).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٢٨٩).

(٤) انظر: تفسير مجاهد: (ص: ٢٢٣). و جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣/٥٦٦). وتفسير ابن أبي حاتم: (١/٣٢٦).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/١٦٨). و تفسير ابن أبي حاتم: (١/٣٢٦).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/٥٢٥).

(٧) انظر: تفسير عبد الرزاق: (١/٣١٤). و تفسير ابن أبي حاتم: (١/٣٢٦).

(٨) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣/٥٦٥). وتفسير ابن أبي حاتم: (١/٣٢٦).

(٩) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣/٥٦٥).

(١٠) انظر: تفسير الخازن: (١/١٢٢).

(١١) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/٢٢٠).

(١٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (ص: ٨٩).

(١٣) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٣/٥٦٥).

قال الخازن: (يعني أنَّ شركهم بالله أشد وأعظم من قتلكم إياهم في الحرم والإحرام، وإنما سمي الشرك بالله فتنة؛ لأنَّه فساد في الأرض يؤدي إلى الظلم، وإنَّما جعل أعظم من القتل؛ لأنَّ الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك، والكفر يخرج صاحبه من الأمة، وليس القتل كذلك، فثبت أنَّ الفتنة أشد من القتل)[1].

القول الثاني: إنّ الفتنة هي اكراه المؤمنين بالرجوع من الإيمان إلى الكفر، وبه قال القرطبي[2].

قال القرطبي: (والفتنة أشد من القتل" أي: الفتنة التي حملوكم عليها وراموا رجوعكم بها إلى الكفر أشد من القتل)[3].

القول الثالث: إنَّ الفتنة عذاب الآخرة، حكا هذا القول الرازي[4]، وابن عادل الحنبلي[5].

يقول ابن عادل الحنبلي: (...أي: إنَّ الفتنة هي العذاب الدائم الذي يلزمهم بسبب كفرهم، فكأنه قيل: اقتلوهم حيث ثقفتموهم، واعلموا أنَّ وراء ذلك من العذاب ما هو أشد منه، وإطلاق اسم الفتنة على العذاب جائز؛ وذلك من باب إطلاق اسم السبب على المسبب، قال تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾[6] ثم قال عقبيه: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾[7])[8].

القول الرابع: إنَّ الفتنة المحنة والبلاء الذي يترل بالإنسان فيعذب به، وهذا قول الزمخشري[9]، والرازي[10]، والقاسمي[11]، ومحمد رشيد رضا[12].

قال القاسمي: (أي: المحنة والبلاء الذي يترل بالإنسان، يتعذب به، أشدّ عليه من القتل)[13].

---

(١) تفسير الخازن: (١/١٢٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٣٥١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٢/٣٥١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٢٩٠).

(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣/٣٤٣).

(٦) الذاريات:١٣

(٧) الذاريات:١٤

(٨) تفسير اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣/٣٤٣).

(٩) انظر: الكشاف، للزمخشري: (١/٢٣٦).

(١٠) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٢٩٠).

(١١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي: (٢/٥٧).

(١٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا: (٢/١٦٩).

(١٣) محاسن التأويل، القاسمي: (٢/٥٧).

القول الخامس: إنَّ الفتنة الإخراج من الوطن[(١)].

قال ابن عادل الحنبلي: (والمعنى: أن إقدام الكفار على تخويف المؤمنين، وإلجائهم إلى ترك الأهل، والوطن؛ هربا من إضلال الكفار، فإن هذه الفتنة التي جعلت للمؤمنين أشد من القتل الذي يقتضي التخليص من غموم الدنيا وآفاتها)[(٢)].

قال الرازي: (إنَّ إقدام الكفار على الكفر وعلى تخويف المؤمنين، وعلى تشديد الأمر عليهم بحيث صاروا ملجئين إلى ترك الأهل والوطن هربا من إضلالهم في الدين، وتخليصا للنفس مما يخافون ويحذرون، فتنة شديدة بل هي أشد من القتل الذي يقتضي التخليص من غموم الدنيا وآفاتها)[(٣)].

والذي يترجح للباحث:

ومن خلال استعراض أقوال المفسرين وتعليلاتهم تبين أنَّ الراجح هو القول الأول، الذي يتضمن أنَّ الفتنة هي الشرك بالله، حيث وهو أعظم ذنب على الإطلاق، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[(٤)]، فصد الناس عن دينهم والمساس بالعقيدة الإسلامية فتنة أشد من قتلهم، لأنَّ قتلهم غاية ما فيه أنَّ يخسرهم ويقطعهم من ملذات الحياة الدنيا ويفوزون بحياة أبدية سرمدية، لكن الفتنة في الدين يخسرون بها الدنيا والأخرة﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[(٥)].

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣/٣٤٣). ومفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٢٩٠).

(٢) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي: (٣/٣٤٣).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي: (٥/٢٩٠).

(٤) النســـــاء:٤٨

(٥) الحج:١١

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع سنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين. وبعد:

فبعد مجهود مضن، وعمل دؤوب، آناء الليل وأطراف النهار، أصل إلى خاتمة المطاف، فلا يسعني بعد ختام هذا البحث إلا أن أتوجه لله – سبحانه- بالحمد والشكر والثناء كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، على توفيقه وامتنانه، وإعانته لي على إتمام هذا البحث، وما يسره لي تنسيقه وترتيبه، وسهل عليّ إعداده وتهذيبه، فقد جاء في قسمين وفصول ومباحث ومطالب ومسائل، منتقاة من كتب أهل العلم والفضائل، ولا أدعي الكمال فيما كتبت، ولا أزعم الاتقان والإبداع فيما سرت، وحسبي أني بذلت الجهد والوقت، والحمد لله رب العالمين.

فهذه رسالة تناولت فيها ترجيحات الإمام النَّسَفِي لسورتي الفاتحة والبقرة، ويطيب لي في آخرها أن أختمها بخلاصة تبين أهم ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولاً: أهم نتائج البحث:

أولاً: إنَّ الإمام النَّسَفِي عاصر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى من غزو التتار والمغول بلاد المسلمين، وظهر وسط هذه العواصف والاضطرابات السياسية التي حَلَّت بالمسلمين.

ثانياً: إنَّ الإمام النَّسَفِي قد تخرج من إحدى مدارس التفسير بالرأي، وهو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المُفسر لكلام العرب والألفاظ العربية ووجوه دلالتها، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المُفسر.

ثالثاً: ورغم أنَّ تفسير الإمام النَّسَفِي يصنَّف ضمن التفسير بالرأي إلا أنَّنا نجده لم يغفل عن التفسير بالمأثور، فيُفسر القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين، وبالقراءات القرآنية، وأسباب النزول.

رابعاً: إنَّ الإمام النَّسَفِي من أهل السنة والجماعة، ولذا ينتصر لها، ويرد ويفنِّد أقوال معارضيها.

خامساً: إنَّ المذهب الفقهي للإمام النَّسَفِي حنفي، ولذا نجده دائماً ينتصر لمذهبه، ويرجِّح مذهبه في كثير من مسائل الخلاف.

سادساً: كثيراً ما كان يورد الإمام النَّسَفِي أقوال العلماء دون ترجِّيح أو اختيار معين، وفي الغالب كان يجمع أقوالهم ضمنياً بعبارة وجيزة.

سابعاً: تفسير الإمام النَّسَفِي مختصر من تفسير الكشاف للزمخشري، ومن أنوار التنزيل للبيضاوي، إلا أنَّه مجرد عن الاعتزال الذي في الكشاف.

ثامناً: لم يلتزم الإمام النَّسَفِي بصحة الأحاديث التي يوردها، وكثيراً ما يقول: روي عن رسول الله - ﷺ-، أو روي عن ابن عباس — رضي الله عنهما-، أو عن فلان، وهكذا.

تاسعاً: بالرغم أنَّ الإمام النَّسَفِي قد وافق جمهور العلماء في كثير من مسائل الترجيح، إلا أنَّـه في بعـض الآيات نجده يخالفهم، مما يدل على قيمة تفسيره العلمية، وتبحره في العِلم.

عاشراً: لدقة تفسير الإمام النَّسَفِي واختصاره، ورقة أسلوبه، نجده يُدَرَّس في كثير من الجامعات والمعاهـد الإسلامية.

الحادي عشر: إنَّ النظر في أقوال العلماء، ودراستها، والمقارنة بينها، بالنظر في أدلة كل قول، ومدى قوتـه ورجحانه على غيره، ينمي في الطالب ملكة مناقشة الآراء المختلفة، وسبر أغوارها، وتحقيق صـحيحها مـن سقيمها.

الثاني عشر: إنَّ التطرق لمسائل الخلاف بين المفسرين، والوصول إلى القول الصحيح أو الراجح من أقوالهم، ليس أمراً سهلاً ولا يسيراً، بل لا بد فيه من عمق البحث، وإعمال الفكر، وتقليب وجوه المسائل، حتى تتـبين صورها، ويظهر ما خفي منها، وتنزيل ذلك على قواعد هذا العِلم.

ثانياً: **أهم توصيات البحث**: أهم ما أوصي به بما يتعلق بخدمة البحث ما يأتي:

١- ضرورة استيفاء ترجيحات الإمام النَّسَفِي جمعاً ودراسة، وذلك لباقي سور القرآن فهي جـديرة بـأن يفرد لها رسائل مستقلة.

٢- أوصي الجامعات الإسلامية والمراكز العلمية والمجامع الفقهية، أن تولي مسائل علم التفسير مزيداً مـن الاهتمام خاصة المسائل ذات الصلة بالنوازل والمستجدات، وما يترتب عليها من الأجر والثواب.

وأخيراً: أنَّ هذا البحث ما هو الا مساهمةٌ متواضعةٌ في اثراء المكتبة الإسلامية، واخراج ذخائر الماضـي وتراث أمتنا المخبوء، ولا أدعي فيه الإحاطة الكاملة، فليس الكمال إلا لله وحده جل وعلا، وما هو إلا جهداً بذلته، وعند الله ادخرته، فإن كنت قد وافقت الصواب فبتوفيق الله وتسديده، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت غاية الجَهْد.

ورحم الله الإمام المُزَنِي حين قال: لو عُرِض كتابٌ سبعين مرةً لوجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غيرُ كتابه.

فأرجو من الله عز وجل أن يغفر لما زل به القلم، أو طغى به الفهم، أو خانتني به العبارة، وأن لا يحرمني من الأجر إذا لم أُجِر، وأن لا يمنعني القبولَ إذا لم أُخْلِص، فهو صاحب الكرم والجود، وإليه يرد الأمر كله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والحمدُ للهِ رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. والله أعلم.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية، والآثار.

فهرس الأعلام.

فهرس الأبيات الشعرية.

فهرس الأماكن والبلدان.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٣٨	٧٣، ٢٢٤
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	٣٩	٢٢٤
﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾	٤١	١٩٢
﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٤٢	٨١
﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾	٤٥	٩٦
﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾	٤٨	٤٢، ٧٣، ٢٢٧
﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾	٥٢	٧٨
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾	٥٤	٨٢
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾	٥٥	٢٠٠
﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	٥٦	٢٠٢
﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾	٦٠	١٩٣
﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا﴾	٦١	٧٥
﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾	٦٨	٨٢
﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾	٧٤	٧٥
﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾	٨٠	٦٥
﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ ....أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	٨٥	٦٥، ٧٣
﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾	٩٣	٩٦، ٢٥٢
﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾	٩٧	٧٤
﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾	١٠٢	١٧٤
﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾	١٠٢	١٧٣، ١٧٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾	١٠٦	١٧٦
﴿كُن فَيَكُونُ﴾	١١٧	٣٢٦
﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾	١٢٣	٢٣٣
﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّ﴾	١٢٤	٧٥
﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾	١٢٥	١١٤، ٢٧٣، ٢٧٥
﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾	١٣٠	٧٨، ١١٣، ١٧٦
﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾	١٤٣	١٨١
﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ ....وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ﴾	١٤٤	١٨١
﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾	١٤٥	١٨٩
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾	١٤٦	١٠٩، ١١٩، ١٧٨
﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ﴾	١٥٤	٦٦
﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ ....﴾	١٥٥-١٥٦	١٦٤
﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾	١٥٧	٦٢
﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾	١٦٤	١١٤، ٣٢٤
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾	١٦٥	١١٥، ٣٢٧
﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾	١٧٧	٢٥١
﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾	١٧٧	٥٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ﴾	١٧٨	٣٠٨
﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾	١٧٨	٧٨، ٢٨٦
﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾	١٧٩	٩٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾	١٨٦	٧١
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾	١٨٩	٧١، ٢٦٩، ٢٧٠
﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ﴾	١٩١	١١٥
﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾	١٩١	٢٧٦
﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾	١٩١	٢٧٦، ٢٧٨
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾	١٩٣	٢٧٨، ٢٨٠
﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾	١٩٤	١٣٢
﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾	١٩٦	٤٧، ١٢٠، ٢٥٣
﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ ﴾	١٩٦	٢٦٠، ٢٦١
﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ .... ﴾	١٩٦	٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٧
﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ﴾	١٩٦	٢٦٧
﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾	١٩٧	٢٦٨، ٢٦٩
﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾	١٩٧	٧٠
﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾	١٩٨	١١٥، ٢٧١
﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ﴾	١٩٨	١١٦
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾	٢١٣	٨٢، ٢٤٠
﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣) أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾	٢١٣-٢١٤	٨٢
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ .... ﴾	٢١٤	٩٣
﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ ﴾	٢١٧	٣١٩
﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾	٢١٩	٧٨، ٣١٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾	٢٧٤	٧٠
﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا﴾	٢٧٥	٣٢٠
﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾	٢٧٦	٥٩
﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾	٢٨٢	٧٩
﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡ ﴾	٢٨٢	٣٠٣
سورة آل عمران		
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ ....﴾	٧	أ
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾	١٤	١٢٦
﴿إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾	٦٤	٨٥
﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾	٩٧	٢٧٨
﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾	١٠٣	٦٠
﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾	١٣٢	٤٥
﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾	١٦٣	٢٥٢
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾	١٧٩	٤٥
﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾	١٨١	٦٦
﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾	١٨٥	٦٧
سورة النساء		
﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾	٤	١٧٧
﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٢٢	١١١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾	٤٨	٣٢٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا ﴾	٥٦	٤٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾	٦٤	٢٣٠
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾	٨٢	٤٦، ١٥١
﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾	٨٦	٢٣٠
﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾	١٠١	١٣٢
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	١٦٥	١٣٦
سورة المائدة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾	١	١٢١
﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾	٥	٣١٩
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ ....﴾	١٥-١٦	١
﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ﴾	٤٢	٣٠٤
﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾	٤٥	٣٠٨
﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾	٦٠	٥٦
﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾	٧٧	٥٦
﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٠٦	٣٠٥
﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾	١١٦	١٢٣
﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	١١٨	٢٢٨
سورة الأنعام		
﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾	١	٤٤
﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾	٢٠	١٠٩

الصفحة	رقمها	الآية
		وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾
٢٠٨	٢٩	﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾
٤٤، ٢٠٥، ٢١٣،٢١٦	٤٨	﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴾
١٤٣، ١٤٦	٨٧	﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾
١٢٩	٩٥	﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾
		سورة النحل
٥٨، ١٢٧، ٢٥٠	٤٤	﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾
١٨٢	٥٣	﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾
٥٨	٦٤	﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾
١٩٢	٦٦	﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾
٤٤	٩٦	﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾
٢٤١	١٢٠	﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا ﴾
		سورة الإسراء
١	٩	﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ .... ﴾
٣١٠	٣٣	﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ ﴾
٢٠٩	٦١-٦٢	﴿قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا (٦١) قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ ﴾
٢٠١، ٢٠٨	٧٨	﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾
٢٤٨	٧٨	﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾
١١٨، ١٨٩	٨٨	﴿عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ﴾
١١٩	٩٧	﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا ﴾
		سورة الكهف
١٢٦	٧	﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾	٣٧	١٣٦
سورة الحج		
﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾	١١	١١٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ ﴾	٧٧	٢٠٧
سورة المؤمنون		
﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾	٢١	١٩٢
سورة النور		
﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾	٣٣	١٣٢
سورة الشعراء		
﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١)﴾	١٠٠-١٠١	٢٣٣، ٢٣٤
﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾	١٩٥	٨٧
سورة النمل		
﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾	١٤	١١٣
﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾	٤٠	١١١
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾	٨٩	١١١
سورة القصص		
﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾	٥٨	١٨٧
سورة العنكبوت		
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾	٦٧	٢٧٧
سورة الروم		
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٠٦
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾	٤٨	٣٢٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة غافر		
﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	٧	٢٣١
﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾	١٨	٢٣٥،٢٢٩
﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾	٢٦	١٢٦
﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾	٥٨	١٨٥
سورة فُصِّلَت		
﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾	١١	٧٨
﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾	٣٧	٢٠٨
﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾	٣٨	١٠٩
سورة الشورى		
﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	٢٣	١٣٤ ،١٠٩
﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	٢٥	٧٨
﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾	٤٠	١٣١
سورة الزُّخرُف		
﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾	٥٥-٥٦	١٣١
سورة الدخان		
﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾	٥٦	٢٠٥ ،٤٤
سورة الأحقاف		
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾	١٠	١٣٠
﴿وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾	٢٩	١٢١

الصفحة	رقمها	الآية
		سورة الملك
١٥٠	١	﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾
		سورة القلم
٢١٢	١٧	﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾
		سورة المدَّثر
٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤	٤٢ - ٤٨	﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (٤٨)﴾
		سورة الإنسان
١٨٦	٢٤	﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾
		سورة النبأ
٢١٣	٣٥	﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾
		سورة الإنفطار
٨٥	١٣-١٤	﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾
		سورة البروج
١١٥	١٠	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾
		سورة التين
٧٩	٤	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

فهرس الأحاديث النبوية، والآثار.

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٥٠	قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى-: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ	١٤٧ ، ١٥٦
٥١	قال معاذ بن جبل: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد	٦٩
٥٢	قال: يا رب، ألم تخلقني بيدك	٢١٢
٥٣	القرآن حبلُ الله المتين	٦٠
٥٤	كان إذا نزلت عليه سورة	٦٣
٥٥	كان النبي – ﷺ- لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم	١٥٢
٥٦	كان أهل اليمن يحجون لا يتزودون	٧٠
٥٧	كان بين نوح وآدم عشرة قرون	٢٤٠
٥٨	كان دينًا واحدًا، فبعث الله النبيين	٢٤٢
٥٩	كان ذلك انحِنَاء، و لم يكن خُروراً على الذّقْن	٢٠٦
٦٠	كان رسول الله – ﷺ- إذا حَزَبه أمر فَزِعَ إلى الصلاة	٩٦
٦١	كان رسول الله – ﷺ- إذا قرأ يقطع قراءته آية آية	١٥٢
٦٢	كانوا على الهدى جميعًا، فاختلفوا	٢٤٠
٦٣	كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة	١٧٤
٦٤	كل عبادة في القرآن هي توحيد	١٢٤
٦٥	كنا نراها الفجر حتى سمعت رسول الله – ﷺ- يقول يوم الأحزاب	٢٤٥
٦٦	لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ	٢٣٧
٦٧	لا تقبل شهادة أهل دين على غير أهل دينهم إلا المسلمين	٣٠٤
٦٨	لَا حَصْرَ إِلَّا حَصْرُ الْعَدُوِّ	٢٥٤
٦٩	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	١٤٣
٧٠	لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ	٣١١
٧١	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ النَّار	٢٣٦
٧٢	لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ	ج
٧٣	لاَ يُقْتَلُ حُرٌّ بِعَبْدٍ	٣١٣
٧٤	لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لأحد إلا لله تعالى	٢٠٦
٧٥	لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ	٢٣١
٧٦	لَمَّا أُخْرِجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ، زُوِّدَ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ	٢١٢

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
١٥٥.	معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس.	٧٩
١٥٦.	المعتصم: أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد.	٣٠
١٥٧.	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني.	١٩٠
١٥٨.	مكي بن إبراهيم بن بشير التميمي البلخي.	٢٤٩
١٥٩.	المَلِك الكَامِل: محمد بن محمد (العادل) ابن أيوب.	٢٣
١٦٠.	المهتدي بالله: محمد بن هارون بن الواثق بن هارون الرشيد.	٢٠
١٦١.	النضر بن الحارث بن علقمة بن كِلْدة.	١٣٦
١٦٢.	النووي أبو زكريا	٢٣٨
١٦٣.	النيسابوري: الحسن بن محمد بن الحسين القمي.	١٤٢
١٦٤.	هولاكو بن تولي قان بن جنكيز خان.	١٥
١٦٥.	الواحدي: علي بن أحمد، أبو الحسن	٦٨
١٦٦.	الوليد بن المغيرة بن عبد الله.	١٢٩
١٦٧.	ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي	٢٢
١٦٨.	يعقوب بن إسحاق بن زيد أبو محمد الحضرمي.	٧٣
١٦٩.	يعلى بن أمية بن أبي عبيدة الحنظلي	١٣٢

فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت الشعري	قائـــــله	الصفحـــة
١.	ألا لا أرى على الحَوَادثِ باقِياً ولا خالِداً إلاّ الجِبالَ الرّواسِيَا	زهير بن أبي سُلمى	٢٠٤
٢.	وجملة الأبيات يا صدر الفئة ألفان والستون والستمائة وتسعة والله يجزي ناظـــمه جنات عدن وقصور ناعمة	عمر النَّسَفي	٥٢
٣.	باسم الإله رب كل عبد والحمد لله ولي الحمد	عمر النَّسَفي	٥٢
٤.	تطَـــاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمُـــدِ ونام الخَـــليُّ و لم تَرْقُـــدِ وباتَ وبـــاتتْ له لَيـــلَةٌ كليلةِ ذي العائرِ الأَرْمَدِ وذلِكَ مِنْ نبأٍ جـــــاءني وخُبِّرْتُهُ عَن أبي الأَسودِ	امرؤ القيس	٨٧
٥.	فإنَّما هِيَ إِقْبَالٌ وإِدْبَارُ	الخنساء	٢٥٢
٦.	فلو شِئْتُ أنْ أبكي دَماً لَبَكَيْتُهُ عليه ولكن ساحة الصَّبرِ أوسعُ	أبو يعقوب الخريمي	٨٦
٧.	تهابُ الرُّومُ في مَعاقِلِها والتُّركُ تَخْشَاك مِنْ وَرَاء نَسَف	أبو تمام	٣٠
٨.	والنبع في الصخَّرة الصَّمَّاء مَنْبِتُه والنَّخْلُ تُنْبِتُ بين الماءِ والعَجَلِ	مجهول القائل	١٣٦
٩.	فحيَّ على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم	ابن قيم الجوزية	٢١٩
١٠.	سئمتُ تكاليف الحياةِ ومن يعشْ ثمانينَ حولاً لا أبا لك يَسْأَمِ	زهير بن أبي سُلْمى	٧٩
١١.	على لاحِبٍ لا يُهْتَدَي بمنارِه	امرؤ القيس	٧٩
١٢.	ولما رأيتُ النَّسْرَ عَزَّ ابن دَأْيَةٍ وعَشَّشَ في وَكْرَيْهِ جاشَ له صَدْري	مجهول القائل	٨٨
١٣.	كأنَّ قُلُوبَ الطَّير رطباً ويابِساً لدى وكْرِها العنَّابُ والحشفُ البالي	امرؤ القيس	١٨٥

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصادر والمراجع

م	اسم الكتاب
	أولاً: القرآن الكريم
	ثانياً: كتب التفسير
١.	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر – بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٢.	أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣.	بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السَّمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.
٤.	البحر المديد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي: ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ.
٥.	التحرير والتنوير، محمد الطَّاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م.
٦.	التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي، ابن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٧.	تفسير أبي السعود، المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٨.	تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – والشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، و د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٩.	تفسير البيضاوي، المسمى: أنوار التنزيل و أسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق محمد صبحي حسن حلاق، ومحمد أحمد الأطرش، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان – بيروت – دمشق – الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١٠.	تفسير الخازن، المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم

	البغدادي الشهير بالخازن: ، دار الفكر - بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١١.	تفسير السراج المنير، لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٢.	تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
١٣.	تفسير القاسمي، المسمى: محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
١٤.	تفسير القرآن الحكيم، المشهور باسم: بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٥٠هـ.
١٥.	تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكتر، دار النشر : الفاروق الحديثة - مصر- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٦.	تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية .
١٧.	تفسير القرآن العظيم: المسمى: تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة – بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٨.	تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٩.	تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .
٢٠.	تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٢١.	تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، تحقيق: ميكلوش موراني، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٢٢.	تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٣.	تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٤.	تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
٢٥.	تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٦.	تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٧.	تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمّي النيسابوري، تحقيق: زكرياء عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٨.	تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، الناشر: المنشورات العلمية - بيروت.
٢٩.	تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٣٠.	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار النشر: مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٢١هـ.
٣١.	جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣٢.	الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب – الرياض- المملكة العربية السعودية، تاريخ الطبعة : ١٤٢٣هـ
٣٣.	الدر المنثور، جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن الكمال، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣م ذكر ابن حجر العسقلاني.
٣٤.	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٥.	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار بن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق- بيروت- الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٣٦.	في ظلال القرآن، لسيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ .
٣٧.	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٨.	الكشف والبيان في تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٣٩.	اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.
٤٠.	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٤١.	معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٤٢.	مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٤٣.	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٤٤.	الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٤٥.	الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٦.	الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري:، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدَّمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
ثالثاً: كتب علوم القرآن	
٤٧.	اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، المُسمَّى: منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات، أحمد بن محمد البنا، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب – بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٤٨.	الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٤٩.	الإتقان والتجويد، لأبي عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، الناشر: مكتبة دار الأنبار - بغداد، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٥٠.	أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.
٥١.	أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي: تحقيق: محمد عبد القادر عطا دار الفكر - بيروت – لبنان.
٥٢.	أحكام قراءة القرآن، محمود خليل الحصري، تحقيق: محمد طلحة منيار، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٥٣.	أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٥٤.	إعراب القرآن وبيانه، لمحي الدين درويش، اليمامة، دار ابن كثير – دمشق – بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٥.	إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
٥٦.	إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العَكْبري، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى

	١٣٩٩هـ.
٥٧.	إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبو بكر الأنباري، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، طبعة ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م.
٥٨.	بحوث في أصول التفسير ومناهجه، لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ.
٥٩.	البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.
٦٠.	تفسير القرآن الكريم وأصوله، لعلي بن سليمان العبيد، الناشر: مكتبة التوبة – الرياض– المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.
٦١.	التفسير اللغوي للقرآن الكريم، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٦٢.	التمهيد في علم التجويد، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، الناشر: مكتبة المعارف– الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٦٣.	دلالة السياق القرآني وأثره في التفسير، لعبدالرحمن عبدالله سرور جرمان المطيري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٩هـ.
٦٤.	شرح مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح وتعليق: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي – القاهرة – الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
٦٥.	علل الوقوف، محمد بن طيفور السجاوندي، تحقيق: د.محمد بن عبدالله العيدي، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٦٦.	علم المناسبات في السور والآيات، د. محمد بن عمر بازمُول، المكتبة المكيَّة – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٦٧.	فصول في أصول التفسير، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٦٨.	قواعد التفسير جمعاً ودراسة، لخالد بن عثمان السبت، دار ابن عفَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ .
٦٩.	لباب النقول في أسباب النزول، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، دار القلم – دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.	.٧٠
مباحث في علوم القرآن، لمناع خليل القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.	.٧١
معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.	.٧٢
معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.	.٧٣
معجم مصطلحات علمي التجويد والقراءات، للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.	.٧٤
مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.	.٧٥
المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو الداني، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، الطبعة الأولى، دار عمار، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.	.٧٦
منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن محمد الأشموني: (ص٣٣)، شركة ومطبعة البابي الحلبي- مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.	.٧٧
مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.	.٧٨
منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لشمس الدين أبو الخير الشهير بابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.	.٧٩
منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (الجزرية)، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.	.٨٠
الميسَّر في القراءات الأربع عشرة، لمحمد فهد خاروف، تحقيق: محمد عبدالكريم راجح، دار الكلم الطيب- دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.	.٨١
النشر في القراءات العشر، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان.	.٨٢

٨٣.	هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي، الناشر: مكتبة طيبة — المدينة المنورة، الطبعة الثانية.
	رابعاً: كتب الحديث وعلومه
٨٤.	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٨٥.	بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٨٦.	البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: مصطفى أبو الغيط - وعبد الله بن سليمان - وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٨٧.	تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة — الرياض.
٨٨.	التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي تحقيق: عبد الرحمن عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
٨٩.	خلاصة البدر المنير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٩٠.	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف — الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
٩١.	السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر : مكتبة المعارف — الرياض.
٩٢.	سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر — بيروت.
٩٣.	سنن أبي داوود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي- بيروت.
٩٤.	سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي — بيروت.
٩٥.	سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٩٦.	السنن الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
٩٧.	السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٩٨.	سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د/عبد الغفار سليمان البنداري – سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
٩٩.	شرح النووي على مسلم: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٠٠.	شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة اأولى، ١٤١٠هـ
١٠١.	صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت– الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
١٠٢.	صحيح أبي داوود، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٠٣.	صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
١٠٤.	صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل – بيروت– ودار الأفاق الجديدة – بيروت.
١٠٥.	فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت.
١٠٦.	كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
١٠٧.	المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

١٠٨.	مسند الإمام أحمد، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة قرطبة – مصر.
١٠٩.	مصنف عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
١١٠.	المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، عن ميمون بن أبي شبيب، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى.
١١١.	المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م .
١١٢.	مقدمة ابن الصلاح: لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الناشر: مكتبة الفارابي، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
١١٣.	موطأ الإمام مالك، للإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، رواية محمد بن الحسن، تحقيق: د. تقي الدين الندوي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩١م.
١١٤.	النكت على كتاب ابن الصلاح، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
خامساً: كتب العقيدة	
١١٥.	الاقتصاد في الاعتقاد، للمقدسي: عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
١١٦.	الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف – الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١١٧.	العقيدة الواسطية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بن مانع، دار النشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء - الرياض - الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
١١٨.	الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تأليف: عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو

	منصور، دار الأفاق الجديدة– بيروت– الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
١١٩.	لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
١٢٠.	المقدمات الممهدات، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٢١.	الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة– بيروت– ١٤٠٤هـ.
سادساً: كتب الفقه وأصوله	
١٢٢.	إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
١٢٣.	الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا - محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٠م.
١٢٤.	الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١٢٥.	الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي، دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
١٢٦.	البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم: الذخيرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، تحقيق: محمد حجي - و سعيد أعراب - و محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
١٢٧.	البحر العميق في مناسك الحاج والمعتمر إلى البيت العتيق، لأبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء المكي الحنفي، تحقيق: د. عبدالله نذير أحمد عبدالرحمن مزي، مؤسسة الريان – بيروت - المكتبة المكية – مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
١٢٨.	بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.
١٢٩.	بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني

الحنفي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.	
البناية شرح الهداية، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.	١٣٠.
البيان في مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.	١٣١.
البيان والتحصيل، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: د. محمد حجي، وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.	١٣٢.
التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.	١٣٣.
تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين الزيلعي الحنفي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٣هـ.	١٣٤.
تحفة الفقهاء، محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.	١٣٥.
تصحيح الفروع، لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.	١٣٦.
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب – ١٣٨٧هـ.	١٣٧.
تيسير علم أصول الفقه، عبدالله بن يوسف الجديع: (ص٣٣٧)، الناشر: مؤسسة الريان – بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .	١٣٨.
الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير، لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، الناشر: عالم الكتب – بيروت، سنة النشر ١٤٠٦هـ.	١٣٩.

١٤٠.	حاشية ابن عابدين المسماه: رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، دار الفكر- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٤١.	الحجة على أهل المدينة، لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني القادري، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
١٤٢.	الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار)، لابن عابدين. والكافي في فقه أهل المدينة، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.
١٤٣.	درر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا، أو منلا أو المولى – خسرو، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون طبعة، وبدون تاريخ.
١٤٤.	الذخيرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، تحقيق: محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
١٤٥.	روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت- دمشق- عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ -١٩٩١م.
١٤٦.	روضة الناظر وجنة المناظر، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي تحقيق: د/ عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
١٤٧.	شرح الهداية، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العين، دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٤٨.	شرح الورقات في أصول الفقه، لجلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، تحقيق: حسام الدين بن موسى عفانة، الناشر: جامعة القدس - فلسطين، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٤٩.	عمدة المفتين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت- دمشق- عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

العناية شرح الهداية، محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي، دار الفكر – بيروت.	١٥٠.
فتح القدير، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، دار الفكر- بيروت – الطبعة الثانية.	١٥١.
الفقه الإسلامي وأدلته، أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِي، دار الفكر – دمشق – سوريَّا، الطَّبعة الرَّابعة المنقَّحة المعدَّلة.	١٥٢.
فقه السنة، لسيد سابق، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.	١٥٣.
قواعد الفقه، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار النشر: الصدف ببلشرز – كراتشي الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.	١٥٤.
الكافي في فقه أهل المدينة، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ –١٩٨٠م. دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.	١٥٥.
كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر – بيروت، سنة النشر ١٤٠٢هـ.	١٥٦.
كتر الدقائق في الفقة الحنفي: للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: أ.د/ سائد بكداش، دار البشائر الإسلامية- بيروت – لبنان- دار السراج- المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ – ٢٠١١م.	١٥٧.
اللباب في شرح الكتاب، عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني، تحقيق: محمود أمين النواوي، دار الكتاب العربي – بيروت.	١٥٨.
المبسوط لِلسَّرَخْسِي، لشمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السَّرَخْسِي، تحقيق: خليل محي الدين الميس، دار الفكر – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.	١٥٩.
مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، سنة النشر ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.	١٦٠.

المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.	١٦١.
المحلى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة – بيروت.	١٦٢.
مختصر اختلاف العلماء، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.	١٦٣.
مختصر المزني، لإسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني، دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.	١٦٤.
مختصر خليل، لخليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري، تحقيق: أحمد جاد، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.	١٦٥.
مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولداً، ثم الدمشقي الحنبلي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية.	١٦٦.
معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزاني، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.	١٦٧.
مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.	١٦٨.
مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.	١٦٩.
المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.	١٧٠.
مقدمة نسمات الأسحار على شرح المنار، لابن عابدين، محمد أمين عمر، الناشر : مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.	١٧١.
منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي: ، دار الفكر – بيروت، بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.	١٧٢.
مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، دار الفكر – بيروت، الطبعة	١٧٣.

	الثالثة، ١٤١٢هـــ - ١٩٩٢م
١٧٤.	نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدراية، للشيخ عبد الحي الكتاني، دار الكتاب العربي- بيروت.
١٧٥.	نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٤هـــ - ١٩٨٤م.
١٧٦.	الهداية في شرح بداية المبتدي، لأبي الحسن برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، تحقيق: طلال يوسف، دار احياء التراث العربي - بيروت – لبنان .
سابعاً: كتب التراجم والطبقات	
١٧٧.	الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت – الطبعة الأولى، ١٤١٢هـــ.
١٧٨.	أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٧٩.	الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـــ.
١٨٠.	أعلام المؤلفين الزيدية، لعبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـــ - ١٩٩٩م.
١٨١.	الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين -بيروت- لبنان- الطبعة الخامسة، ١٩٨٠هـــ.
١٨٢.	الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـــ.
١٨٣.	أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، طبعة دار العلم للملايين – بيروت- الطبعة التاسعة، ١٩٧١م.
١٨٤.	الأنساب، للإمام أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.
١٨٥.	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة – بيروت.
١٨٦.	البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: محمد المصري،

	جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت – الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـــ.
.١٨٧	تاج التراجم في طبقات الحنفية، للشيخ أبي الفداء زين الدين قاسم السودوني، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دارالقلم- دمشق – سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٣هـــ - ١٩٩٢م.
.١٨٨	تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـــ- ١٩٩٨م.
.١٨٩	ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـــ .
.١٩٠	تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ١٤٠٦هـــ.
.١٩١	تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار المكتبة العلمية - بيروت - لبنان، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ١٤٠٦هـــ - ١٩٨٦م.
.١٩٢	تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـــ – ١٩٨٤
.١٩٣	تهذيب التهذيب، للإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـــ.
.١٩٤	تهذيب الكمال، للحافظ البزي: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـــ - ١٩٨٠م.
.١٩٥	تهذيب الكمال، للحافظ البزي: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـــ - ١٩٨٠م.
.١٩٦	الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ هـــ – ١٩٧٥م
.١٩٧	الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبدالقادر بن محمد القرشي، تحقيق: د/ عبدالفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
.١٩٨	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: دار الكتاب العربي

	– بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـــ.
١٩٩.	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، المتوفي سنة ٨٠٥ هـــ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر أباد- الهند- ١٣٩٢هـــ.
٢٠٠.	ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق: بوران الضناوي كمال يوسف الحوت، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـــ
٢٠١.	ذيل تذكرة الحفاظ، لأبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـــ - ١٩٩٨م.
٢٠٢.	السلوك في طبقات العلماء والملوك، لبهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، الناشر: مكتبة الإرشاد – صنعاء – اليمن، سنة النشر: ١٩٩٥م.
٢٠٣.	سمط النَّجوم العَوالي في أنباء الأوائل والتَّوالي، عبدالملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـــ- ١٩٩٨م.
٢٠٤.	سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨ هـــ، ١٣٧٤م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـــ- ١٩٩٣م.
٢٠٥.	شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير -دمشق- ١٤٠٦هـــ، الطبعة الأولى.
٢٠٦.	طبقات الحفاظ، لأبي الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـــ.
٢٠٧.	طبقات الحفاظ، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـــ).
٢٠٨.	طبقات الحنابلة، لعبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـــ.
٢٠٩.	الطبقات السَّنِيَّة في تراجم الحنفية، للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي،

	دار الرفاعي، الرياض، وهجر، امبابة، القاهرة.
.٢١٠	طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي – د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
.٢١١	طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
.٢١٢	طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.
.٢١٣	طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ النشر: ١٩٧٠م.
.٢١٤	طبقات المفسرين للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
.٢١٥	غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي، تحقيق: برجستراسر، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
.٢١٦	فوات الوفيات، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الكُتْبي الدمشقي، تحقيق: إحسان عباس، وتلمِيْذته وداد القاضي، دار صادر- بيروت- طبعة سنة ١٩٧٣م.
.٢١٧	الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان
.٢١٨	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله جلبي المعروف بالحاج خليفة، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
.٢١٩	اللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار صادر - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
.٢٢٠	لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
.٢٢١	مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع –

	المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـــ - ١٩٩١م.
٢٢٢.	معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٢٢٣.	معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر – الرياض - الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـــ - ١٩٩٨م.
٢٢٤.	معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـــ.
٢٢٥.	المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض – السعودية، سنة النشر ١٤١٠هـــ - ١٩٩٠م.
٢٢٦.	المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، لتقي الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد الصيرفيني، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤هـــ.
٢٢٧.	المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تَغْرِي بُرْدِي الأتابكي، المتوفى سنة ٨٧٤هـــ، تحقيق: محمد محمد أمين، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
٢٢٨.	مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية- القاهرة- ١٩٩٧م.
٢٢٩.	الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، طبعة دار: إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
٢٣٠.	الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة المعاصرة، إعداد: مكتب التبيان، إشراف: حسن عبدالحفيظ أبو الخير، دار ابن الجوزي - القاهرة- الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٢٣١.	هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتاب العلمية- بيروت - ١٤١٣هـــ- ١٩٩٢م.
٢٣٢.	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت- الطبعة الأولى، ١٩٠٠م.
٢٣٣.	الوفيات، لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، تحقيق: عادل نويهض، الناشر:

	دار الإقامة الجديدة – بيروت، سنة النشر: ١٩٧٨م.
	ثامناً: كتب السيرة والتاريخ والبلدان
٢٣٤.	آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر – بيروت.
٢٣٥.	أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق– ١٩٨٠م.
٢٣٦.	أخبار الزمان، لأبي الحسن على عبد الحسين بن على المسعودي، أشرف على الطبع والتصحيح لجنة من الأساتذة مكتبة النجف الأشرف، دار الاندلس للطباعة والنشر – بيروت– الطبعة الثانية.
٢٣٧.	أطلس التاريخ العربي والإسلامي، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق – سورية– الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٢٣٨.	الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، لابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي تحقيق: يحيى زكريا عَبَّارة، من منشورات وزارة الثقافة بسوريا، ١٩٩١م.
٢٣٩.	البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة محققة الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٤٠.	تاريخ ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م.
٢٤١.	تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.
٢٤٢.	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الأولى.
٢٤٣.	تاريخ الخلفاء، للإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الخُضَيري السُيُوطي، تحقيق: د. رحاب خضر عكاوي، تقديم: د. أحمد محمد فارس، مؤسسة عزالدين، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٤٤.	التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر – بيروت.

	تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٤٥.	تاريخ دمشق، لابن عساكر. وطبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: دار المدني – جدة.
٢٤٦.	تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٤٧.	حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
٢٤٨.	الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت- طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
٢٤٩.	السيرة النبوية، لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل - بيروت، الطبعة لأولى، ١٤١١هـ.
٢٥٠.	عصر المماليك في مصر والشام، لسعيد عبدالفتاح عاشور، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية.
٢٥١.	عصر سلاطين المماليك ونتاجهم الأدبي، لمحمود رزق سليم، مكتبة الآداب، الطبعة الثانية – ١٩٦٢م.
٢٥٢.	الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٢٥٣.	معجم البلدان، للشيخ شهاب الدين ياقوت الحموي، دار صادر- بيروت- لبنان.
٢٥٤.	موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، للدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.
٢٥٥.	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تَغْرِي بُرْدِي، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٣٩م.
٢٥٦.	نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أدريس الحمودي الحسني، عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
	تاسعاً: كتب اللغة والأدب والبلاغة والغريب والمعاجم
٢٥٧.	أسماء الكتب، عبد اللطيف بن محمد رياض زاده، تحقيق: د/ محمد التونجي، دار الفكر – دمشق- سورية- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٥٨.	الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.
٢٥٩	الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، الناشر: دار

	إحياء العلوم – بيروت، سنة النشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٦٠	البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم – دمشق - الدار الشامية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٦١	تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محمد بن محمد الشهير بالسيد مرتضى الزبيدي، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف – الكويت.
٢٦٢	التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٢٦٣	التوقيف على مهمات التعاريف، للإمام عبدالرؤوف بن المناوي، تحقيق: د. عبدالحميد صالح حمدان، عالم الكتب – القاهرة، ١٤١٠هـ.
٢٦٤	جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى.
٢٦٥	جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تحقيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
٢٦٦	الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب - بيروت.
٢٦٧	ديوان امرئ القيس، تحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٢٦٨	ديوان زهير بن أبي سُلْمى، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٦٩	شعر ابن ميادة، جمعه وحققه: الدكتور/ جميل حنا حداد، راجعه وأشرف على طباعته: قدري الحكيم، من مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٧٠	الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الناشر: دار الحديث - القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ.
٢٧١	العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/مهدي المخزومي، و د/إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٢٧٢	الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٩هـ.
٢٧٣	اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
٢٧٤	لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت- الطبعة

	الأولى.
٢٧٥	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٩٥م.
٢٧٦	المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٧٧	المحيط في اللغة، لأبي القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٢٧٨	مختار الصَّحَاح، لإسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، ١٩٩٠م.
٢٧٩	مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٨٠	المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٨١	مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن على بن الحسين بن على المسعودي، تحقيق: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٢٨٢	المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٢٨٣	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
٢٨٤	المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـــ أحمد الزيات ـــ حامد عبد القادر ـــ محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر: دار الدعوة.
٢٨٥	معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٨٦	معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد

	هارون، دار الجيل - بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
٢٨٧	مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٨٨	المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية-بيروت-الطبعة التاسعة عشرة.
عاشراً: كتب أخرى	
٢٨٩	التذكار في أفضل الأذكار، فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى.
٢٩٠	صفة الصفوة، لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٩١	كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة من موضوعات العلوم، تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، تحقيق ومراجعة: كامل بكري، جامعة الأزهر، وعبد الوهاب أبو النور، جامعة القاهرة، دار الكتب الحديثة.
٢٩٢	كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: رفيق العجم - علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٢٩٣	مجموع الفتاوى، لابن تيمية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٩٤	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.
٢٩٥	منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره، رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة: سمر محمد فهمي كردية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٢٩٦	النَّسَفِي وآراؤه العقدية، مائلة المشهراوي رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدعوة وأصول الدين ، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطنية ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م.

فهرس الموضوعات